

مَجَانِي الْأَدْبَارِ

فِي

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

جمع

أحد الآباء اليسوعيين

مدرس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الثاني



طبعة رابعة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٩

بيروت معارف عيسى طرقتون نشرته رخصت استمدت

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

مَجَانِي الْأَدَبِ

فِي

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

جمع

أحد الآباء اليسوعيين

مدرس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء الثاني



طبعة رابعة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٩

بيروت معارف عيسى طرفدن لشرينه رخصت استمدر

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

الْبَابُ الْأَوَّلُ

فِي التَّدِينِ

في الاخلاص لله تعالى والشأن عليه

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ وَلَا آخِرَ لِأَبَدِيَّتِهِ . قِيَوْمٌ لَا يُفْنِيهِ الْأَبَدُ . وَلَا يُغَيِّرُهُ الْأَمَدُ . بَلْ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . مُنَزَّهُ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . فَوْقِيَّتُهُ لَا تَزِيدُهُ بَعْدًا عَنِ عِبَادِهِ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَبِيدِ . مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ . لَا يُشَابَهُ قُرْبَهُ قُرْبُ الْأَجْسَامِ . كَمَا لَا يُشَابَهُ ذَاتُهُ ذَوَاتُ الْأَجْرَامِ . مُنَزَّهُ عَنِ أَنْ يَحْدَهُ زَمَانٌ . مُقَدَّسٌ عَنِ أَنْ يُحِيطَ بِهِ مَكَانٌ . تَرَاهُ أَبْصَارُ الْأَبْرَارِ . فِي دَارِ الْقَرَارِ . عَلَى مَا دَأَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ . حَيٌّ قَادِرٌ . جَبَّارٌ قَاهِرٌ . لَا يَعْتَرِيهِ عَجْزٌ وَلَا قُصُورٌ . وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَهُ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ . وَالْعِزَّةُ وَالْجَبْرُوتُ . خَلَقَ الْخَلْقَ وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَجَالَهُمْ . لَا تَحْصِي قُدُورَاتُهُ . وَلَا تَدْنَاهِي مَعْلُومَاتُهُ . عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ . لَا يَنْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ . يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفِيَّ وَيَطَّلِعُ عَلَى هَوَاجِسِ الضَّمَائِرِ . وَخَفِيَّاتِ السَّرَائِرِ . مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ . مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ . لَا يَجْرِي فِي مُلْكِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . حَلِيلٌ وَلَا حَقِيرٌ . نَفْعٌ أَوْ ضَرٌّ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ . فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ

يَسْأَلُ لَمْ يَكُنْ . فَهُوَ الْمُبْدِي الْمَعِيدُ . الْقَاعِلُ لِمَا يُرِيدُ . لَا مُعْتَبَ حِكْمِهِ .
 وَلَا رَادَ لِقَضَائِهِ . وَلَا مَهْرَبَ عِبَادٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ .
 وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ . إِلَّا بِمَجْبَتِهِ وَإِرَادَتِهِ . يَتَّبِعُ بِصِيرٍ مُتَكَامٍ بِكَلَامٍ
 لَا يُشْبِهُ كَلَامَ خَلْقِهِ . وَكُلُّ مَا سِوَاهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى فَهُوَ حَادِثٌ أَوْجَدَهُ
 بِشِدْرَتِهِ . وَمَا مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ إِلَّا وَهِيَ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى
 وَحْدَانِيَّتِهِ . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَهَ أَمْ كَيْفَ يُجَدُّهُ الْجَاهِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ
 وَنَلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ مَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ بِهِمْ مِنْ جَلَالٍ وَقُدْرَةٍ وَسَنَاءٍ
 فَالَّذِي أَبْدَعَ الْبَرِيَّةَ أَعْلَى مِنْهُ سُجَّانٌ مُبْدِعُ الْأَشْيَاءِ
 (مستقطف الإيشي)

تنزيه الخالق تعالى

٢ إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَلَا قَابٌ . وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا
 يَنْزِلُ وَلَا يَجُلُّ فِي قَابٍ . وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهُ عَنِ الْكَيْفِ وَالْأَلَمِ . وَعَنْ
 لِمَا ذَاوَلَمْ . وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ . وَكَلَّمَا يَنْخَطِرُ فِي الْوَهْمِ وَالْحَيَالِ
 وَالْفِكْرِ مِنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّمْيِيلِ . فَإِنَّهُ مُنَزَّهُ عَنِ ذَلِكَ . لِأَنَّ تِلْكَ مِنْ
 صِفَاتِ الْخُلُوقِينَ وَهُوَ خَالِقُهَا فَلَا يُوصَفُ بِهَا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ لَيْسَ

فِي مَكَانٍ وَلَا عَلَى مَكَانٍ . فَإِنَّ الْمَكَانَ لَا يَحْضُرُهُ وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ
 فَإِنَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَتَسْخِيرِهِ فَإِنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ
 كَانَ مُنْزَهَا عَنِ الْمَكَانِ . وَلَيْسَ الْعَرْشُ بِحَامِلٍ لَهُ بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ
 يَحْمِلُهُمْ لُطْفُهُ وَقُدْرَتُهُ . وَأَنَّهُ تَقَدَّسَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَكَانِ قَبْلَ
 خَلْقِهِ الْعَالَمِ وَبَعْدَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ فِي
 الْأَزَلِّ . وَلَا سَبِيلَ لِلتَّغْيِيرِ وَالْإِنْقِلَابِ إِلَى صِفَاتِهِ . وَهُوَ سُجَّانُهُ
 مُتَقَدِّسٌ عَنِ صِفَاتِ الْخُلُوقِ مِنْزَهُ . وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مَرْنِيٌّ كَمَا نَعْلَمُهُ
 فِي الدُّنْيَا بِالْمِثْلِ وَلَا شِبْهٍ . كَذَلِكَ زَادَ فِي الْآخِرَةِ بِالْمِثْلِ وَلَا شِبْهٍ .
 لِأَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا لَا تُشَابِهُ رُؤْيَا الدُّنْيَا . لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(التبر المسبوك للغزالي)

عظمة الخائف

٣ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ :

كَيْفِيَّةُ الْمَرْءِ لَيْسَ الْمَرْءُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةِ الْجَبَّارِ بِالْقَدَمِ
 هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْأَشْيَاءَ مُبْتَدِعًا فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحَدَّثُ النَّسَمِ
 قَالَ آخِرُ :

تَبَارَكَ اللَّهُ فِي عَلِيَاءِ عِزَّتِهِ فَكَلَّ كُلُّ لِسَانٍ عَنِ تَعَالِيهِ
 لَا كَوْنٌ يَحْضُرُهُ لَا عَيْنٌ تَنْظُرُهُ لَا كَشْفَ يُظْهِرُهُ لَا جَهْرَ يُبْدِيهِ
 حَارَتْ جَمِيعُ الْوَرَى فِي كُنْهِ قُدْرَتِهِ فَلَيْسَ يُدْرِكُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ
 سُجَّانُهُ وَتَعَالَى فِي جَلَالَتِهِ وَجَلَّ عِزًّا وَأُطْفَأَ فِي تَسَامِيهِ

٤ قَالَ حَكِيمٌ : أَشْهَدُ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَاتٌ دَالَّاتٌ .
 وَشَوَاهِدٌ قَائِمَاتٌ . كُلُّ يُوَدِّي عَنْهُ الْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ . وَقَالَ
 آخَرُ : سَلِ الْأَرْضَ مِنْ غَرَسِ أَشْجَارِكَ . وَشَقِّ أَنْهَارِكَ . وَجَنِّي
 بِنَمَارِكَ . فَإِنْ لَمْ تَجِيبْ إِخْبَارًا . أَجَابَتِكَ أَعْتَابًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
 لَقَدْ جِئْتُ أَبْنِي لِنَفْسِي مُجِيرًا فَجِئْتُ الْجِبَالَ وَجِئْتُ الْبُحُورَا
 فَقَالَ لِي الْبَحْرُ إِذْ جِئْتَهُ فَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرِيرٌ ضَرِيرَا

رحمة الله

٥ سَمِعَ الْمُفْضِلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَجُلًا يَشْكُو بِلَاءَ نَزَلَ بِهِ فَقَالَ : يَا هَذَا
 أَتَشْكُو مِنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 آيَاتٌ عَنِ الرَّحْمَنِ :

فَكَمْ لَيْتَ عَبْدِي إِذْ دَعَانِي وَرَاعَيْتُ الْوَدَادَ وَمَا رَعَانِي
 أَنَا الْمُرْخِي السُّتُورِ عَلَى الْمُعَاصِي عَلَى الْعَبْدِ الْجُسُورِ إِذَا عَصَانِي
 وَأَصْفَحُ لِلْأَثِيمِ إِذَا آتَانِي وَعَاتَبَ نَفْسَهُ عَمَّا جَفَانِي
 وَإِنْ نَادَانِي الْخَاطِي بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ حَوَى كُلَّ الْمَعَانِي
 فَمَنْ يَأْتِي إِلَيَّ يَنْكَالُ عِزًّا وَيُنْحَظِي بِالْمَسْرَةِ وَالْأَمَانِي
 (فِي الْخَبَرِ) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاقَ جَهَنَّمَ مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ سَوَطًا يَسُوقُ
 بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ . (وَفِي الْخَبَرِ أَيْضًا) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا خَلَقْتُ
 الْخَلْقَ لِيَرْبُحُوا عَلَيَّ وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لِأَرْبِحَ عَلَيْهِمْ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

محبة الخالق

٦ كُلُّ فِعْلٍ يُقَرِّبُ صَاحِبَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ بِرٌّ . وَلَا يَحْصُلُ التَّقَرُّبُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِالتَّبَرِّي عَمَّنْ سِوَاهُ . فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ حُجِبَ عَنِ اللَّهِ
تَعَالَى وَأَشْرَكَ بِشِرْكَاءٍ خَفِيًّا لِتَعَلُّقِ مَحَبَّتِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ سُجَّانَهُ (للقاشاني)
دَخَلَ هَارُونَ عَلَى بَعْضِ النَّسَائِكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ
أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْحَبُ اللَّهُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعَصَّيهِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
كَذَّبْتَ وَاللَّهِ فِي حُبِّكَ إِيَّاهُ إِنَّكَ لَوْ أَحْبَبْتَهُ لَمَا عَصَيْتَهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ
يَقُولُ :

تَعْصِي الْأِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا أَعْمَرِي فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطَاعَتِهِ إِنَّ الْحُبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ
(سراج الملوك للطرطوشي)

قَالَ عِزُّ الدِّينِ الْمُقَدِّسِيِّ :

قَبِيحٌ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً
وَتَنْظُرُ عَيْنَاهُ لِحَسَنِ سِوَاهُ
أَيَجْمَلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدَّعِي
سِوَاهُ وَمَا فِي الْكُونِ يُعْشَقُ إِلَّا هُوَ
فَإِنْ كَانَ مِنْ تَهْوَاهُ فِي الْحَسَنِ وَاحِدًا
فَكُنْ وَاحِدًا فِي الْحُبِّ إِنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

٧ من كلام ابن زهرة الأندلسي : لا يكون العبد محبا لحاله
 حتى يبذل نفسه في مرضاته سرا وعلانية . فاعلم الله من قلبه أنه
 لا يريد إلاه . وسئل ما علامة العارف فقال : عدم الفتور عن
 ذكره وعدم الملل من حقه وعدم الأثر بغيره . وقال : ليس العجب
 من جبي لك وأنا عبد فقير . ولكن العجب من حبيك لي وأنت
 مالك قدير
 (لباء الدين العاملي)

حمد الله

٨ قال بعضهم :

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِقَدْرِ اللَّهِ لَا قَدْرَ وَسِعَ الْعَبْدُ ذِي السَّنْهِ
 قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعَمٍ مَا كُنْتُ قَطُّ لَهَا أَهْلًا
 أَرِيدُكَ تَقْصِيرًا تَرِدُنِي تَفْضُلًا كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ اسْتَوْجِبُ التَّفْضُلًا
 وَهَذَا أَيْضًا :

أَيُّ رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
 فَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ إِلَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُدْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُدْرٌ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ عَنِ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعِ الْإِلَهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
 إِنْ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ يَدِ الْإِلَهِ يُقَابُ الْأَحْوَالَ
 فَادْعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطَلِبِهِمْ لَهْجًا تَضَعُضِعُ الْعِبَادَ سُؤَالَ

وَمَا أوردَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ السَّيِّدِيِّ قَوْلَهُ :
 لَا تَخْضَعَنَّ لِخَلْقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مُضِرٌّ مِنْكَ بِالْدِّينِ
 وَأَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالنُّونِ
 أَمَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرَجُّو وَتَأْمَلُهُ مِنْ الْخَلَائِقِ مَسْكِينِ ابْنِ مَسْكِينِ
 (الاعاني)

الرجاء بالله والتوكل عليه

٩ لما حضر بشر بن المنصور الموت فرح فقيل له : أتفرح بالموت
 فقال : أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي مع مخلوق أخافه
 قال الشيخ شهاب :

توكل على الرحمن في الأمر كله
 وما خاب حقاً من عليه توكل لا
 وكان وثيقاً بالله وأصبر لحكمه
 تفر بالذي ترجوه منه تفضلاً
 والله الشافعي حيث يقول :

ولما قسا قلبي وضاعت مذاهبي
 جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
 تعاطفني ذنبي فلما قرنته
 بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
 قيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت . قال : وإذا مت فإلى
 أين يذهب بي . قالوا : إلى الله . قال : فما كراهتي أن يذهب بي
 إلى من لم أر الخير إلا منه

الدعاء الى الله

١٠ قال الأصمعي : سمعت أعرابياً وهو يقول في دعائه : اللهم إني

أَسْأَلُكَ عَمَلِ الْخَائِفِينَ وَخَوْفِ الْعَامِلِينَ حَتَّى أَنْتَعِمَ بِتَرْكِ النَّعِيمِ .
 طَمَعًا فِيهَا وَعَدْتَّ وَخَوْفًا مِمَّا أَوَدَدْتَ . اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ
 وَأَجِرْنِي مِنْ نَقَمَاتِكَ . سَبَقْتَ لِي ذُنُوبٌ وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ
 إِلَيْكَ بَلْ أَتَوَسَّلُ وَأَفِرُّ مِنْكَ إِلَيْكَ

العفو من الله

١١ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُعْرِضٌ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
 فَأَيُّ حِيلَةٍ إِلَّا رَجَائِي بِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحَسَنُ ظَنِّي
 فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا نَضَضْتُ أَنَا بِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
 يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ الْخَلْقِ إِنْ لَمْ تَغْفُ عَنِّي
 (دُعَاءُ) اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَرْجِي مِنْ عَمَلِي وَإِنْ رَحْمَتَكَ أَوْسَعُ
 مِنْ ذَنْبِي . اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ فَارْحَمْنَا أَهْلُ
 أَنْ تَبْلُغَنِي لِأَنَّهَا وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

١٢ (دُعَاءُ آخِرُ) . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ
 الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ
 لِنَفْتَحَ بِالرَّحْمَةِ أَنْفُتْحَتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَضَاقِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ
 لِنَفْرَجَ أَنْفَرَجَتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ . وَإِذَا
 دُعِيَ بِهِ عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلْمَشُورِ أَنْتَشَرَتْ . وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى كَشْفِ
 الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ أَنْكَشَفَتْ . وَبِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الْكَرَمِ الْوُجُودِ .

وَأَعَزَّ أَوُجُوهَهُ . الَّذِي عَنَتَ لَهُ أَوُجُوهُهُ . وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ . وَخَشَعَتْ
 لَهُ الْأَصْوَاتُ . وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ . مِنْ مَخَافَتِكَ . وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي
 تُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِكَ . وَتُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . وَبَشِيتِكَ الَّتِي دَانَ لَهَا الْعَالَمُونَ . وَبِكَلِمَتِكَ
 الَّتِي خُلِقَتْ بِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . وَبِحِكْمَتِكَ الَّتِي صَنَعْتَ بِهَا
 الْعَجَائِبَ وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَهَا لَيْلًا . وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَنًا .
 وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهَارًا . وَجَعَلْتَ النَّهَارَ نُشُورًا مُبْصِرًا . وَخَلَقْتَ
 بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِيَاءً . وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ
 نُورًا . وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَوَاكِبَ وَجَعَلْتَهَا نُجُومًا وَرُجُومًا وَمَصَابِيحَ وَزِينَةً
 وَرُجُومًا . وَجَعَلْتَ لَهَا مَشَارِقَ وَمَغَارِبَ . وَجَعَلْتَ لَهَا مَطَالِعَ وَمَجَارِي .
 وَجَعَلْتَ لَهَا فَلَكَا وَمَسَابِحَ وَقَدَّرْتَهَا فِي السَّمَاءِ مَنَازِلَ . فَأَحْسَنْتَ
 تَقْدِيرَهَا . وَصَوَّرْتَهَا فَأَحْسَنْتَ تَصْوِيرَهَا . وَأَحْصَيْتَهَا بِأَسْمَائِكَ إِحْصَاءً .
 وَدَبَّرْتَهَا بِحِكْمَتِكَ تَدْبِيرًا . فَأَحْسَنْتَ تَدْبِيرَهَا . وَسَخَّرْتَهَا بِسُلْطَانِ
 اللَّيْلِ وَسُلْطَانِ النَّهَارِ وَالسَّاعَاتِ وَعَدَدِ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ . وَجَعَلْتَ
 رُؤْيَا لِكُلِّ نَاسٍ مَرَأَى وَاحِدًا (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

اغراء بايثار الدين

١٣ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ : إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَرِيضٌ قَدْ هَاكَ فِيهِ الْأَوَّانَ
 وَالْآخِرُونَ . فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ سَفِينَتَكَ تَقْوَى اللَّهِ وَعُدَّتَكَ

التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَزَادَكَ الْعَمَلُ الصَّالِحَ فَإِنْ نَجَّوْتَ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ وَإِنْ
هَآكْتَ فَبِذُنُوبِكَ (لأبن عبد ربّه)

أرى رجلاً بأذني الدين قد قنعوا
ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فأستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
أستغني الملوك بدنياهم عن الدين

من الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين :
أبني إن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع البصير
فطن لكل رزية في ماله فإذا أصيب بدينه لم يشعر
قال الرافعي :

أقيماً على باب الرحيم أقيماً
ولا تنياً في ذكره فتهياً
هو الباب من يقرع على الصدق بابه
يجده رؤوفاً بالعباد رحياً
(إبهاء الدين)

قال أبو العتاهية :

حتى متى ذو التيه في تيهه أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهائمهم وهم يموتون وإن تاهوا
من طلب العز ليبتقى به فإن عز المرء تقواه

ذَكَرَ فُرُوعَ شَجَرَةِ الْإِيمَانِ أَيِ الْأَعْمَالِ

١٤ الْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ فُرُوعُ الْإِيمَانِ هِيَ تَجَنُّبُ الْمَحْرَمِ وَأَدَاءُ
الْفَرَائِضِ . وَهِيَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ الصَّوْمِ
وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْعَقَّةِ عَنِ الْحَرَامِ . وَالْآخَرَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
الْخَلْقِ وَهِيَ الْعَدْلُ فِي الرَّعِيَّةِ وَالْكَفُّ عَنِ الظُّلْمِ . وَالْأَصْلُ فِي
ذَلِكَ أَنْ تَعْمَلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ تَعَالَى مِنْ طَاعَةِ أَمْرِهِ
وَالْإِزْدِجَارِ بِزَجْرِهِ مَا يَخْتَارُ أَنْ يَعْتَمِدَهُ عَبْدُكَ فِي حَقِّكَ . وَأَنْ تَعْمَلَ
فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ مَا تُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ مَعَكَ مِنْ سِوَاكَ إِذَا كَانَ
غَيْرَكَ السُّلْطَانَ وَكُنْتَ مِنْ رَعِيَّتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
الْخَلْقِ تَعَالَى فَإِنَّ عَفْوَهُ قَرِيبٌ وَإِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ . أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِمِظَالِمِ
الْخَلْقِ فَإِنَّهُ لَا يَتَجَاوَزُ بِهِ عَنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَطَرُهُ
عَظِيمٌ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْخَطَرِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا مَلَكَ عَمِلَ بِالْعَدْلِ
فِي رَعِيَّتِهِ (للغزالي)

قَالَ الْمَعْرِيُّ :

لَوْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
لَوْ لَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدَهُ

١٥ كَانَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ يَقُولُ : يَا يَزِيدُ مَنْ يَقُومُ عَنْكَ أَوْ يُصَلِّي
لَكَ أَوْ يَتَرَضَّى لَكَ رَبِّكَ إِذَا مَتَّ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ يَقُولُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعِ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا
نَدِمْتَ عَلَى التَّقْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

مِمَّا يُنْسَبُ لِحَضْرَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا طَلَفُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا انْتِفَانَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطِنَا
جَعَلُوهَا لِحَيٍّ وَأَتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنْفَانَا

مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَكْبَارِ: أَيْسَ الْعِيدُ. لِمَنْ لَيْسَ الْجَدِيدُ. إِنَّمَا
الْعِيدُ. لِمَنْ أَمِنَ الْوَعِيدَ. سَأَلَ بَعْضُ الرَّهْبَانِ مَتَى عَيْدُكُمْ. فَقَالَ: يَوْمَ
لَا نَعْبُدُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَذَلِكَ عَيْدُنَا. لَيْسَ الْعِيدُ لِمَنْ لَيْسَ
الْمَلَأْسَ الْفَاخِرَةَ. إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ أَمِنَ عَذَابَ الْآخِرَةِ. لَيْسَ الْعِيدُ
لِمَنْ لَيْسَ الرَّقِيقَ. إِنَّمَا الْعِيدُ لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ (لبهاء الدين)

١٦ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ:

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَسْرِ
وَقَالَ الْآخَرُ:

إِعْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثٌ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ يُحْصَى عَلَيْكَ وَمَا خَلَّفْتَ مَوْزُوثٌ
وَقَالَ غَيْرُهُ:

إِحْزَنَ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْزَنُ وَلَا تُسِيءُ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ
وَأَضْعَفَ عَنِ الشَّرِّ كَمَا تَدْعِي ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمْكِنُ

قَالَ الْحَسَنُ : بَادِرُوا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ . فَإِنَّ لَكُمْ
مَا أَمْضَيْتُمْ لَا مَا أَبْقَيْتُمْ

الحجاج والاعرابي

١٧ خَرَجَ الْحَجَّاجُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَصْحَرَ وَحَضَرَ غَدَاؤَهُ . فَقَالَ : أَطْلُبُوا
مَنْ يَتَعَدَّى مَعَنَا . فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَعْرَابِيًّا فِي شِمْلَةٍ فَأَتَوْدُ بِهِ .
قَالَ لَهُ : هَلُمَّ . قَالَ لَهُ : قَدْ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ فَأَجِبْتُهُ . قَالَ :
وَمَنْ هُوَ . قَالَ : اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ فَأَنَا صَائِمٌ .
قَالَ : صَوْمٌ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ عَلَى حَرٍّ . قَالَ : صُمْتُ لِيَوْمٍ هُوَ
أَحْرَمُنُهُ . قَالَ : فَأَفْطِرِ الْيَوْمَ وَتَصُومَ غَدًا . قَالَ : وَيَضْمَنُ لِي الْأَمِيرُ
أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي
عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَيْسَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ . قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا
طَيِّبُهُ خَبَازُكَ وَلَا طَبَّاحُكَ وَلَكِنْ طَيِّبَتُهُ الْعَافِيَةُ . قَالَ الْحَجَّاجُ : تَاللَّهِ مَا
رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ

(لابن عبد ربه)

الصلاة

١٨ إِنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ وَعَصَامُ لِقَيْنِ وَرَأْسُ الْقُرْبَاتِ وَغُرَّةُ
الطَّاعَاتِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ الصَّلَاةَ تَمْسُكُنْ وَتَوَاضِعُ وَتَضَعُ وَتَأْوَدُ
وَتَتَادَمُ . وَرَوَى عَنِ اللَّهِ سُجَّانَهُ فِي الْكُتُبِ السَّائِفَةِ أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ
كُلُّ مُصَلٍّ أَتَقَبَّلُ صَلَاتَهُ . إِنَّمَا أَقْبَلُ صَلَاةَ مَنْ تَوَاضَعَ لِعِظْمَتِي وَلَمْ
يَتَكَبَّرْ عَلَى عِبَادِي وَأَطْعَمَ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ لَوَجْهِهِ (الحياء علوم الدين للغزالي)

تَفَقَّدَ هِشَامٌ بَعْضَ وُلْدِهِ فَلَمْ يُحْضِرِ الْجُمُعَةَ فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ مِنْ
 الصَّلَاةِ . قَالَ : نَفَقَةُ دَابَّتِي . قَالَ : أَفَعَجَزْتَ عَنِ الْمَشْيِ . فَمَنَعَهُ الدَّابَّةَ
 سِنَّةً (لأبي الفرج)

خَسِرَ الَّذِي تَرَكَ الصَّلَاةَ وَخَابَا وَابَى مَعَادًا صَالِحًا وَمَا بَا
 إِنْ كَانَ يَمَجِّدُهَا فَحَسْبُكَ أَنَّهُ أَضْحَى بِرَبِّكَ كَأَفْرًا مُرْتَابًا
 أَوْ كَانَ يَتْرُكُهَا لِنَوْعِ تَكَاسُلٍ غَطَّى عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ حِجَابًا
 ١٩ (بيان اختلاف الخلق في لذاتهم) . أنظر إلى الصبي في أول
 حركته وتمييزه فإنه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعيب حتى يكون
 ذلك عنده الذم من سائر الأشياء . ثم يظهر فيه بعد ذلك استلذذ
 اللهو ولبس الثياب الملونة ورؤوب الدواب الفارهة فيستحف معه
 اللعيب بل يستحجنه . ثم يظهر فيه بعد ذلك لذة الزينة والمنزل
 والخدم فيحتقر ما سواها لها . ثم يظهر فيه بعد ذلك لذة الجاه
 والرئاسة والتكاثر من المال والتفاخر بالأعوان والأتباع والأولاد
 وهذا آخر لذات الدنيا . وإلى هذه المراتب أشار القائل : إنما الحياة
 الدنيا لعب وهو زينة وتفاخر . ثم بعد ذلك فقد أظهر لذة العلم
 بالله تعالى والقرب منه والمحبة له والقيام بوظائف عباداته وترويح
 الروح بمناجاته فيستحقر معها جميع اللذات السابقة ويتمجب من
 المنهكين فيها . وكما أن طالب الجاد وأمال يضحك من لذة الصبي
 باللعب بالجوز مثلاً كذلك صاحب المعرفة والمحبة يضحك من لذة

الطَّالِبِ الْجَاهِ وَالْمَالِ . وَأَنْتَهَى بِوُصُولِهِ إِلَى ذَلِكَ

لذات الجنة

٢٠ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ

وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (لبهاء الدين)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَا قُلْ لِسُكَّانِ وَاوْدِي الْجَمَى هَنِيئًا لَكُمْ فِي الْجَنَّاتِ الْخُلُودِ
أَفِيضُوا عَيْنًا مِنْ الْمَاءِ فَيَضًا فَفَحْنُ عِطَاشٌ وَأَنْتُمْ وَرُودُ

أَلْبَابُ الثَّانِي

فِي الزُّهْدِ

حدّ الزهد

٢١ قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ مَا الزُّهْدُ . قَالَ : أَمَا أَنَّهُ لَيْسَ تَشْعِيثَ اللَّمَّةِ وَلَا

قَشْفَ الْهَيْئَةِ . وَلَكِنَّهُ صَرْفُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَقِيلَ لِأَخْرَ : مَا

الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَالَ : أَنْ لَا يَغِيبَ الْحَرَامُ صَبْرَكَ . وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَكَ .

وَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ : مَنْ أَرْهَدَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَا يُبَالِي

بِيَدٍ مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا . وَقِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : مَنْ أَرْهَدَ النَّاسَ فِي

الدُّنْيَا . قَالَ : مَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْمُنْقُودَ حَتَّى يَفْقِدَ الْمَوْجُودَ

(ابن عبد ربه)

ذلة الدنيا

٢٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِحِ كُلَّمَا أُرْدَادَ صَاحِبُهُ شَرِبَا أُرْدَادَ عَطْشًا . وَكَالْكَاسِ مِنَ الْعَسَلِ فِي أَسْفَلِهِ السُّمُّ فَلِلذَائِقِ مِنْهُ حَالَوَةٌ عَاجِلَةٌ وَفِي أَسْفَلِهِ أَمُوتُ الذُّعَافِ . وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ الَّتِي تُفْرِحُ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرَحُ . وَكَالْبُرْقِ الَّذِي يُضِيءُ قَلْبًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا وَيَبْقَى رَاجِيهِ فِي الظُّلَامِ مُقِيمًا . وَكَدَوْدَةِ الْأَبْرِيسِمِ الَّتِي لَا يَزْدَادُ إِلَّا بِرَيْسِمٍ عَلَى نَفْسِهَا لَهَا إِلَّا أُرْدَادَاتٌ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدًا وَفِيهِ قِيلٌ :

كَدُودٌ كَدُودِ الْقَرِّ يَنْسُجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُهُ

الراهب والمسافر

٢٣ قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرَّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا عَنْهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْفِكْرِ لَا يَفْتُرُ . فَالْتَقَتَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَقَالَ : يَا هَذَا قَدْ عَلِمْتُ مَا تُرِيدُ . حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ . فَأَحْذَرِ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَأَرْتَبْ فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ . وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَهَبَ لَكَ تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذَلِكَ . قَالَ : كَانَ جَدِّي رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ فَشَبَّهَهَا بِالْمَاءِ الْمَالِحِ يَغْرُؤُ وَلَا يَدْرُؤِي . وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِالْبُرْقِ الْخَلْبِ يَغْرُؤُ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِالسَّحَابِ الصَّيْفِ يَمْرُؤُ وَلَا يَنْفَعُ . وَبِظُلِّ النِّعَمِ يَغْرُؤُ وَيَخْذُلُ .

وَبَزْهَرِ الرَّبِيعِ يَنْضُرُ . ثُمَّ يَصْفَرُ فَتَرَاهُ هَشِيماً . وَبِأَحْلَامِ النَّائِمِ يَرَى
السُّرُورَ فِي مَنَامِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا الْحُسْرَةُ . وَبِالْعَسَلِ
الْمَشُوبِ بِالسَّمِّ الزُّعَافُ يَغْرُ وَيُقْتَلُ .

٢٤ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سُلَيْمَانَ إِذَا مَثَلَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ
لَيْنِ لَسِّهَا وَيُقْتَلُ سَمِّهَا . فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ
مِنْهَا . وَدَعَّ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيَقَّنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا . وَكُنْ أَسْرَماً تَكُونُ فِيهَا
أَحْذَرُ مَا تَكْرَهُ مِنْهَا . فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ اشْتِغَا
مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَذَى وَدَارُ الْغُرُورِ وَدَارُ الْغَيْرِ
فَلَوْ نَلَّمَهَا بِمَجْدِافِيرِهَا لَمْتُ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا الْوَطْرُ
أَيَا مَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ الْحَيَاةِ وَطُولَ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ خَطَرُ
إِذَا مَا كَبُرَتْ وَبَانَ الشَّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ
مِنَ الدِّيْوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

حَلَاوَةُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسَمِّ
فَكُنْ مُوسِراً شَيْتَ أَوْ مُعْسِراً فَمَا تَقْطَعُ الدَّهْرَ إِلَّا بِهِمْ
إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَهْضُهُ تَوَقَّعْ زَوْالاً إِذَا قِيلَ تَمَّ

٢٥ قَالَ حَكِيمٌ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : تُرِيدُ أَنْ أُرِيكَ الدُّنْيَا . فَقَالَ : نَعَمْ .
فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَنْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى مَرْبَلَةٍ فِيهَا رُؤُوسُ الْآدَمِيِّينَ
مُلْقَاةً . وَبَقَايَا عِظَامِ نَخْرَةٍ وَخِرْقٍ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَتَلَوَّاتٍ بِنَجَاسَاتٍ . فَقَالَ :

هَذِهِ رُؤُوسُ النَّاسِ الَّتِي تَرَاهَا كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُمْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِنَ
الْحِرْصِ وَالْإِجْتِهَادِ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا . وَكَانُوا يَرْجُونَ مِنْ طُولِ الْأَعْمَارِ
مَا تَرْجُونَ . وَكَانُوا يَجِدُونَ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَعِمَارَةِ الدُّنْيَا كَمَا تَجِدُونَ .
فَالْيَوْمَ ثَوَّتْ عِظَامُهُمْ وَتَلَأَشَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى . وَهَذِهِ الْحِرْقُ
كَانَتْ أَوْابِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَتَرْتَبُونَ بِهَا عِنْدَ التَّجْمُلِ وَقَتِ الرُّعُونَةِ
وَالتَّجْمُلِ وَالتَّرْتِينِ . فَالْيَوْمَ قَدْ أَلْقَاهَا الرِّيحُ فِي النَّجَاسَاتِ . وَهَذِهِ
عِظَامُ دَوَابِّهِمُ الَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ الْأَرْضِ عَلَى ظُهُورِهَا . وَهَذِهِ
النَّجَاسَاتُ كَانَتْ أَطْعَمَتَهُمُ اللَّذِيذَةَ الَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لِأَنَّ
يَقْرَبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهَا . فَهَيْدُ جَمَلَةِ أَحْوَالِ الدُّنْيَا كَمَا تُشَاهِدُ وَتَرَى .
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى الدُّنْيَا فَلْيَبْكْ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ الْبُكَاءِ . قَالَ : فَبَكَى
جَمَاعَةُ الْحَاضِرِينَ

وَلِلَّهِ الْحَرِيدِي حَيْثُ قَالَ :

يَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ إِنِّهَا شَرُّكَ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَنْدَارِ
دَارُ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ نَدَامًا تَبَالُهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتِهَا لَا تَنْقِضِي وَأَسِيرُهَا لَا يَفْتَدِي بِجَلَالِ الْأَخْطَارِ
فَاقْطَعِ عِلَاقَ حُبِّهَا وَطَلَابِهَا تَلَقَ الْهُدَى وَرَوَاهَةَ الْأَسْرَارِ
٢٦ مِثْلُ أَهْلِ الدُّنْيَا وَاسْتِغَالِهِمْ وَأَهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِهَا وَنِسْيَانِ الْآخِرَةِ
وَإِهْمَالِهَا كَمِثْلِ قَوْمٍ رَكِبُوا مَرْكَبًا فِي الْبَحْرِ فَعَدَلُوا إِلَى جَزِيرَةٍ لِأَجْلِ
قَضَاءِ الْحَاجَةِ . فَنَزَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ وَالْمَلَّاحُ يَنَادِيهِمْ لَا تُطِيلُوا الْمَكْثَ

لِئَلَّا يَفُوتَ الْوَقْتُ وَلَا تَشْتَعِلُوا بِغَيْرِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ الْمَرْكَبَ سَارًا .
فَمَضَوْا وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ وَأَنْتَشَرُوا فِي نَوَاحِيهَا فَأَعْقَلُوا مِنْهُمْ لَمْ يَمَكُثُوا
وَعَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ . فَوَجَدُوا الْأَمَاكِنَ خَالِيَةً فَجَاسُوا فِي أَطْوَافِهَا أَمَاكِنَهُ
وَأَوْفَقِيهَا . وَأَطِيبَ مَوَاضِعَهُ وَأَرْفَقِيهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ نَظَرُوا إِلَى عَجَائِبِ تِلْكَ
الْجَزِيرَةِ . وَوَقَفُوا يَتَنَزَّهُونَ فِي زَهْرِيهَا وَأَثَارِيهَا . وَرَوْضِيهَا وَأَشْجَارِيهَا .
وَيَسْمَعُونَ تَرْنَمَ أَطْيَارِيهَا . وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ حَصْبَانِهَا الْمَلُونَةِ وَأَحْجَارِيهَا . فَلَمَّا
عَادُوا إِلَى الْمَرْكَبِ لَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَوْضِعًا وَلَا رَأْيًا مَسْمُومًا . فَتَعَدُّوا فِي
أَضْيَاقِ مَوَاضِعِهِ وَأَظْلَمِيهَا . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَفُوا مَعَ عَجَائِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ .
تَتَنَزَّهُونَ فِي الرَّجُوعِ لَمْ يَتَفَكَّرُوا . حَتَّى سَارَ الْمَرْكَبُ فَبَعْدُوا عَنْهُ
وَأَنْقَطَعُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ وَتَحَلَّفُوا . إِذْ لَمْ يُصْغُوا إِلَى الْأَنْبَادِي وَلَمْ يَسْمَعُوا .
فَمِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْجُوعِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ . وَنَهَشَتْهُ الضَّبَاعُ .
فَالْقَوْمُ الْمُتَقَدِّمُونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ . وَالْقَوْمُ الْمُتَخَلِّفُونَ
أَهْلُ الْكُفْرِ . هُمُ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ وَنَسُوا الْآخِرَةَ وَسَلَّمُوا كَلِيمَتِهِمْ إِلَى
الدُّنْيَا وَرَكَنُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ
الْمُتَوَسِّطُونَ فَهِيَ الْعَصَاةُ الَّذِينَ حَفِظُوا أَصْلَ الْإِيمَانِ وَكُنْتُمْ لَمْ يَكْفُوا
يَدَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا . فَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ بِعِنَاةٍ وَبِعِدَّتِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَتَّعَ مَعَ فَقْرِهِ
وَحَاجَتِهِ . إِلَى أَنْ ثَقُلَتْ أَوْزَارُهُمْ . وَكَثُرَتْ أَوْسَاطُهُمْ وَأَصَارُهُمْ

(للغزالي)

٢٧ لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ

حَوْلَهُ فَقَالَ : جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجُدْتُمْ لَهُ بِالْبُكَاءِ . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا
 جَمَعَ وَتَرَكَتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يُغْفِرِ اللَّهُ لَهُ
 قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

أَيَّامِنَ عَاشٍ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَفْنَى العُمُرِ فِي قَبْلِ وَقَالَ
 وَأَتَّبَعَ نَفْسَهُ فِيمَا سَيَفَنِي وَجَمَعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ
 هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِزَوَالِ

(للطرطوشي)

زوال الدنيا

٢٨ إَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا مَنزِلَةٌ وَأَيْسَتْ بَدَارِ قَرَارٍ وَالْإِنْسَانُ فِيهَا عَلَى
 صُورَةِ مُسَافِرٍ . فَأَوَّلُ مَنَازِلِهِ بَطْنُ أُمِّهِ وَآخِرُ مَنَازِلِهِ لِحْدُ قَبْرِهِ . وَإِنَّمَا
 وَطَنُهُ وَقَرَارُهُ وَمَكْنَتُهُ وَأَسْتَقْرَارُهُ بَعْدَهَا . فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقُضِي مِنْ عُمُرِ
 الْإِنْسَانِ كَأَمْرِ حَلَّةٍ . وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقُضِي مِنْهُ كَأَسْتِرَاحَةِ الْمُسَافِرِ فِي
 سَفَرِهِ . وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكْرِيَّةٌ تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ . وَكُلُّ يَوْمٍ فَكْفَرٌ يَنْخُ
 يَقْطَعُهُ . وَكُلُّ نَفْسٍ فَكْخُطُوتٌ يَخْطُوهَا . وَيَقْدِرُ كُلُّ نَفْسٍ يَتَنَفَّسُهُ
 يَقْرُبُ مِنَ الْآخِرَةِ . وَهَذِهِ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَبَرَ الْقَنْطَرَةَ وَأَشْتَغَلَ
 بِعِمَارَتِهَا فَنِي فِيهَا زَمَانَهُ . وَأَنْسَى الْمَنزِلَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرُهُ وَهِيَ مَكَانُهُ .
 وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ . وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي لَا يَشْتَغَلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا
 بِإِعْدَادِ زَادِهِ لِمَعَادِهِ . وَيَكْتَفِي مِنْهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . وَمَهْمَا جَمَعَهُ مِنْهَا
 فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُمًّا قَاتِلًا . وَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ خَزَائِنِهِ وَسَائِرُ

ذَخَائِرُهُ فَإِنَّهُ رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةً وَذَهَبًا . وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ فَإِنَّمَا
 يُصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَادُهُ وَجَمِيعُ مَا يُخْلِفُهُ يَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً
 وَيَصْغَبُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَحَالُهَا حِسَابٌ . وَحَرَامُهَا عَذَابٌ . إِنْ
 كَانَ قَدْ جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طَلَبَ مِنْهُ الْحِسَابُ . وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَهُ
 مِنْ حَرَامٍ أُوجِبَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ . وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَسْرَةِ حُلُولِ
 الْعَذَابِ بِهِ فِي حُفْرَتِهِ وَآخِرَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ رَاحَةَ الدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ
 وَكَثْرَتُهَا مُنْقَصٌ بِالتَّعَبِ . وَمَشُوبٌ بِالنَّصَبِ . وَبِسَبِّهَا تَفُوتُ رَاحَةُ
 الدُّنْيَا الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ وَالْمَلِكُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا
 نِهَآيَةَ لَهُ . فَسَهْلٌ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلِ لِئِنَّمَا
 رَاحَةُ دَائِمَةٌ إِلَّا أَنْقِضَاءُ . الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي جَنبِ الْآخِرَةِ وَلَا
 نِسْبَةٌ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَا نِهَآيَةَ لَهَا وَلَا يَدْرِكُ أَلْوَهْمُ طُولَهَا (لِلْفِرَازِيِّ)
 ٢٩ لَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بِنُ ذِي النُّونِ وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ قَصْرَهُ
 وَأَنْفَقَ فِي بِنَائِهِ بِيُوتَ أَمْوَالِهِ فَبَجَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بُنْيَانٍ فِي الْأَرْضِ .
 وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ صَنَعَ فِيهِ بَرَكَةَ مَاءٍ كَانَتْ بِحَيْرَةٍ . وَبَنَى فِي وَسْطِهَا
 قُبَّةً وَسَبَقَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى عَلَا إِلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ عَلَى تَدْيِيرِ
 قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ . وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوْلَ أَيِّهَا مُحِيطًا
 بِهَا مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ . فَكَانَتِ الْقُبَّةُ فِي غَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكْبًا لَا
 يَفْتَرُ وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا . فَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا
 يُنْشِدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْحَالِدِينَ وَإِنَّمَا مَقَامَكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلٌ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ يَوْمًا يَقْتَضِيهِ رَجِيلٌ
فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ (للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَارِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

نَمَضِي كَمَا مَضَتْ الْقَبَائِلُ قَبْلَنَا لَسْنَا بِأَوَّلِ مَنْ دَعَاهُ الدَّاعِي
تَبَقَى النُّجُومُ دَوَائِرُ أَفْلَاكُهَا وَالْأَرْضُ فِيهَا كُلُّ يَوْمٍ نَاعٍ
وَزَخَارِفُ الدُّنْيَا نَجُوزُ خِدَاعِهَا أَبَدًا عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ

خطبة ابي الدرداء في اهل الشام

٣٠ لَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ اسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ
لَكُمْ نَاصِحٍ . فَأَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ .
وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ . وَتَقُولُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا
قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا . وَأَمَلُوا بَعِيدًا . وَجَمَعُوا كَثِيرًا . فَأَصْبَحَ أَمْلَهُمْ
غُرُورًا . وَجَمَعَهُمْ بُورًا . وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا

وَرَوَى الْجَلْحِظُ قَالَ : وَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ : ابْنُ آدَمَ . لَوْ رَأَيْتَ
يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ . لَزَهَدْتَّ فِي طَوْلِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمْلِكَ .
وَلَرَغَبْتَّ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ . وَلَقَصْرْتَّ عَنْ حِرْصِكَ وَمَيْلِكَ .
وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدْمُكَ . وَقَدْ زَاتَ بِكَ قَدَمُكَ . وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ
وَحَشَمُكَ . وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ . وَأَنْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ . فَلَا أَنْتَ
فِي عَمَلِكَ زَائِدٌ . وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدٌ (للطرطوشي)

قَالَ فَخَرُّ الدِّينِ الْبَكْرِيُّ :

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا
وَلَمْ نَسْتَفِدْ عَنْ بَحْنِنَا طَوْلَ عُثْرِنَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ
أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ
وَإِنَّ أُفْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ تَارِكِي
أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أَحْبَبْتَهُمْ
وَقَالَ بَعْضُ بَنِي صَبَّةَ :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي حَرَّةً

أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ

أَخْلَايَ لَوْ غَيْرُ الْجَمَامِ أَصَابَكُمْ

عَتَبْتُ وَأَكِنُّ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ

(للطرطوشي)

٣١ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ . وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ . يُقَالُ كَانَ عَلَى قَبْرِ

يعقوب بن ليث مكتوب . هذه الآيات عملها قبل موته وأمر أن
تكتب على قبره وهي هذه :

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ كَانَهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ الْمَاءِ شَرْبَةً وَلَمْ يَأْكُلُوا مَا بَيْنَ رَطْبٍ وَيَابِسِ
فَقَدْ جَاءَنِي الْمَوْتُ الْمُهُولُ بِسَكْرَةٍ فَلَمْ تَنْجِنِي مِنْهُ أَلُوفُ قَوَارِسِ
فِيَا زَائِرَ الْقَبْرِ اتَّعِظْ وَاعْتَبِرْ بِنَا وَلَا تَكُ فِي الدُّنْيَا هَدَيْتَ بَأْسِ

(للغزالي)

قَالَ ابْنُ سَادَةَ :

بَنُو الدُّنْيَا بِجَهْلِ عَظَمُوهَا فَجَلَّتْ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْحَقِيرَةُ
يَهَارِشُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهَا مَهَارِشَةَ الْكِلَابِ عَلَى الْعَقِيرَةِ
قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ :

إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِّينَ عَامًا فَنِصْفُ الْعُمْرِ تَحْفَهُهُ اللَّيَالِي
وَنِصْفُ النَّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَدْرِي لِعَقَلَتِهِ يَمِينًا عَنِ شِمَالِ
وَتَأْتِ النِّصْفِ آمَالٌ وَحِرْصٌ وَشُغْلٌ بِالْمَكَايِبِ وَالْعِيَالِ
وَبَاقِي الْعُمْرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ وَهُمْ بِأَرْتِحَالٍ وَأَنْتِقَالِ
فَحُبُّ الْمَرْءِ طَوْلَ الْعُمْرِ جَهْلٌ وَقِسْمَتُهُ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ

٣٢ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تُخْذَعَنَّ كَمَا خُذِعَ مَنْ قَبْلَكَ . فَإِنَّ الَّذِي أَضْبَحَتْ
فِيهِ مِنَ النِّعَمِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ
يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ . فَلَوْ بَقِيَتْ الدُّنْيَا لِلْعَالِمِ لَمْ تَصِرْ لِلْجَاهِلِ . وَلَوْ

بَقِيَتْ لِلأَوَّلِ لَمْ تَتَّقِلْ لِلآخِرِ . يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا ذَهَبًا
وَفِضَّةً ثُمَّ سَلَّمْتَ عَلَيْكَ بِالْخِلَافَةِ وَأَقَمْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا وَأَفْلَادَ
كِبِدِهَا ثُمَّ كُنْتَ طَرِيدَةً لِلْمَوْتِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَهَنَّأَ بِعَيْشٍ .
لَا تُخْرِفِيَا بَزُولُ وَلَا غِنَى فِيمَا يَفْتَى

٣٣ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : رَكِبَ مَلِكٌ يَوْمًا فِي زِيٍّ عَظِيمٍ فَتَشَرَّفَ
لَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجًا حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ شَيْئًا مَكْبُورًا عَلَيْهِ لَا
يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ . فَوَقَّفَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ النَّاسِ
يَنْظُرُونَ إِلَيَّ إِلَّا أَنْتَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي رَأَيْتُ مَلِكًا مِثْلَكَ وَكَانَ
عَلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَمَاتَ هُوَ وَمَسْكِينٌ فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ .
وَكُنَّا نَعْرِفُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِأَجْسَادِهِمَا . ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُمَا بِقَبْرَيْهِمَا . ثُمَّ
انْسَفَتِ الرِّيحُ قَبْرَيْهِمَا وَكَشَفَتْ عَنْهُمَا فَأَخْتَلَطَتْ عِظَاهُمَا فَلَمْ أَعْرِفِ
الْمَلِكَ مِنَ الْمَسْكِينِ . فَلِذَلِكَ أَقْبَبْتُ عَلَى عَمَلِي وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ .
وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

وَحَقِّكَ لَوْ كَشَفْتَ التُّرْبَ عَنْهُمْ لَمَّا عُرِفَ الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ
وَلَا مَنْ كَانَ يَلْبَسُ ثَوْبَ شَعْرٍ وَلَا الْبَدَنُ الْمُنْعَمُ بِالْحَرِيرِ
قَالَ التِّهَامِيُّ :

وَإِنَّا لَهِيَ الدُّنْيَا كَرَكِبِ سَفِينَةٍ نُنْظَنُ وَقُوقًا وَالزَّمَانُ بِنَايَجْرِي
وَقَالَ آخَرُ :

لَا تُخَدِّعَنَّكَ بَعْدَ طُولِ تَجَارِبِ دُنْيَا تَنْرُبُ بِوَصَالِهَا وَسَتَقْطَعُ

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ إِنْ أَلَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ
 ٣٤ إِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَبَسَ أَخْرَجَ ثِيَابَهُ وَمَسَّ أَطِيبَ طَيْبِهِ
 وَنَظَرَ فِي مِرَاةٍ فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ . وَخَرَجَ إِلَى
 الْجُمُعَةِ وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ : كَيْفَ تَرِينَ . فَقَالَتْ :

أَنْتَ نِعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
 لَيْسَ فِيهَا بَدَأٌ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَإِنْ
 فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَوَسَّعَ الْمِنْبَرُ وَصَوْتُهُ يُسْمَعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ .
 ثُمَّ رَكِبَتْهُ الْحُمَى فَلَمْ يَزَلْ صَوْتُهُ يَنْقُصُ حَتَّى مَا يَسْمَعُهُ مِنْ حَوْلِهِ .
 فَصَلَّى وَرَجَعَ فَأَمَّ تَذْرَعُ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ الْآخِرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ
 أَنْشَدَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ هَذِهِ الْآيَاتِ :

بِاللَّهِ رَبِّكَ كَمْ قَصْرٍ مَرَرْتُ بِهِ قَدْ كَانَ يُعْمَرُ بِالذَّاتِ وَالطَّرَبِ
 طَارَتْ عُمَابُ الْمَنَائِي فِي جَوَانِبِهِ فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
 إِعْمَلْ وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ فِي دَعَاةٍ فَلَا وَرَبِّكَ مَا الْأَرْزَاقُ بِالطَّلَبِ
 وَأَنْشَدَ أَيْضًا :

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدًا لَنْ تَذُودَ الْمُنُونِ عَنْكَ الْمَبَانِي
 إِنْ هَذَا الْبِنَاءُ يَبْقَى وَتَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ أَبَقَ مِنَ الْإِنْسَانِ
 قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْأَيَّامَ تَطَوَّى . وَالْأَعْمَارَ
 تَفْنَى . وَالْأَبْدَانَ فِي الثَّرَى تَبْلَى . وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكَضَانِ تَرَكَضَ
 الْبَرِيدِ . يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ . وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ (الطارطوشي)

٣٥ قَالَ حَكِيمٌ : وَجَدْتُ مَثَلَ الدُّنْيَا وَالْمَغْرُورِ بِالدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةِ
 آفَاتٍ مَثَلَ رَجُلٍ أَلْجَأَ خَوْفُهُ إِلَى بَيْتٍ تَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ
 نَابِتَيْنِ عَلَى شَفِيرِ الْبَيْتِ . وَوَقَعَتْ رِجَالُهُ عَلَى شَيْءٍ فَمَدَّهَا فَانْظَرَ فَإِذَا
 بِحَيَاتٍ أَرْبَعٍ قَدْ أَطْلَعْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ حُجُورِهِنَّ . وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ الْبَيْتِ
 فَإِذَا ثُعْبَانٌ فَاعِرٌ فَاهُ مُخَوِّهُ . فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ فَإِذَا
 فِي أَصْلِهِ جُرْدَانٌ أَبْيَضٌ وَأَسْوَدٌ يَفْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتَرَانِ .
 فَيَنْمَا هُوَ مَهْمٌ بِنَفْسِهِ ابْتِغَاءَ الْحَيَاةِ فِي نَجَاتِهِ إِذْ نَظَرَ فَإِذَا بِجَانِبِ مَنْهُ
 حَجْرٌ تَحْلُ قَدْ وَضَعْنَ شَيْئًا مِنْ عَسَلٍ فَتَطَاعَمَ مِنْهُ فَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ .
 فَشَغَلَتْهُ عَنِ الْفِكْرِ فِي أَمْرِهِ وَالْتِمَاسِ النِّجَاةِ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ
 فَوْقَ أَرْبَعِ حَيَاتٍ لَا يَدْرِي مَنْ تُسَاوِرُهُ مِنْهُنَّ وَأَنَّ الْجُرْدَانَ دَائِبَانَ فِي
 قَرْضِ الْغُصْنِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ وَأَنَّهَا إِذَا أَوْقَعَاهُ وَقَعَ فِي لَهَوَاتِ النَّبِيِّ .
 وَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا حَتَّى هَاكَ . قَالَ الْحَكِيمُ : فَشَبَّهْتُ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ
 آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَاوِفَ بِالْبَيْتِ . وَشَبَّهْتُ الْحَيَاتِ الْأَرْبَعِ بِالْأَخْلَاطِ
 الْأَرْبَعِ الَّتِي فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمِرَّتَيْنِ وَالْبَالِغِ وَالْدَّمِ .
 وَشَبَّهْتُ الْغُصْنَ الَّذِي تَعَلَّقُ بِهِ بِالْحَيَاةِ . وَشَبَّهْتُ الْجُرْدَانَ الْأَبْيَضَ
 وَالْأَسْوَدَ اللَّذَيْنِ يَفْرِضَانِ الْغُصْنَ دَائِبَيْنِ لَا يَفْتَرَانِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 وَدَوْرَانِهِمَا فِي إِفْتَاءِ الْأَيَّامِ وَالْأَجَالِ . وَشَبَّهْتُ الثُّعْبَانَ الْفَاعِرَ فَاهُ
 بِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهْتُ الْعَسَلَةَ الَّتِي تَطَاعَمُهَا بِالَّذِي يَرَى
 الْإِنْسَانُ وَيَسْمَعُ وَيَأْبَسُ فِيهِ ذَلِكَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ (لَا بِنِ عِبْدِ رَبِّهِ)

٣٦ جَادِبَ رَجُلٍ مِنْ كِنَانَةَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ فِي شَيْءٍ فَفَخَّرَ عَلَيْهِ الْكِنَانِيُّ
وَأَسْتَطَالَ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدٍ وَنَسَبِ يُعَالِيكَ سُورَ الْحَجْدِ
مَا أَفْخَرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطِي جِنَانَ الْحَلْدِ

(للأصمعي)

٣٧ قَالَ غَانِمُ الْوَرَّاقُ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ يَوْمَ
قَالَ لِي : أَمَعَكَ الْوَأْحُكَ . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ أَكْتُبُ :

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًا وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
لَيْسَ تَنْضِي مِنْ لِحْظَةٍ لِي إِلَّا نَقَصْتَنِي بِمِرْهَاتِي جُرُوًا
ذَهَبَتْ حِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوًا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيْالٍ وَأَيَّامٍ تَجَاوَزْتَهُنَّ لَعِبًا وَلَهْوًا
قَدْ أَسَانَا تَكْلُّ الْإِسَاءَةِ فَاللَّهُمَّ صَفِّحْنَا عَنَّا وَعَفِّرْنَا وَعَفِّوْنَا

(للشراشي)

نواب الدهر

٣٨ لَمَّا نَزَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْحِيرَةَ قِيلَ لَهُ : هَهُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ
الْمُلُوكِ يُقَالُ لَهَا الْحَرْقَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ . وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِّ
تَقَائِلِ الْعَرَبِ . وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى بَيْعَتِهَا نَشَرَتْ عَلَيْهَا أَلْفَ
قَطِيفَةٍ خَزٍّ وَدِيْبَاجٍ وَمَعَهَا أَلْفُ وَصِيفٍ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ فَجَاءَتْ
كَأَنَّ النَّبَالَي . فَقَالَتْ : يَا سَعْدُ كُنَّا مُلُوكَ هَذَا الْبُصْرِ قَبْلَكَ . يُجِبِي

إِلَيْنَا خَرَجَهُ وَيُطِيعُنَا أَهْلَهُ مَدَّةً مِنْ أُمْدِدٍ . حَتَّى صَاحَ بِنَا صَاحُ الدَّهْرِ
فَشَتَّتَ مَلَائِنَا . وَالِدَّهْرُ ذُو نَوَائِبَ وَصُرُوفٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنَا فِي أَيَّامِنَا
لَأُرْعَدْتَ فَرَاثُكَ فَرَقَامِنَا . فَقَالَ لَهَا سَعْدُ : مَا أَنْعَمُ مَا تَتَعَمَّنُّ بِهِ .
قَالَتْ : سَعَةُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَكَثْرَةُ الْأَصْوَاتِ إِذَا دَعَوْنَا . ثُمَّ أَنْشَأَتْ
تَقُولُ :

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ لَيْسَ نُنْصَفُ
فَتَبًا لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَابُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ
ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ بَيْتٍ بِخَيْرٍ إِلَّا وَالِدَّهْرُ يَعْقِبُهُمْ
حَسْرَةً حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ . فَافْكُرْ بِهَا سَعْدُ وَأَصْرَ يَرِدُهَا
(للطرطوشي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يُعَانِدُنِي دَهْرِي كَأَنِّي عَدُوهُ
وَإِنْ رُمْتُ خَيْرًا جَاءَ دَهْرِي بِضِدِّهِ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْكِبِيَّةِ يَلْقَانِي
وَإِنْ يَصْفُلِي يَوْمًا تَكْدَّرُ فِي الثَّانِي
٣٩ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

يَا دَهْرُ وَيْحَكَ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَلْتَنِي
مَلَأْتَ الْحَاظَ عَيْنِي كَمَا مَزْنَا
شَغَلْتَ أَيَّامَ دَهْرِي بِالْمُصِيبَاتِ
فَأَيْنَ لَهْوِي وَأَحْبَابِي وَلَذَاتِي
حَمْدًا لِرَبِّي وَذَمًّا لِلزَّمَانِ فَمَا
أَقَلَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَلَذَاتِي
قَالَ غَيْرُهُ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَطَلٍّ سَحَابَةٍ
أَظَلَّتْكَ يَوْمًا ثُمَّ عَنْكَ أَضْحَمَّتْ

فَلَا تَكُ فَرَحَانَا بِهَا حِينَ أَقْبَلْتِ وَلَا تَكُ جَزَعَانَا بِهَا حِينَ وَاثَتْ
وَقَالَ آخَرُ :

عُرَيْتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكُنْتُ غُصْنَا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
وَنَحْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا نَفَعَ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ
وَأَنشَدَ آخَرُ :

مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا أُنْقَلَبْتَ يَوْمًا بِهِ أُنْقَلَبُوا
يُعْظَمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا تَمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا
٤٠ قَالَ ذُو الْكُلَّاحِ الْحَمِيرِيُّ فِي الدُّنْيَا :

إِنْ صَفَا عَيْشُ أَمْرِي فِي صَبْحِهَا جَرَعْتُهُ مُمْسِيًا كَأَسِ الرَّدَى
وَأَلْقَدْتُ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مِنْ أَنْعَمُ الْعَالَمِ عَيْشًا قِيلَ ذَا
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرَجَانِيُّ :

يَقْصِدُ أَهْلَ الْفَضْلِ ذُونَ الْوَرَى مَصَابِ الدُّنْيَا وَأَفَاتِهَا
كَالطَّيْرِ لَا يُجْبَسُ مِنْ بَيْنِهَا إِلَّا الَّتِي تُطْرَبُ أَصْوَاتِهَا
كَبَّ الْبُخْتَرِيُّ إِلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا فِي السِّجْنِ :

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلُ فَمِنْ مَنَزِلٍ رَحِبٍ إِلَى مَنَزِلٍ ضَنْكٍ
وَقَدْ هَدَيْتِكَ النَّائِبَاتُ وَإِنَّمَا صَفَا الذَّهَبُ الْأَبْرِيضُ قَبْلَكَ بِالسِّبْكِ
أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ لِمَلِكٍ مَحْبُوسٍ عَلَى الظُّلْمِ وَالْإِفْكِ
أَقَامَ جَمِيلَ الصَّبْرِ فِي السِّجْنِ بَرَهَةً قَالَ بِهِ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ إِلَى الْمَلِكِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ:

هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ فَأَعْطَاهَا اللَّهُ مَا
فَهُمْ فِيهَا يَعِيشُونَ وَيَلْحُونَ الْكِرَامَا

ذَكَرَ الْمَوْتَ

٤١ كَانَ فِي بِلَادِ الرُّومِ مِمَّا بَلِي أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ قَدِ
بَلَغَ مِنَ التَّخْلِجِ عَنِ الدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا . وَأَعْتَرَلَ الْخَلْقَ وَلَزِمَ قُلُلَ الْجِبَالِ
وَالسِّيَاحَةَ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْعَايَةِ الْقُصْوَى . فَوَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ
هُودٍ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ فَارْتَمَى ابْنُ هُودٍ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَجَعَلَ يَعْزُضُ
عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مَلِكِهِ وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَتْهُ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ
وَأَحْجَارِ الْيَافُوتِ وَالْجَوَاهِرِ وَأَمْثَالِهَا وَنَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ وَالْجَوَارِي
وَالْحَشَمِ وَالْأَجْنَادِ وَالْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ . فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا فَلَمَّا
أَنْقَضَى قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي . قَالَ : رَأَيْتُ مُلْكَكَ وَلَكِنَّهُ
تُعَوِّزُكَ فِيهِ خَصْلَةٌ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهَا تَمَّ أَنْتِظَامُ مُلْكِكَ . وَإِنْ لَمْ
تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهَذَا الْمُلْكُ شِبْهُ لَاشِيٍّ . قَالَ : وَمَا هِيَ الْخَصْلَةُ . قَالَ :
تَعْمُدُ فَتَصْنَعُ عِظَاءً عَظِيمًا حَصِينًا قَوِيًّا وَتَكُونُ مِسَاحَتُهُ قَدْرَ الْبَلَدِ . ثُمَّ
تُرَكَّبُهُ عَلَى الْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلِكَ الْمَوْتِ مَدْخَلًا إِلَيْكَ . فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ :
سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا . فَقَالَ الْعَلِجُ : يَا هَذَا أَفْتَفْتَحِرُ
بِأَمْرِ تَتْرُكُهُ غَدًا (الطَّرُوشِي)

٤٢ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جِهَاهِ مَوْتَةَ جَالِيئُوسٍ فِي طَبِّهِ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَأَرَى الطَّيِّبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهِ أَتَى
مَا لِلطَّيِّبِ يَمُوتُ بِالذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يُبْرِئُ مِنْهُ فِيمَا قَدْ مَضَى
ذَهَبَ الْمَدَاوِي وَالْمَدَاوِي وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَى
قَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ :

كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ هَدَّ مِنْ عَرْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
أَيْنَ كَنَعْمَانُ وَمَرْوَدٌ وَمَنْ مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
أَيْنَ عَادُ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ رَفَعَ الْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعُ يَجَلُ
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا هَلَاكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْكُلُّ
وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

قِفْ وَاعْتَبِرْ يَا مَنْ تَرَى قَبْرِي وَمَا لِي قَدْ جَرَى
بِالْأَمْسِ كُنْتُ نَظِيرَكُمْ وَالْيَوْمَ أَتَرَانِي الْبَرَى
قُلْ رَبَّنَا أَلْطِفْ بِنَا وَأَرْحَمْ عِظَامًا فِي الْأَثَرَى

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

تَعَلَّقْتُ بِأَمَالٍ طَوَالَ أَيِّ آمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا مُلِحًّا أَيَّ إِقْبَالٍ

أَيَا هَذَا تَجَهَّزُ لِفِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
 فَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنْ الْحَالِ
 ٤٣ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : صَنَعَ الرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخْرَفَ مَجَالِسَهُ وَأَحْضَرَ
 أَبَا الْعَتَاهِيَةَ وَقَالَ لَهُ : صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هَذِهِ الدُّنْيَا .
 فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ :

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :

يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا أَشْتَيْتَ لَدَى الرِّوَّاحِ أَوْ الْبُكُورِ
 فَقَالَ : حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا . فَقَالَ :

فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعَّقَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
 فَهُنَاكَ تَعَامُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فَبَكَى الرَّشِيدُ . فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 إِتْسَرَهُ فَخَزَنَتْهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : دَعَهُ فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي عَمِّي فَكَّرَهُ أَنْ يَزِيدَنَا
 مِنْهُ (للخزري)

٤٤ أَنشَدَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ :

الْمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرِكٌ لَا سُوقَةَ يَبْقَى وَلَا مَلَكَ
 مَا ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْلَاقِ مَا مَلَكَوْا

وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ إِذَا تَسْتَرَتْ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ إِكْلٍ مُدَّرِعٍ مِنَّا وَمُتْرَسٍ
وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَتَعْمَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرٌ وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرٌ
وَتُصْبِحُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَالِدٌ وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ تَسِيرٌ
وَتَرَفَعُ فِي الدُّنْيَا بِنَاءَ مُفَاخِرٍ وَمَثْوَاكَ بَيْتٌ فِي الْقُبُورِ صَغِيرٌ
وَدُونَاكَ قَاصِعٌ كُلَّمَا أَنْتَ صَانِعٌ فَإِنَّ بُيُوتَ الْمُتَيْنِ قُبُورٌ
قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ يَا مَسْكِينٌ فِي مَهَلٍ مَا دَامَ يَنْفَعُكَ التَّفَكِيرُ وَالنَّظَرُ
قِفْ بِالْمَقَابِرِ وَأَنْظِرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا لِلَّهِ دَرُّكَ مَاذَا تَسْتُرُ الْخَفَرُ
فَفِيهِمْ لَكَ يَا مَعْرُودُ مَوْعِظَةٌ وَفِيهِمْ لَكَ يَا مَعْتَرُ مَعْتَبَرٌ
٤٥ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
وَأَلْوَيْلٌ لِي مِنْ كُلِّ يَوْمٍ أَتَى يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
سَارَ الْبَشِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

أَصْبَحَ أَقْبَرُ مُضْجَعِي وَمَحَلِّي وَمَوْضِعِي
صَرَخْتَنِي الْخُتُوفُ فِي التُّرْبِ يَا ذَلَّ مَصْرَعِي
أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ إِلَيْهِمْ تَطَأِي

مُتٌ وَحَدِي قَلَمٌ يَمُتُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي
قَالَ بَدِيعُ الزَّمَانِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَلِمَنْ أَصْفَى نَصِيحٌ
وَلِسَانُ الدَّهْرِ بِالْوَعظِ لَوَاعِيهِ فَتَسِيحٌ
تَمَحُّنٌ لَأَهْوَنَ وَأَجَالَ الْمُنَايَا لَا تَرْيِحُ

٤٦ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : مَا لَنَا نَكَّرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ . فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنْ الْعُمَرَانِ
إِلَى الْخُرَابِ (لبهاء الدين)

مِمَّا وَجَدَ عَلَى قَبْرِ :

تُنَاجِيكَ أَجْدَاثٌ وَهِنَّ سَكُوتٌ وَسَكَتُهُنَّ تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتٌ
أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا إغِيرِ بِلَاغَةٍ لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا خَايَطَ الدِّينِ بِالدُّنْيَا وَبَاطِلِهَا تَرْضَى بِدُنْيَاكَ شَيْئًا لَيْسَ يَسَوَاهُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي أَعْبٍ وَالْمَوْتُ تَحْوِكَ يَهْوِي فَاتِحًا فَاهُ
قَالَ آخَرُ :

تَرَوُّدٌ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاجِلٌ وَإِعْلَامٌ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلٌ
نَعِيمٌ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيشُكَ فِي الدُّنْيَا مَحَالٌ وَبَاطِلٌ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي الصُّبْحِ رَاجِلٌ

٤٧ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

جَزَى اللهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَمْرٌ بِنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرَأَيْتَ
يَعْبَلُ تَخْلِيصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُدْنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
دَخَلَ الْعَتَبِيَّ الْمُقَابِرَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

سَقَمْنَا وَرَعِيًا لِإِخْوَانٍ لَنَا سَلَفُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبَدُ
فَمَدَّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يُؤُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ

٤٨ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا دَخَلَ الْمَقْبَرَةَ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوَحِّشَةِ . وَالْمَحَالِّ الْمُتَقَرِّةِ . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ . ثُمَّ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْهَا
خَلَقَنَا وَإِلَيْهَا مَعَادُنَا وَعَالِيهَا مَحْشَرُنَا . طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَعَمِلَ الْحَسَنَاتِ
وَقَفَعَ بِالْكَفَافِ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (لابن عبد ربه)

٤٩ الْأَيَّامُ خَمْسَةٌ يَوْمٌ مَقْمُودٌ . وَيَوْمٌ مَشْهُودٌ . وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ . وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ .

وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ . وَالْمَقْمُودُ الَّذِي فَاتَكَ مَعَ مَا قَرَّطَ فِيهِ .

وَالْمَشْهُودُ يَوْمُكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَتَرُودُ فِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ . وَالْمَمْدُودُ

هُوَ غَدُكَ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مِنْ أَيَّامِكَ أَمْ لَا . وَالْمَمْدُودُ هُوَ آخِرُ

أَيَّامِكَ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَاجْعَلْهُ نَصَبَ عَيْنِكَ . وَالْمَمْدُودُ هُوَ آخِرُكَ

وَهُوَ يَوْمٌ لَا أَنْقِضَاءَ لَهُ . فَاهْتَمِّ لَهُ غَايَةَ أَهْتِمَامِكَ فَإِنَّهُ إِمَّا نَعِيمٌ دَائِمٌ

أَوْ عَذَابٌ مُخَلَّدٌ

٥٠ جَاءَ فِي التَّفْهِيمِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٌ وَالْآخِرَةُ دَارٌ
 قَرَارٌ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ . وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ
 أَسْرَارَكُمْ . وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ .
 فَفِيهَا أُخْتَبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ (إيهاء الدين)

كَمْ مِنْ لَيْلٍ أَحْيَيْتَهَا بِتَكَرُّرِ الْعِلْمِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ . وَحَرَمْتَ عَلَى
 نَفْسِكَ النَّوْمَ . لَا أَعْلَمُ مَا كَانَ الْبَاعِثُ فِيهِ . فَإِنْ كَانَ نَيْتُكَ غَرَضَ
 الدُّنْيَا وَجَذَبَ حُطَامِهَا وَتَحْصِيلَ مَنَاصِبِهَا وَالْمُبَاهَاةَ عَلَى الْأَقْرَانِ
 وَالْأَمْثَالِ فَوَيْلٌ لَكَ ثُمَّ وَيْلٌ لَكَ . وَإِنْ كَانَ قَسْدَكَ فِيهِ تَهْدِيبَ
 أَخْلَاقِكَ وَكَسْرَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ فَطُوبَى لَكَ ثُمَّ طُوبَى لَكَ .
 وَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ :

سَهْرُ الْعْيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ وَبُكَاءُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلٌ
 (إيهاء الولد للغزالي)

وَكَانَ آخِرُ مَا قَالَهُ ذُو الرُّمَّةِ :

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ

عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي

يَا مُخْرِجَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا أَحْضَرْتِ

وَفَارِجَ الْكُرْبِ زَحْرِحِي عَنِ النَّارِ

فِي الْخَوْفِ

٥١ سِئَلُ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الْخَائِفِينَ لِلَّهِ . فَقَالَ : هُمْ الَّذِينَ صَدَقُوا

اللَّهُ فِي مَخَافَةِ وَعِيدِهِ . قُلُوبِهِمْ بِالْخَوْفِ قَرِحَةٌ وَأَعْيُنُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ .
 بَاكِئَةٌ . وَدُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ جَارِيَةٌ . يَقُولُونَ كَيْفَ نَفْرَحُ
 وَالْمَوْتُ مِنْ وَرَائِنَا . وَالْقُبُورُ مِنْ أَمَانِنَا . وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُنَا . وَعَلَى جَهَنَّمَ
 طَرِيقُنَا . وَبَيْنَ يَدَيِ رَبِّنَا مَوْقِفُنَا . وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ
 لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فَكَابِهِينَ وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ . شُرُورَهُمْ
 مَأْمُونَةٌ . وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ . وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ .
 صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً لِعُقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ . قَالَ الْحَسَنُ : عَجَبًا لِمَنْ خَافَ
 الْعِقَابَ وَلَمْ يَكْفُ . وَلِمَنْ رَجَا الثَّوَابَ وَلَمْ يَعْمَلْ

(لابن عبد ربه)

في التوبة

٥٢ لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي
 فَتَقَصَّرْتُ . وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ . وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ . فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ
 مَنَنْتَ . وَإِنْ عَاقَبْتَ . فَمَا ظَلَمْتُ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّكَ فِي دَارِ لَهَا مُدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
 أَمَا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الْأَمِلِ
 تُجْعَلُ الذَّنْبُ بِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمَلُ التَّوْبَةَ مِنْ قَابِلِ
 وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَا غَفْلَةٍ مَآذَا يَفْعَلُ الْحَازِمُ الْعَاقِلِ

قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ اجْعَلْ خَطَايَاكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ إِلَى أَنْ

تَمُوتَ . وَأَمَّا حَسَنَاتُكَ فَالَهُ عَنْهَا فَإِنَّهُ قَدْ أَحْصَاهَا مِنْ لَا يَنْسَاهَا
 ٥٣ حَكِي أَنَّهُ حَاكٌ بَعْضُ الْعَارِفِينَ تَوْبًا وَتَأْتِقَ فِي صَنْعَتِهِ . فَلَمَّا
 بَاعَهُ رُدَّ عَلَيْهِ بَعِيُوبٌ فِيهِ فَبَكَى . فَقَالَ الْمُشْتَرِي : يَا هَذَا لَا تَبِكُ وَقَدْ
 رَضِيتُ بِهِ . فَقَالَ : مَا بُكَيْتُ لِدَلِكْ بَلْ لِأَنِّي بَالَفْتُ فِي مَنَعَتِهِ
 وَتَأَنَّمْتُ فِيهِ جُهْدِي فَرُدَّ عَلَيَّ بَعِيُوبٌ كَانَتْ خَفِيَّةً عَلَيَّ . فَأَخَافُ أَنْ
 يَرُدَّ عَلَيَّ عَمَلِي الَّذِي أَنَا عَمَلْتُهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً (لبهاء الدين)
 ٥٤ اسْمَعْ مِنِّي كَلَامًا تَفَكَّرْ فِيهِ حَتَّى تَجِدَ خَلَاصًا . لَوْ أَنَّكَ أُخْبِرْتَ
 أَنَّ السُّلْطَانَ بَعْدَ الْأُسْبُوعِ يَجِيئُكَ زَائِرًا فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ فِي تِلْكَ
 الْمُدَّةِ لَا تَشْتَغِلُ إِلَّا بِإِصْلَاحِ مَا عَلِمْتَ أَنَّ نَظَرَ السُّلْطَانَ سَيَقَعُ عَلَيْهِ
 مِنَ الثِّيَابِ وَالْبَدَنِ وَالْذَّارِ وَالْفِرَاشِ وَغَيْرِهَا . وَالْآنَ تَفَكَّرْ إِلَى مَا
 أَشْرْتَ بِهِ فَإِنَّكَ فَهَمٌ ذِكْرٌ وَالْكَلَامُ الْفَرْدُ يَكْفِي الْكَيْسَ وَالْعَاقِلُ
 تَكْفِيهِ الْإِشَارَةَ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ
 وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ (إيها الولد للغزالي)
 ٥٥ مِنْ خُطْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَكُونُوا مِمَّنْ
 خَدَعَتْهُ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَغَرَّتْهُ الْأَمْنِيَّةُ وَأَسْتَهْوَتْهُ الْبِدْعَةُ فَرَكَنَ إِلَى
 دَارِ سَرِيعَةِ الزَّوَالِ وَشَيْكَةِ الْأَنْتِقَالِ . إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ
 فِي جَنْبِ مَاضِي إِلَّا كَانَاخَةٌ رَاكِبٍ أَوْ صِرَّةٌ حَالِبٍ فَعَلَامٌ تَعْرِجُونَ
 وَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ . فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَبِمَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ وَبِمَا
 تَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْآخِرَةِ لَمْ يَزَلْ . فَخُذُوا الْأَهْبَةَ لِأَرْوَافِ النُّقْلَةِ

وَأَعِدُّوا الزَّادَ لِثَرِبِ الرِّحْلَةِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ عَلَى قَدَمٍ قَادِمٌ .
وَعَلَى مَا خَلْفَ نَادِمٌ .

٥٦ (وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ) . أَيُّهَا النَّاسُ حَلُّوا أَنْفُسَكُمْ بِالطَّاعَةِ . وَالْأَسْوَأُ
قِتَاعُ الْخُفَاةِ . وَأَجْمَعُوا آخِرَتَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ . وَسَعَيْكُمْ لِاسْتِقْرَاحِكُمْ . وَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ . وَإِلَى اللَّهِ صَارُونَ . وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ هُنَالِكَ
إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدْ مَتَّوَدَ . أَوْ حَسَنُ نَوَابٍ حَزَّتْهُ . إِنَّا تَقْدِمُونَ عَلَى
مَا قَدَّمْتُمْ . وَتَجَازُونَ عَلَى مَا أَسَلَفْتُمْ . فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْكُمْ زَخَارِفُ دُنْيَا
دُنْيَةٍ . عَنْ مَرَاتِبِ جَنَّاتٍ عَلِيَّةٍ . فَهَكَانَ قَدْ انْكَشَفَ الْقِنَاعُ وَأَرْتَفَعَ
الْأَرْتِيَابُ . وَلَا تَقِ كُلَّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٍّ وَعَرَفَ مَشْوَادَ وَمُنْقَابِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَهْ يَا ذُلِّي وَيَا خَجَلِي إِنْ يَكُنْ مِنِّي دَنَا أَجَلِي
لَوْ بَدَلْتُ الرُّوحَ مُجْتَهِدًا وَنَفَيْتُ النُّومَ عَنْ نَفَلِي
كُنْتُ بِالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفًا خَائِفًا عَنْ خِيَابَةِ الْأَمَلِ
فَعَلَى الرَّحْمَنِ مُتَّكِلِي لَا عَلَى عِلْمِي وَلَا عَمَلِي

٥٧ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : إِذَا كَانَ أَبُوْنَا آدَمُ بَعْدَ مَا قِيلَ لَهُ : اسْكُنْ
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . صَدَرَ مِنْهُ ذَنْبٌ وَاحِدٌ فَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ .
فَكَيْفَ نَزَجُوا نَحْنُ دُخُولَهَا مَعَ مَا نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمُتَتَابِعَةِ
وَالْخَطَايَا الْمُتَوَاتِرَةِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

اجْعَلِ الْهِمَّةَ فِي الرُّوحِ وَالْهَزِيمَةَ فِي النَّفْسِ وَالْمَوْتَ فِي الْبَدَنِ لِأَنَّ

مَنْزِلَكَ الْقَبْرِ . فَأَهْلُ الْمَقَابِرِ يَنْظُرُونَكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِمْ .
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِإِلَازٍ
 قَالَ شَاعِرٌ :

يَا ذَا الَّذِي وَلَدَتْكَ أُمَّكَ بَاكِئًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُورًا
 إِحْرَاصٌ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ بِهِ مَتَى يَكُونُ حَوْلَكَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا
 ٥٨ رَوَى أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ أُعْطِيَ شَرْبَةَ مَاءٍ بَارِدٍ . فَلَمَّا أَخَذَ
 الْقَدَحَ غُثِيَ عَلَى عَقْلِهِ وَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ : مَا بَاكَ
 يَا أَبَا سَعِيدٍ . قَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُ أُمْنِيَّةَ أَهْلِ النَّارِ حِينَ يَقُولُونَ لِأَهْلِ
 الْجَنَّةِ : أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ . قَالُوا : إِنْ اللَّهُ حَرَّمَهَا
 عَلَى الْكَافِرِينَ

رَوَى فِي وَصَايَا الْقِمَانِ الْحَكِيمِ لِأَبْنِهِ أَنَّهُ قَالَ : يَا بُنَيَّ لَا يَكُونَنَّ
 أَلَدِيكَ أَكْيَسَ مِنْكَ . يُنَادِي وَقْتُ السَّحْرِ وَأَنْتَ نَائِمٌ . لَقَدْ أَحْسَنَ
 مَنْ قَالَ :

لَقَدْ هَمَمْتُ فِي جَنَحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ عَلَى فَنٍّ وَهَمًّا وَإِنِّي لِنَائِمٌ
 كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوَكُنْتُ عَاشِقًا لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْهَمَامُ
 وَأَزْعَمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ لِرَبِّي وَلَا أَبِي وَتَبْكِي الْبَهَائِمِ

دعاء

٥٩ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمَامَهَا . وَمِنَ الْعِصَةِ دَوَامَهَا . وَمِنَ
 الرَّحْمَةِ شُمُولَهَا . وَمِنَ الْعَافِيَةِ حُصُولَهَا . وَمِنَ الْعَيْشِ أَرْعَدَهُ . وَمِنَ

الْعُمُرَ أَسْعَدَهُ . وَمِنَ الْإِحْسَانِ أُمَّهُ . وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَعْمَهُ . وَمِنَ الْفَضْلِ
 أَعَذَبَهُ . وَمِنَ اللَّطْفِ أَنْفَعَهُ . اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا . اللَّهُمَّ اخْتِمْ
 بِالسَّعَادَةِ آجَالَنا . وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ آمَالَنا . وَأَقْرِنِ بِالْعَافِيَةِ غَدُونََا
 وَأَصَالَنَا . وَأَجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَرْجِعَنَا . وَصَبِّ سِجَالَ غَدُوكَ
 عَلَى ذُنُوبِنَا . وَمِنَّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عُيُوبِنَا . وَأَجْعَلِ التَّقْوَى زَادَنَا . وَفِي
 دِينِكَ أُجْتِهَادَنَا . وَعَلَيْكَ تَوَكُّلَنَا وَأَعْتِمَادَنَا . ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ .
 وَأَعِزَّنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامَةِ . يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقَلَ
 الْأَوْزَارِ . وَأَرْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ . وَاكْفِنَا وَأَصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الْأَشْرَارِ .
 وَأَعْتَقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَعَشِيرَتَنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ
 النَّيْرَانِ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (أيها الولد للغزالي)

المرثي

٦٠ قَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَغَانِي : لَمَّا رَأَى الْفَلَّاسِيْفَةُ تَأْبُوتَ
 الْإِسْكَندَرَ وَقَدْ أُخْرِجَ لِيُدْفَنَ قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْمَلِكُ أَمْرَ أَهْيَبَ
 مِنْهُ الْيَوْمَ . وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسَ . وَقَالَ آخَرُ : سَكَنْتُ حَرَكَةَ
 الْمَلِكِ فِي لَذَاتِهِ . وَقَدْ حَرَكْنَا الْيَوْمَ فِي سَكُونِهِ جَزَعًا لِقُدِّهِ . وَهَذَا
 الْمَعْنَى أَخَذَهَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ بِرِثَاءِ ابْنِهِ عَلِيٍّ قَالَ :

بِكَتْمِكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَائِلَتِكَ شَيْئًا
 وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي وَدِّ مَاتَ لَهُ :

بَلَيْتَ عِظَامِكَ وَالْأَسَى يَتَجَدَّدُ وَالصَّبْرُ يَنْفَدُ وَالْبُكَاءُ لَا يَنْفَدُ
 يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَابِهِ وَاقْبَاهِهِ دُونَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدُ
 مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْحَدًا ضَمَّتَهُ لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ الْمُحَدُّ
 بِالْيَأْسِ أَسْأَلُو عَنكَ لَا يَتَجَادِي هَيْهَاتَ أَيْنَ مِنَ الْحَزَنِ تَجَادُّ
 ٦١ قَالَ ابْنُ الْأَخْنَفِ يَرْتِي ابْنَهُ :

وَمَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْأَسَى

أَجَابَ الْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ

فَإِنْ يَنْقَطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ

سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحَزَنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ تَرْتِي وَلَدَهَا :

يَا قَرْحَةَ الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ يَا لَيْتَ أُمَّكَ لَمْ تَحْبَلْ وَلَمْ تَلِدِ
 لَمَّا رَأَيْتِكَ قَدْ أَدْرَجْتَ فِي كَهْنٍ مُطِيبًا لِلْمَنَايَا آخِرَ الْأَبَدِ
 أَيَقُنْتُ بَعْدَكَ أَنِّي غَيْرُ بَاقِيَةٍ وَكَيْفَ يَبْقَى ذِرَاعٌ زَالَ عَنِ عَضُدِ
 قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرْتِي ابْنَهُ :

بَنِي لَبْنٍ صَنَّتْ جُفُونُ بَاهِيَا لَقَدْ قُرِحَتْ مِنِّي عَلَيْكَ جُفُونُ

دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ وَالنَّفْسُ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينُ

قَالَ الْعَتِي يَرْتِي بَعْضَ أَوْلَادِهِ :

أَصْحَتُ بِمَجْدِي الدُّمُوعَ رُسُومُ أَسْفَا عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُؤُومُ

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

الْبَابُ الثَّلَاثُ

فِي الْحِكْمِ

٦٢ قَالَ الْحُكَمَاءُ : لَا يَطْلُبُ الرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ .
 وَقَالُوا : إِذَا وَجَدْتُمْ الْحِكْمَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى السِّبْكِ فَخْذُوهَا . وَقَالَ
 زِيَادٌ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَمْنَعَنَّكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَتَفَعَّلُوا بِأَحْسَنِ
 مَا تَسْمَعُونَ مِنَّا فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

إِعْمَلْ بِعِلْمِي وَإِنْ قَصُرْتُ فِي عَمَلِي

يَفْعَلْ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

٦٣ قَالَ الرِّيَاحِيُّ فِي خُطْبَتِهِ بِالْمَرْبِدِ : يَا بَنِي رِيَّاحٍ لَا تَحْقِرُوا صَغِيرًا
 تَأْخُذُونَ عَنْهُ . فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّيْلِ بِسَأَلَتِهِ . وَمِنَ الْحِمَارِ صَبْرَهُ .
 وَمِنَ الْخَنْزِيرِ حِرْصَهُ . وَمِنَ الْغُرَابِ حَذَرَهُ . وَمِنَ الثَّلَبِ رَوَّغَانَهُ .
 وَمِنَ السَّنُورِ ضَرَعَهُ . وَمِنَ الْقِرْدِ حِكَايَتَهُ . وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ .
 وَمِنَ ابْنِ آوَى حَذَرَهُ . وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ سَيْرَ اللَّيْلِ . وَمِنَ
 الشَّمْسِ ظُهُورَ الْحِينِ بَعْدَ الْحِينِ (لابن عبد ربه)

٦٤ قَالَ كَعْبٌ : اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ
 النَّاسِ فِي عُلَانِيَتِكُمْ . وَقِيلَ : مَنْ يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْيِي مِنَ
 نَفْسِهِ فَلَا قَدْرَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ . وَقَالَ رَجُلٌ لِلنُّعْمَانِ : أَوْصِنِي . فَقَالَ :
 اسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ رَجُلٍ مِنْ عَشِيرَتِكَ

٦٥ قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ . لِاصْدِيقٍ لِمَاتْلُونٍ . وَلَا وَفَاءَ لِكَذُوبٍ .
وَلَا رَاحَةَ لِجَسُودٍ . وَلَا مَرُوءَةَ لِذَنِيٍّ . وَلَا زَعَامَةَ لِسَيِّئِ الْخُلُقِ
(مونس الوحيد للثعالبي)

٦٦ قِيلَ : تَجَنَّبْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لِتُخْلَصَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ . تَجَنَّبْ مِنْ
الْحَسَدِ لِتُخْلَصَ مِنَ الْحُزَنِ . وَلَا تَجَالِسْ جَالِسَ السُّوءِ وَقَدْ تَخَلَّصْتَ مِنْ
الْمَلَامَةِ . وَلَا تَرْكَبِ الْمُعَاصِيَ وَقَدْ خَلَّصْتَ مِنَ النَّارِ . وَلَا تَجْمَعِ أَمْوَالَ
وَقَدْ اسْتَرَحْتَ مِنْ عِدَاوَةِ الْخَلْقِ
(للغزالي)

٦٧ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

بِقَدْرِ الْكَدِّ تَكْتَسِبُ الْمُعَالِي وَمَنْ طَابَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
يَعُوضُ الْجَرْمَ مِنْ طَابِ اللَّالِي وَيَحْظِي بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
وَمَنْ طَابَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدِّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَابِ الْأَحَالِ

٦٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : دَخَاتُ عَلِيٍّ سَفِيَانُ الثُّورِيِّ بِكِدَّةٍ فَوَجَدْتُهُ مَرِيضًا
وَقَدْ شَرِبَ دَوَاءً . فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءَ . فَقَالَ
لِي : قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي مِنَ النَّاسِ . قَالَ : الْبُتَّهَاءُ . قُلْتُ
لَهُ : فَمَنِ الْمُلُوكُ . قَالَ : الزُّهَّادُ . قُلْتُ لَهُ : فَمَنِ الْأَشْرَافُ . قَالَ :
الْأَتْقِيَاءُ . قُلْتُ فَمَنِ الْفُجُورَاءُ . قَالَ : مَنْ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ وَيَأْكُلُ بِهِ
أَمْوَالَ النَّاسِ . قُلْتُ فَمَنِ السَّفِيَلَةُ . قَالَ : الظُّلْمَةُ أَوْلِيكَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ

رُوي أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ حُدَيْمٍ وَعَظَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَوْمًا . فَقَالَ

لَهُ عُمَرُ : وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ . قَالَ : أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . مَا هُوَ إِلَّا
 أَنْ تَقُولَ قَتَطَاعَ . فَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَيَّ مُخَالَفَتِكَ (نوادِر القلوب)

٦٩ قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَلَمَّا أَحْتَضَرَ ذُو الْأَيْصِغِ دَعَا ابْنَهُ أُسَيْدًا . فَقَالَ
 لَهُ : يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ قَدْ فَنِيَ وَهُوَ حَيٌّ وَعَاشٍ حَتَّى سَمِعَ الْعَيْشَ . وَإِنِّي
 مُوَصِّيكُ بِمَا إِن حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتَهُ . فَاحْفَظْ عَنِّي : أَلَنْ
 جَانِبَكَ لِتَوْمِكَ يُحِبُّوكَ . وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ . وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ
 يُطِيعُوكَ . وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ . وَأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا
 تَكْرِمُ كِبَارَهُمْ يُكْرِمُكَ كِبَارَهُمْ . وَيَكْبُرُ عَلَيَّ هَوْدَتِكَ صِغَارَهُمْ . وَأَسْمَعْ
 بِمَالِكَ . وَأَعِزَّزْ جَارَكَ . وَأَعِنْ مَنْ أَسْتَعَانَ بِكَ . وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ .
 وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيحِ فَإِنَّ لَكَ أَجَلًا لَا يَعْدُوكَ . وَعَسْنِ وَجْهَكَ
 عَنْ مَسْئَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُودُّكَ (للأصبهاني)

٧٠ سُئِلَ بَعْضُ أَلْيَ كَهْمَاءَ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيْهَا
 أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ : مُشَاوَرَةُ
 الْعُلَمَاءِ . وَتَجْرِبَةُ الْأُمُورِ . وَحَسَنُ التَّثَبُّتِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةٌ
 أَشْيَاءَ : الْأَسْتِبْدَادُ . وَالتَّهَؤُنُ . وَالْعَجَلَةُ (لابن عبد ربه)

٧١ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالِدِينُ أَوْلَاهَا وَالْعَقْلُ ثَانِيهَا
 وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحَيَاةُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا
 وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَائِسُهَا وَاللَّيْنُ عَاشِيهَا

وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مُحَدِّثَهَا . إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
 وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصَدِّقُهَا . وَلَسْتُ أُرْشِدُ إِلَّا حِينَ أَنْصِبَهَا
 ٧٢ قَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا يُنْدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ إِلَيْهِمْ . اللَّهُ فِي عَمَلٍ لَهُ
 وَالْمَوْلَى الشُّكُورُ فِيمَا أَسَدِيَ إِلَيْهِ . وَالْأَرْضُ الْكَرِيمَةُ فِيمَا بُذِرَ فِيهَا .
 وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا بَقَاءَ لَهَا . ظِلُّ الْغَمَامِ . وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ . وَالثَّنَاءُ
 الْكَاذِبُ . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . الْغِنَى فِي النَّفْسِ .
 وَالشَّرَفُ فِي التَّوَاضُعِ . وَالْكَرَمُ فِي التَّقْوَى . وَقَالُوا : ثَلَاثَةٌ لَا تُعْرَفُ
 إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ . ذُو الْبَأْسِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ الْإِقْتَاءِ . وَذُو الْأَمَانَةِ لَا
 يُعْرَفُ إِلَّا عِنْدَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ . وَالْإِخْوَانُ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ
 النَّوَابِ

٧٣ قَالَ أَبُو وَبُرْدٍ لِكَاتِبِهِ : إِعْلَمْ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ . إِنْ التَّمَسَّ
 لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ . وَإِنْ نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ تَتِمَّ . وَهِيَ سُؤَالُكَ
 الشَّيْءَ . وَأَمْرُكَ بِالشَّيْءِ . وَإِخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ . وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ .
 فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَسْأَلُ . وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ . وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكُمْ . وَإِذَا
 أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ . وَأَجْمَعْ الْكَثِيرَ مِمَّا تُرِيدُ فِي التَّلِيلِ مِمَّا تَقُولُ (يُرِيدُ
 الْكَلَامَ الَّذِي تَقُلُّ حُرُوفَهُ وَتَكْتُبُ مَعَانِيَهُ)

٧٤ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ . أَخٌ يُخَاصُّ لَكَ وَدَّهُ .
 وَيَبْذِلُ لَكَ رِفْدَهُ . وَيَسْتَفْرِغُ فِي مَهْمِكَ جُهْدَهُ . وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ يَقْتَصِرُ
 بِكَ عَلَى حَسَنِ نِيَّتِهِ . دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ . وَأَخٌ يَتِمَّاقُ لَكَ بِإِسَانِهِ .

وَيَتَشَاغَلُ عَنْكَ بِشَانِهِ . وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ

٧٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَبْنِهِ : يَا بَنِي تَعَلَّمَ حُسْنَ الْأَسْتِمَاعِ كَمَا تَعَلَّمَ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَلِيَعْلَمِ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَيَّ أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَأَحْذَرُ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فَيَأْتِيكَ مِنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ عَلَى فِعْلٍ مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى قَوْلٍ مَا لَمْ تَفْعَلْ (لابن عبد ربه)

٧٦ أَنشَدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنِيِّ

كَيْفَا يَصْبِحُ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ

وَوَرَكَ تُصَلِّحُ بِالرِّشَادِ عَقُولَنَا أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ
فَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ غِييَا فَإِذَا أَنْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَبْنَاكَ يَهْتَدِي مَا تَقُولُ وَيَهْتَدِي بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا نَفَةَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

٧٧ قَالَ أَرِسْطَاظَالِيْسُ الْإِسْكَانْدَرِي : إِنْ النَّاسَ إِذَا قَدَرُوا أَنْ يَقُولُوا
قَدَرُوا أَنْ يَفْعَلُوا . فَأَعْتَرَسَ مِنْ أَنْ يَقُولُوا . تَسَلَّمَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا

٧٨ قَالَ الْعَنْبِي : أَجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ . قَالُوا :
لَا تَحْمَلَنَّ عَلَى هَلْبِكَ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَعْمَلَنَّ عَمَلًا لَيْسَ لَكَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ .
وَلَا تَشِقْ بِأَمْرَةٍ . وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ

٧٩ قَالَ لثَمَانُ لِأَبْنِهِ : لَا تَزُكِّنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَشْفَعْ قَلْبِكَ بِهَا
 فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا . وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَمْوَنَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ
 نَعِيمَهَا ثَوَابًا لِلْمُطِيعِينَ . وَلَا بَلَاءَهَا عُقُوبَةً لِلْعَاصِينَ . يَا بَنِي لَا تَصْحَكُ
 مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ . وَلَا تَمْسُ فِي غَيْرِ أَرْبٍ . وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَعْيبُكَ . يَا بَنِي
 لَا تُضِعْ مَالَكَ وَتُضِلَّ مَالَ غَيْرِكَ . فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ . وَمَالَ غَيْرِكَ
 مَا تَرَكْتَ . يَا بَنِي إِنَّهُ مَنْ يَرْحَمُ يَرْحَمُ . وَمَنْ يَصْحَتُ يَسَامُ . وَمَنْ يَقُلِ
 الْحَيْرَ يَغْنَمُ . وَمَنْ يَقُلِ الْبَاطِلَ يَأْتُمُ . وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانَهُ يَنْدَمُ .
 يَا بَنِي زَا جِمِ الْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتِكَ . وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأَذْنِكَ . فَإِنَّ الْقَلْبَ
 يَجِيءُ نُورَ الْعُلَمَاءِ . كَمَا تَجِيءُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةَ بِطَرِّ السَّمَاءِ

٨٠ قَالَ عُمَرُ بْنُ عُثْبَةَ : مَا بَلَغَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً قَالَ لِي أَبِي :
 يَا بَنِي قَدْ تَقَطَّعَتْ عَنْكَ شَرَائِعُ الصِّبَا . فَأَلْزَمِ الْحَيَاءَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ .
 وَلَا تَزَالِيَهُ فَتَبِينَ مِنْهُ . وَلَا يَغْرَبَنَّكَ مَنْ مَدَحَكَ بِمَا تَعْلَمُ خِلَافَهُ مِنْ
 نَفْسِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ قَالَ فِيكَ مِنَ الْحَيْرِ مَا لَمْ يَعْلَمْ إِذَارِضِي . قَالَ فِيكَ
 مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهُ إِذَا سَخِطَ . فَاسْتَأْنِسْ بِالْوَحْدَةِ مِنْ جُلَسَاءِ السُّوءِ تَسْلَمُ
 مِنْ غِبِّ عَوَاقِبِهِمْ (لابن عبد ربه)

٨١ قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ :

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ أَمْرٍ فَكُنْهُ يَكُنْ بِنَاكَ مَا أَعْجَبَكَ
 فَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ حِجَابٌ إِذَا جِئْتَهُ بِحُجُبَاتِ
 ٨٢ مِنْ كَلَامِ أُوْمَيْرُسَ : إِتَمَّ أَخْلَاقُكَ الْبَيْتَةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَصَلَتْ

إِلَى حَاجَتِهَا مِنْ الدُّنْيَا كَانَتْ كَالْحَطْبِ لِلنَّارِ وَالْمَاءِ لِلسَّمَكِ . وَإِذَا
عَزَلْتَهَا عَنْ مَارِبِهَا وَحُلَّتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَهْوَى انْطَفَأَتِ كَأَنْطَفَاءِ النَّارِ
عِنْدَ فِئْدَانِ الحَطْبِ . وَهَلَكَتْ كَهَلَاكِ السَّمَكِ عِنْدَ فِئْدَانِ الْمَاءِ .
٣ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ البُسْتِيُّ :

إِذَا طَالَتْكَ النَّسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ وَكَانَ إِلَيْهَا فِي الخِلَافِ طَرِيقُ
فَخَائِفٍ هَوَاهَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا هَوَاهَا عَدُوٌّ وَالخِلَافُ صَدِيقُ
٨٤ . وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَقَلَهُ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ فِي الْإِرْشَادِ : كُلُّ
قَوْلٍ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَعْنٌ . وَكُلُّ صَبْتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرٌ فَسَهْوٌ .
وَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ أُعْتَابٌ فَاهْوٌ .

٨٥ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ . إِنْ مَرَّتْكَ الصَّغِيرَةُ وَمَرَّتْكَ الْكَبِيرَةُ
سَيَّانٍ . فَقِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . فَقَالَ : الْجُرْأَةُ وَاحِدَةٌ . وَمَا عَفَّ عَنْ
الدَّرَّةِ . مَنْ يَسْرِقُ الدَّرَّةَ

٨٦ (سَائِحَةٌ) غَفْلَةُ الْقَلْبِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ . وَأكْبَرُ
الدُّنُوبِ . وَلَوْ كَانَتْ أَنَا مِنْ الْآنَاتِ أَوْ لَحْمَةً مِنْ اللَّحْمَاتِ . حَتَّى إِنْ
أَهَلَ الْقُلُوبِ عَدُوًّا أَلْمَافِلَ فِي أَنْ الْغَفْلَةَ مِنْ جُمْلَةِ الدُّمَارِ . وَكَمَا يُعَاقِبُ
الْعَوَامُّ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ كَذَلِكَ يُعَاقِبُ الْخَوَاصُّ عَلَى غَفْلَاتِهِمْ . فَاجْتَنِبِ
الْإِخْتِلَاطَ بِأَصْحَابِ الْغَفْلَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ
زُمَرَةِ أَهْلِ الْكَمَالِ

٨٧ . أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ أَبْنَهُهُ فَقَالَ : إِيكَنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ .

وَقَوْلِكَ دُونَ فِعْلِكَ . وَلِبَاسِكَ دُونَ قَدْرِكَ

٨٨ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ الْجَهْلِ . مَنْ غَضِبَ عَلَيَّ مَنْ لَا يُرْضِيهِ . وَجَلَسَ إِلَيَّ مَنْ لَا يُدْنِيهِ . وَتَفَاقَرَ إِلَيَّ مَنْ لَا يُغْنِيهِ . وَتَكَلَّمَ بِنَا لَا يُغْنِيهِ

٨٩ قِيلَ لِحَكِيمٍ : إِنَّ الَّذِي قُتِلَهُ لِأَهْلِ مَدِينَةٍ كَذَا لَمْ يَقْبَلُوهُ . فَقَالَ : لَا يَلْزِمُنِي أَنْ يَقْبَلَ بَلْ يَلْزِمُنِي أَنْ يَكُونَ صَوَابًا
قَالَ حَكِيمٌ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ عِنْدَهُ تَعْنِيفُ النَّاصِحِ
الْطَّفَ نَوْقًا مِنْ مَتَى الْكَاشِحِ (إبهاء الدين)

٩٠ قَالَ أَبُو نُفَيْحَةَ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا صَحِبْتَ الْمُلُوكَ فَأَبْسْ مِنْ التَّوْقِي أَعْرَ مَلْبَسْ
وَأَدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى وَأَخْرَجْ إِذَا مَا أَخْرَجْتَ أَخْرَسْ
٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ : عَشِيرَتُكَ مِنْ أَحْسَنِ عَشْرَتِكَ . وَعَمَلُكَ مِنْ عَمَلِكَ خَيْرُهُ . وَقَرِيبُكَ مِنْ قَرَبٍ مِنْكَ نَفْعُهُ

٩٢ قَالَ سُقْرَاطُ وَهُوَ تَلْمِيزٌ فِيثَاغُورَسَ الْحَكِيمِ : إِذَا أَقْبَاتِ
الْحِكْمَةَ خَدَمَتِ الشَّهَوَاتُ الْعُقُولَ . وَإِذَا أَدْبَرَتْ خَدَمَتِ الْعُقُولُ
الشَّهَوَاتِ

٩٣ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرَى الْقُدَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ
وَلَا يَرَى الْجُدَعَ الْمُعْتَرِضَ فِي حَلْقِ نَفْسِهِ

٩٤ وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : ثَلَاثَةٌ لَا يَسْتَحْفُ بِرَبِّهِمْ . السُّلْطَانُ

وَالْعَالِمِ وَالصَّادِقِ . فَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالسُّلْطَانِ ذَهَبَتْ دُنْيَاؤُهُ . وَمَنْ
اسْتَخَفَّ بِالْعَالِمِ ذَهَبَ دِينُهُ . وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالصَّادِقِ ذَهَبَتْ مَرْوَتُهُ
(لبهاء الدين)

٩٥ أَنشَدَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا الْأَمْنُ وَالصِّدْقَةُ وَالْقُوَّةُ
فَلَا تَتَّقِ بِالْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا لَوْ أَنَّهُ دَرٌّ وَيَأْقُوتُ
قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْكُنَ بِلَدًا لَيْسَ فِيهَا خَمْسَةُ أَشْيَاءَ . سُلْطَانٌ
حَازِمٌ . وَقَاضٍ عَادِلٌ . وَطَيِّبٌ عَالِمٌ . وَنَهْرٌ جَارٌ . وَسُوقٌ قَائِمٌ
قَالَ بَعْضُ الْحِكَمَاءِ : ثَلَاثُ مَهَابَاتٍ وَثَلَاثُ مُنْجِيَاتٍ . فَأَمَّا
الْمَهَابَاتُ . فَشَحُّ مَطَاعٍ . وَهَوَى مُتَبِعٍ . وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . وَأَمَّا
الْمُنْجِيَاتُ . فَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ . وَالْتِصَادُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ .
وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَاءِ وَالغَضَبِ (لطائف العرب)

٩٦ قِيلَ : إِذَا أَقْبَتِ الدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانٍ أَعَارَتْهُ مَخَاسِنَ غَيْرِهِ . وَإِذَا
أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَخَاسِنَ نَفْسِهِ . (رسالة آداب للمستعصمي)

٩٧ قِيلَ : مَا مِنْ خَصْلَةٍ تَكُونُ لِلْغَنِيِّ مَدْحًا إِلَّا وَتَكُونُ لِلْفَقِيرِ ذَمًّا .
فَإِنْ كَانَ حَلِيمًا قِيلَ : ذَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَ شَجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجٌ . وَإِنْ كَانَ
لِسِنَاقِيلٍ : مَهْدَارٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا كُنْتَ لَا تَرْجَى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ مَطْمَعٌ

وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يُسْتَعَانُ بِجَاهِهِ وَلَا أَنْتَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِمَّنْ يُشْفَعُ
 فَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا وَمَوْتُكَ وَاحِدٌ وَعُودٌ خِلَالِ مَنْ وَصَالِكَ أَنْفَعُ
 قَالَ عُمَرُ لِالأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وَمَنْ
 أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ . وَمَنْ كَثُرَ مِرَاحُهُ . كَثُرَ سَقَطُهُ . وَمَنْ كَثُرَ
 سَقَطُهُ . قَلَّ وَرَعُهُ . وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ . قَلَّ حَيَاؤُهُ . وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ .
 مَاتَ قَلْبُهُ

٩٨ قَالَ الأَحْسَنُ : أَيُّهَا النَّاسُ نَافِسُوا فِي الأَمْكَارِمِ . وَسَارِعُوا فِي
 المَغَانِمِ . وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تَعْمَلُوهُ . وَلَا تَكْسِبُوا بِالمَطْلِ ذِمًّا .
 وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَاجِ النَّاسِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . فَلَا تَأْمَلُوا النِّعَمَ فَتَحُولَ
 نِقْمًا . وَأَنَّ أَجُودَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ . وَأَنَّ أَعْفَى النَّاسِ
 مَنْ عَفَا مِنْ قُدْرَةٍ . وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ . وَاللَّهُ يُحِبُّ
 المُحْسِنِينَ . وَقَالَ أَيْضًا : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ . وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا
 تُدْرِكُ . وَلَا تَعْدُ بِمَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَلَا تُنْفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ .
 وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الأَجْزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ . وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نَلْتَ مِنْ
 طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَلَا تَتَنَاوَلْ إِلَّا مَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَهْلًا لَهُ

٩٩ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَجَلِيسِي عَلِيٌّ ثَلَاثٌ . أَنْ أَرَمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا
 أَقْبَلَ . وَأَنْ أَوْسَعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ . وَأَضْعِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ
 ١٠٠ أَوْصَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا . فَقَالَ : لَا تَتَكَلَّمْ بِمَا لَا يَعْنِيكَ .
 وَدَعِ الأَكْلَامَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَعْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا . وَلَا تَمَارِينَنَّ

حَلِيمًا وَلَا سَفِيهًا . فَإِنَّ الْحَلِيمَ يُطْعِمُكَ . وَالسَّفِيهَ يُؤْذِيكَ . وَأَذْكَرُ أَخَاكَ
 إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بَمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ . وَدَعَهُ مِمَّا
 تُحِبُّ أَنْ يَدْعَكَ مِنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَدْلُ . وَأَعْمَلْ عَمَلِ أَمْرِئٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ
 مُجْزِيٌّ بِالْإِحْسَانِ مَاخُوذٌ بِالْإِجْرَامِ .

١٠١ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : كَمَالُ الْمَرْءِ فِي خِلَالِ ثَلَاثٍ . مُعَاشِرَةُ
 أَهْلِ الرَّأْيِ وَالنَّفِطْنَةِ . وَمُدَارَاةُ النَّاسِ بِالْمُعَاشِرَةِ الْجَمِيلَةِ . وَالْإِقْتِصَادِ
 مِنْ بُخْلِ وَإِسْرَافِ

قَالَ بَرْزَجَهْرُ كِسْرِي وَعِنْدَهُ أَوْلَادُهُ : أَيُّ أَوْلَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ .
 قَالَ : أَرْغَبُهُمْ فِي الْأَدَابِ . وَأَجْزَعُهُمْ مِنَ الْعَارِ . وَأَنْظَرُهُمْ إِلَى
 الطَّبِئَةِ الَّتِي فَوْقَهُمْ

١٠٢ قَالَ بَهْرَامُ جُورٌ : يَلْبِغِي لِلْمَلِكِ أَنْ لَا يُضِيعَ التَّثْبُتَ عِنْدَمَا
 يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ . فَإِنَّ الرَّجُوعَ عَنِ الْعَمَلِ أَحْسَنُ مِنَ الرَّجُوعِ عَنِ
 الْكَلَامِ . وَالْعَطِيَّةَ بَعْدَ الْمَنْعِ خَيْرٌ مِنَ الْمَنْعِ بَعْدَ الْعَطِيَّةِ . وَالْإِقْدَامَ
 عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ التَّائِي خَيْرٌ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ

١٠٣ وَقَالَ كِسْرِي لِحِكْمَاءِ الْفَرَسِ وَقَدْ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ : لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ
 وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِكَلِمَاتٍ وَلَا يَكْثُرْهَا . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : خَيْرُ الْمُلُوكِ أَرْحَمُهُمْ
 ذَرْعًا عِنْدَ الضِّيقِ . وَأَعَدَّهُمْ حُكْمًا عِنْدَ الْغَضَبِ . وَأَرْحَمُهُمْ إِذَا سَلَطَ .
 وَأَبْطَهُمْ مِنَ الظُّلْمِ عِنْدَ الْتَدْرَةِ . وَأَطَابَهُمْ لِرِضَاءِ الرَّعِيَّةِ . وَأَبْسَطَهُمْ
 وَجْهًا عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ . فَقَالَ كِسْرِي : حَسْبِي هَذَا لَا أُرِيدُ عَلَيْهِ مَزِيدًا

١٠٤ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ لِمَرَاذِبَتِهِ . أُوصِيكُمْ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فِيهَا رَاحَةٌ أَنْفُسِكُمْ . وَاسْتِقَامَةٌ أُمُورِكُمْ . أُوصِيكُمْ بِتَرْكِ الْمِرَاءِ . وَاجْتِنَابِ التَّنَاخُرِ . وَالْإِصْطِبَارِ عَلَى الْقَنَاعَةِ . وَالرِّضَاءِ بِالْحُظُوظِ . وَأُوصِيكُمْ بِكُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَجْمَلُ . وَأَنَّهَا كَمِ عَنْ كُلِّ مَا لَمْ أَقُلْ مِمَّا يَشُجُّ .
 قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ : الْكَمَالُ فِي خَمْسٍ . أَنْ لَا يَعْيبَ الرَّجُلُ أَحَدًا يَعْيبُ فِيهِ مِثْلَهُ . حَتَّى يُصْلِحَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ . فَإِنَّهُ لَا يَفْرَعُ مِنْ إِصْلَاحِ عَيْبٍ حَتَّى يَهْجُمَ عَلَى آخَرَ . فَتَشْغَلُهُ عِيُوبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ .
 وَالثَّانِيَةُ أَنْ لَا يُطْلِقَ لِسَانَهُ وَيَدَهُ حَتَّى يَعْلَمَ أَمِّي طَائِعَةَ ذَلِكَ أَمٍ فِي مَعْصِيَةٍ . وَالثَّلَاثَةُ أَنْ لَا يَأْتِمِسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُطَيِّرُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَهُ . وَالرَّابِعَةُ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بِاسْتِشْعَارِ مُدَارَاتِهِ وَتَوْفِيَّتِهِمْ حُقُوقَهُمْ . وَالْخَامِسَةُ أَنْ يُنْفِقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ . وَيُسَبِّحَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ .

١٠٥ قَالَ حَاتِمُ الزَّاهِدُ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ عَيْبًا فَإِنْ كَتَمْتَهُ عَنْهُ فَقَدْ خُنْتَهُ . وَإِنْ قَاتَمْتَهُ لِغَيْرِهِ فَقَدْ اغْتَبَيْتَهُ . وَإِنْ وَاجَهْتَهُ فَقَدْ أَوْحَشْتَهُ . فَقَالَ لَهُ إِنْسَانٌ : هَذَا الَّذِي أَصْنَعُ . قَالَ : تَكْنِي عَنْهُ وَتَعْرِضُ بِهِ . وَتَجْعَلُهُ فِي جَمَلَةِ الْحَدِيثِ

١٠٦ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ : الْكِبَرُ مِنْهُ مَا مَوَّنَا . وَالْحَيْزُ فِيهِ مَا مَوْلَا . يَهْتَدِي بِأَهْلِ الْأَدَبِ مِنْ قَبْلِهِ فَهُوَ إِمَامٌ لِمَنْ بَعْدَهُ . وَحَتَّى يَكُونَ الذُّلُّ فِي طَائِعَةِ اللَّهِ أَحَبَّ

إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . وَحَتَّى يَكُونَ الْفَقْرُ فِي الْحَلَالِ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِنَ الْغِنَى فِي الْحَرَامِ . وَحَتَّى يَكُونَ عَيْشُهُ الْقَوْتِ . وَحَتَّى يَسْتَقْبَلَ
الْكَثِيرَ مِنْ عَمَلِهِ . وَيَسْتَكْثِرُهُ مِنْ غَيْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ بِطَلَبِ الْحَوَائِجِ
قَبْلَهُ . وَأَنْ يُخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ أَحَدًا إِلَّا رَأَى أَنَّهُ دُونَهُ

(للمستعصي)

١٠٧ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا فِي مُخَاصَمَةٍ وَلَوْ يَكُونُ ضَعِيفَ الْبَطْشِ وَالْجَلْدِ
فَلِيبْعُوضَةٍ فِي الْجُرْحِ الْمَدِيدِ يَدٌ تَنَالُ مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ يَدُ الْأَسَدِ

١٠٨ (مِنْ النَّهْجِ) . كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْخَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ :

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الدِّينِ . وَأُتِّصَحَّهْ وَأَجَلَ حِلَالَهُ . وَحَرَّمَ حَرَامَهُ . وَصَدَّقَ

بِمَا سَلَفَ مِنْ الْحَقِّ وَأَعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا

يُشْبِهُ بَعْضًا وَآخِرُهَا لِأَحَقُّ أَوَّلَهَا . وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ . وَعَظِيمٌ أَسْمٌ

اللَّهُ لَا تَذْكُرُهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ . وَكَثِيرٌ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . وَلَا

تَتَمَنَّي الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ . وَأَحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ .

وَيَكْرَهُهُ لِإِعَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ يَعْمَلُ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحْيَا

مِنْهُ فِي الْعِلَانِيَةِ . وَأَحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ صَاحِبُهُ عَنْهُ أَنْ يَكْرَهُهُ

وَأَعْتَذَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِئِبَالِ الْقَوْمِ . وَلَا تُحَدِّثْ

بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا . وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ

بِهِ وَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا . وَكَظِيمَ الْغَيْظِ . وَأَحْلَمَ عِنْدَ الْغَضَبِ .

وَتَجَاوَزُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ . وَأَضْفَحُ عَنِ الرِّزَّةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ . وَأَسْتَصْلِحُ
 كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ . وَلَا تَضِعْ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ .
 وَلِيَبْنِ عَلَيْكَ أَثْرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ
 أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ . وَأَنَّكَ مَا تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ
 يَبْقَى لَكَ ذَخِيرَةً . وَمَا تُؤَخِّرُ يَكُونُ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ . وَأَحْذَرُ ضُحْبَةً مَنْ
 تَقْبَلُ رَأْيَهُ وَتُنْكِرُ عَمَلَهُ . فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ . وَأَحْذَرُ مَنْزِلَ
 الْعُضَاةِ وَالْجَفَاءِ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . وَأَقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا
 يَعْنِيكَ . وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مُحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِضُ
 الْفِتَنِ . وَأَطِيعِ اللَّهَ فِي كُلِّ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَضْلَةٌ عَلَى مَا
 سِوَاهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آتِيٌّ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ
 الدُّنْيَا . وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَشْرَارِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ يَلْحَقُ . وَفِرَّ إِلَى
 اللَّهِ وَاجِبٍ أَحِبَّاءِهِ . وَأَحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدُ دِينِ جُنُودِ إبْلِيسَ
 وَالسَّلَامُ

(إبهاء الدين العاملي)

نخبة من ارجوزة ابن مكناس

١٠٩ هَلْ مِنْ فِتْنٍ ظَرِيفٍ . مُعَاشِرٍ لَطِيفٍ . يَسْمَعُ مِنْ مَقَالِي . مَا يُرْخِصُ
 اللَّالِي . أَمْنَحُهُ وَصِيَّةً . سَارِيَةً سَرِيَّةً . تُبِيرُ فِي الدِّيَاجِي . كَلِمَةَ السَّرَاجِ .
 رَشِيقَةَ الْأَلْفَاظِ . تَسَهَّلُ لِلْحِفَاطِ . جَادَتْ بِهَا الْقَرِيحَةُ . فِي مَعْرِضِ
 النَّصِيحَةِ . أَنَا الشَّفِيقُ النَّاصِحُ . أَنَا الْمُجِدُّ الْمَارِحُ . إِنْ تَبَتَّغَ الْكِرَامَةَ .
 وَتَطَلَّبَ السَّلَامَةَ . أَسْأَلُكَ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبَ . تَرَى مِنَ الدَّهْرِ الْعَجَبَ .

لِنَ لِمُ الْخَطَابَا. وَأَعْتَمِدِ الْآدَابَا. تَلْ بِهَا الطَّلَابَا. وَتَسْحَرِ الْأَلْبَابَا.
وَلَا تَطَاوِلْ بِنَشْبِ. وَلَا تُفَاخِرْ بِنَسْبِ. قَالِرُ: ابْنُ الْيَوْمِ. وَالْعَقْلُ
زَيْنُ الْقَوْمِ. مَا أَرَوْضَ السِّيَاسَةَ. إِصَاحِبِ الرَّئَاسَةَ. إِنْ شِئْتَ تَأْتِي
مُحْسِنًا. فَلَا تَقْتُلْ يَوْمًا أَنَا. أَلْعِزُّ فِي الْأَمَانَةِ. وَالْكَاسِ فِي الْقَطَانَةِ.
أَلْقَصْدُ بَابُ الْبِرْكَه. وَأَلْخَرْقُ دَاعِي الْمَلَكَه. لَا تَغْضِبِ الْجَلِيسَا.
لَا تَوْحِشِ الْأَنْبِيَا. لَا تَصْحَبِ الْخُدَيْسَا. لَا تُسْخِطِ الرَّئِيسَا. لَا تَكْثُرِ
الْعِتَابَا. تُتَفَرِّ الْأَصْحَابَا. فَكَثْرَةُ الْمَعَاتِبَه. تَدْعُو إِلَى الْعِجَابَه. وَإِنْ
حَلَّتْ مَجْلِسَا. بَيْنَ سِرَاقَةِ رُؤْسَا. إِنْصِدْ رِضَا الْجَمَاعَه. وَكُنْ غُلَامَ
الطَّاعَه. وَدَارِهِمْ بِاللُّطْفِ. وَأَحْذَرْ وَبَالَ السُّخْفِ. وَأَخْتَصِرِ السُّوْلَا.
وَقَلِّ الْمَقَالَا. وَلَا تَكُنْ مُعْرِبِدَا. وَلَا بَغِيضًا نَكِدَا. لَا تَحْمِلِ الطَّعَامَا.
وَالثَّقْلَ وَالْمُدَامَا. فَذَاكَ فِي الْوَلِيمَه. شِنَاعَةُ عَظِيمَه. لَا يَرْتَضِيهَا آدَمِي.
غَيْرُ مَقَلِّ عَادِمِ. وَقُلِّ مِنَ الْكَلَامِ. مَا لَاقَ بِالْمُدَامِ. كَرَاتِقِ الْأَشْعَارِ.
وَطَيِّبِ الْأَخْبَارِ. وَأَتْرِكْ كَلَامَ السَّفَلَه. وَالنِّكَتَ الْمُبْتَدَلَه. إِيَّاكَ
وَالنُّظْفِيَا. وَشُومَه الْوَيْيَا. وَلَا تَكُنْ مَبْدُولَا. وَلَا تَكُنْ مَلُولَا. أَلْجَلُّ لَا
تَأَلُّهُ. وَالْحَلُّ لَا تَصْدِفُهُ. وَلَا تَقُلْ لِمَنْ تُحِبُّ. ضَيْفُ الْبِكْرَامِ
يَصْطَحِبُّ. وَلَا تَكُنْ مَلْحَاحَا. وَأَجْتَنِبِ الْمَزَاحَا. فَكَثْرَةُ الْأَهْجُونِ. نَوْعُ
مِنَ الْجُنُونِ. فَالْشُّومُ فِي اللَّجَاجِ. وَالْحُرُّ لَا يُدَاجِي. وَهَذِهِ الْوَصِيَّه.
الْأَنْبَسِ الْأَبِيَّه. أَخْتَارُهَا لِنَفْسِي. وَإِخْوَتِي وَجِئْسِي. فَمَا كَمَا وَصِيَّه.
تَضَيُّبَهَا التَّحِيَّه. تَحْمِلُهَا الْكِرَامُ. إِلَيْكَ وَالسَّلَامُ

١١٠ إِنِّي نَاصِحُكَ بِبَعْضِ نَصَائِحِ أَقْبَلَهَا مِنِّي لِئَلَّا يَكُونَ عِلْمُكَ
 خَصْمًا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . تَعْمَلُ مِنْهَا وَتَدَعُ مِنْهَا . وَأَمَّا مَا تَدَعُ فَالْأَوَّلُ
 أَنْ لَا تُنَاطِرَ أَحَدًا فِي مَسْئَلَةٍ مَا اسْتَطَعْتَ . لِأَنَّ فِيهَا آفَةٌ كَثِيرَةٌ وَإِثْمَانُهَا
 فِي نَفْسِهَا كَبِيرٌ إِذْ هِيَ مَنبَعُ كُلِّ خُفَاةٍ ذَمِيمٍ كَالرِّئَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْكِبْرِ
 وَالْحَقْدِ وَالْعِدَاوَةِ وَالْمُبَاهَاةِ وَغَيْرِهَا . نَعَمْ لَوْ وَقَعَ مَسْئَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
 شَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ وَكَانَ إِرَادَتُكَ فِيهَا أَنْ تُظْهِرَ الْحَقَّ جَاذَكَ الْجَبْثُ
 لَكِنَّ لَتِلْكَ الْإِرَادَةَ عَلَامَتَانِ . إِحْدَاهُمَا أَنْ لَا تَتَفَرَّقَ بَيْنَ أَنْ يَكْشِفَ
 الْحَقُّ عَلَى لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ . وَثَانِيَتُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْجَبْثُ فِي
 الْخَلَاءِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلَأِ . وَالثَّانِي مِمَّا تَدَعُ وَهُوَ
 أَنْ تُحَذِرَ وَتَحْتَرِزَ مِنْ أَنْ تَكُونَ وَاعِظًا وَمَذْكِرًا لِأَنَّ آفَتَهُ كَثِيرَةٌ إِلَّا
 أَنْ تَعْمَلَ بِمَا تَقُولُ أَوَّلًا ثُمَّ تَعِظَ بِهِ النَّاسَ فَتَفَكَّرَ فِيمَا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : عِظْ
 نَفْسَكَ فَإِنْ أُنْعِظْتَ فَعِظِ النَّاسَ وَإِلَّا فَاسْتَجِيبِي رَبَّكَ إِنْ أُبْتَلِيَتْ
 بِهَذَا الْعَمَلِ

وَأَمَّا مَا يَتَّبِعِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ . فَالْأَوَّلُ أَنْ تَجْعَلَ مُعَامَلَتَكَ مَعَ اللَّهِ
 تَعَالَى . بِجَيْثُ لَوْ عَمِلَ مَعَكَ بِهَا عَبْدُكَ تَرْضَى بِهَا مِنْهُ . وَلَا يَضِيقُ
 خَاطِرُكَ عَلَيْهِ وَلَا تَغْضَبُ . وَمَا لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْ عَبْدِكَ الْمُبَازِي
 فَلَا تَرْضَ بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ سَيِّدُكَ الْحَقِيقِيُّ . وَالثَّانِي كَلَّمَا عَمَلَتْ
 بِالنَّاسِ أَجْعَلِي كَمَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ . لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ
 حَتَّى يُجِبَّ لِسَانُ النَّاسِ مَا يُجِبُّ لِنَفْسِهِ . وَالثَّالِثُ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

أَوْ طَاعَتُهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمًا يُصْلِحُ قَلْبَكَ وَيُزَكِّي نَفْسَكَ

(أيها الولد للغزالي)

(من كلام موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي)

١١١ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى مَنَامِكَ . وَتَنْظُرَ مَا أَكْتَسَبْتَ فِي يَوْمِكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَتَشْكُرَ اللَّهُ عَلَيْهَا . وَمَا أَكْتَسَبْتَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَتَسْتَغْفِرَ اللَّهُ مِنْهَا وَتَقْلَعَ عَنْهَا . وَتُرْتَّبَ فِي نَفْسِكَ مَا تَعَمَّهُ فِي عَدِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ . وَتَسْأَلَ اللَّهَ الْإِعَانَةَ عَلَى ذَلِكَ

وَقَالَ : أَوْصِيكَ أَلَّا تَأْخُذَ الْعُلُومَ مِنَ الْكُتُبِ وَإِنْ وَثِقَتْ مِنْ نَفْسِكَ بِقُوَّةِ الْفَهْمِ . وَعَلَيْكَ بِالْأُسْتَاذِينَ فِي كُلِّ عِلْمٍ تَطْلُبُ اكْتِسَابَهُ . وَلَوْ كَانَ الْأُسْتَاذُ نَافِعًا فَخُذْ عَنْهُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى تَجِدَ الْكَمَلَ مِنْهُ . وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِهِ وَتَرْجِيئِهِ وَإِنْ قَدَّرْتَ أَنْ تُفِيدَهُ مِنْ دُنْيَاكَ فَأَفْعَلْ . وَإِلَّا فَيَسَانِكَ وَثَنَاتِكَ . وَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابًا فَأَحْرِصْ عَلَى الْحِرْصِ عَلَى أَنْ تَسْتَظْهِرَهُ وَقِيَامِكَ مَعْنَاهُ . وَتَوَهَّمْ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ عَدِمَ وَأَنَّكَ مُسْتَعْنٍ عَنْهُ وَلَا تَحْزَنْ لِقَمْتِهِ

وَإِذَا كُنْتَ مُكَبِّبًا عَلَى دِرَاسَةِ كِتَابٍ وَتَفَهُهُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَمَلَ بِأَخْرَمَعَهُ . وَأَصْرِفِ الزَّمَانَ الَّذِي تُرِيدُ صَرْفَهُ فِي غَيْرِهِ إِلَيْهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَمَلَ بِعِلْمَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً . وَوَاطِبْ عَلَى الْعِلْمِ الْوَاحِدِ سَنَةً أَوْ سَلْتَيْنِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ . وَإِذَا قَضَيْتَ مِنْهُ وَطَرَكَ . فَأَنْتَقِلْ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ

وَلَا تَظَنَّ أَنَّكَ إِذَا حَصَلَتْ عِلْمًا فَقَدْ اكْتَفَيْتَ . بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى
 مِرَاعَاتِهِ لِيَنْمِيَ وَلَا يَنْقُصَ . وَمِرَاعَاتُهُ تَكُونُ بِالْمَذَاكِرَةِ وَالتَّفَكُّرِ
 وَاشْتِغَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالْحَفِظِ وَالتَّعَلُّمِ وَمُبَايَعَةِ الْأَقْرَانِ وَاشْتِغَالِ
 الْعَالَمِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّضَمُّنِ . وَإِذَا تَصَدَّقْتَ لِتَعَلُّمِ عِلْمٍ أَوْ لِلْمُنَاطَرَةِ
 فِيهِ فَلَا تَنْجُ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ . فَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ مَكْتَسَبٌ بِنَفْسِهِ مُسْتَعِينٌ
 عَنْ غَيْرِهِ . فَإِنَّ اسْتِعَانَتَكَ فِي عِلْمٍ بِعِلْمٍ عَجَزٌ عَنْ اسْتِيفَاءِ أَقْسَامِهِ
 كَمَنْ لَيْسَتَيْنِ بِلُغَةٍ فِي أُخْرَى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ أَوْ جَهِلَ بَعْضَهَا
 قَالَ : وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَمْرَأَ التَّوَارِيخَ وَأَنْ يَطَّلِعَ عَلَى السَّيْرِ
 وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ . فَيَصِيرُ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي عُمُرِهِ الْقَصِيرِ قَدْ أَدْرَكَ الْأُمَمَ
 الْحَالِيَةَ وَعَاصِرَهُمْ وَعَاشِرَهُمْ وَعَرَفَ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ
 قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ اتِّهَامُكَ لِنَفْسِكَ وَلَا تُحْسِنِ الظَّنَّ بِهَا .
 وَتَعْرِضْ خَوَاطِرَكَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ . وَتَثَبَّتْ وَلَا تَهْجَلْ
 وَلَا تُهْجَبْ . فَمَعَ الْعَجَبِ الْعَثَارُ وَمَعَ الْأَسْتِبْدَادِ الزَّلَالُ . وَمَنْ لَمْ يَبْرُقْ
 حَبِينَهُ إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يُبْرُقْ فِي الْفَضِيلَةِ . وَمَنْ لَمْ يُخْجِأْهُ لَمْ
 يُجَاهِدِ النَّاسَ . وَمَنْ لَمْ يُبَكِّتْهُ . لَمْ يُسَوِّدْ . وَمَنْ لَمْ يُحْتَمِلِ أَلَمَ التَّعَلُّمِ .
 لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ . وَمَنْ لَمْ يَكْدَحْ . لَمْ يَفْلِحْ . وَإِذَا خَلَوْتَ مِنَ التَّعَلُّمِ
 وَالتَّفَكُّرِ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسَابُحِهِ . وَخَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ
 فَيَتَشَرَّبُ بِهِ لُبُّكَ وَيُهْجَنُ فِي خَيَالِكَ . وَتَتَكَلَّمُ بِهِ فِي مَنَامِكَ . وَإِذَا
 حَدَّثَ لَكَ فَرَحٌ وَسُرُورٌ بِبَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا فَادْكُرِ الْمَوْتَ وَسُرْعَةَ

الزوال وأصناف المنقصات . وإذا أخرجت أمر فاسترجع . وإذا
 اعترتك غفلة فاستغفر . فأجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى
 زادك إلى الآخرة . وإذا أردت أن تعصي الله تعالى فأطلب مكاناً
 لا يراك فيه . وأعلم أن الناس عيون الله على العبد يريدون خيره
 وإن أخفاه . وشره وإن ستره . فباطنه مكشوف لله . والله يكشفه
 لعباده . فعليك أن تجعل باطنك خيراً من ظاهره . وسرك أصح من
 علانيتك

ولا تتألم إذا عرضت عنك الدنيا . ولو عرضت لك لشغلتك
 عن كسب الفضائل . وقدما يتعلق في العلم ذو الثروة إلا أن يكون
 شريف الهمة جداً . وأن يثري قبل تحصيل العلم . وإني لأقول :
 إن الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها . لأن
 همته مضرورة إلى العلم فلا يبقى له التفات إلى الدنيا . والدنيا إنما
 تحصل بحرص وفكر في وجوهها . فإذا غفل عن أسبابها لم تأتبه .
 وأيضاً فإن طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة
 وآله مكاسب الدنية . وعن أصناف التجارات . وعن التذلل لأرباب
 الدنيا . والوقوف على أبوابهم . ولبعض إخواننا بيت :

من جد في طلب العلوم أفاده شرف العلوم دناءة التحصيل
 وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج إلى فراغ لها . وحذق فيها .
 وصرف الزمان إليها . والمشتغل بالعلم لا يسمع شي من ذلك .

وَأَمَّا يَنْتَظِرُ أَنْ تَأْتِيَهُ الدُّنْيَا بِلا سَبَبٍ . وَتَطْلُبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطَّاهِرَا
 طَلَبَ مِثْلِهَا . وَهَذَا ظَلَمٌ مِنْهُ وَعُدْوَانٌ . وَلَكِنْ إِذَا تَمَكَّنَ الرَّجُلُ فِي
 الْعِلْمِ وَشُهْرَتِهِ خُطِبَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاصِبُ وَجَاءَتْهُ
 الدُّنْيَا صَاغِرَةً فَأَخَذَ مَا أهدَتْهُ وَمَا وَجَّهَهُ مَوْفِرًا . وَعَرَضَهُ وَدِينَهُ مَصُونًا
 وَأَعْلَمَ أَنَّ لِلْعِلْمِ عِبَقَةً وَعَرَفًا يُنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ . وَنُورًا وَضِيَاءً
 يُشْرِقُ عَلَيْهِ وَيَدِلُّ عَلَيْهِ . كَتَّاجِرِ مِسْكِ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ . وَلَا تُجْهَلُ
 بِضَاعَتُهُ . وَكَمَنْ يَمْشِي بِمِشْعَلٍ فِي لَيْلٍ مُدْلِمَةٍ . وَالْعَالِمُ مَعَ هَذَا
 مَحْبُوبٌ أَيْنَ مَا كَانَ . وَكَيْفَ مَا كَانَ لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ . وَيُؤَثِّرُ
 قُرْبَهُ وَيَأْنِسُ بِهِ . وَيَرْتَاحُ بِمِدَانَاتِهِ

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعُلُومَ تَغُورُ . ثُمَّ تَنْوَرُ . تَغُورُ فِي زَمَانٍ . وَتَنْوَرُ فِي
 زَمَانٍ . بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ أَوْ عِيُونِ الْمِيَاهِ . وَتَنْتَقِلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ .
 وَمِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ

قَالَ : أَجْعَلُ كَلَامَكَ فِي الْأَغَابِ بِصِفَاتٍ أَنْ يَكُونَ وَجِيزًا
 فَصِيحًا فِي مَعْنَى مُهِمٍّ أَوْ مُسْتَحْسِنٍ . فِيهِ الْغَايُ مَا وَإِيهَامٌ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ .
 وَلَا تَجْعَلْهُ مُهْمَلًا كَدَلَامِ الْجُمْهُورِ بَلْ رَفَعَهُ عَنْهُمْ وَلَا تَبَاعِدْهُ عَلَيْهِمْ جِدًّا
 وَقَالَ : إِيَّاكَ وَالْمَذْرُوعَ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَعْنِي . وَإِيَّاكَ وَالسُّكُوتَ فِي
 مَحَلِّ الْحَاجَةِ وَرُجُوعِ النُّوبَةِ إِلَيْكَ . إِمَّا لِإِسْتِخْرَاجِ حَقِّ . أَوْ اجْتِلَابِ
 مَوَدَّةٍ . أَوْ تَنْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةٍ . وَإِيَّاكَ وَالصَّحْكَ مَعَ كَلَامِكَ . وَكَثْرَةَ
 الْكَلَامِ . وَتَبْتِيرَ الْكَلَامِ . بَلْ أَجْعَلْ كَلَامَكَ سَرْدًا بِسُكُونٍ وَوَقَارٍ .

بِحَيْثُ يُسْتَشْعَرُ مِنْكَ أَنْ وَرَاءَهُ أَكْثَرُ مِنْهُ . وَأَنَّهُ عَنِ خَيْرَةٍ سَابِقَةٍ .
وَنَظَرٍ مُتَقَدِّمٍ .

وَقَالَ : إِيَّاكَ الْغَلْظَةُ فِي الْحِطَابِ . وَالْحِفَاءُ فِي الْمُنَازَرَةِ فَإِنَّ
ذَلِكَ يَذْهَبُ بِهَيْجَةِ الْكَلَامِ وَيُسْقِطُ فَايِدَتَهُ . وَيُعِدُّمُ حَلَاوَتَهُ . وَيَجْلِبُ
الضَّغَائِنَ . وَيُجَيِّقُ الْمَوَدَّاتِ . وَيُصَيِّرُ الْقَائِلَ مُسْتَشْفَلًا . سَكُوتُهُ أَشْهَى
إِلَى السَّمْعِ مِنْ كَلَامِهِ . وَيُيْمِرُ النُّفُوسَ عَلَى مُعَانَدَتِهِ وَيَبْسُطُ
الْأَلْسِنَ بِمَخَاشِنَتِهِ وَإِذْهَابِ حُرْمَتِهِ .

وَقَالَ : لَا تَتَرَفَّعْ بِحَيْثُ تُسْتَقْبَلُ . وَلَا تَتَنَازَلْ بِحَيْثُ تُسْتَحْشَرُ
وَلْتَسْتَحْشَرُ . وَقَالَ : اجْعَلْ كَلَامَكَ كُلَّهُ جَدًّا . وَأَجِبْ مِنْ حَيْثُ تَعْقَلُ .
لَا مِنْ حَيْثُ تَعْتَادُ وَتَأَلَّفُ . وَقَالَ : أَنْتَرِخْ عَنِ عَادَاتِ الصِّبَا . وَتَجَرَّدْ
عَنِ الْمَوْفَاتِ الطَّبِيعَةِ . وَاجْعَلْ كَلَامَكَ لَأَهْوَاتِيَا فِي الْغَالِبِ لَا يَنْفَكُ
عَنْ خَيْرٍ أَوْ قَوْلٍ حَكِيمٍ . أَوْ بَيْتِ نَادِرٍ . أَوْ مِثْلِ سَائِرِ

وَقَالَ : تَجَنَّبِ الْوَقِيعَةَ فِي النَّاسِ . وَثَابِ الْمُلُوكِ وَالْغَاظَةَ عَلَى
الْمُعَاشِرِ . وَكَثْرَةَ الْغَضَبِ . وَتَجَاوَزِ الْحَدَّ فِيهِ . وَقَالَ : أَسْتَبْكُرُ مِنْ
حِفْظِ الْأَشْعَارِ الْأَمْثَالِيَّةِ . وَالنَّوَادِرِ الْحِكْمِيَّةِ . وَالْمَعَانِي الْمُسْتَعْرَبَةِ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ

من ذثر اللآلي لعلّي بن أبي طالب

١١٢ (١). إِيْمَانُ الْمَرْءِ يُعْرَفُ بِإِيْمَانِهِ . أَدَبُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَبِهِ .
 آدَاءُ الدِّينِ مِنَ الدِّينِ . أَحْسِنِ إِلَى الْمَسِيءِ تُسَدِّ . إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ
 جَوَاسِيْسُ الْعُيُوبِ . أَخُوكَ مِنْ وَاسَاكَ بِنَشَبٍ لَأَمِنْ وَاسَاكَ بِنَسَبٍ .
 (ب) . بَشَّرَ نَفْسَكَ بِالظَّفْرِ بَعْدَ الصَّبْرِ . بَرَكَةُ الْمَالِ فِي آدَاءِ الزَّكَاةِ .
 بَعِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ تَرْمَحْ . بُكَاءُ الْمَرْءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى قُرَّةُ الْعَيْنِ .
 بَاكِرٌ تَسْعُدُ . بَطْنُ الْمَرْءِ عَدُوُّهُ . بَرَكَةُ الْعُمْرِ حَسَنُ الْعَمَلِ . بَلَاءُ
 الْإِنْسَانِ مِنَ اللِّسَانِ . بَشَاشَةُ الْوَجْهِ عَطِيَّةٌ ثَانِيَةٌ . (ت) . تَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ يَكْفِكَ . تَدَارَكَ فِي آخِرِ الْعُمْرِ مَا فَاتَكَ فِي أَوَّلِهِ . تَكَاسَلُ الْمَرْءِ
 فِي الصَّلَاةِ مِنْ ضَعْفِ الْإِيْمَانِ . تَغَافَلَ عَنِ الْمَكْرُوهِ تَوَقَّرَ . (ث) ثُلْمَةٌ
 الدِّينِ مَوْتُ الْعُلَمَاءِ . ثَبَاتُ الْمُلْكِ بِالْعَدْلِ . ثَوَابُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ
 نَعِيمِ الدُّنْيَا . ثَنَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مُعْطِيهِ مُسْتَرِيدٌ . (ج) . جُدْ بِمَا تَجِدُ .
 جَوْلَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ وَجَوْلَةُ الْحَقِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ . جَوْدَةُ الْكَلَامِ
 فِي الْإِخْتِصَارِ . جَلِيْسُ الْمَرْءِ مِثْلُهُ . جَلِيْسُ الْمَرْءِ غَنِيْمَةٌ . جَالِسُ الْفُقَرَاءِ
 تَرْدُ شُكْرًا . جَلَّ مَنْ لَا يَمُوتُ . (ح) . حَيَاةُ الْمَرْءِ سِتْرُهُ . حُمُوضَاتُ
 الطَّعَامِ . خَيْرٌ مِنْ حُمُوضَاتِ الْكَلَامِ . (خ) . خَفِيَ اللَّهُ تَأْمَنَ غَيْرَهُ .

خَالَفَ نَفْسَكَ تَسْتَرِحَ . خَيْرُ الْأَصْحَابِ مَنْ يَدُوكَ عَلَى الْخَيْرِ . خَلِيلُ
 الْمَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ . خَوْفُ اللَّهِ يُجْلُو الْقَلْبَ . خُلُو الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ مَلَأِ
 الْكَيْسِ . خَيْرُ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . (د) . دَلِيلُ عَقْلِ الْمَرْءِ
 فِعْلُهُ وَدَلِيلُ عِلْمِهِ قَوْلُهُ . دَوَامُ السُّرُورِ بَرُوءَةٌ لِإِخْوَانِهِ . دَوْلَةُ
 الْأَرْذَالِ آفَةٌ لِلرِّجَالِ . دِينَ الرَّجُلِ حَدِيثُهُ . دَوْلَةُ الْمُلُوكِ فِي الْعَدْلِ .
 دَارٍ مِنْ جَفَاكَ تَحْجِيلاً . دَمٌ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ تُحْمَدُ عَوَاقِبُكَ . (ذ) . ذَنْبٌ
 وَاحِدٌ كَثِيرٌ وَذِكْرٌ وَآلُفٌ طَاعَةٌ قَلِيلٌ . ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ يُنْزِلُ الرَّحْمَةَ .
 ذَلِيلُ الْخَلْقِ عَزِيزٌ عِنْدَ اللَّهِ . ذِكْرُ الْمَوْتِ جَلَاءُ الْقَلْبِ . ذِكْرُ الشَّبَابِ
 حَسْرَةٌ . (ر) . رُؤْيَةُ الْحَبِيبِ جَلَاءُ الْعَيْنِ . رِقَابِيَّةُ الْعَيْشِ فِي الْأَمْنِ .
 رَسُولُ الْمَوْتِ الْوَلَادَةُ . (ز) . زِيَارَةُ الْحَبِيبِ إِطْرَاءُ الْمَحَبَّةِ . زَوَايَا
 الدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِالرَّزَايَا . زِيَارَةُ الضُّعْفَاءِ مِنَ التَّوَاضُعِ . زِينَةُ الْبَاطِنِ
 خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ الظَّاهِرِ . (س) . سِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْلِي عَنْ سَرِيَّتِهِ . سَمُو
 الْمَرْءِ التَّوَاضُعُ . (ش) . شَيْنُ الْعِلْمِ الصَّافُ . شَمْرُ وَفِي طَابِ الْجَنَّةِ .
 شَيْبُكَ نَاعِيكَ . شَحِيمٌ غَنِيٌّ أَفْقَرٌ مِنْ فَقِيرٍ سَخِيٍّ . (ص) . صِدْقُ الْمَرْءِ
 نَجَاتُهُ . صِحَّةُ الْبَدَنِ فِي الصَّوْمِ . الصَّبْرُ يُورِثُ الظَّفَرَ . صَلَاةُ الْإِيْلِ
 بِهَاءِ النَّهَارِ . صَلَاحُ الْإِنْسَانِ . فِي حِفْظِ اللِّسَانِ . صَاحِبُ الْأَخْيَارِ .
 تَأْمِنُ الْأَشْرَارَ . صَمْتُ الْجَاهِلِ سِتْرُهُ . صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْوَرَعِ وَفَسَادُهُ
 فِي الطَّمَعِ . (ض) . ضَلَّ سَعْيِي مِنْ رَجَاغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى . ضَرْبُ الْحَبِيبِ
 أَوْجَعُ . ضَلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى الْأَشْرَارِ . (ط) . طَابَ مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ . طَلَبُ

الْأَدَبِ أَوْلَى مِنْ طَلَبِ الذَّهَبِ . (ظ) . ظَلَمَ الْمَرْءُ بِصِرْعِهِ . ظُلَامَةٌ
 الْمَظْلُومِ لَا تَضِيعُ . ظَهْمًا أَمَّا لِي أَشَدُّ مِنْ ظَهْمِ الْمَاءِ . ظَلَّ عُمَرُ الظَّالِمِ قَصِيرٌ .
 وَظَلَّ عُمَرُ الْكَرِيمِ فَسَجَّ . (ع) . عِشْ قَبْعًا تَكُنْ مَلَكًا . عَيْبُ الْكَلَامِ
 تَطْوِيلُهُ . عَاقِبَةُ الظَّالِمِ وَخِيْمَةٌ . (غ) . عَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْإِسَاءَةِ .
 (ف) . فَازَ مَنْ ظَفَرَ بِالدِّينِ . فَخْرُ الْمَرْءِ بِفَضْلِهِ . أَوْلَى مِنْ فَخْرِهِ بِأَصْلِهِ .
 فَازَ مَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ . فَسَدَتْ نِعْمَةٌ مِنْ كَفَرَهَا . (ق) . قَبُولُ
 الْحَقِّ مِنَ الدِّينِ . (ك) . كَلَامُ اللَّهِ دَوَاءُ الْقَلْبِ . كُفِّرَانَ النِّعْمَةِ
 مُزِيلُهَا . كَفَى بِالشَّيْبِ دَاءً . كَمَالَ الْعِلْمِ فِي الْجَاهِلِ . (ل) . لَيْزُ الْكَلَامِ
 قَيْدُ الْقُلُوبِ . (م) . مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ . كَثُرَ مَلَامُهُ . مَجْلِسُ الْعِلْمِ
 رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ . مُصَاحِبَةُ الْأَشْرَارِ رُكُوبُ الْبُحْرِ . (ن) .
 نَسِيَانُ الْمَوْتِ صَدَأُ الْقَلْبِ . نَمَّ آمِنًا تَكُنْ فِي أَمَدِ الْفُرْشِ . نَضْرَةٌ
 الْوَجْهِ فِي الصِّدْقِ . (و) . وَلَا يَهْ أَلْحَقِ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ . وَحِدَةٌ
 الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ . (هـ) . هَمُّ السَّعِيدِ آخِرَتُهُ وَهَمُّ الشَّقِيِّ
 دُنْيَاؤُهُ . هَلَاكُ الْمَرْءِ فِي الْعُجْبِ . هَرَبُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْفَعُ مِنْ هَرَبِكَ
 مِنَ الْأَسَدِ . (لا) . لَا دِينَ لِمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ . لَا فِقْرَ لِمَنْ لَا عَاقِلَ . (ي) .
 يَعْمَلُ النَّوَامُ فِي سَاعَةِ فِتْنَةِ أَشْهُرٍ . يَسُودُ الْمَرْءُ قَوْمَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ

نذرة

من كتاب غرر الحكم ودرر الكلم جمعها عبد الواحد بن محمد بن كلام علي بن أبي طالب

١١٣ (١) . الدِّينُ يَعِصِمُ . الدُّنْيَا تُسَلِّمُ . الصِّيَانَةُ رَأْسُ الْمَرْوَةِ . الْحَقُّ

سَيْفٌ قَاطِعٌ . الْعَجْبُ عُنْوَانُ الْحَمَاقَةِ . الْبَشَاشَةُ حَبْلُ الْمَوَدَّةِ . الْإِرْتِقَاءُ
إِلَى الْفَضَائِلِ صَعْبٌ . الْإِنْحِطَاطُ إِلَى الرِّذَائِلِ سَهْلٌ . السُّكُوتُ عَنْ
الْأَهْقِ جَوَابُهُ . إِمَامٌ عَادِلٌ . خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ . الْمُحْسِنُ حَيٌّ وَإِنْ
نُقِلَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَمْوَاتِ . الْعَاقِلُ إِذَا سَكَتَ فَكَّرَ . وَإِذَا نَطَقَ ذَكَرَ
وَإِذَا نَظَرَ أَعْتَبَرَ . الدَّاعِي بِالْعَمَلِ كَالْقَوْسِ بِالْوَتْرِ . إِعْجَابُ الرَّجُلِ
بِنَفْسِهِ عُنْوَانُ ضَعْفِ عَمَلِهِ . أَحْسَنُ الْجُودِ عَفْوٌ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ . (ب) .
بُرُكُوبُ الْأَهْوَالِ . تَكْسِبُ الْأَمْوَالِ . بِالسَّخَاءِ يُسْتَرُّ الْعُيُوبُ . (ت) .
تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُوبٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . (ث) . ثُوبُ التَّقَى أَشْرَفُ
الْمَلَابِسِ . ثُوبُ الْآخِرَةِ يُنْسِي مَشَقَّةَ الدُّنْيَا . ثَرْوَةُ الْعَاقِلِ فِي عِلْمِهِ
وِثْرَةُ الْجَاهِلِ فِي مَالِهِ . ثَلَاثٌ يُوجِبْنَ الْمَحَبَّةَ الدِّينَ وَالتَّوَاضُعَ وَالسَّخَاءَ .
(ج) . جِهَادُ النَّفْسِ أَفْضَلُ الْجِهَادِ . (ح) . حُسْنُ الْأَدَبِ يُسْتَرُّ فُجُورُ
النَّسَبِ . حَلَاوَةُ الظَّفَرِ تَعُو مَرَارَةَ الصَّبْرِ . حَدُّ اللِّسَانِ يَقْطَعُ
الْأَوْصَالَ . (خ) . خَيْرُ الثَّنَاءِ مَا جَرَى عَلَى اللِّسَانِ الْأَخْيَارِ . (د) . دَوَامُ
الْفِتَنِ . مِنْ أَعْظَمِ الْعَجَنِ . (ر) . رَبُّ سُكُوتٍ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامٍ .
(ز) . زَلَّةُ الْعَالَمِ كَأَنْكَسَارِ السَّفِينَةِ تَغْرَقُ وَتُغْرَقُ مَعَهَا غَيْرُهَا .
زَخَارِفُ الدُّنْيَا تُفْسِدُ الْعُقُولَ الضَّعِيفَةَ . (س) . سِلَاحُ اللِّثَامِ قُبْحُ
الْكَلَامِ . سَمْعُ الْأُذُنِ لَا يَنْفَعُ مَعَ غَفْلَةِ الْقَلْبِ . (ش) . شَرُّ النَّاسِ مَنْ
لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا . شَيْئَانِ لَا يُعْرَفُ فَضْلُهُمَا إِلَّا مِنْ
فَقْدِهِمَا الشَّبَابُ وَالْعَافِيَةُ . (ص) . صَمْتُكَ حَتَّى تُسْتَنْطِقَ أَجْمَلُ مِنْ

نُطِقَتْ حَتَّى تُسَكَّتَ . صَوْمُ النَّفْسِ عَنِ لَذَاتِ الدُّنْيَا أَفْضَلُ الصِّيَامِ .
صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ . (ض) . ضَعْفُ فَخْرِكَ وَأَحْطَطُ كِبْرِكَ
وَكَمَا تَرْدَعُ تَحْصُدُ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . ضَعْفُ الْبَصْرِ لَا يَضُرُّ مَعَ اسْتِنَارَةِ
الْبَصِيرَةِ . (ط) . طُوبَى لِمَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ وَلَمْ تَغْلِبْهُ . وَمَلَكَ هَوَاهُ
وَلَمْ يَمْلِكْهُ . طَلَبُ الشَّنَاءِ بَغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ خُرْقٌ . (ظ) . ظَنُّ الْعَاقِلِ
أَصْحَحُ مِنْ يَقِينِ الْجَاهِلِ . ظَرْفُ الرَّجُلِ تَنْزُهُهُ عَنِ الْمَحَارِمِ وَمُبَادَرَتُهُ
إِلَى الْمَكَارِمِ . (ع) . عَلَيْكَ بِالْآخِرَةِ تَأْتِكَ الدُّنْيَا صَافِرَةً . عِنْدَ
الْإِمْتِحَانِ يَكْرُمُ الْمَرْءُ أَوْ يِهَانُ . عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكِ دَارِ
الْبَقَاءِ . عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ . عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذَلُّ
مِنْ عَبْدِ الرِّقِّ . عَبْدُ الْمَطَامِعِ أَسِيرٌ لَا يَفُكُّ أَسْرَهُ . عَاشِرُ أَهْلِ
الْقَضَائِلِ تَنْبُلُ . عِدَاوَةُ الْأَقَارِبِ أَمْسٌ مِنْ أَسْعِ الْعَقَارِبِ . (غ) .
غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ . غِنَى الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ . غِنَى الْعَاقِلِ
فِي حِكْمَتِهِ . غِنَى الْجَاهِلِ فِي قُنَيْتِهِ . (ف) . فِي الذِّكْرِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ .
فِي رِضَا اللَّهِ نَيْلُ الْمَطْلُوبِ . فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ . فِي الْآخِرَةِ
الْحِسَابُ وَلَا عَمَلٌ . فِي الْأَسْتِشَارَةِ عَيْنُ الْهُدَايَةِ . فَتَدُ الْبَصْرَ أَهْوَنُ مِنْ
فَقْدِ الْبَصِيرَةِ . (ق) . قَدْ يَبْعُدُ الْقَرِيبُ . قَدْ يَلِينُ الصَّابِيُّ . قَلَّةُ الْأَكْلِ
تَمْتَعُ كَثِيرًا مِنْ أَعْلَالِ الْجِسْمِ . قُلُوبُ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ . قَلِيلُ الْحَقِّ
يُدْفَعُ كَثِيرَ الْبَاطِلِ كَمَا أَنَّ قَلِيلَ النَّارِ يُحْرِقُ كَثِيرَ الْخُطْبِ . (ك) . كُلُّ
طَيْرٍ يَأْوِي إِلَى شَكْلِهِ . كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ . كُلُّ

وَعَاءٌ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا الْعَامَ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . كَمْ يُفْتَحُ بِالصَّبْرِ مِنْ
غَلَقٍ . كَيْفَ يَنْجُو مِنَ اللَّهِ هَارِبُهُ . كَيْفَ يَسْلَمُ مِنَ الْمَوْتِ طَالِبُهُ . كُنْ
عَالِمًا نَاطِقًا أَوْ مُسْتَمِعًا وَاعِيًا . كَلَامُ الرَّجُلِ مِيزَانُ عَقْلِهِ . كُلَّمَا قَارَبْتَ
أَجَلَ . فَأَحْسِنْ عَمَلًا . (ل) . لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكِرَامِ . تَأْخِيرُ الْإِنْعَامِ .
لِلشَّدَائِدِ تُذْخِرُ الرَّجَالَ . (م) . مَنْ تَوَقَّرَ وَقَرَّ . وَمَنْ تَكَبَّرَ حَقَّرَ . مَنْ
اسْتَشَارَ الْعَاقِلَ مَلَكَ . مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ . مَا حَقَرَ نَفْسَهُ إِلَّا عَاقِلٌ .
مَا أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ إِلَّا جَاهِلٌ . (ن) . نِعْمَ الْإِدَامُ الْجُوعُ . (ه) . هُدْيَ مَنْ
أَطَاعَ رَبَّهُ . وَخَافَ ذَنْبَهُ . هَلَكَ أَمْرُهُ لَا يَعْرِفُ قُدْرَهُ . هَانَتْ عَلَيْهِ
نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهِ لِسَانَهُ . (و) . وَقَرُّوا كِبَارَكُمْ تَوَقَّرْكُمْ صِغَارَكُمْ .
وَقَارُ الشَّيْبِ أَجْمَلُ مِنْ نَضَارَةِ الشَّبَابِ . (لا) . لَا تَثِقَنَّ بِعَهْدٍ مَنْ لَا
دِينَ لَهُ . لَا تَعْدُ مَا تَعْجُزُ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ . لَا تَثِقْ بِمَنْ يُذِيعُ سِرَّكَ . لَا
يَسْتَرِيقُكَ الطَّمَعُ فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حَرًّا . (ي) . يُسْتَدَلُّ عَلَى الْكَرِيمِ
بِحُسْنِ بَشْرِهِ وَبِذَلِّ خَيْرِهِ . يُسْتَدَلُّ عَلَى إِذْبَارِ الدُّوْلِ بِأَرْبَعِ تَضْيِيعِ
الْأَصُولِ وَالْتِمَسِكِ بِالْفُرُوعِ وَتَقْدِيمِ الْأَرْذَالِ وَتَأْخِيرِ الْأَفَاضِلِ .
يَبْلُغُ الصَّادِقُ بِصِدْقِهِ . مَا لَا يَبْلُغُهُ الْكَاذِبُ بِأَحْتِيَالِهِ

نخبة امثال انتقاها الابشيهي

١١٤ (١) . إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ . حَلَّ الْبَلَاءُ . إِذَا أَصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ
فَأَسْتَرَهُ وَإِذَا أَصْطَنَعَ إِلَيْكَ فَأَنْشُرَهُ . أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدِ
الشَّهْوَةُ دِينَهُ . أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ إِغَاثَةُ الْمُهَوِّفِ . أَظْهَرُ النَّاسِ مَحَبَّةً

أَحْسَنُهُمْ لِقَاءً . إِيَّاكَ وَفُضُولَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مِنْ عُيُوبِكَ مَا بَطَّنَ .
وَيُحَرِّكُ مِنْ عَدْوِكَ مَا سَكَنَ . (ب) بِالتَّائِي تَسْهَلُ الْمَطَالِبُ . بِمُخْفَضِ
الْجَانِبِ تَأْتِسُ النَّفُوسُ . (ث) . ثَمَرَةُ الْعُلُومِ الْعَمَلُ بِالْمَعْلُومِ . (ح) .
الْحَازِمُ مَنْ حَفِظَ مَا فِي يَدِهِ . وَلَمْ يُؤَخِّرْ شُغْلَ يَوْمِهِ لِعَدِيدِهِ . حَقٌّ يَضُرُّ
خَيْرٌ مِنْ بَاطِلٍ يَسُرُّ . (خ) خَيْرُ النَّاسِ مَنْ أَخْرَجَ الْحَرْصَ مِنْ قَلْبِهِ .
وَعَصَى هَوَاهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ . خَيْرُ الْمَالِ مَا أُخِذَ مِنَ الْحَلَالِ . وَصُرِفَ فِي
النَّوَالِ . (ر) الرَّفْقُ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ . (ش) . شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَنْصُرُ
الظَّالِمَ وَيَخْذُلُ الْمَظْلُومَ . (ص) . صَاحِبُ الْعَقْلِ مَغْبُوطٌ . صَدَاقَةٌ
أَجَاهِلٍ تَعَبٌ . (ع) عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ . كَدَوَاءٌ لَا يَنْجِعُ . عِظِ الْمُسِيءِ بِحُسْنِ
أَفْعَالِكَ . وَدَلَّ عَلَى الْجَمِيلِ بِجَمِيلٍ خِلَالِكَ . عَثْرَةُ الرَّجُلِ تَزِيلُ
الْقَدَمَ . وَعَثْرَةُ اللِّسَانِ تَزِيلُ النِّعَمَ . الْعَجَلَةُ أُخْتُ النَّدَامَةِ . (ق) . قَدْ
خَاطَرَ مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ . (ك) . كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ وَتَرْجَمَانُ عَقْلِهِ .
كُلُّ يَنْفِرُ مِنْ ضِدِّهِ وَيَمِيلُ إِلَى جَنْبِهِ . (ل) . لَا تَفْتَحْ بَابًا يُعْيِكَ
سُدَّهُ . اللِّسَانُ سَيْفٌ قَاطِعٌ لَا يُؤْمَنُ حُدُّهُ . وَالْكَلَامُ سَهْمٌ نَافِذٌ لَا
يُمْكِنُ رَدُّهُ . لَا يَجِدُ الْعُجُولُ فَرَحًا وَلَا الْعَضُوبُ سُرُورًا وَلَا الْمَلُولُ
صَدِيقًا . لَا يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ وَدُودٍ يَمْدَحُ وَعَدُوٍّ يَمْدَحُ . (م) . مَنْ طَاعَ
هَوَاهُ . بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَاهُ . مَنْ لَزِمَ الطَّمَعِ عَدِمَ الْوَرَعَ . مَنْ قَرَّبَ السَّفَلَةَ
وَأَطْرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ اسْتَحَقَّ الْخِذْلَانَ . مَنْ عَمَّا تَفَضَّلَ .
مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ فَقَدْ حَلَمَ . مَنْ حَامَ فَقَدْ صَبَرَ . مَنْ صَبَرَ فَقَدْ ظَفَرَ . مَنْ

أَكْثَرَ مِنْ مَقَالِهِ سِيمَ . وَمِنْ سَوَالِهِ حَرَمَ . مَنْ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ .
 مَنْ رَجَعَ فِي هَيْبَتِهِ بِالْبَغِ فِي خِسْتِهِ . مَنْ جَادَ بِمَالِهِ جَلَّ . وَمَنْ جَادَ
 بِعَرِضِهِ ذَلَّ . مَنْ حَفَرَ حَفِيرًا لِأَخِيهِ كَانَ حَتْفَهُ فِيهِ . مَنْ قَالَ مَا لَا
 يَنْبَغِي سَمِعَ مَا لَا يَشْتَهِي . مَنْ لَزِمَ الرُّقَادَ . عَدِمَ الْمُرَادَ . مَنْ نَظَرَ فِي
 الْعَوَاقِبِ . سَلِمَ مِنَ النَّوَابِ . مَنْ أَسْرَعَ فِي الْجَوَابِ . أَخْطَأَ فِي
 الصَّوَابِ . مَنْ حَسَنَتْ خِصَالُهُ . طَابَ وَصَالُهُ . مَنْ عُرِفَ بِشَيْءٍ
 نُسِبَ إِلَيْهِ . (ن) نَصْرَةٌ الْحَقِّ شَرَفٌ . وَنَصْرَةٌ الْبَاطِلِ سَرَفٌ

نخبة امثال اوردها بهاء الدين العاملي في الكشكول

١١٥ (ا) . إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرَدَ مَا يَكُونُ . إِذَا هَرَبَ الزَّاهِدُ مِنَ
 النَّاسِ فَأُطْلِبَهُ . إِذَا ذَكَرَ جَابِسُكَ عِنْدَكَ أَحَدًا بِالسُّوءِ فَأَعْلَمَ أَنَّكَ
 ثَانِيهِ . أَفْضَلُ الزَّادِ مَا تُرَوِّدُ لِلْمَعَادِ . إِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَسَدِ فَلَا تَطْمَعُ
 فِي صَيْدِهِ . أَوَّلُ الْمَعْرِفَةِ الْإِخْتِبَارُ . أَيَسَّرُ شَيْءٌ الدُّخُولَ فِي الْعِدَاوَةِ
 وَأَصْعَبُ شَيْءٌ الْخُرُوجَ مِنْهَا . (ب) . بَعْضُ الْكَلَامِ . أَقْطَعُ مِنَ
 الْحَسَامِ . (ت) . التَّقِي مُجِمْ . (خ) . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ . خَيْرُ
 سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . (د) . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلُهُ . (ر) . رَبُّ أَكَلَةٍ
 تَمْتَعُ أَكَلَاتِ . الرِّفْقُ يَمُنُّ وَالْحَرْقُ سُومٌ . (س) . السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ
 بغيرِهِ . (ص) . صَغِيرُ الشَّرِّ يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . (ع) . عِنْدَ الْغَايَةِ يُعْرَفُ
 السَّبْقُ . (ق) . قَبْلَ الرَّمَايَةِ تَمَلُّ الْكِنَانُ . الْقَرِيبُ مَنْ قَرَّبَ نَفْعَهُ .
 الْقَوْلُ يَنْفَعُ مَا لَا يَنْفَعُ الْإِبْرُ . قِيدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ . (ك) . كَلْبٌ

جَوَّالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ . كُلُّ مَبْذُولٍ . مَمْلُولٍ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ
 فِيهِ . كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . (ل) . لَا
 تُبْلَغُ الْغَايَاتُ بِالْأَمَانِيِّ . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ . لِكُلِّ
 سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ . لَيْسَ مِنْكَ مَنْ عَشَّكَ . (م) . مَا حَاكَ جِلْدَكَ مِثْلُ
 ظَفْرِكَ . مَنْ أَفْسَدَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَعَلَى يَدَيْهِمَا هَلَاكُهُ . مَنْ جَرَى فِي
 عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَتْ رِجْلُهُ بِأَجَلِهِ . مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَأَتَقَهُ . مَنْ
 لَانَ عُوْدُهُ كَثُفَتْ أَعْصَانُهُ . مَنْ لَمْ تُصْلِحْهُ الْكِرَامَةُ أَصْلَحْهُ الْهُوَانُ .
 مَنْ يَزْرَعِ الْمَعْرُوفَ يَحْصِدِ الشُّكْرَ

١١٦ آيَاتٌ تَمَثَّلُ بِهَا الْعَرَبُ لِشِعْرَاءَ مُخْتَلَفِينَ :

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَلْقَى الْعَصَا فَقَدْ بَطَلَ السِّحْرُ وَالسَّاحِرُ
 إِذَا كَانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالْذِفِّ مُوَلَعًا فَشِيَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ كُلِّهِمُ الرِّقْصُ
 إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَ نَمَلَةٍ سَمَتْ بِجَنَاحِهَا إِلَى الْجَوْ تَصْعَدُ
 أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا وَالشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنَعُ
 أَقَلُّ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبِ يَمِيلُ مَعَ النِّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ
 الْأَنْكَلُ شَيْءٌ مَا خَلَا اللَّهُ بِاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا نَحَالَةَ زَائِلُ
 إِنْ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرَبُّ جِدِّ جَرُّهُ الْمَزَاحُ
 أَمَّنِّي عَلَى الزَّمَانِ مُحَاَلَا أَنْ تَرَى مُقَاتِلَيَّ طَلَمَةَ حُرِّ
 إِذَا ضَاعَ شَيْءٌ بَيْنَ أُمِّ وَبَنَاتِهَا فَإِحْدَاهُمَا يَأْصَاحُ لِأَشْكَ أَخِذَهُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسَامَ سَائِرُهُ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَشِقُ السَّحِيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
 أَنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ فِي حِينِهَا وَأَلْتَقِطِ الْجُوزَ إِذَا يَثُرُ
 أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا قَدْ مَضَى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسِ خَلْقٍ
 أَقْرُرُ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْلُبُ تَجَاوُزَنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُجُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانُ
 إِذَا أُمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكَشَفَتْ لَهُ عَنِ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
 جَرَبَتْ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتَ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضَا
 حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوْتُ مَا أَكْثَرَ الْقُوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ
 حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ لَوْلَا الدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلَا وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ الْمَطَرُ
 رَبِّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولِ الْحَسْبِ
 الرِّزْقُ يُخْطِئُ بَابَ عَاقِلٍ قَوْمِهِ وَيَبِيْتُ بَوَابًا بِبَابِ الْأَحْقِ
 سَتَبَدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَرُودِ
 ضَاقَتْ وَلَوْ لَمْ تَضِقْ لَمَّا أَنْفَرَجَتْ وَالْعُسْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَيْسُورِ
 الْعَنْزُ لَا يَسْمَنُ إِلَّا بِالْعَلْفِ لَا يَسْمَنُ الْعَنْزُ بِقَوْلِ ذِي لَطْفِ
 فَإِنَّ تَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ تُخْبِرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الضَّمِيرِ
 فَأَقْطَعِ حَبَائِلَ خَلٍّ لَا تَلَاثِمُهُ فَرَجًا ضَاقَتْ الدُّنْيَا بِإِثْنَيْنِ
 الْقَمَرُ فِيهَا جَاوَزَ الْكَنَفَا مَنْ أَتَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
 فِي كُلِّ مُسْتَحْسَنٍ عَيْبٌ بِالرَّيْبِ مَا يَسْلَمُ الذَّهَبُ إِلَّا بِرَيْدٍ مِنْ عَيْبِ
 فَلَوْ كَانَ حَمْدُ يُخْلِدُ الْمَرْءَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنْ حَمْدُ الْمَرْءِ غَيْرُ مُخْلِدِ

قَدَرُ لِرَجَاكَ قَبْلَ اَلْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
 قَدْ يَدْرِكُ اَلْمُنَانِي حَسَنَ حَاجَتِهِ
 قَدْ يُنْعِمُ اَللّٰهُ بِالْبَلَوَى وَاِنْ عَظُمَتْ
 قَدْ يَدْرِكُ اَلشَّرْفَ اَلْفَتَى وِرْدَاوَهُ
 كَانَ يُقَالُ مَنْ اَتَى خِوَانَا
 كَذَا قَضَى اَللّٰهُ فَيَكْفِي اَصْنَعُ
 اَلْكَلْبُ لَا يُذَكِّرُ فِي مَجْلِسِ
 كُنْتُ فِي كُرْبَتِي اَفْرُ اِلَيْهِمْ
 يَكُلُ اِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ
 يَكُلُ شَيْءٌ مَعْدِنٍ وَجَوْهَرٍ
 لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَاِنْ قَلَّ اَلْمُ
 لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاَسْتَرَاحَ بِمَيْتِ
 مَا اَنْتَفَعَ اَلْمَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ
 مَا زَالَتِ اَلدُّنْيَا لَنَا دَارَ اَذَى
 مَا كُنْتُ لَوْ اُكْرِمْتُ اَسْتَعْصِي
 مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ
 مَا عَاشَ مَنْ عَاشَ مَذْمُومًا اَخْصَا اَللّٰهُ
 مَا كَلَّفَ اَللّٰهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا
 مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ طَعَامٌ
 فَمَنْ عَلَا زَلَمًا عَنْ غِرَّةِ رَجَا
 وَقَدْ يَكُونُ مَعَ اَلْمُسْتَعْجِلِ اَلزَّلَالُ
 وَيَبْتَلِي اَللّٰهُ بَعْضَ اَلْقَوْمِ بِالنِّعَمِ
 خَلَقَ وَجِبُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعٌ
 مِنْ غَيْرِ اَنْ يُدْعَى اِلَيْهِ هَانَا
 اَلصَّمْتُ اِنْ ضَاقَ اَلْكَلَامُ اَوْسَعُ
 اِلَّا تَرَاهُ عِنْدَ مَا يُذَكَّرُ
 فَهَمُّ كُرْبَتِي فَاَيْنَ اَلْفِرَاقُ
 خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهِيَ ضِدَانِ
 وَاَوْسَطُ وَاَصْفَرُ وَاَكْبَرُ
 مَا اَطْوَلَ اَللَّيْلَ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يَنْعَمْ
 اِنَّمَا اَلْمَيْتُ مَيْتُ اَلْاَحْيَاءِ
 وَخَيْرُ ذُخْرِ اَلْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
 مَمْرُوجَةٌ اَلصَّفْوُ بِالْوَانِ اَلْمَهْدَى
 لَا يَهْرَبُ اَلْكُتَابُ مِنْ اَلْقُرْصِ
 يَكُونُ اَنْفَا بَيْنَ عَيْنَيْنِ
 وَلَمْ يَمُتْ مَنْ يَكُنْ اَلْخَيْرُ مَذْكُورًا
 وَلَا تَجُودُ يَدٌ اِلَّا بِمَا تَجُدُ
 فَمَا لَهُ فِي بَيْتِهِ مَقَامٌ

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَائِزَهُ
 مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصِدُ مَا يُسْرِبُهُ
 هُنَاكُمْ اللَّهُ بِالْدُنْيَا وَمَتَّعَكُمْ
 وَأَقْنَعِ بِمَا أَوْتَيْتَهُ تَلِ الْمُنَى
 وَإِذَا سَخَطَتْ لِضِرِّ حَالِكَ مَرَّةً
 وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ فَلَا تَسَلْ
 وَأَحْسِنْ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا بُدَّ مَيِّتٍ
 وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالْأَهْلَالِ وَضَوْوِنِهِ
 وَقَدْ تَسَلَبَ الْأَيَّامُ حَالَاتِ أَهْلِهَا
 وَمَا لِأَمْرِي طُولُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا
 وَالْمَرْءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقْطَعُهَا
 وَإِذَا زَعَتْ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ
 وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا
 وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ لِسَانَهُ
 وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا
 وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا
 وَكَمْ مِنْ فَتَى يُسَبِّحُ وَيُصْبِحُ آمِنًا
 لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ
 بِمَا نَجِبَ إِلَيْكُمْ مِنْهَا وَرِضَاهُ
 وَإِذَا دَهَتْكَ مُلِمَةٌ فَتَصَبَّرِ
 وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ قَدْ عَدَّتْ فَتَصَبَّرِ
 بَشْرًا تَعِشْ عَيْشَ الْكِرَامِ وَتُوجِرِ
 وَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِمَا كُنْتَ سَاعِيًا
 إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
 يُوَافِي تَمَامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ
 وَتَعْدُو عَلَى أَسَدِ الرِّجَالِ الثَّعَالِبُ
 يُجَادُّهُ طُولُ النَّشَاءِ فَيَنجَادُ
 وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
 لِلَّهِ ذَلِكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ
 وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْعَلِ
 رَزِيَّةً مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَمِيمٍ
 وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ
 وَأَنْتَ إِكْلٌ مَا تَهْوَى تَبْوَعُ
 عَدَّ أَهْلُ الْعَقْلِ قَلُوبًا فِي الْعَدَدِ
 وَقَدْ نَسِجَتْ أَكْفَانَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمِ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا
 وَابْكُلْ شَيْءًا أَفَّةً مِنْ جَنْبِهِ حَتَّى الْحَدِيدُ سَطَا عَلَيْهِ الْمُبْرَدُ
 وَمَنْ سَرَهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا
 يَزِيدُ تَفْضُلًا وَازِيدُ شُكْرًا وَذَلِكَ دَابُّهُ أَبَدًا وَدَائِي
 وَيَطْلُبُ الْإِنْسَانَ مِنْ فِعْلِهِ فَفِعْلُهُ عَنْ أَصْلِهِ يُخْبِرُ

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ عَنِ السِّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

الثعلب والديك

١١٧ حكي أَنَّ الثَّعْلَبَ مَرَّ فِي السَّحَرِ بِشَجْرَةٍ فَرَأَى فَوْقَهَا دِيكًا .
 فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَنْزِلُ نَصَلِي جَمَاعَةً . فَقَالَ : إِنْ الْإِلَهَامَ نَأْتِمُ خَلْفَ
 الشَّجْرَةِ فَأَيُّقُظُهُ . فَظَنَّ الثَّعْلَبُ فَرَأَى الْكَلْبَ وَوَلَّى هَارِبًا . فَنَادَاهُ
 الدِّيكُ مَا تَأْتِي لِنَصَلِي . فَقَالَ : قَدِ انْتَقَضَ وَضُوئِي فَأَصْبِرْ حَتَّى أُجِدَّ
 لِي وَضُوءًا وَأَرْجِعَ

الأسد والثعلب والذئب النمام

١١٨ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي آخِرِ كِتَابِ الْأَذْكِيَاءِ . قَالَ : مَرِضَ
 الْأَسَدُ فَعَادَتْهُ السَّبَاعُ وَالْوُحُوشُ مَا خَلَا الثَّعْلَبَ فَنَمَّ عَلَيْهِ الذِّئْبُ .
 فَقَالَ الْأَسَدُ : إِذَا حَضَرَ فَأَعْلِمْنِي . فَلَمَّا حَضَرَ الثَّعْلَبُ أَعْلَمَهُ الذِّئْبُ

بِذَلِكَ . وَكَانَ قَدْ أُخْبِرَ بِمَا قَالَهُ الذَّبُّ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَيْنَ كُنْتَ
يَا أَبَا الْفَوَارِسِ . فَقَالَ : كُنْتُ أَطْلُبُ لَكَ الدَّوَاءَ . قَالَ : وَأَيَّ شَيْءٍ
أَصَبْتَهُ . قَالَ : قِيلَ لِي : خَرَزَةٌ فِي عُرْقُوبِ أَبِي جَعْدَةَ . قَالَ : فَضَرَبَ
الْأَسَدُ يَدَيْهِ فِي سَاقِ الذَّبِّ فَأَذَمَاهُ . وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . وَخَرَجَ دَمُهُ
يَسِيلٌ عَلَى رِجْلِهِ . وَأَنْسَلَ الثَّعْلَبُ . فَهَرَّبَ بِهِ الذَّبُّ فَنَادَاهُ : يَا صَاحِبَ
الْحَنْفِ الْأَحْمَرِ إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَأَنْظِرْ مَا يَخْرُجُ مِنْكَ . فَإِنَّ
الْمَجَالِسَ بِالْأَمَانَاتِ

رجل وقبرة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَكُونُ وَابِصَةً تَسْمَعُ يَتَخَدَعُ لِكُلِّ شَيْءٍ
١١٩ رَجُلٌ صَادَقُ قُبْرَةٍ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي . قَالَ :
أَذْبَحُكَ وَأَكْكُكَ . قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَشْمِنُ وَلَا أُغْنِي مِنْ جُوعٍ .
وَلَا أَشْفِي مِنْ قَرَمٍ . وَلَكِنِّي أُعْلِمُكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ هِيَ خَيْرُكَ مِنْ
أَكْلِي : أَمَّا الْوَاحِدَةُ فَأَعْلِمُكَ إِيَّاهَا وَأَنَا عَلَى يَدِكَ . وَالثَّانِيَةُ إِذَا
صَرْتُ عَلَى الشَّجَرَةِ . وَالثَّالِثَةُ إِذَا صَرْتُ عَلَى الْجَبَلِ . قَالَ : نَعَمْ .
فَقَالَتْ وَهِيَ عَلَى يَدِهِ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَكَ . فَخَلَّى عَنْهَا . فَلَمَّا
صَارَتْ عَلَى الشَّجَرَةِ قَالَتْ لَهُ : لَا تُصَدِّقْ بِمَا لَا يَكُونُ . فَلَمَّا صَارَتْ
عَلَى الْجَبَلِ قَالَتْ : يَا شَقِيُّ لَوْ ذَبَحْتَنِي لَوَجَدْتَنِي فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً
وَرِزْمًا عِشْرُونَ مِثْقَالًا . قَالَ : فَعَضَّ عَلَى شَفْتَيْهِ وَتَاهَفَ ثُمَّ قَالَ : هَاتِي
الْثَّالِثَةَ . قَالَتْ : قَدْ نَسِيتِ الثَّانِيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَكَيْفَ أُعْلِمُكَ الثَّالِثَةَ .

قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ . قَالَتْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَأْسَفَنَّ عَلَيَّ مَا فَإِنَّكَ .
 وَقَدْ تَأْسَفْتَ عَلَيَّ وَأَنَا فُتُّكَ . وَقُلْتُ لَكَ : لَا تُصَدِّقْ بِأَلَا يَكُونُ وَقَدْ
 صَدَّقْتَ . فَإِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ عِظَامِي وَلَحْمِي وَرَيْشِي لَمْ يَبْلُغْ عِشْرِينَ
 مِثْقَالًا . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي حَوْصَلَتِي ذُرَّةٌ وَزَنْهَا كَذَلِكَ (للشريشي)

الكلب والطبل

١٢٠ حكي أن كلباً كان من عادته إذا سمع صوت طبل في مكان
 يذهب إليه ويظن أن فيه عرساً أو وليمة . فعمل الناس حيلة على
 ذلك الكلب وتواطؤوا بأن يضربوا الطبل في قريتين كلما أتى
 الكلب إلى مَضْرِبِ الطبل يسكت ويضرب في القرية الأخرى .
 ففعلوا ذلك . فجعل الكلب يجري بين القريتين كلما جاء قرية منهما
 أسكتوا الطبل وضرب في القرية الأخرى . ولم يزل كذلك حتى
 مات الكلب جائعاً عطشاً (أنيس المجلس السيوطي)

الصيد والصدقة

وهو مثل من لا يميز بين الأمور

١٢١ حكي أن صياداً كان في بعض الخجان يصيد فيه السمك في
 زورق . فرأى ذات يوم في أرض الماء صدقة تتلألأ حسناً . فتوجهها
 جوهرًا له قيمة . وكان قد ألقى شبكته في البحر فأشتمت على سمكة
 كانت قوت يومه فخالها وقذف نفسه في الماء ليأخذ الصدقة . فلما
 أخرجها وجدها فارغة لاشيء فيها مما ظن . فندم على ترك ما في يده

لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي تَنَحَّى عَنِ
ذَلِكَ الْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَّتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا . وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً
سَنِيَّةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا . فَأَجْتَازَ بِهَا بَعْضُ
الصَّيَادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالَ (كَلِيلَةَ وَدَمْنَةَ)

العصفور والفخ

١٢٢ حُكِيَ أَنَّ عَصْفُورًا مَرَّ بِفَخٍّ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : مَا لِي أَرَاكَ
مُتَبَاعِدًا عَنِ الطَّرِيقِ . فَقَالَ الْفَخُّ : أَرَدْتُ الْعُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ لِأَمْنِ مِنْهُمْ
وَيَأْمِنُوا مِنِّي . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ مُقِيمًا فِي التُّرَابِ . فَقَالَ :
تَوَاضَعًا . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا لِي أَرَاكَ نَاجِلَ الْجِسْمِ . فَقَالَ : نَهَيْتَنِي
الْعِبَادَةَ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذَا الْجَبَلُ الَّذِي عَلَى عَاتِقِكَ . قَالَ : هُوَ
مَلْبَسُ النُّسَاكِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذِهِ الْعَصَا . قَالَ : أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
وَأَهْرُسُ بِهَا عَلَى غَنَمِي . فَقَالَ الْعَصْفُورُ : فَمَا هَذَا الْقَمْحُ الَّذِي عِنْدَكَ .
قَالَ : هُوَ فَضْلُ قُوْتِي أَعَدَدْتُهُ لِغَنَمِي جَائِعٍ أَوْ ابْنِ سَبِيلٍ مُنْقَطِعٍ .
فَقَالَ الْعَصْفُورُ : إِنِّي ابْنُ سَبِيلٍ وَجَائِعٌ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُطْعِمَنِي . قَالَ :
نَعَمْ دُونَكَ . فَلَمَّا أَلْقَى مِنْقَارَهُ أَمْسَكَ الْفَخُّ بِعُنُقِهِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ :
بئسَ مَا أَخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْغَدْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَالْأَخْلَاقِ الشَّنِيعَةِ .
وَلَمْ يَشْعُرِ الْعَصْفُورُ إِلَّا وَصَاحِبُ الْفَخِّ قَدْ قَبَضَ عَلَيْهِ . فَقَالَ الْعَصْفُورُ
فِي نَفْسِهِ : بِحَقِّ قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : مَنْ تَهَوَّرَ نَدِمَ . وَمَنْ حَذَرَ سَلِمَ .
وَكَيفَ لِي بِالْخُلَاصِ . وَوَلَاتِ حِينَ مَنَاصِ (لِلشِّيرَاوِيِّ)

الغراب والسنور والنمر

١٢٣ إِنَّ غُرَابًا وَسِنُورًا كَانَا مُتَاخِيَيْنِ . فَبَيْنَمَا هُمَا تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى
تِلْكَ الْحَالَةِ إِذْ رَأَى بَا تَمْرًا مُثْبِلًا عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَا تَحْتَهَا . وَلَمْ
يَعْلَمَا بِهِ حَتَّى صَادَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ . فَطَارَ الْغُرَابُ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ
وَبَقِيَ السُّنُورُ مُتَحِيرًا . فَقَالَ لِلْغُرَابِ : يَا خَلِيلِي هَلْ عِنْدَكَ حِيلَةٌ فِي
خَلَاصِي كَمَا هُوَ الرَّجَاءُ فِيكَ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : إِنَّمَا تَلْتَمِسُ الْإِخْوَانَ
عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ عِنْدَ زُورِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ
الشَّاعِرِ :

إِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ
وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الشَّجَرَةِ رِعَاةً مَعَهُمْ كِلَابٌ . فَذَهَبَ الْغُرَابُ حَتَّى
ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ وَجْهَ الْأَرْضِ وَنَعَقَ وَصَاحَ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَضَرَبَ
بِجَنَاحِهِ وَجْهَ بَعْضِ الْكِلَابِ . وَارْتَفَعَ قَلِيلًا وَتَبِعَتْهُ الْكِلَابُ . وَصَارَتْ
فِي أَثَرِهِ فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ فَرَأَى طَائِرًا يَطِيرُ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ وَيَقَعُ
فَتَبِعَهُ . وَصَادَ الْغُرَابُ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِقَدْرِ النَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ مِنَ
الْكِلَابِ . وَيُطْمَعُهَا فِي أَنْ تَفْتَرِسَهُ . ثُمَّ ارْتَفَعَ قَلِيلًا . وَتَبِعَهُ الْكِلَابُ
حَتَّى انْتَهَى إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْتَهَا النَّمْرُ . فَلَمَّا رَأَتْ الْكِلَابُ النَّمْرَ
وَبَتَّ عَلَيْهِ فَوَلَّى هَارِبًا . وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَا سَكُلَ الْقِطِّ فَجَاءَتْهُ ذَلِكَ
الْقِطُّ بِحِيلَةٍ صَاحِبِهِ الْغُرَابِ
(الف ليلة وليلة)

١٢٤ حكي أنه كان في بني إسرائيل عابد ضاقت عاينه معيشته .
فخرج إلى الصحراء يعبد الله ويسأله أن يعطيه شيئاً . فنودي ذات
يوم : أيها العابد مد يدك وخذ . فمد يده فوضع عليهما درتان كأنهما
كوكبان ضياءً . فجاء بهما إلى منزله وقال لامرأته : قد أمتنا من
الفقر . ثم إنه رأى ذات ليلة في منامه أنه في الجنة فرأى فيها قصرًا .
فقبل له : هذا قصرك . فرأى فيه أريكتين متقابلتين إحداهما من
الذهب الأحمر والأخرى من الفضة . وسئلهما من اللؤلؤ وقيل له :
إحداهما مقعدك والأخرى مقعد امرأتك . فنظر إلى سئلهما فإذا
فيه موضع خال مقدار درتين . فقال : ما بال هذا الموضع خاليًا .
فقبل : لم يكن خاليًا وإنما أنت تعجبت في الدنيا الدرتين وهذا
موضعهما . فانتبه من منامه باكياً وأخبر امرأته بذلك . فقالت له
زوجته : أن ادع الله وأسأله حتى يرددهما مكانهما . فخرج إلى
الصحراء وهما في كفه وصار يدعو الله ويتضرع إليه أن يرددهما .
ولم يزل كذلك حتى أخذتا من كفه ونودي أن : رددناهما إلى
مكانهما

(للقليوبي)

بطنان وسلفاة

١٢٥ قيل : كان في الزمان الأول غدير عظيم وقد سكنت فيه
بطنان وسلفاة . ووقعت الألفة بينهم . واستأنس بعضهم ببعض

فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ أَمَاءَ فَيْدِسَ الْغَدِيرِ . فَجَاءَتِ الْبَطَّتَانِ عِنْدَ السُّخْفَاةِ
وَقَالَتَا : إِعْلَمِي أَيَّتَهُمَا الصَّدِيقَةُ الْمَشْفِقَةُ أَنَّ حَالَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ آخِرُهَا
الْفَرْقَةُ وَالْمَطْعَةُ . وَقَدْ بَيْسَ مَاءَ الْغَدِيرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ
الْمَخْلُوقَاتِ وَقَدْ أَنَّ الرَّحِيلَ وَوَقَعَ الشَّتُّ بَيْنَنَا . فَلَمْ نَجِدْ إِلَّا الْإِنْتِقَالَ
إِلَى غَدِيرٍ آخَرَ . فَلَمَّا سَمِعَتِ السُّخْفَاةُ هَذَا الْكَلَامَ بَكَتْ وَنَادَتْ
بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ وَقَالَتْ : أَيَّتَهُمَا الصَّدِيقَتَانِ الْمَشْفِقَتَانِ فَمَا حَيَاتِي أَنْ أذْهَبَ
مَعَكُمْ . وَمَا سَبَبُ أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ . قَالَتِ الْبَطَّتَانِ : نَأْخُذُكَ مَعَنَا
وَكَيْنَا نَخَافُ أَنْ تَتَكَلَّمِي لِأَنَّكَ لَمْ تَمَلِكِي لِسَانَكَ . قَالَتِ السُّخْفَاةُ :
الآنَ عَهِدْتُ أَنْ لَا أَنْطِقَ . فَقَالَتِ الْبَطَّتَانِ : إِذَا رَأَى الْخَلْقُ أَنَّ
حَمَانِكَ وَطَرْنَا بِكَ وَتَعَجَّبَ كُلُّهُمْ عَلَى طَيْرَانِنَا بِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فَعَلَيْكَ أَنْ تَصْبِرِي وَلَا تَتَكَلَّمِي بِشَيْءٍ . وَلَا تَنْسِي قَوْلَ الْفَضْلَاءِ :
إِنَّهُ مَنْ صَمَتَ نَجَا . وَقَوْلُهُمْ : الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ . وَإِنْ لَمْ تَصْبِرِي
وَتَكَلَّمْتِ بِشَيْءٍ فَلَا تَلُومِينَ إِلَّا نَفْسَكَ . وَيَكُونُ ذَنْبُكَ عَلَيْكَ . فَلَمَّا
سَمِعَتِ السُّخْفَاةُ كَلَامَهُمَا قَالَتْ : لَا أَتَكَلَّمُ أَبَدًا بَلْ أَمْسِكُ بِذِكْرِ اللَّهِ
فَلَنْ أَكُونَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . فَلَمَّا أَخَذَتِ الْبَطَّتَانِ عَهْدًا عَلَى السُّخْفَاةِ اتَّيَا
بِقَضِيبٍ وَقَالَتَا لِلْسُّخْفَاةِ : أَمْسِكِي وَسَطَ الْقَضِيبِ بِفَمِكَ وَضَمِّي
شَفْتَيْكَ مُحْكَمًا . فَفَعَلَتِ السُّخْفَاةُ مَا قَالَتَا . ثُمَّ أَخَذَتِ الْبَطَّتَانِ بِطَرَفِي
الْقَضِيبِ عَلَى عُنُقِهِمَا . ثُمَّ طَارَتَا فِي السَّمَاءِ مَعَ السُّخْفَاةِ . فَرَأَى بَعْضُ
النَّاسِ ذَلِكَ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَبَادَرُوا : يَا عَجَبًا . أَنْظَرُوا كَيْفَ

حَمَلَتِ الْبَطْنَانِ السُّحْفَاةَ . ثُمَّ إِنَّ السُّحْفَاةَ تَمَمَتْ كَلَامَ النَّاسِ . فَصَبَرَتْ
سَاعَةً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الصَّبْرِ مِنْ كَثْرَةِ تَعْجِبِ الْخَلْقِ . فَأَجَابَتْهُمْ : لِمَ
تَعْجَبُونَ مِنْ أَمْرِنَا . أَمَا لَكُمْ تَرَوْنَ كَيْفَ حَمَلَتْنِي الْبَطْنَانِ . وَمَا كَانَ بَعْدَ
أَنْ تَكَلَّمْتُ إِلَّا أَنْ وَقَعْتُ عَلَى الْخَضِيضِ فَهَلَكْتُ (للسيوطي)

اعمى ومقعد

١٢٦ قَالُوا : إِنَّ أَعْمَى وَمُقْعِدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ يَفْقَرُ وَضُرٌّ لِقَائِدِ
الْأَعْمَى وَلَا حَامِلٍ لِلْمُقْعِدِ . وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا فِي كُلِّ
يَوْمٍ أَحْتِسَابًا بِقُوَّتِهِمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَلَمْ يَزَلْ فِي عَافِيَةٍ إِلَى
أَنْ هَلَكَ الْمُحْتَسِبُ . فَأَقَامَا بَعْدَهُ أَيَّامًا فَأَشْتَدَّ جُوعُهُمَا وَبَلَغَ الضَّرْرُ
مِنْهُمَا جُهْدَهُ . فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمَا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعِدَ . فَيُدْهِمُ
الْمُقْعِدُ عَلَى الطَّرِيقِ بِبَصَرِهِ . وَيَسْتَقِلُّ الْأَعْمَى بِحِمْلِ الْمُقْعِدِ وَيَدُورَانِ
فِي الْقَرْيَةِ لِيَسْتَطْعِمَا أَهْلَاهَا . فَفَعَلَا فَبَجَعَ أَمْرُهُمَا . وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا هَلَكَ
(للطرطوشي)

الحيوان

٩٢٧ زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُسْتَهُمَا مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ .
فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى : إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي الصَّخَارِيِّ مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا
نَأْكُلُ مِمَّا هُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّخَارِيِّ شَيْءٌ
رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُسْتِنَا فَأَكَلْنَاهُ . فَرَضِيَتْ الْأُنْثَى بِذَلِكَ وَقَالَتْ لَهُ :
نَعَمْ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُسْتِهِمَا . فَأَنْطَلَقَ

الذَّكَرُ قَنَابَ . فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَبِسَ الْحَبُّ وَصَبَّرَ . فَلَمَّا رَجَعَ
الذَّكَرُ رَأَى الْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ : أَلَيْسَ كُنَّا نَجْمَعُنَا رَأْيِنَا عَلَى أَنْ لَا
نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ نَأْكُلْهُ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهُمَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا
وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَقْرُهَا حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا
جَاءَتِ الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشِّتَاءُ تَدَدَى الْحَبُّ وَامْتَلَأَ الْعُشُّ كَمَا كَانَ .
فَلَمَّا رَأَى الذَّكَرُ ذَلِكَ تَدَدَّمَ . ثُمَّ اضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ :
مَا يَنْفَعُنِي الْحَبُّ وَالْعَيْشُ بَعْدَكَ . إِذْ طَابَتْكَ فَامَّا أَجْدُكَ وَلَمْ أَقْدِرْ
عَايِكَ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكَ وَلَا أَقْدِرُ
عَلَى تَدَارُكِ مَا فَاتَ . ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ . فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَبَ آبًا
حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا

(كلبيه ودمنه)

العابد والكلاب

١٢٨ إِنَّهُ كَانَ فِي جَبَلِ أُبْنَانَ رَجُلٌ مِنَ الْعِبَادِ مُنْزَوِيًا عَنِ النَّاسِ فِي
غَارٍ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَكَانَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَأْتِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ رَغِيفٌ يُنْطَرُ
عَلَى نِصْفِهِ وَيَسْتَحِرُّ بِالنِّصْفِ الْآخِرِ . وَكَانَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً لَا
يَنْزِلُ مِنَ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَصَلًا . فَأَتَفَقَ أَنْ أَنْقَطَعَ عَنْهُ الرِّغِيفُ لَيْلَةً
مِنَ اللَّيَالِي فَأَشْتَدَّ جُوعُهُ وَقَلَّ هُجُوعُهُ . فَصَلَّى الْعِشَاءَ بَيْنَ وَبَاتِ تِلْكَ
اللَّيْلَةِ فِي أَنْتِظَارِ شَيْءٍ يَدْفَعُ بِهِ الْجُوعَ فَسَامَ يَتَسَّرُّ لَهُ شَيْءٌ . وَكَانَ فِي
أَسْفَلِ ذَلِكَ الْجَبَلِ قَرْيَةٌ سُكَّانُهَا نَصَارَى . فَعِنْدَ مَا أَصْبَحَ الْعَابِدُ نَزَلَ
إِلَيْهِمْ وَاسْتَطْعَمَ شَيْخًا مِنْهُمْ فَأَعْطَاهُ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ فَأَخَذَهُمَا

وَتَوَجَّهَ إِلَى الْجَبَلِ . وَكَانَ فِي دَارِ ذَلِكَ الشَّيْخِ النَّصْرَانِيِّ كَلْبٌ جَرِبٌ
 مَهْزُولٌ فَحَقَّقَ الْعَابِدُ وَنَجَّ عَلَيْهِ وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِهِ . فَأَلْقَى إِلَيْهِ الْعَابِدُ رَغِيفًا
 مِنْ ذَيْبِكَ الرَّغِيفِينَ لِيَسْتَعْلَبَ بِهِ عَنْهُ . فَأَكَلَ الْكَلْبُ ذَلِكَ الرَّغِيفَ .
 وَحَلَقَ الْعَابِدُ مَرَّةً أُخْرَى وَأَخَذَ فِي الشَّبَاحِ وَالْهَرِيرِ . فَأَلْقَى إِلَيْهِ الْعَابِدُ
 الرَّغِيفَ الْآخَرَ فَأَكَلَهُ . وَحَلَّتْهُ تَارَةٌ أُخْرَى وَأَشْتَدَّ هَرِيرُهُ وَتَشَبَّثَ
 بِذَيْبِ الْعَابِدِ وَمَزَّقَهُ . فَقَالَ الْعَابِدُ : سُبْحَانَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَرِ كَلْبًا أَقَلَّ حَيَاءً
 مِنْكَ . إِنَّ صَاحِبَكَ لَمْ يُعْطِنِي إِلَّا رَغِيفِينَ وَقَدْ أَخَذْتُهُمَا مِنِّي . مَاذَا
 تَطْلُبُ بِهَرِيرِكَ وَمَزْزِيقِ ثِيَابِي . فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْكَلْبَ فَقَالَ :
 لَسْتُ أَنَا قَلِيلُ الْحَيَاءِ . إِعْلَمْ أَنِّي رَبَيْتُ فِي دَارِ ذَلِكَ النَّصْرَانِيِّ
 أَحْرُسَ غَنَمَهُ وَأَحْفَظُ دَارَهُ . وَأَقْفَعُ بِمَا يَدْفَعُهُ لِي مِنْ عِظَامٍ أَوْ خُبْزٍ .
 وَرَبَّمَا لَسِينِي فَأَبْقَى أَيَّامًا لَا أَكُلُ شَيْئًا . بَلْ رُبَّمَا يَمُضِي عَيْنَانَا أَيَّامًا لَا
 يَجِدُ هُوَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا لِي . وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَفَارِقْ دَارَهُ مَذُ عَرَفْتُ
 نَفْسِي وَلَا تَوَجَّهْتُ إِلَى بَابِ غَيْرِهِ . بَلْ كَانَ دَائِبِي أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ شَيْءٌ
 شَكَرْتُ وَإِلَّا صَبَرْتُ . وَأَمَّا أَنْتَ فَبِأَنْقِطَاعِ الرَّغِيفِ عَنْكَ لَيْلَةٌ
 وَاحِدَةٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ وَلَا كَانَ مِنْكَ تَحْمَلُ حَتَّى تَوَجَّهْتَ مِنْ بَابِ
 رَازِقِ الْعِبَادِ إِلَى بَابِ إِنْسَانٍ . فَأَيُّنَا أَقَلُّ حَيَاءً أَنَا أَمْ أَنْتَ . فَلَمَّا
 سَمِعَ الْعَابِدُ ذَلِكَ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ

(إلهاء الدين)

تجر ومستودع عنده

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَخَذَ بِثَارِدٍ بِمِثْلِ مَا تُثَرِّبُهُ
 ١٢٩ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ . وَأَنَّهُ أَرَادَ الْخُرُوجَ يَوْمًا إِلَى
 بَعْضِ الْوُجُوهِ أُتْبِعَاءَ الرِّزْقِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مِئَةٌ مِنْ حَدِيدًا . فَأَوْدَعَهَا
 رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهَتِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ . فَجَاءَ
 وَأَتَمَسَ الْحَدِيدَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قَدْ أَكَلْتَهُ الْجِرْذَانُ . فَقَالَ : قَدْ
 سَمِعْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرَحَ الرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ
 مَا قَالَ وَأَدْعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ وَلَدًا لِلرَّجُلِ . فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ
 بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَدِ . فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ يَا بَنِي .
 قَالَ : لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ رَأَيْتُ بَارِيًا قَدْ اخْتَطَفَ صَبِيًّا .
 فَلَعَنَهُ أَبْنُكَ . فَلَطَمَ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ يَا قَوْمُ : هَلْ تَيَسَّمْتُمْ أَوْ
 رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرَاةَ تَخْتَطِفُ الصَّبِيَّانَ . فَقَالَ : نَعَمْ إِنْ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْذَانَهَا
 مِئَةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُرَاتِهَا الْفِيلَةَ . قَالَ الرَّجُلُ :
 أَكَلَتْ حَدِيدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ . فَأَرَدَ عَلَى ابْنِي

يراعة وقر

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَا يَتَعَبُ بِكَلَامٍ غَيْرِهِ فَيَنَامُ بِنَفْسِهِ فَيَعْطُ
 ١٣٥ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ . فَأَلْتَمَسُوا
 فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَّاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يُجِدُوا . فَرَأَوْا بِرَاعَةً تَطِيرُ
 كَانَتْهَا شَرَارَةٌ نَارٍ فَظَنُّوْهَا نَارًا . فَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا وَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا .

وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَآءً أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ بِهَا . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ
 طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا . فَجَعَلَ
 يَنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : لَا تَتَّبِعُوا . فَإِنَّ الَّذِي رَأَى يَتُودُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ
 ذَلِكَ عَلَيْهِ . عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيُنْهَاهُمْ عَنْهُمْ فِيهِ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ
 فَعَرَفَ مَا عَمَدَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَتَمَسَّ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ . فَإِنَّ
 الْحَجَرَ الْمَانِعَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجْرَبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ . وَالْعُودَ الَّذِي لَا
 يُخْنِي لَا يَعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ . فَلَا تَتَّبِعْ . فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ .
 وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرْدَةِ لِيَعْرِفَهُمْ أَنَّ الْإِرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ . وَإِذَا بِأَحَدِهِمْ
 تَمَاوَلَهُ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ

شريكان

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ اتَّمَسَ صَلَاحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ

١٣١ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِتَاجِرٍ شَرِيكَ . فَاسْتَأْجَرَ حَانُوتًا وَجَعَلَ لِمَتَاعِهِمَا
 فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْمَنْزِلِ مِنَ الْحَانُوتِ . فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ
 يَسْرِقَ عَدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ . وَفَكَرَّ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ وَقَالَ : إِنْ
 أَتَيْتُ لَيْلًا أَمِنَ أَنْ أَجْلَ أَحَدًا عَدَالِي أَوْ إِحْدَى رُزْمِي وَلَا أَعْرِفُهَا .
 فَيَذْهَبُ عَنَّا وَيَتَعَبِي بِاطِّلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَالْقَاهُ عَلَى مَا أَضْمَرَ أَخْذَهُ
 مِنْ أَعْدَالِ شَرِيكِهِ وَأَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ
 لِيُصَاحَ الْأَعْدَالَ فَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ . فَقَالَ : هَذَا
 رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا الرَّأْيُ أَنْ أَدْعَهُ هُنَا .

ولكن أجمعه على رزمه فاعله يسبني إلى الخانوت فيجده حيث يحب .
 ثم أخذ الرداء وألقاه على أحد أعدال رفيقه وأقبل الخانوت ومضى
 إلى منزله . فلما هجم الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه على ما
 عزم عليه . وضمن له جملاً على جملة . فصار إلى الخانوت وأتمس
 الأزار في الظلمة . حتى إذا حس به احتمل العدل الذي تحته وأخرجه
 هو والرجل . وجعلوا يتراوحيان على حملا حتى أتى منزله وهو يخط
 تعبا فرزح . فلما أصبح افتقده وإذا به بعض متاعه . فندم أشد
 الندم . ثم انطلق إلى الخانوت فوجد شريكه قد سبته إليه وفقد
 العدل وجلس مُتَمَتِّماً يقول : سوء تأمن رفيق صالح قد أنتدني على
 ماله وخافني فيه . ماذا تكون حالي عنده وأنت أشك في تهمة
 إياي . ولكن قد وطلت نفسي على غرامته . فقال له الخائن : يا أخي
 لا تنتم . فإن الحيانة شر ما عمل الإنسان والمكر والخديعة لا يوديان
 إلى خير . وصاحبهما مغرور أبدا . وما عاد وبال البغي إلا على
 صاحبه . وأنا أحد من مكر وخدع . فقال له صاحبه : كيف كان
 ذلك . فأخبره بخبره . فأضرب الرجل عن توخيهِ وقبل معذرتة .
 وندم هو غاية الندامة .

رجل وابن عرس

وهو مثل من لا يتثبت في أمره بل يهجم على أعماله بالعجلة
 ١٣٢ زعموا أن رجلاً كان له غلام . وأتفق يوماً أن امرأته قالت

لَهُ : أَقْعَدَ عِنْدَ أَبِيكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَامِ فَأَغْتَسَلَ وَأَتْرَعَ الْعُودَةَ .
ثُمَّ انْطَلَقَتْ وَخَلَّفَتْ زَوْجَهَا وَالْغُلَامَ . فَلَمْ يَبْتَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ
يَسْتَدْعِيهِ . وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَخْلُفُهُ عِنْدَ ابْنِهِ غَيْرَ ابْنِ عَرَسٍ . وَكَانَ دَاجِنًا
عِنْدَهُ وَقَدْ رُبَّاهُ صَغِيرًا . فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلٌ وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ عِنْدَ
الصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ
أَحْجَارِ الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءٌ . فَدَنَّتْ مِنَ الْغُلَامِ فَضَرَبَهَا ابْنُ عَرَسٍ
فَقَتَلَهَا . ثُمَّ قَطَعَهَا وَأَمْتَلَأَ فِيهِ مِنْ دَمِهَا . ثُمَّ جَاءَ الرَّجُلُ وَفَتَحَ الْبَابَ .
فَاسْتَمْبَلَهُ ابْنُ عَرَسٍ كَالْمَشِيرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ . فَلَمَّا رَأَاهُ مَلُونًا بِالْدَمِ طَارَ
عَقْلُهُ . وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَبَيَّنْ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوْا فِيهِ
حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ مَا جَرَى . وَكَانَ عَجَلٌ عَلَى ابْنِ عَرَسٍ الْمُسْكِينِ بِضَرْبَةِ
عُكَّازٍ كَانَ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَوَقَعَ بِهَا . ثُمَّ لَمَّا دَخَلَ رَأَى الْغُلَامَ
سَلِيمًا حَيًّا وَعِنْدَهُ أُسُودٌ مُقَطَّعٌ . فَفَرِمَ الْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُرُورُ فِعْلِهِ فِي
الْعَجَلَةِ . فَاطْمَنَّ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُزْرَقْ هَذَا الْوَلَدَ . وَلَمْ أُغْدِرْ
هَذَا الْغَدْرَ . ثُمَّ دَخَلَتْ زَوْجَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ :
مَا شَأْنُكَ . فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَحُسْنَ فِعْلِ ابْنِ عَرَسٍ وَسُوءَ مُكَافَأَتِهِ لَهُ .
فَقَالَتْ : هَذَا ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ

فَلَةٌ وَأَرْبٌ

وَمَوْمَثٌ مِنْ صَرْفِ الْأَذَى عَنْ قَوْمِهِ بِحِيلَتِهِ
زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِي الْقَيْلَةِ تَابَعَتْ عَلَيْهَا السِّنُونَ

وَأَجْدَبَتْ . وَقَلَّ مَاؤُهَا وَغَارَتْ عُيُونُهَا . وَذَوَى نَبَاتُهَا وَيَبَسَ شَجَرُهَا .
 فَأَصَابَ الْقَيْلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ . فَشَكُونَ ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ
 رُسُلَهُ وَرُوَادَهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ
 فَأَخْبَرَهُ قَائِلًا : قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ
 كَثِيرَةٌ الْمَاءِ فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْقَيْلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا
 هُوَ وَفِيئَتُهُ . وَكَانَتْ الْعَيْنُ فِي أَرْضِ الْأَرَابِ فَوُطِنَ وَهْنٌ فِي
 أَجْرَاهِمْ فَهَلَكَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ . فَأَجْتَمَعْنَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ
 مَا أَصَابَنَا مِنَ الْقَيْلَةِ . فَقَالَ : لِيُخْضِرْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ
 وَاحِدَةٌ مِنَ الْأَرَابِ يُقَالُ لَهَا فَيْرُوزُ . وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ الرَّأْيِ
 وَالْأَدَبِ . فَقَالَتْ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى الْقَيْلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِيَ
 أَمِينًا يَبْرِي وَيَسْمَعُ مَا أَقُولُ وَيَرْفَعُهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : أَنْتِ
 أَمِينَةٌ وَنَرْضَى بِقَوْلِكَ . فَأَنْظَلَنِي إِلَى الْقَيْلَةِ وَبَانِعِي عَنَّا مَا تُرِيدِينَ .
 وَأَعْلَمَنِي أَنَّ الرُّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَبِأَيْدِيهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ الْمُرْسِلِ .
 فَعَلَيْكَ بِاللَّيْنِ وَالْمَوَاتَاةِ . فَإِنَّ الرُّسُولَ هُوَ الَّذِي يُلِينُ الصُّدُورَ إِذَا
 رَفِقَ . وَيُخَشِّنُ الصُّدُورَ إِذَا خَرَقَ . ثُمَّ إِنَّ الْأَرَابَ أَنْظَلَّتْ فِي لَيْلَةٍ
 قَمْرًا حَتَّى أَتَتْ إِلَى الْقَيْلَةِ . وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُو مِنْهَا خِشْيَةً أَنْ يَطَّأَهَا
 بِأَرْجُلِهِمْ . فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ
 وَنَادَتْ مَلِكَ الْقَيْلَةِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَالرُّسُولُ غَيْرُ
 مَلُومٍ فِيمَا يُبَاغُ وَإِنْ أَغَاطَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْقَيْلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ .

قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ . إِنَّهُ مِنْ عَرَفَ قُوَّتَهُ عَلَى الضَّعْفَاءِ فَأَغْتَرَّ بِذَلِكَ
 بِالْأَقْوِيَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبِالْأَعْلِيَاءِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى
 الدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذَلِكَ . فَعَمِدَتْ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِأَسْبِي فَوَرَدَتْهَا
 وَكَدَّرَتْهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأُنْذِرَكَ أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ .
 وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَغْشِي بَصْرَكَ وَأَتْلِفُ نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتُ فِي
 شَكِّ مِنْ رِسَالَتِي . فَهَلُمَّ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنِّي مُوَفِّيكَ إِلَيْهَا .
 فَجَبَّ مَلِكُ الْقَيْلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْبِ فَأَنْطَاقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزِ
 الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ
 الرَّسُولِ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْمَاءِ فَأَغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَأَسْجُدْ لِلْقَمَرِ .
 فَأَدْخَلَ الْقَيْلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ فَتَحَرَّكَ . فَخَيَّلَ لَهُ أَنَّ الْقَمَرَ أَرْتَعَدَ .
 فَقَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ أَرْتَعَدَ . أَرَادَ غَضَبَ مِنْ إِدْخَالِي حَمَلْتِي فِي الْمَاءِ .
 قَالَتْ الْأَرْبُ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْقَيْلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى . وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا
 صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْقَيْلَةِ

أَرْبُ وَاسِدُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ دَفَعَ الْمَكْرُوهَ بِرَأْيِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ وَحِيلَتَهُ
 ١٣٤ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ أَرِيضَةٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ وَالْعُشْبِ .
 وَكَانَ فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ وَالْمَرْعَى كَثِيرٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
 يَنْفَعُهَا ذَلِكَ لِخَوْفِهَا مِنْ أَسَدٍ كَانَ مُسْتَبِدًّا بِالْأَرْضِ فِيهَا . فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ
 وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ تُصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجُهْدِ وَالْتَعَبِ . وَقَدْ رَأَيْنَا

لَكَ، رَأْيًا فِيهِ صَاحُ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا . فَإِنَّ أَنْتَ أَمَنْتَنَا وَلَمْ تُخَفْنَا فَلَكَ
عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ تَبْعُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِي
الْأَسَدُ بِذَلِكَ وَصَاحَ الْوُحُوشَ عَلَيْهِ . وَوَفَيْنَ هُنَّ لَهُ إِلَى أَنْ أَصَابَتْ
الْقُرْعَةُ أَرْنَبا . فَقَالَتْ الْوُحُوشُ : إِنْ أَنْتِ رَفِقْتِ بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكَ
رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكَ مِنَ الْأَسَدِ . فَقَالَ : وَمَا الَّذِي تَكْفِينَا مِنَ الْأُمُورِ .
قَالَتْ : تَأْمُرَنَّ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يَمِيلَنِي رَيْثَمَا أُبْطِئُ عَلَيْهِ
بَعْضَ الْإِبْطَاءِ . فَقُتِلَ لَهَا : ذَلِكَ لَكَ . فَأَنْطَلَقَتْ الْأَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً
حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ الْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمتُ
إِلَيْهِ وَحَدَّهَا رُويدا وَقَدْ جَاعَ وَغَضِبَ . فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا . فَقَالَ :
مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ . قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ إِلَيْكَ بَعَثْتَنِي وَمَعِيَ
أَرْنَبٌ لَكَ فَتَبِعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي غَضِبا .
وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوُحُوشِ . فَقُلْتُ : إِنْ هَذَا
غَدَاءُ الْمَلِكِ أَرْسَلْتُ بِهِ الْوُحُوشَ مَعِيَ إِلَيْهِ فَلَا تَغْضَبْنِيهِ . فَسَبَّكَ
وَسَمَّكَ . فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً إِلَيْكَ لِأَخْبِرَكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَوْ فِي زَمَنِي
غَاصِبٌ أَنْطَلِقَ مَعِيَ فَأَرِينِي مَوْضِعَ هَذَا الْأَسَدِ . فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى جُبٍ
فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ صَافٍ . فَأَطْلَعْتُ فِيهِ وَقَالَتْ : هَذَا الْمَكَانُ . فَتَطَّلَعَ
الْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَرْنَبِ فِي الْمَاءِ فَلَمْ يَشْكُ فِي قَوْلِهَا . ثُمَّ وَثَبَ
إِلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ فَفَرَّقَ فِي الْجُبِّ . فَأَنْقَلَبَتِ الْأَرْنَبُ إِلَى الْوُحُوشِ
فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَدِيعَهَا بِالْأَسَدِ

(كليله ودمنه)

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْفَضَائِلِ وَالنَّقَائِصِ

الصبر

١٣٥ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الصَّبْرُ عَشْرَةُ أَقْسَامٍ . الصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ
الْبَطْنِ يُسَمَّى قَنَاعَةً وَضِدُّهُ الشَّرُّهُ . وَالصَّبْرُ عَنْ شَهْوَةِ الْجَسَدِ يُسَمَّى
عِفَّةً وَضِدُّهُ الشُّبْقُ . وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُعْصِيَةِ يُسَمَّى صَبْرًا وَضِدُّهُ الْجُرْعُ .
وَالصَّبْرُ عَلَى الْغَنَاءِ يُسَمَّى صَبْرًا وَضِدُّهُ الْبَطْرُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ
الْقِتَالِ يُسَمَّى الشَّجَاعَةَ وَضِدُّهُ الْجَبْنُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ يُسَمَّى حِلْمًا
وَضِدُّهُ الْحَمَقُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ النَّوَابِ يُسَمَّى سَعَةً وَالصَّبْرُ عِنْدَ
الضَّحْرِ يُسَمَّى حِفْظَ السِّرِّ يُسَمَّى الْكَيْفَانِ وَضِدُّهُ الْحَرْقُ . وَالصَّبْرُ
عَنْ فُضُولِ الْمَعِيشَةِ يُسَمَّى الزُّهْدَ وَضِدُّهُ الْحِرْصُ . وَالصَّبْرُ عِنْدَ تَوَقُّعِ
الْأُمُورِ يُسَمَّى التَّوَدُّدَ وَضِدُّهُ الطَّيْشُ (للقلوبي)

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
بَنَى اللَّهُ الْأَخْيَارَ بَيْتًا سَمَاوَهُ هُمُومٌ وَأَخْرَانٌ وَحِيْطَانُهُ الضَّرُّ
وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمْ الصَّبْرُ
قَالَ آخَرُ :

إصبر قايلاً وكن بالله معتصماً ولا تعاجل فإن العجز بالعجز
الصبر مثل اسمه في كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العسل

١٣٦ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الصَّبْرُ صَبْرَانِ . صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ

وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ . وَالثَّانِي أَشَدُّهَا عَلَى النَّفْسِ (إبهاء الدين)

مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الْأَلَمَ

لَا تَصْجُرُنَّ وَلَا يَدْخُوكَ مَعْجِزَةٌ فَالْبُحْبُوحُ يَهْلِكُ بِبَنِّ الْعَجْرِ وَالصَّجْرُ

لِأَمْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ :

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ صَبْرًا إِنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا

إِشْرَبِ الصَّبْرَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الصَّبْرِ أَمْرًا

١٣٧ شَكَا رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَذِيَّةَ جَارِهِ . فَقَالَ لَهُ : أَصْبِرْ

عَلَيْهِ . قَالَ : يَسُدُّنِي إِلَى الدَّلِّ . قَالَ : إِنَّمَا الدَّلِيلُ مَنْ ظَلَمَ

(المستعصي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي سَالِبٍ :

إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرٌ وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتُ وَتَدْبِيرٌ

وَلِلْمُهَيْمِنِ فِي حَالَاتِنَا نَظْرٌ وَفَوْقَ تَدْبِيرِنَا لِلَّهِ تَدْبِيرٌ

قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَأَفْرِغْ لَهَا صَبْرًا وَأَوْسِعْ لَهَا صَدْرًا

فَإِنَّ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ عَجِيبَةٌ فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرًا

قَالَ آخَرُ :

وَكَمْ عَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ عَمْرَةٍ تَلْقَيْتَهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتْ

وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيْزَةً فَلَمَّارَاتٍ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَاتِ
 ١٣٨ قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ : الْأَتْرُونَ كَيْفَ يَزْوِي اللَّهُ الدُّنْيَا
 عَمَّنْ يُحِبُّ وَيَمِرُّهَا عَلَيْهِمْ تَارَةً بِالْجُوعِ وَمَرَّةً بِالْحَاجَةِ . كَمَا تَصْنَعُ الْأُمُّ
 الشَّفِيقَةُ بَوْلِدِهَا تَفْطِمُهُ بِالصَّبْرِ مَرَّةً وَبِالْحُضْضِ أُخْرَى وَإِنَّمَا يُرِيدُ
 صَلَاحَهُ (ليهاء الدين)

أَنشَدَ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا بُلِيَتْ بِعُسْرَةٍ فَأَلْبَسَ لَهَا صَبْرَ الْكَرِيمِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْزَمُ
 لَا تَشْكُونَ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ
 وَقَالَ آخَرُ :

وَأُصْبِرُ إِذَا مَا شِئْتَ إِكْلِيلَ الْهَنَاءِ فَبِعَيْرِ حُسْنِ الصَّبْرِ لَنْ تَهَكَّ لَلَا
 فَإِذَا كَرِهْتَ الصَّبْرَ فَأَعْلَمُ أَنَّمَا حَقًّا كَرِهْتَ بَانَ تَكُونَ مُكَلَّلًا
 قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْمَلَ مِنْ شَدِّ الصَّبْرِ كَفَاءً عِنْدَ مُوَلِّئِهِ
 عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَتَجَاهُ مِنْ الْجَزَعِ أَلْوَتٌ يَدَاهُ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَطِعِ
 قَالَ آخَرُ :

أَمَّا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ وَمَنْ لَيْسَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ لَهُ كَفْوُ
 لَنْ كَانَ بَدَأَ الصَّبْرَ مَرًّا مَذَاقُهُ لَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِ الشَّرُّ الْخَلْوُ
 قَالَ مُحَمَّدُ الْأَبْيُورِدِيُّ :

تَكَرَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدِرْ أُنِّي أَعِزُّ وَأَهْوَالُ الزَّمَانِ تَهُونُ

وظَلَّ يُرِينِي الْخُطْبَ كَيْفَ أَعْتَدَاؤُهُ وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ
 ١٣٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنْ الْأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ
 الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ. إِذَا فَارَقَ الرَّأْسُ الْجَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ. وَإِذَا فَارَقَ
 الصَّبْرُ الْأُمُورَ فَسَدَتِ الْأُمُورُ. وَبِاللَّهِ مَنْ قَالَ:

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
 فَمَنْ قَلَّ فِيهَا يَلْتَقِيهِ أَصْطَبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِيهَا يَلْتَقِيهِ نَصِيبُهُ
 قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ:

وَإِذَا مَسَّكَ الزَّمَانُ بَضْرٍ عَظُمَتْ دُونَهُ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ
 وَأَتَتْ بَعْدَهُ نَوَابِ أُخْرَى سَمَتْ نَفْسَكَ الْحَيَاةَ وَمَلَّتْ
 فَأَعْطَبِرْ وَأَنْتَظِرْ بُلُوغَ الْأَمَانِي فَالرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَالَتْ
 قَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ:

الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ لَكِنَّهُ يُقْبِلُ أَوْ يُدِيرُ
 فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ فَأَصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

١٤٠ (مِنْ كِتَابِ أُنَيْسِ الْعُقَلَاءِ). إِعْلَمَنَّ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ.
 وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ. وَاللَّيْسَ مَعَ الْعُسْرِ. قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:
 بِمِفْتَاحِ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُعَالَجُ مَغَالِقُ الْأُمُورِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عِنْدَ
 أَسْدَادِ الْفَرَجِ تَبْدُو مَطَالِحُ الْفَرَجِ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)
 وَبِاللَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرْجَى وَكُلُّ صَعْبٍ بِهِ يَهُونُ

فَأَصْبِرْ وَإِنْ طَأَّتِ اللَّيَالِي فَرُبَّمَا أَمْكَنَ الْحُرُونُ
 وَرُبَّمَا نِيلَ بِأَصْطِبَارٍ مَا قِيلَ هَيْبَاتٍ لَا يَكُونُ
 قَالَ أَبُو الْقَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

تَحْمَلُ أَخَاكَ عَلَى مَا بِهِ فَمَا فِي اسْتِقَامَتِهِ مَطْمَعُ
 وَأَنَّى لَهُ خُلُقٌ وَاحِدٌ وَفِيهِ طَبَائِعُهُ الْأَرْبَعُ

قَالَ غَيْرُهُ :

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطِبْ نَفْسًا إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ
 وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ الْأَيَّامِ فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
 إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قُنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ

قَالَ آخَرُ :

إِدْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْعَالَمِ
 لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ تَضَاقَ كَرْبُهَا وَرَمَاكَ رَبٌّ صَرُوفِيهَا بِسِهَامِ
 فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فُرْجَةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَوْهَامِ
 كَمْ مِنْ نَحْيٍ بَيْنَ أَطْرَافِ الْقِنَا وَفَرِيَسَةٍ سَلِمَتْ مِنَ الضَّرْعَامِ

للحلم

١٤١ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ : مَا الْحِلْمُ . قَالَ : أَنْ تَصِلَ مِنْ قِطْعِكَ .
 وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ . وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
 حِلْمُكَ عَلَى السَّفِيهِ يُكْثِرُ أَنْصَارَكَ عَلَيْهِ . قَالُوا : لَا يَظْهَرُ الْحِلْمُ إِلَّا
 مَعَ الْإِنْتِصَارِ . كَمَا لَا يَظْهَرُ الْعَفْوُ إِلَّا مَعَ الْأَقْتِدَارِ . وَقَالُوا : مَا قَرِنَ

شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزِينُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ . وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ . قَالَ
 مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَا أَسْتَعِي مِنْ رَبِّي أَنْ يَكُونَ ذَنْبُ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي . أَوْ
 جَهْلُ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي . أَوْ عَوْرَةٌ لَا أُرَارِيهَا بِسُتْرِي . وَقَالَ الْمُورِقُ
 الْعُجَيْبِيُّ : مَا تَكَلَّمْتُ فِي الْغَضَبِ بِكَلِمَةٍ نَدِمْتُ عَلَيْهَا فِي الرِّضَا
 (لابن عبد ربه)

قال النواجي :

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا
 يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيبًا
 ١٤٢ قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : يُدْرِكُ بِالرِّفْقِ مَا لَا يُدْرِكُ بِالْعَنْفِ . أَلَا
 تَرَى أَنَّ الْمَاءَ عَلَى لِينِهِ يَمْطَعُ الْحَجَرَ عَلَى شِدَّتِهِ . وَقَالَ أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ
 لِيَجْفَرُ بْنُ يَحْيَى : مَا كَادَ يُدْرِكُ بِالرِّجَالِ وَلَا بِالْمَالِ مَا أَدْرَكَتْ بِالرِّفْقِ .
 وَقَالَ النَّابِغَةُ .

الرِّفْقُ يَمُنُّ وَالْأَنَانَةُ سَعَادَةٌ فَاسْتَنْ فِي رِفْقٍ تُلَاقِ مُجَاجِمًا
 قَالَ الشَّعْبِيُّ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : إِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْ أَقْدَرُ مِنْكَ
 عَلَى رَدِّ مَا أَوْقَعْتَ . وَأَخَذَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ فَقَالَ :
 فِدَاؤَيْتَهُ بِالْحِلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى نَسْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
 (لشعالي)

قِيلَ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : تَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ وَأَنْتَ بِنَحْلِ جَبَانٍ .
 قَالَ : وَلَمْ لَا أَطْمَعُ فِيهَا وَأَنَا حَلِيمٌ عَفِيفٌ
 (لابي العرج)

١٤٣. قَالَ الْبُحْتَرِيُّ:

تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنْ حَفِظَ الْذَّمُّ نُوبًا إِذَا قَدُمْنَ مِنَ الذُّنُوبِ
 قِيلَ: الْأَعْتِرَافُ. يَزُولُ بِهِ الْأَقْتِرَافُ. لَا عَتَبَ مَعَ إِقْرَارِهِ. وَلَا
 ذَنْبَ مَعَ اسْتِغْفَارِهِ. الْمَعْتَرِفُ بِالْجَرِيرَةِ مُسْتَحِقٌّ لِلْغَفِيرَةِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
 حَازِمٍ:

إِذَا مَا أَمْرٌ مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِبًا إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَاكَ الذَّنْبُ
 قَالَ كُثُومُ بْنُ عَمْرِو بْنِ إِصْدِيقٍ لَهُ أَنْكَرَ ذَنْبًا: إِمَّا أَنْ تُتَقَرَّ بِذَنْبِكَ
 فَيَكُونَ إِقْرَارَكَ حُجَّةً لَكَ فِي الْعَفْوِ. وَإِلَّا فَطَبَّ نَفْسًا بِالْإِنتِظَارِ مِنْكَ
 أَقْرَرِ بِذَنْبِكَ ثُمَّ أَطْبَبْ تَجَاوَزْنَا عَنْهُ فَإِنَّ جُودَ الذَّنْبِ ذَنْبَانِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّوَيْ:

وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي وَأَشْرَقَنِي عَلَى شَرْقِ بَرِيقِ
 غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَحَّحْتُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِمَا لَصَدِيقِ
 ١٤٤. أَتَى الْمَنْصُورُ رَجُلًا أَذْنَبَ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
 وَالْإِحْسَانِ. فَإِنْ أَخَذْتَ فِي غَيْرِي بِالْعَدْلِ فَخُذْ فِيَّ بِالْإِحْسَانِ. فَمَعَنَا
 عَنْهُ. قَالَ أَبُو فِرَاسٍ:

إِنْ لَمْ تَجَافَ عَنِ الذُّنُوبِ بِ وَجَدْتَهَا فِينَا كَثِيرَةً
 لَكِنَّ عَادَتَكَ الْجَمِيَّةَ لَمْ أَنْ تَعُضَّ عَلَى الْجَرِيرَةَ

(للشعالي)

دَخَلَ ابْنُ حَزِيمٍ عَلَى الْمُهَدِيِّ وَقَدْ عَتَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الشَّامِ

وَأَرَادَ أَنْ يَغْزُوهُمْ جَيْشًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّكَ بِالْعَفْوِ عَنْ
 الْمَذْنِبِ وَاتَّجَاوَزِ عَنِ الْمَسِيءِ . فَلَانَ يُطِيعُكَ الْعَرَبُ طَاعَةً مَحَبَّةً خَيْرُ
 لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةً خَوْفٍ (لابن عبد ربه)

لَمَّا ظَفَرَ الْمُأْمُونُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَهْدِيِّ شَاوَرَ فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ
 الْأَحْوَلَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَآكَ نُظْرَاءُ . وَإِنْ
 عَفَوْتَ فَمَا لَكَ تَظِيرٌ (وفيات الاعيان لابن خلكان)

العدل

١٤٥ إَعْلَمُ أَنَّ الْعَدْلَ مِيزَانُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ الَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ
 لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ وَالْحَقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ عَدْلَ الْمَلِكِ
 يُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وَجَوْرَهُ يُوجِبُ الْإِفْتِرَاقَ عَنْهُ . قِيلَ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ
 تَحْمِلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ بِهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ . وَسَأَلَ الْإِسْكَندَرُ حُكَمَاءَ
 أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمْ الشُّجَاعَةُ أَمْ الْعَدْلُ . قَالُوا إِذَا اسْتَعْمَلْنَا
 الْعَدْلَ اسْتَعْفَيْنَا بِهِ عَنِ الشُّجَاعَةِ . وَيُقَالُ : عَدْلُ السُّلْطَانِ . أَنْ نَفَعُ مِنْ
 خِصْبِ الزَّمَانِ (للابشيهي)

١٤٦ إِنْ السُّلْطَانُ إِذَا عَدَلَ انْتَشَرَ الْعَدْلُ فِي رِعِيَّتِهِ . وَأَقَامُوا الْوِزْنَ
 وَالْقِسْطَ وَتَعَاظُوا الْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَلَزِمُوا قَوَانِينَ الْعَدْلِ . فَهَاتَ
 الْبَاطِلُ وَذَهَبَتْ رُسُومُ الْجَوْرِ . وَانْتَعَشَتْ قَوَانِينُ الْحَقِّ . فَأَرْسَلَتْ
 السَّمَاءُ غِيَاثَهَا وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ بَرَكَاتَهَا . وَنَمَتْ تِجَارَتُهُمْ . وَرَكَتْ
 زُرُوعُهُمْ . وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ . وَدَرَّتْ أَرْضَانُهُمْ . وَرَخِصَتْ أَسْعَارُهُمْ .

وَأَمْتَلَاتِ أَوْعِيَّتِهِمْ . فَوَاسَى الْبَخِيلِ . وَأَفْضَلَ الْكَرِيمِ . وَقَضَيْتِ
 الْحَقُوقَ . وَإِذَا جَارَ السُّلْطَانَ أَنْتَشَرَ الْجُورَ فِي الْبِلَادِ وَعَمَّ الْعِبَادَ .
 فَرَقَّتْ أَدْيَانَهُمْ . وَأَضْحَمَّتْ مِرْوَاتِهِمْ . وَفَقَشَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِيَ .
 وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ . وَتَضَعَضَّتِ النُّفُوسُ . وَقَطَبَتْ الْقُلُوبُ . فَمَنَعُوا
 الْحَقُوقَ . وَتَعَاطَوْا الْبَاطِلَ . وَبَخَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ . فَرَفَعَتْ مِنْهُمْ
 الْبَرَكَةَ . وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ غِيَاثَهَا . وَلَمْ تَخْرِجِ الْأَرْضُ زَرْعَهَا وَنَبَاتَهَا .
 وَقَلَّ فِي أَيْدِيهِمُ الْحُطَامُ . وَقَطَبُوا وَأَمْسَكُوا الْفَضْلَ الْمَوْجُودَ . وَتَنَاجَرُوا
 عَلَى الْمُنْفُودِ . فَمَنَعُوا الزُّكُوتَ الْمَفْرُوضَةَ . وَبَخَلُوا بِالْمُوَاسَاةِ الْمَسْنُونَةِ .
 وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمَكَارِمِ . وَتَنَازَعُوا الْمِقْدَارَ اللَّطِيفَ وَتَجَاحَدُوا
 الْقَدْرَ الْخَسِيسَ . فَفَقَشَتْ فِيهِمُ الْإِيمَانَ الْكَاذِبَةَ . وَالْحِلِيلَ فِي الْبَيْعِ .
 وَالْخِدَاعَ فِي الْمَعَامَلَةِ . وَالْمَكْرَ وَالْحِيلَةَ فِي الْقَضَاءِ وَالْإِقْتِضَاءِ . وَمَنْ

عَاشَ كَذَلِكَ فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهْرِهَا (للطرطوشي)

قَالَ أَرْدَشِيرُ لِابْنِهِ : يَا بَنِيَّ إِنَّ الْمُلْكَ وَالْعَدْلَ أَخَوَانِ لَا غِنَى
 بِأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ . فَالْمُلْكُ أَسُّ وَالْعَدْلُ حَارِسٌ . فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 أَسٌّ مُهْدُومٌ . وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ (لابن عبد ربه)

الوفاء

١٤٧ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ الثَّقَفِيُّ : مَا خَلَقْتُ إِلَّا فَرِيْتًا . وَمَا
 وَعَدْتُ إِلَّا وَفِيْتًا (للقزويني)

قَالُوا : مَنْ تَحَلَّى بِالْوَفَاءِ . وَتَحَلَّى عَنِ الْجَفَاءِ . فَذَلِكَ مِنْ إِخْوَانِ

الصفاء . وقالوا : الوفاء ضالةٌ كثيرٌ ناشدُها . قليلٌ واجدُها . كما قيل :
الوفاء من شيم الكرام . والغدُر من خلائق اللئام
(الكثر المدفون للسيوطي)

قال بعضُ الشعراء في أهل زمانه :

ذهب الوفاء ذهبَ أمس الذهبِ فالتَّاسُ بَيْنَ مُحَالِفٍ وَمُؤَارِبٍ
يَفْشُونَ بَيْنَهُمُ الْمَوَدَّةَ وَالصَّفَا وَقُلُوبُهُمْ مَحْشُوءَةٌ بِعِقَابِ
١٤٨ قالوا : وعدُ الكَرِيمِ نَمْدٌ . ووعدُ اللئيمِ تَسْوِيفٌ . قال عمرُ
ابنُ الحارثِ : كانوا في قديمِ الزمانِ يَفْعَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ . ثُمَّ صَارُوا
يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ . ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ
قال زيادُ الأعمش :

لِللَّهِ دَرَكٌ مِنْ فَتَى لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجَوَا دِ وَحَبْدًا صِدْقِ الْبَخِيلِ

الصدقة والخفة

١٤٩ قيل : المرءُ كثيرٌ بأخيه . قال الأحنفُ بنُ قيسٍ : خيرُ
الإخوانِ مَنْ إِنْ اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ فِي الْمَوَدَّةِ . وَإِنْ أُحْتَجَّتْ إِلَيْهِ
لَمْ يَنْقُصْكَ . وَإِنْ كُوِّرَتْ عَضْدُكَ . وَإِنْ اسْتَرْفَدْتَ رَفْدَكَ . وَأَنْشَدَ
أحمدُ بنُ أبانٍ :

إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِرْ عَلَى الذَّنْبِ مِنْ أَخٍ وَكُنْتُ أَجَازِيهِ فَأَيْنَ التَّفَاضُلُ
وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

قَالَ آخِرُ :

وَأَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّني بِلِسَانِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبٌ
وَمَنْ مَالَهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا وَمَالِي لَهُ إِنْ أَعْوَزْتَهُ التَّوَائِبُ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِصْحَابُ ذَوِي الْفَضْلِ وَأَهْلُ الدِّينِ فَأَمْرُهُ مَأْسُوبٌ إِلَى الْقَرِينِ
قَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ
وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَا فَرَدَى مَعَ الرَّدِيِّ

عَنْ الْمُرَّةِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَهْتَدِي

١٥٠ قِيلَ ابْنُ رَجْمَهَرٍ : مَنْ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَدِيقُكَ . فَقَالَ :

مَا أَحَبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ :
الْقَرَابَةُ تُقَطَّعُ . وَالْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ . وَمَا رَأَيْتُ كَتَمًا رُبَّ الْقُلُوبِ

قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَابِ : يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَنْبِطَ لِرِزَّةِ أَخِيكَ سَبْعِينَ

عُذْرًا . فَإِنْ لَمْ يَهْتَبْهُ قَلْبُكَ فَضَلَّ لِقَابِكَ : مَا أَقْسَاكَ . يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ

أَخُوكَ سَبْعِينَ عُذْرًا فَلَا تَقْبَلْ عُذْرَهُ فَإِنَّهُ الْمَعْتُوبُ لَا هُوَ

قَالَ الْمُبَرَّدُ :

مَا الْقُرْبُ إِلَّا لِمَنْ صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ

وَلَمْ يَخُنْكَ وَلَيْسَ الْقُرْبُ لِلنَّسَبِ

كَمْ مِنْ قَرِيبٍ ذَوِي الصَّدْرِ مُضْطَظِنٍ
وَمِنْ بَعِيدٍ سَلِيمٍ غَيْرِ مُقْتَرِبٍ
قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

وَأَيْسَ الَّذِي يُقَالُ بِالْبَشْرِ وَالرِّضَا وَإِنْ غَبَتْ عَنْهُ أَمَّتْكَ عَقَارِبُهُ
قَالَ بَشَّارٌ :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَرَعَمُ أُنْتِي صَدِيقُكَ إِنْ أُلِّمْتَ مِنْكَ لَعَازِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّ نِي رَأَى عَيْنِهِ وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّ نِي وَهُوَ غَائِبُ

١٥١ مِمَّا أَوْصَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادَهُ : يَا بَنِي عَاشِرُوا النَّاسَ
عِشْرَةً إِنْ غَبْتُمْ حَنُوا إِلَيْكُمْ . وَإِنْ قُدِّمْتُمْ بَكُوا عَلَيْكُمْ . يَا بَنِي : إِنْ
الْقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلَاخِظُ بِالْمُودَةِ وَتَتَنَاجَى بِهَا وَكَذَلِكَ هِيَ فِي
الْبَغْضِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَرْجُوهُ .
وَإِذَا أَبْغَضْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَحْذَرُوهُ
قَالَ الطُّغْرَانِيُّ :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلُ ذُخْرٍ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ الزَّمَانِ
وَإِنْ بَانَتِ إِسَاءَتُهُ فَهَبْهَا لِمَا فِيهِ مِنَ الشِّيمِ الْحَسَانِ
تُرِيدُ مَهْدَبًا لَا عَيْبَ فِيهِ وَهَلْ عَوْدٌ يَفُوحُ بِأَلْدُخَانِ
قَالَ الْعَطْوِيُّ :

صُنِ الْوَدَّ إِلَّا عَنِ الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ يُؤَاخَاثِهِ تَشْرَفُ
وَلَا تَغْتَرِدْ مِنْ ذَوِي خِلَّةٍ وَإِنْ مَوَّهُوا نَكَ أَوْ زَخْرَفُوا

١٥٢ قَالَ بَزْرَجَمَهْرُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِ وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ فِي شِدَّتِهِ فَلَا يَعُدُّ نَفْسَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ. مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: الْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ. لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ. فِي الْخَيْرِ: الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ. وَيُقَالُ: الرَّجُلُ بِلَا إِخْوَانَ كَالشِّمَالِ بِلَا يَمِينٍ. وَيُقَالُ: مَنْ أَخَذَ إِخْوَانًا. كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا. وَقَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: التَّارِكُ لِلْإِخْوَانَ مَثْرُوكٌ. وَقَالَ شَيْبٌ بْنُ شَيْبَةَ: عَلَيْكَ بِالْإِخْوَانَ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرِّخَاءِ. وَعُدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ (لبهاء الدين)

قَالَ الشَّاعِرُ:

تَكَثَّرَ مِنَ الْإِخْوَانَ مَا اسْتَطَعَتْ إِيْنَهُمْ عِمَادٌ إِذَا اسْتَجَدَّتْهُمْ وَظَهِيرٌ
وَمَا بِكَثِيرٍ أَلْفُ خَلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَبِيرٌ
١٥٣ وَقَالَ الْعَتَبِيُّ: لِقَاءُ الْإِخْوَانَ تَرْهَةٌ الْقُلُوبِ. وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ
الْقُرَشِيِّ: مُجَالَسَةُ الْإِخْوَانَ سَلَاةٌ لِلْأَخْرَانِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ:
إِنَّ فِي لِقَاءِ الْإِخْوَانَ لَغُزْمًا وَإِنْ قَلَّ

(ظرائف اللطائف لابي نصر المقدسي)

وَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَهْتِيمٍ: مَا تُحِبُّ لِلصَّدِيقِ. فَقَالَ: ثَلَاثٌ خِلَالٍ.
كَيْتَانِ حَدِيثِ الْخَلْوَةِ. وَالْمُوَاسَاةِ عِنْدَ الشَّدَةِ. وَإِقَالَةَ الْعَثْرَةِ
(للمستعصي)

١٥٤ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ مَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ.

وَإِنْ غَبْتَ عَنْهُ صَانِكَ . وَإِنْ أُحْتَجَّتْ إِلَيْهِ مَاتَكَ . وَإِنْ رَأَى مِنْكَ
خَلَّةً سَدَّهَا . أَوْ حَسَنَةً عَدَّهَا . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ : مِنْ حُقُوقِ
الْمُودَّةِ أَخَذَ عَنُوقَ الْإِخْوَانِ . وَالْإِنْغِضَاءُ عَنْ تَقْصِيرٍ إِنْ كَانَ . وَقِيلَ :
خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا لَسَيْتَ ذَنْبَكَ لَمْ يُقَرِّعَكَ بِهِ . وَمَعْرُوفُهُ عِنْدَكَ
لَمْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِهِ (للشريشي)

قَالَ الْإِسْكَندَرُ : أَنْتَفَعْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَفَعْتُ بِأَصْدِقَائِي
لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعِيرُونِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي وَيُنَبِّهُونِي بِذَلِكَ عَلَى
الْخَطَأِ فَأَسْتَدْرِكُهُ . وَكَانَ أَصْدِقَائِي يُزَيِّنُونَ لِي الْخَطَأَ وَيُسْتَجْعِمُونِي
عَلَيْهِ (الآداب السلطانية للفخري)

وَلِلَّهِ دَرَأِي حَيَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ :
عِدَائِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَانُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ بَجَحُوا عَن زَلَّتِي فَأَجْتَدَبْتَهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَأَكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

المشورة

١٥٥ سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيْهَا
أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ . مُشَاوَرَةُ
الْعُلَمَاءِ . وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ . وَحَسَنُ التَّيَبُّ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةٌ
أَشْيَاءَ . الْأَسْتِبْدَادُ . وَالتَّهَاؤُنُ . وَالتَّعَجُّلَةُ . كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
يَقُولُ : رَأَى الشَّيْخُ أَحْسَنُ مِنْ جَلْدِ الْغُلَامِ . قَالَ الْعَتَبِيُّ : قِيلَ لِرَجُلٍ
مِنْ عَيْسٍ مَا أَكْثَرَ صَوَابِكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ .

فَتَحْنُ نَشَاوِرُهُ فَكَأَنَّا أَلْفُ حَازِمٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :
الرَّأْيُ كَاللَّيْلِ مُسَوِّدًا جَوَانِبُهُ وَاللَّيْلُ لَا يُجْلِي إِلَّا بِاصْبَاحِ
فَأَضْمَهُمْ مَصَابِيحَ آرَاءِ الرِّجَالِ إِلَى مِصْبَاحِ رَأْيِكَ تَزْدَدُ ضَوْءُ مِصْبَاحِ
قَالَ الأَرَجَانِيُّ :

إِقْرِنِ بِرَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ وَاسْتَشِرْ فَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى الإِثْمَانِ
لِلْمَرْءِ مِرَاةٌ تُرِيهِ وَجْهَهُ وَيَرَى قَفَاهُ بِجَمْعِ مِرَاتَيْنِ
١٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : إِذَا شَاوَرْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ . وَقَالَ العِتَابِيُّ :
المُشَوَّرَةُ عَيْنُ الهِدَايَةِ . وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ . وَقَالَ ابْنُ
المُعْتَرِّ : المُشَوَّرَةُ رَاحَةٌ لَكَ وَتَعَبٌ لغيرِكَ . وَمَنْ أَكْثَرَ المُشَوَّرَةَ لَمْ
يَدْمِمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَادِحًا وَعِنْدَ الخَطَا عَازِرًا (الابي نصر المقدسي)

كتمان السر

١٥٧ قَالَ أنوشروانُ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَهُوَ بِتَخْصِينِهِ خَصَاتَانِ .
الظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ . وَالسَّلَامَةُ مِنَ السَّطَوَاتِ . وَقِيلَ : كُلَّمَا كَثُرَتْ خِرَانُ
الأسرارِ زَادَتْ ضَيَاعًا . وَقِيلَ : أَنْفَرْدِ بِسِرِّكَ لَا تُودِعْهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ .
وَلَا جَاهِلًا فَيُخَوِّنَ (اللابشيهي)

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ العَنُويُّ :

وَلَسْتُ بِمُبْدِ الرِّجَالِ سِرِّي
وَلَا أَنَا عَنْ أسرارِهِمْ بِمَسَائِلِ
وَقَالَ آخَرُ :

يَا ذَا الَّذِي أودعني سِرَّهُ لَا تَرُجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي

لَمْ أَجْرِهِ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِي فِي أُذُنِي

قَالَ ابْنُ الْخَطِيرِ :

لَا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي نِئْمَةٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومٌ
فَالسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ عُقْلٌ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَأَبَابُ مَخْتُومٌ
قَالَ أَبُو الْحَاسَنِ الشَّوَّازُ فِي شَخْصٍ لَا يَكْتُمُ السِّرَّ وَقَدْ أَجَادَ فِيهِ :
لِي صَدِيقٌ غَدَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِغَيْبَةٍ أَوْ مُحَالٍ
أَشْبَهَ النَّاسَ بِالصَّدَى إِنْ تُحَدِّثُهُ حَدِيثًا أَعَادَهُ فِي الْحَالِ

الصمت وحفظ اللسان

١٥٨ سُبُلُ سُولُونَ : أَيُّ شَيْءٍ أَصْعَبُ عَلَى الْإِنْسَانِ . قَالَ :
الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ . شَتَمَ رَجُلٌ سَخِيصَ الْحَكِيمِ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : لَا أَدْخُلُ حَرْبًا أَلْغَابُ فِيهَا
أَشْرٌ مِنَ الْمَغْلُوبِ . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ . لَا تَتَّبِعْ هَيْبَةَ السُّكُوتِ
بِالرَّخِيصِ مِنَ الْكَلَامِ . قَالَ أَرِسْطَاطَلِسُ : إِخْتِصَارُ الْكَلَامِ طَيِّبٌ
الْمَعَانِي . وَقِيلَ لَهُ : مَا أَحْسَنَ مَا حَمَلَهُ الْإِنْسَانُ . قَالَ : السُّكُوتُ . وَمِنْ
كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقَلَّةِ مَقَالِهِ . وَعَلَى فَضْلِهِ
بِكَثْرَةِ أَحْتِمَالِهِ (لبهاء الدين)

١٥٩ أَجْتَمَعَ أَرْبَعَةٌ مَلُوكٍ فَتَكَلَّمُوا . فَقَالَ مَلِكُ الْفَرَسِ : مَا نَدِمْتُ
عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ مَرَّةً وَنَدِمْتُ عَلَى مَا قُلْتُ مَرَارًا . وَقَالَ قَيْصَرُ : أَنَا عَلَى
رَدِّ مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ : مَا لَمْ

أَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ مَلَكَتْهَا فَإِذَا تَكَلَّمْتُ بِهَا مَلَكَتْنِي . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ :
 الْعَجَبُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ إِنْ رُفِعَتْ ضَرَّتْ وَإِنْ لَمْ تُرْفَعْ لَمْ تَنْفَعْ
 (كليله ودمنه)

١٦٠ ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُجَالِسُ الشَّعْبِيَّ وَيُطِيلُ
 الصَّمْتَ . فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا : أَلَا تَتَكَلَّمُ . فَقَالَ : أَصَمْتُ فَاسْلَمُ .
 وَاسْمَعُ فَأَعْلَمُ . إِنَّ حَظَّ الْمَرْءِ فِي أُذُنِهِ لَهُ وَفِي لِسَانِهِ لِغَيْرِهِ (الدهميري)
 قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ :

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةِ بِلِسَانِهِ
 وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
 فَعَثْرَتُهُ بِالْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ
 وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

١٦١ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : النَّدَمُ عَلَى الصَّمْتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى
 الْقَوْلِ . وَمِنْ فُصُولِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : مَنْ أَخَافَهُ الْكَلَامُ أَجَارَهُ الصَّمْتُ .
 وَقَالَ أَيْضًا : الْخَطَا بِالصَّمْتِ يُخْتَمُ . وَالْخَطْلُ بِمِثْلِهِ لَا يُكْتَمُ
 وَقَالَ آخَرُ :

الصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ صِدْقَ الْمُوَدَّةِ وَالْحُبَّ
 وَالْقَوْلُ يَسْتَدْعِي لِصَا حِبِّهِ الْمَذَمَّةَ وَالْمَسَبَّ
 فَارْتَبِعْ عَنِ الْقَوْلِ وَلَا يَهْتَاجْ مِنْكَ إِلَيْهِ رَغْبَةٌ

١٦٢ وَيُقَالُ : مِنْ عِلَامَاتِ الْعَاقِلِ حُسْنُ سَمِّهِ . وَطُولُ صَمْتِهِ . وَقَالَ

بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَوَّلُ الْعِلْمِ الصَّمْتُ . وَالثَّانِي حُسْنُ الْإِسْتِمَاعِ .
وَالثَّلَاثُ الْحِفْظُ . وَالرَّابِعُ الْعَمَلُ بِهِ . وَالخَامِسُ نَشْرُهُ . كَانَ يُقَالُ :
مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكِّيهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : اللِّسَانُ هِ أَجْرَحُ
جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ آخَرُ : اللِّسَانُ سَبْعُ صَغِيرِ الْجَرْمِ .

(لابي نصر المقدسي)

سَمِعْتُ بَعْضَ الشُّيُوخِ يَقُولُ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً وَكَثْرُهُمْ عِنَاءً .
مَنْ لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ . وَقَلْبٌ مُطْبِقٌ . فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا
يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ . (الكثر المدفون)

قَالَ نَصْرُ بْنُ شَمِيلٍ :

وَإِذَا بُدِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَخَبِّئِكُمْ يَجِدُ الْمَحَالَ مِنْ الْأُمُورِ صَوَابًا
أَوَّلِيَّتُهُ مِنِّي السُّكُوتُ وَرُبَّمَا كَانَ السُّكُوتُ عَنِ الْجَوَابِ جَوَابًا
قَالَ فَيْلَسُوفٌ : كَمَا أَنَّ الْأَيَّةَ تَتَحَنَّنُ بِإِطْنَانِهَا فَيُعْرِفُ صَحِيحَهَا أَوْ
مَكْسُورَهَا . كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يُعْرِفُ حَالَهُ بِنُطْقِهِ (ليهاء الدين)

١٦٣ شَاوَرُ مَعَاوِيَةَ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ فِي اسْتِخْلَافِهِ يَزِيدَ . فَسَكَتَ
عَنْهُ فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَقُولُ . فَقَالَ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَنْتَ خَطْنَاكَ . وَإِنْ
كَذَبْنَاكَ أَنْتَ خَطْنَا اللَّهَ . فَسُخِطَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ سُخْطِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ
الْكَلَامَ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالٌ . وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ سَكَتٌ . وَقَلْبٌ

الأحمق من وراء إسانه . فإذا أراد أن يقول قال (لابن عبد ربه)
قال زهير :

كأين ترى من مُعجِبٍ لكَ صَامِتٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقَصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
إِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

الكذب

١٦٤ الكذبُ هو الإخبارُ على خلافِ الواقعِ . قال بعضهم : لو
لم أَدَعِ الكذبَ تورَّعاً . تركته تصنعاً (الكنز المدفون للسيوطي)
قال عمرُ : عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي
ذَلِكَ .

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ
وَأَبْعَ رِضًا الْمَوْلَى فَأَعْبَى الْوَرَى مِنْ أَسْخَطَ الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدِ
وقيل : لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ النُّطْقِ الصِّدْقُ (اللابسيهي)

١٦٥ قال علي بن عبيدة : الصِّدْقُ رِبْعُ الْقَلْبِ . وَزَكَاةُ الْخَلْقَةِ .
وَمَرَّةُ الْمَرْوَةِ . وَشُعَاعُ الصَّمِيرِ . وَعَنْ جَلَالَةِ الْقَدْرِ عِبَارَتُهُ . وَإِلَى
أَعْتَدَالِ وَزَنِ الْعَقْلِ يُنْسَبُ صَاحِبُهُ . قَالَ بَعْضُ الْفَلَّاسِفَةِ : الْكُذَّابُ
وَأَلْمِتْ سِوَاهُ . لِأَنَّ فَضِيلَةَ الْحَيِّ النُّطْقُ فَإِذَا لَمْ يُوثِقْ بِكَلَامِهِ فَقَدْ بَطَلَتْ
حَيَاتُهُ . قَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ : الْكُذَّابُ لِيصُّ . لِأَنَّ اللَّصَّ يَسْرِقُ
مَالَكَ . وَالْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ . وَلَا تَأْمَنْ مِنْ كَاذِبٍ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ
عَلَيْكَ . وَمَنْ أَعْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ

حَسْبُ الْكُذُوبِ مِنْ أُمَّهَا فَهَ بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعَتْ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ
(زهر الآداب للثيروني)

التواضع والتكبر

١٦٦ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا التَّوَاضِعُ . فَقَالَ : اجْتِلَابُ الْمُجْدِ وَاجْتِسَابُ
الْوَدِّ . فَقِيلَ : مَا الْكِبَرُ . فَقَالَ اجْتِسَابُ الْبُغْضِ . وَقِيلَ : التَّوَاضِعُ
أَحَدُ مَصَائِدِ الشَّرَفِ . مَنْ لَمْ يَتَضَعْ عِنْدَ نَفْسِهِ . لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَ غَيْرِهِ
نَظَرَ مُطَرِّفٌ إِلَى الْمُهَابِ وَعَلَيْهِ حَالَةٌ يَسْتَحِبُّهَا . فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْأُشْيَاءُ
الَّتِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ : أَوْ مَا تَعْرِفُنِي . قَالَ : بَلَى أَوْلَاكَ مَادَّةُ
مَذِرَّةٍ وَآخِرُكَ حَيْفَةُ قَدِرَّةٍ . فَلَمْ يَعُدْ إِلَى تِلْكَ الْأُشْيَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ .
وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يُخْطِرُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ . فَقَالَ : انْظُرُوا إِلَى
هَذَا لَيْسَ مِنْهُ عَضْوٌ إِلَّا وَاللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ نَمَّةٌ وَالشَّيْطَانُ فِيهِ أَعْبَةٌ
وَأَشْتَرَى رَجُلٌ شَيْئًا فَرَّ بِسَلْمَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ .
فَقَالَ : أَحْمَلْ مَعِيَ هَذَا يَا عَلِجُ فَحَمَلَهُ . فَكَانَ مَنْ يَتَلَقَّاهُ يَقُولُ : ادْفَعُهُ
إِلَى أَيِّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَحْمَلُهُ إِلَّا الْعَلِجُ . وَالرَّجُلُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ
وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِ . فَأَبَى حَتَّى حَمَلَهُ إِلَى مَقَرِّهِ (للشاهلي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَثَلُ الْمُجْدِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمِشِي مَعَكَ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مَتَّبِعًا فَإِذَا وَلَيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ

١٦٧ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِبَعْضِ الْوُزَرَاءِ : إِنَّ تَوَاضَعَكَ فِي

شَرَفِكَ أَشْرَفُ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمِنَ الْبَلَوَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي النَّاسِ كُنْهٌ
أَنَّ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

(لِبِهَاءِ الدِّينِ)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدَا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ

أَضْحَجَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ

حُكِيَ أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ جَالِسًا فَالْحَ عَابَهُ الذُّبَابُ حَتَّى أَضْجَرَهُ .

فَقَالَ : أَنْظِرُوا مِنِّي بِالْبَابِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . فَقَالُوا : مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ .

فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ تَعْلَمُ لِأَيِّ حِكْمَةٍ خَاقَ اللَّهُ الذُّبَابَ . قَالَ :

لِيَذِلَّ بِهِ الْجَبَابِرَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَجَارَهُ (اللابسيهي)

١٦٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَحَقُّ مَنْ كَانَ لِأكْبَرِ مُجَانِبًا . وَالْإِعْجَابُ

مُبَايَنًا . مَنْ جَلَّ فِي الدُّنْيَا قَدْرُهُ . وَعَظُمَ فِيهَا خَطَرُهُ . لِأَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِعَالِي

هَمَّتِهِ كُلِّ كَثِيرٍ . وَيَسْتَصْغِرُ مَعَهَا كُلِّ كَبِيرٍ

وَرَدَّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ : عَجَبًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ مِنْ

الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَفَرِحَ . وَقِيلَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا هُوَ فِيهِ فَغَضِبَ

(للعالمي)

الحسد

١٦٩ قِيلَ : الْحَسَدُ أَنْ تَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةٍ غَيْرِكَ . الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ
عَصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّرِ : الْحَسَدُ وَالْحِرْصُ
دِعَامَتَا الذُّنُوبِ . فَالْحِرْصُ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ . وَالْحَسَدُ نَقَلَ إِبْلِيسَ
عَنْ جِوَارِ اللَّهِ . وَقَالَ أَيْضًا : لِلَّهِ دَرُّ الْحَسَدِ مَا أَعْدَلَهُ يَقْتُلُ الْحَاسِدَ قَبْلَ
أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمُحْسُودِ . وَقِيلَ : الْحُسُودُ لَا يَسُودُ (للشعالبي)

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

أَمْجِدُ وَالْحَسَادُ مَقْرُونَانِ إِنْ ذَهَبُوا فذَاهِبُ

وَلَيْزِنَ مَلَكَتِ الْمَجْدَ لَمْ تَمْلِكْ مَوَدَّاتِ الْأَقَارِبِ

١٧٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَسَدُ وَالْحَاسِدُ مُضَادٌّ
لِنِعْمَةِ اللَّهِ . خَارِجٌ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ . تَارِكٌ لِعَهْدِ اللَّهِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كُلُّ
إِنْسَانٍ أَقْدِرُ أَنْ أَرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالَهَا . وَكَانَ
يُقَالُ : الْحَقْدُ دَاءٌ دَوِيٌّ . وَيُقَالُ : مَنْ كَثُرَ حِقْدُهُ دَوِيَ قَلْبُهُ . وَيُقَالُ :
الْحَقْدُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . وَيُقَالُ : حُلُّ عَقْدِ الْحَقْدِ . يَنْتَظِمُ لَكَ عِقْدُ
أَلْوَدِّ (لابي نصر المقدسي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ قَضِيئِهِ طَوَّيْتُ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا أَشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبَ عَرَفِ الْعُودِ

ذم الغيبة

١٧١ إعلم أن الغيبة من أفتح القبائح وأكثرها انتشاراً في الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس . وحي ذكرك الإنسان بما يكره ولو بما فيه . سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خاتمه أو خلقه أو ماله أو غير ذلك مما يتعلق به . سواء ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك . وقيل للربيع أن خيتم : ما نراك تعيب أحداً . فقال : لست عن نفسي راضياً فأفرغ لدم الناس . وأنشد :

لنفسى أبكي ليس أبكي غيرها لنفسي من نفسي عن الناس شاغل
١٧٢ استخ من دم من لو كان حاضراً البانت في مدحه . ومدح من لو كان غائباً سارعت إلى دمه . ومن كلامهم : كما أن الذباب يتبع مواضع الجروح فينكسها ويجتنب المواضع الصحيحة . كذلك الأشرار يتبعون المعائب فيذكرونها ويدفنون المحاسن

(إيهاء الدين)

١٧٣ إعلم أنه كما يحرم على المعتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها . فحجب على من يستمع إنساناً يبتدئ بغيبة أن ينهأه إن لم يخف ضرراً . فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقتة . (للابشيهي)

سمع علي رجلاً يعتاب آخر عند ابنه الحسن فقال : يا بني زره

سَمِعَكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ

(للمستعصي)

قَالَ الشَّيْبَرَاوِيُّ :

وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعٍ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعٍ الْقَبِيحِ شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَأَنْتَبِهْ

الملاح

١٧٤ قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ : الْمُرَّاحُ يُذْهِبُ الْمَهَابَةَ وَيُورِثُ
الضَّغِينَةَ أَوْ الْمَهَانَةَ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ : الْمُرَّاحُ يَأْكُلُ الْمَهِيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطْبَ . وَمَنْ كَثُرَ مُرَّاحُهُ لَمْ يَزَلْ فِي اسْتِحْقَافٍ بِهِ وَحِقْدٍ عَلَيْهِ

قَالَ نَاصِحُ الدِّينِ بْنِ الدَّهَّانِ :

لَا تَجْعَلِ الْمُرَّاحَ دَابًّا فَهُوَ مَنْقُصَةٌ وَالْجِدُّ تَعْلُو بِهِ بَيْنَ الْوَرَى الْقِيمِ
وَلَا يَغُرَّنَكَ مِنْ مَلِكٍ تَبَسُّمُهُ مَا سَمَحَتْ السُّبْحُ الْإِحْيَانِ تَبَسُّمِ

١٧٥ كَانَ يُقَالُ : الْإِفْرَاطُ فِي الْمُرَّاحِ مُجُونٌ وَالْإِقْتِصَادُ فِيهِ ظَرَفَةٌ .

وَيُقَالُ : الْمُرَّاحُ فِي الْكَلَامِ . كَالْمُرَّاحِ فِي الطَّعَامِ . وَقَدْ نَظَّمَهُ أَبُو الْفَتْحِ

الْبُسْتِيُّ فَقَالَ :

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً قَلِيلاً وَعَلَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُرَّاحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمُرَّاحَ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارٍ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمُرَّاحِ

(الابي نصر المقدسي)

الكرم

١٧٦ الْجُودُ سَهْوَةٌ الْبِذْلِ وَسُقُوطُ شَحِّ النَّفْسِ . وَقَدْ قِيلَ فِي كَرِيمٍ :
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي أَضْحَى وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ
لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخِرٌ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَمِيرٌ

(الكنز المدفون)

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ حَكِيمُ الْعَرَبِ : ذَلُّوا أَخْلَاقَكُمْ لِأَمِّطَالِبِ .
وَقُودُوهَا إِلَى الْمُحَامِدِ . وَعَدَمُوهَا الْمَكَارِمَ . وَصَلُّوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ .
وَتَحَلَّوْا بِالْجُودِ يُلَيْسِكُمْ الْحَبَّةَ . وَلَا تَعْتَدُوا الْجُلَّ فَتَعَجَّلُوا الْقُرَّ

(لابن عبد ربه)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَصِفُ الْخَلِيفَةَ الْمُعْتَصِمَ :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْقِبَاضًا لَمْ تَطْعَمَهُ أَنَامِلُهُ
هُوَ الْبَجْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتُهُ فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَقَى اللَّهَ سَائِلُهُ

١٧٧ قَالُوا : أَلَسْنِي مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بَبْدَلِهِ مُتَبَرِّعًا بِعَطَائِهِ . لَا

يَلْتَمِسُ عَرَضَ دُنْيَا فَيَجْبُطُ عَمَلُهُ . وَلَا طَلِبَ مَكْفَاةٍ فَيَسْقُطُ شُكْرُهُ .

وَيَكُونُ مِثْلَهُ فِيمَا أُعْطِيَ مِثْلَ الصَّائِدِ الَّذِي يُلْقِي الْحَبَّ لِلطَّائِرِ لَا يُرِيدُ

نَفْعَهُ وَلَكِنْ نَفْعَ نَفْسِهِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَجُودُ النَّاسِ .

قَالَ : مَنْ جَادَ مِنْ قَلَّةٍ . وَصَانَ وَجْهَ السَّائِلِ عَنِ الْمُدَّةِ (لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارِيُّ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِنْفَاقِ :

إِذَا كَانَ لِي مَالٌ عَلامٌ أَصونُهُ وَمَا سَادَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الْجُلِّ دِينُهُ
 وَمَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا يَسَارٍ فَإِنَّهُ خَاطِبٌ لِعَمْرِي أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ
 ١٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ : الْجُودُ أَشْرَافُ الْأَخْلَاقِ . وَأَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ .
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : الْجُودُ حَارِسُ النَّفْسِ مِنَ الدَّمِّ . وَقَالَ آخَرُ : الْأَسْحِيَاءُ
 يَعْبُدُهُمُ الْمَالُ . وَالْبُخْلَاءُ يَعْبُدُونَهُ . وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَوْ كَانَ شَيْءٌ
 يُشْبِهُ الرُّبُوبِيَّةَ لَقُلْتُ : الْجُودُ . وَيُقَالُ : مَنْ جَادَسَادَ . وَمَنْ بَجَلَ رَذُلٌ .
 وَقَالَ عُمَرُ : أَلَسَيِّدُ الْجَوَادِ حِينَ يُسْأَلُ . وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَأَلْمَالُ لَكَ

قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ بَعْضَ الْخَلَفَاءِ :

بَنَتْ الْمَكَارِمُ وَسَطَ كَفِّكَ مَنزِلًا وَجَعَلَتْ مَا لَكَ لِلْأَنَامِ مُبَاحًا
 إِذَا الْمَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا كَانَتْ يَدَاكَ لِقُلُوبِهَا مِفْتَاحًا

١٧٩ كَتَبَ كِسْرَى إِلَى هُرْمُزَ : اسْتَقْبَلْ كَثِيرَ مَا تُعْطِي . وَاسْتَكْبِرْ

قَلِيلَ مَا تَأْخُذُ . فَإِنَّ نُرَّةَ عَيْنِ الْكَرِيمِ فِيمَا يُعْطَى . وَقُرَّةَ عَيْنِ الْيَتِيمِ فِيمَا

يَأْخُذُ . وَلَا تَجْعَلِ الشُّحَّ لَكَ مَعِينًا . وَلَا الْكُذَّابَ أَمِينًا . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ

مَعَ شُحٍّ وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ . وَالسَّلَامُ (لِلْمُسْتَعْصِمِ)

وَأَنْشَدَ عَرَابِيٌّ :

وَكَمْ قَدْرًا يَنَامُ مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُنْحَبِ مِنْ أَصُولِ

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَخَلُّوْا وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

الشكر

١٨٠ الشُّكْرُ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
 الشَّيبَانِيُّ : كُنْتُ أَرَى رَجُلًا مِنْ رُجُلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ لَا يَجِفُّ لُحْيُهُ . وَلَا
 يَسْتَرِيحُ قَلْبُهُ . فِي طَلَبِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَإِدْخَالِ الْمُرَافِقِ عَلَى الضَّعِيفِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ الْحَالِ الَّتِي هَوَّنَتْ عَلَيْكَ هَذَا التَّعَبَ فِي الْقِيَامِ
 بِحَوَائِجِ النَّاسِ مَا هِيَ . قَالَ : قَدْ وَاللَّهِ سَمِعْتُ تَغْرِيدَ الْأَطْيَارِ . بِالْأَشْجَارِ .
 فِي فُرُوعِ الْأَنْجَارِ . وَسَمِعْتُ خُفُوقَ أَوْتَارِ الْعِيدَانِ . وَتَرْجِيعَ أَصْوَاتِ
 الْفَيْكَانِ . فَمَا طَرَبْتُ مِنْ صَوْتٍ قَطُّ طَرَبِي مِنْ ثَنَاءٍ حَسَنٍ بِلسَانِ
 حَسَنٍ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَحْسَنَ . وَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْ شُكْرِ حُرِّ
 لِرَجُلٍ حُرِّ (للشريشي)

١٨١ قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ .
 وَكَثَرَتْهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ طَائِفَتِهِمْ . قِيلَ : الشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ النِّعَمِ .
 لِأَنَّهُ يَبْقَى وَالنِّعَمُ تَفْنَى . وَقِيلَ : الشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي النِّعَمِ . وَأَهَانٌ مِنَ
 النِّقَمِ . وَقَالُوا : كَفَرُ النِّعْمَةِ يُوجِبُ زَوَالَهَا . وَشُكْرُهَا يُوجِبُ الْمَزِيدَ
 فِيهَا . وَقَالُوا : مَنْ حَمَدَكَ فَقَدْ وَفَّاكَ حَقَّ نِعْمَتِكَ . وَقَالُوا : إِذَا قَصُرَتْ
 يَدَاكَ عَنِ الْمُدَّكَافَةِ فَلْيَطْلُ إِسَانُكَ بِالشُّكْرِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَالِحٍ
 الْوَأَقِدِيُّ : دَخَلَتْ عَلَيَّ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ الْبُرْمَكِيِّ فَقُلْتُ : إِنَّ هَهُنَا قَوْمًا
 يَشْكُرُونَ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هُوَ لَا يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا كَيْفَ
 أَنَا شُكْرُ شُكْرِهِمْ (لابن عبدربه)

١٨٢ الْقَنَاعَةُ الْإِكْتِفَاءُ بِالْمَوْجُودِ . وَتَرَكَ التَّشَوُّقَ إِلَى الْمُنْقُودِ
 قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بَنِي الْعَبْدِ حُرٌّ إِذَا قَنَعَ . وَالْحُرُّ عَبْدٌ
 إِذَا طَمِعَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْقَلِيلِ لَمْ يَكْتَفِ بِالْكَثِيرِ .
 وَمِنْ فُضُولِ ابْنِ الْمُعْتَرِّ : أَعْرَفُ النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ لَهُ .
 وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَكُلْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ
 قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا سِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
 وَمَنْ طَلَبَ الْعَالِيَا مِنَ الْعَيْشِ لَمْ يَزَلْ حَقِيرًا وَفِي الدُّنْيَا أَسِيرَ غُوبِنَهَا
 ١٨٣ قَالُوا : الْغَنِيُّ مَنْ اسْتَعْنَى بِاللَّهِ . وَالْفَقِيرُ مَنْ أَفْقَرَ إِلَى النَّاسِ
 وَقَالُوا : لَا غَنِيَّ إِلَّا غَنِيَّ النَّفْسِ (لابن عبد ربه)
 قَالَ النُّوَوِيُّ :

وَجَدْتُ الْقَنَاعَةَ أَصْلَ الْغِنَى فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِكٌ
 فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مِنْهُمْ
 وَعَشْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ أَمْرٌ عَلَى النَّاسِ شَبَهَ الْمَلِكِ
 نَظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ إِلَى قَصَارٍ
 يَضْرِبُ بِالثَّوْبِ الْمَغْسَلَةَ . فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَارًا وَلَمْ أَتَقَلَّدِ
 الْخِلَافَةَ . فَبَلَغَ كَلَامَهُ أَبَا حَاتِمٍ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ إِذَا

حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ يَتَمَنُّونَ مَا تَحْنُ فِيهِ . وَإِذَا حَضَرَ نَا الْمَوْتَ لَمْ نَتَمَنَّ
مَا هُمْ فِيهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْهَبُوطُ فَإِيَّاكَ وَالرَّتْبَ الْعَالِيَةَ
وَكَنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطَتْ تَقُومُ وَرِجَالَكَ فِي عَافِيَةِ
١٨٤ كَانَ أَنْوَشِرَ وَأَنْ يُمَسِّكَ عَنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَيَقُولُ : تَتْرَكُ
مَا نَحِبُّ لِمَا لَا نَقَعُ فِيهَا نَكْرَهُ . كَانَ سُقْرَاطُ الْحَكِيمُ قَلِيلَ الْأَكْلِ
خَشِنَ اللَّبَاسِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفَلَسِيفَةِ : أَنْتَ تَحْسَبُ أَنَّ الرَّحْمَةَ
لِكُلِّ ذِي رُوحٍ وَاجِبَةٌ وَأَنْتَ ذُورُوحٌ فَلَا تَرْحَمُهَا . فَكَتَبَ لَهُ سُقْرَاطُ
فِي جَوَابِهِ : إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَكُلَ لِأَعِيشَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعِيشَ
لِتَأْكُلَ . وَالسَّلَامُ

١٨٥ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا طَلَبْتَ الْعِزَّ فَاطْلُبْهُ بِالطَّاعَةِ .
وَإِذَا أَرَدْتَ الْغِنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ . فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ نَصَرَهُ . وَمَنْ
لَزِمَ الْقَنَاعَةَ زَالَ فَقْرُهُ . قَالَ أَرِسْطُو : الْغِنَى يُبَوِّعُ الْأَخْرَانَ . نَظْمَهُ
أَبُو الْقَتْحِ الْبُسْتِيُّ بِقَوْلِهِ :

يَقُولُونَ مَالِكَ لَا تَقْتَنِي مِنْ أُمَالٍ ذُخْرًا يُفِيدُ الْغِنَى
فَقُلْتُ وَأَفْحَمْتُهُمْ فِي الْجَوَابِ لِمَا أَخَافَ وَلَا أَحْزَنَا
(لِبِهَاءِ الدِّينِ)

البطنة

١٨٦ قَالُوا : الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ . رَأَى أَبُو الْأَسْوَدُ الدَّوْلِيُّ

رَجُلًا يَلْقَمُ لَقْمًا مُنْكَرًا . فَقَالَ : كَيْفَ اسْمُكَ . قَالَ : لُقْمَانُ . قَالَ :
 صَدَقَ الَّذِي سَمَّاكَ . وَرَأَى أَعْرَابِيًّا رَجُلًا سَمِينًا . فَقَالَ لَهُ : أَرَى عَلَيْكَ
 قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَضْرَاسِيكَ . قِيلَ لِبِزْرَجَمَهْرَ : أَيُّ وَقْتٍ فِيهِ الطَّعَامُ
 أَصْلَحُ . قَالَ : أَمَا لِمَنْ قَدَّرَ فَإِذَا جَاعَ . وَلِمَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ فَإِذَا وَجَدَ . قِيلَ
 لِبَعْضِهِمْ : مَا أَفْضَلُ الدَّوَاءِ . قَالَ : أَنْ تَرْفَعَ يَدَكَ عَنِ الطَّعَامِ وَأَنْتَ
 تَشْتَهِيهِ . قَالُوا : أَحْذَرُوا الْبِطْنَةَ فَإِنَّ الْكَثْرَةَ الْعِلَلُ إِنَّمَا تَتَوَلَّدُ مِنْ فُضُولِ
 الطَّعَامِ .
 (لابن عبد ربه)

ذم النبيذ

١٨٧ جَاءَ فِي الْمُبْهَجِ : الْخَمْرُ مِصْبَاحُ السُّرُورِ . وَكَيْفَ مِفْتَاحُ الشُّرُورِ .
 وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : أَشْرَبُ مَعْنَا . فَقَالَ : أَنَا لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ
 عَمَلِي . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : النَّبِيذُ كَيْمِيَاءُ الطَّرْبِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَلَكِنَّهُ دَاعِيَةٌ
 الْحَرْبِ . قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا يُحْصَى عَلَى النَّاسِ شَرُّهَا وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَذَّةٌ وَهَنَاءٌ
 مَرَارًا تُرِيكَ الْغِيَّ رُشْدًا وَتَارَةً تُخِيلُ أَنَّ الْمُحْسِنِينَ أَسَاؤًا
 وَأَنَّ الصَّدِيقَ الْمَاحِضَ الْوَدْمِغُضُ وَأَنَّ مَدِيحَ الْمَادِحِينَ هِجَاءً
 وَجَرَّبَتْ إِخْوَانَ النَّبِيذِ فَقَلَّمَا يَدُورُ لِإِخْوَانَ النَّبِيذِ إِخَاءٌ

العزلة

١٨٨ يُقَالُ : الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ تُوَقِّي الْعَرِضَ . وَتُتَّبَقِي الْجَلَالََةَ .
 وَتَسْتُرُ الْفَاقَةَ . وَقَالَ مَكْحُولٌ : إِنْ كَانَ الْفَضْلُ فِي الْجَمَاعَةِ . فَإِنَّ

السَّلامَةَ فِي الْوَحْدَةِ وَالْعِزَّةِ . قَالَ الْجُرْجَانِيُّ :

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكَتْبِي جَلِيصًا
إِنَّمَا الدُّلُّ فِي مُدَاخَلَةِ النَّاسِ فَدَعَّهَا وَكُنْ كَرِيمًا رَيْسًا
لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَجَلُّ مِنَ الْعِلْمِ . قَالَا أَتَبْنِي سِوَاهُ أُنَيْسًا

(لأبي نصر المقدسي)

١٨٩ العزلة عن الخلق هي الطريق الأقوم للأسد . وفر من
الخلق فرارك من الأسد . فطوبى لمن لا يعرفونه بشيء من الفضائل
والمزايا . لأنه سالم من الألام والرزايا . فأحبس نفسك في زاوية
العزلة . فإن عزلة المرء عزله . قيل لبعض الزهاد : إلى أي شيء
أفضت بكم الخلوة . فقال : إلى الأئس بالله تعالى
ولله در من قال :

أَنْتَ بِوَحْدَتِي وَكَلِمَتِ بَيْتِي فَطَابَ الْأُنْسُ لِي وَصَفَا السَّرُورُ
وَأَدْبَنِي الزَّمَانُ فَلَا أَبَالِي بِأَنِّي لَا أَزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَأَنْتَ بِسَائِلِ مَا عِشْتُ يَوْمًا أَسَارَ الْجُنْدُ أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ
قِيلَ لِذِعْبِلِ الشَّاعِرِ : مَا الْوَحْشَةُ عِنْدَكَ . فَقَالَ : النَّظْرُ إِلَى النَّاسِ
ثُمَّ أَنْشَدَ :

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَقْلَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقْلُ قَدَا
إِنِّي لَا أَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

(لبهاء الدين)

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

العقل

١٩٠ قَالَ حَكِيمٌ : الْعَقْلُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ . وَأَحْصَنُ مَعْقِلٍ . قَالَ
آخَرُ : أَشَدُّ التَّاقَةِ عَدَمُ الْعَقْلِ . وَقَالَ آخَرُ : كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ
رُخِصَ إِلَّا الْعَقْلَ فَإِنَّهُ كَلَّمَا كَثُرَ غَلَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

يَعْدُ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبٍ
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَمَلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدَةٍ بَعِيدٍ

(لابي نصر المقدسي)

١٩١ اِفْتَخَرَ بَعْضُ الْأَغْنِيَاءِ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ .
وَبِزَخَارِفِ الْمَالِ الْمُسْتَفَادِ . فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْحَكِيمُ : إِنْ كَانَ فِي هَذِهِ
فَخْرٌ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ائْتَفَخْرُ لَهَا لَا لَكَ . وَإِنْ كَانَ آبَاؤُكَ كَمَا ذَكَرْتَ
أَشْرَافًا فَائْتَفَخْرُ لَهُمْ لَا لَكَ (للنخري)

١٩٢ إِعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ . وَإِنْ كَانَ دَوِيمَ الْمُنْظَرِ حَقِيرَ
الْخَطْرِ دَنَى الْمُنْزَلَةِ رَثَّ الْهَيْئَةِ . وَأَنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى . وَإِنْ
كَانَ جَمِيلَ الْمُنْظَرِ عَظِيمَ الْخَطْرِ شَرِيفَ الْمُنْزَلَةِ حَسَنَ الْهَيْئَةِ فَصِيحًا
نَطُوقًا . فَأَلْقِرْدَةُ وَالْحَنَازِيرُ أَعْقَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَصَاهُ . وَلَا تَغْتَرُّوا
بِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنَ الْخَائِسِينَ (أحياء علوم الدين)

١٩٣ قَالَ أَنُوشِرَوَانُ : إِنَّ الْعَاقِلَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ .
وَالْعَقْلُ كَالشَّمْسِ فِي الدُّنْيَا . وَهُوَ قَلْبُ الْحَسَنَاتِ . وَالْعَقْلُ حَسَنٌ فِي
كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ فِي الْأَكْبَارِ وَالرُّعَمَاءِ أَحْسَنُ . وَالْعَقْلُ فِي جَسَدِ
الْإِنْسَانِ كَالرُّطُوبَةِ فِي الشَّجَرَةِ . لِأَنَّ الشَّجَرَةَ مَا دَامَتْ رَطْبَةً طَرِيَّةً
كَانَ الْخَلْقُ مِنْ رَائِحَتِهَا وَنَشْرَ أَزْهَارِهَا وَطِيبِ ثَمَارِهَا وَنَضَارَتِهَا
وَطَرَائِقِهَا فِي سُورٍ وَغِبْطَةٍ وَزَهَّةٍ وَفَرِحَةٍ . فَإِذَا جَفَتْ رَطُوبَتُهَا وَقَلَّتْ
نَضَارَتُهَا فَلَا تَصْلُحُ حِينَئِذٍ لِسَوَى الْقَطْعِ وَالْإِحْرَاقِ وَالْقَلْعِ . قَالَ أَيْضًا :
لَيْسَ لِمَلِكٍ وَلَا لِرَعِيَّةٍ خَيْرٌ مِنَ الْعَقْلِ . فَإِنَّ بَضِيئَهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْقَبِيحِ
وَالْمَلِيحِ . وَالْجَيِّدِ وَالرَّدِيِّ . وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ
(التبر المسبوك للغزالي)

العلم وشرفه

١٩٤ قِيلَ : الْعُلَمَاءُ فِي الْأَرْضِ كَالنُّجُومِ فِي السَّمَاءِ . لَوْلَا الْعِلْمُ
لَكَانَ النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعِلْمُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ
وَمِصْبَاحُ الْأَبْصَارِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي فُصُولِهِ : الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ
كَانَ شَيْخًا . وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا . وَقَالَ أَيْضًا : مَا مَاتَ مِنْ
أَحْيَا الْعُلُومِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا ابْنِي خُذِ الْعِلْمَ مِنْ أَفْوَاهِ
الرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ يَكْتُوبُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ . وَيَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا
يَكْتُوبُونَ . وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ (لابي نصر المقدسي)

١٩٥ لَمَّا وُلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَدَّ عَلَيْهِ الْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ .

فَوَفَدَ عَلَيْهِ الْحِجَازِيُّونَ فَتَقَدَّمَ مِنْهُمْ غُلَامٌ لِلْكَلامِ . وَكَانَ حَدِيثَ السِّنِّ .
 فَقَالَ عُمَرُ : لِيَنْطِقَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ . فَإِذَا مَنَعَ اللَّهُ الْعَبْدَ لِسَانًا
 لَا لِفِظًا وَقَلْبًا حَافِظًا فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْكَلَامَ . وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالسِّنِّ لَكَانَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْكَ بِجِلسِكَ هَذَا .
 فَتَعَجَّبَ عُمَرُ مِنْ كَلَامِهِ . وَسَأَلَ عَنْ سِنِّهِ فَإِذَا هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ
 سَنَةً . فَتَمَثَّلَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَدُ عَالِمًا وَيَلِدُ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
 وَإِنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا التَّفَتْ عَلَيْهِ الْمُحَافِلُ
 ١٩٦ قِيلَ لِتَرْجَمَهُ : أَيُّ الْأَكْتِسَابِ أَفْضَلُ . قَالَ : الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ
 كَثْرَانِ لَا يَنْغَدَانِ . وَسِرَاجَانِ لَا يَطْفَأَانِ وَحُلَّتَانِ لَا تَبْلِيَانِ . مَنْ
 نَالَهُمَا أَصَابَ الرَّشَادَ . وَعَرَفَ طَرِيقَ الْمَعَادِ . وَعَاشَ رَفِيمًا بَيْنَ الْعِبَادِ
 (للميرواني)

قَالَ الشَّيْرَاوِيُّ :

الْعِلْمُ أَنْفَسُ ذُخْرٍ أَنْتَ ذَاخِرُهُ

مَنْ يَدْرُسِ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَا خِرُهُ

أَقْبِلْ عَلَى الْعِلْمِ وَأَسْتَقْبِلْ مَقَاصِدَهُ

فَأَوَّلُ الْعِلْمِ إِقْبَالُ وَآخِرُهُ

١٩٧ قِيلَ لِلْخَالِدِ بْنِ أَحْمَدَ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْعِلْمُ أَوِ الْأَلُ . قَالَ : الْعِلْمُ .

قِيلَ لَهُ : فَمَا بَالُ الْعُلَمَاءِ يَزْدَحْمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . وَالْمُلُوكُ لَا
يَزْدَحْمُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ . قَالَ : ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ بِحَقِّ الْمُلُوكِ
وَجَهْلِ الْمُلُوكِ بِحَقِّ الْعُلَمَاءِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

الْعِلْمُ يُجِي قُلُوبَ الْمَيِّتِينَ كَمَا
تُجِي الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

وَالْعِلْمُ يُجْلُو الْعَمَى عَنْ قَابِ صَاحِبِهِ
كَمَا يُجْلِي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ

(لابن عبد ربه)

١٩٨ قَالَ الْجَاهِظُ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَمِيرِ بَغْدَادَ فِي
أَيَّامِ وَلَايَتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الدِّيْوَانِ وَالنَّاسُ مُثَلِّبِينَ يَدِيهِ كَانَ عَلَى
رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ . ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَدَّةٍ وَهُوَ مَعزُولٌ وَهُوَ جَالِسٌ
فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ وَحَوَالِيهِ الْكُتُبُ وَالِدَفَاتِرُ وَالْحَاوِزُ وَالْمَسَاطِرُ فَمَارَا يَتُهُ
أَهْيَبَ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ

(للخجري)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَنْ يَعْدَمُ الْعِلْمَ يُظْلِمُ عَقْلَهُ أَبَدًا زَادَ أَشْبَهَ مَا نَلَقَاهُ بِالنَّعَمِ
كَمْ مِنْ نَفُوسٍ عَدَّتْ لِلَّهِ مُخْلِصَةً بِالْعِلْمِ فِي صَفْحَةِ الْقِرْطَاسِ وَالْقَامِ
وَالْعَقْلُ شَمْسٌ وَنُورُ الْعِلْمِ مُنْبِقٌ مِنْهَا وَهِيَ ثَمَارُ الْفَضْلِ فَأَقْتَرِمِ

شرط العلم

١٩٩ قَالُوا : لَا يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ . لَا

يُحْتَرُّ مَنْ دُونَهُ . وَلَا يُحْسَدُ مَنْ فَوْقَهُ . وَلَا يَأْخُذُ عَلَى الْعِلْمِ ثَمَنًا . وَمَدَحَ
خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ بَدِيعَ الْمَنْطِقِ . جَزَلَ الْأَلْفَاظِ .
عَرَبِيَّ اللِّسَانِ . قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ . حَسَنَ الْإِشَارَاتِ . حُلُوَ الشَّمَائِلِ .
كَثِيرَ الطَّلَاوَةِ صَمُوتًا وَقُورًا . قَالَ الشَّافِعِيُّ :

أَخِي لَا تَنَالِ الْعِلْمَ إِلَّا بِيَسْتَةٍ سَأْنِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِيَدَيَانِ
ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ وَبُلْغَةٍ وَصُحْبَةِ أَسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَانٍ

٢٠٠ كَانَ حَمْرَةً مِنْ خُطَبَاءِ الْعَرَبِ وَمِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ . ضُرِبَ بِهِ
الْمَثَلُ فِي الْفَصَاحَةِ وَطُولِ الْعُمُرِ . سَأَلَهُ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا عَنْ أَشْيَاءٍ فَأَجَابَهُ
عَنْهَا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ نَأَتْ الْعِلْمَ . قَالَ : بِلِسَانِ سَأُولٍ . وَقَابِ عَقُولٍ .
ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ لِلْعِلْمِ آفَةً وَإِضَاعَةً وَنَكْدًا وَاسْتِجَاعَةً .
فَآفَتُهُ النِّسْيَانُ . وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ . وَنَكْدُهُ الْكُذِبُ
فِيهِ وَاسْتِجَاعَتُهُ أَنْ صَاحِبَهُ مَنُومٌ لَا يَشْبَعُ أَبَدًا (الدهيري)

آفات العلم

٢٠١ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْأَعْلَامِ : مَنْ أَزْدَادَ فِي الْعِلْمِ رُشْدًا . وَلَمْ
يَزِدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا . فَقَدْ أَزْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا . وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ
الْأَكْبَارِ : إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَالِمُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ عُقُوبَةٌ لِأَهْلِ
زَمَانِهِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا أُوتِيَ عِلْمًا فَلَا تُطْفِئِ نُورَ الْعِلْمِ
بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ فَتَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْمَى أَهْلُ الْعِلْمِ بِنُورِ عِلْمِهِمْ .
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَسْتَ مُنْتَفِعًا بِمَا تَعْلَمُ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِمَا تَعْلَمُ . فَإِنْ

زِدَتْ فِي عِلْمِكَ فَأَنْتَ مِثْلُ رَجُلٍ حَزَمَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ وَأَرَادَ حَمَلَهَا
فَلَمْ يُطِقْ فَوَضَعَهَا وَزَادَ عَلَيْهَا (لبهاء الدين)

قَالُوا : لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا عِلْمَهُمْ لَسَادُوا أَهْلَ الدُّنْيَا .
لَكِنْ وَضَعُوهُ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فَتَقَصَّرَ فِي حَقِّهِمْ أَهْلُ الدُّنْيَا . قَالَ حَكِيمٌ :
أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا

(ابن عبد ربه)

٢٠٢ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يُخْفَى . وَنَسَبٌ لَا يُجْنَى . وَقَالَ
أَيْضًا : زَلَّةُ الْعَالِمِ كَأَنَّكَ سَارِ سَفِينَةٍ تَتَفَرَّقُ وَيَفْرَقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ .
قَالَ غَيْرُهُ : إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ . زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالِمٌ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ : الْمُتَوَاضِعُ
فِي طَلَابِ الْعِلْمِ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْتَحَفِضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ
مَاءً . إِذَا عَلِمْتَ فَلَا تَذْكُرْ مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجُهَالِ . وَاذْكُرْ مَنْ فَوْقَكَ
مِنَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ أَيْضًا : مَاتَ خَزَانَةُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ . وَعَاشَ
خَزَانَةُ الْعِلْمِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ . مِثْلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يَنْفَعُ مِنْهُ

(لقيرواني)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَطَّايُوسِيُّ الْتَحْوِيُّ :

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ

وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ

وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ مَا شِئِيَ عَلَى الثَّرَى

يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ

الادب

٢٠٣ قَالَ شَيْبُ بْنُ شَبَّةَ : اَطْلُبُوا الْاَدَبَ فَإِنَّهُ مَادَّةُ الْعَقْلِ وَدَلِيلُ
عَلَى الْمُرُوَّةِ . وَصَاحِبُ فِي الْغُرَبَةِ . وَمُونِسُ فِي الْوَحْشَةِ . وَصَلَةُ فِي
مَجَالِسِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِنَدِيهِ : عَايِكُمْ بِطَلَبِ الْاَدَبِ
فَإِنَّكُمْ إِنْ أَحْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا . وَإِنْ اسْتَعْنَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ
جَمَالًا . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا كَرَمَكَ النَّاسُ بِمَالٍ أَوْ لِسَانًا فَلَا يُعْجِبُكَ
ذَلِكَ . فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا . لِيُعْجِبَكَ إِذَا كَرَمَكَ لِذَيْنِ أَوْ اَدَبِ
قَالَ الشَّافِعِيُّ :

عِلْمِي مَعِيَ حَيْثُمَا يَمُتُ يَنْفَعِنِي
قَلْبِي وَعَاةُ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

٢٠٤ قَالَ بَزْرَجَهُرُ : الْجَهْلُ هُوَ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ . وَالْعِلْمُ هُوَ الْحَيَاةُ
الشَّرِيفَةُ . مَنْ أَكْثَرَ اَدَبَهُ شَرُفَ وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ
غَرِيبًا . وَارْتَفَعَ صَيْتُهُ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ
وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا (السيوطي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

السَّعْبُ سَبْعٌ وَلَوْ كَانَتْ مَخَالِبُهُ
وَالْبَكَبُ كَبٌ وَلَوْ بَيْنَ السَّيِّئِ رَبِي
وَهَكَذَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ خَالِطُهُ
صَفْرُ الْفَحَّاسِ فَكَانَ الْفَضْلُ الذَّهَبُ

لَا تَنْظُرَنَّ لِأَثْوَابٍ عَلَى أَحَدٍ إِنْ رُمْتَ تَعْرِفَهُ فَأَنْظُرِي إِلَى الْأَدَبِ
 فَالْعُودُ لَوْ لَمْ تَفْخُ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْحَطَبِ
 دَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ وَأَقْعَدَ
 رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ . فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجَهْوَمَةَ وُجُوهِهِمْ .
 فَقَالَ : مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّحِيحِ إِلَى الْغَرِيمِ الْمَغْلَسِ . هَكَذَا
 الْأَدَبُ يُشْرِفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ . وَيَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْمَوْلَى . وَيُقْعِدُ
 الْعَبِيدَ عَلَى الْأَسْرَةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا لِي عَمَلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي
 إِذَا أَنْتَمِي مِنْتَمِي إِلَى أَحَدٍ فَإِنِّي مِنْتَمِي إِلَى أَدَبِي

(اللابسيهي)

٢٠٥ دَخَلَ سَالِمُ بْنُ مَخْرُومٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَخَلَّى لَهُ عَنِ
 الصَّدْرِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ مَنْ لَا تَرَى لَكَ
 عَلَيْهِ فَضْلًا فَلَا تَأْخُذْ عَلَيْهِ شَرَفَ الْمَنْزِلَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَهْلًا بِالْحَسَبِ إِنَّمَا النَّاسُ لِأَمٍّ وَلَا بَ
 إِنَّمَا الْفَخْرُ بِعَمَلٍ رَاجِحٍ وَبِأَخْلَاقٍ حَسَنٍ وَأَدَبٍ

قَالَ آخَرُ :

لَا تَذَخِرْ غَيْرَ الْعُلُوِّ فَإِنَّهَا نِعْمَ الذَّخَائِرُ
 فَأَلْمَرُ لَوْ رَجَحَ الْبَقَا مَعَ الْجَهَالَةِ كَانَ خَاسِرُ

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ مُوَدِّبُ الْوَائِقِ عَلَى الْوَائِقِ . فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ

وَأَكْثَرُ إِعْظَامِهِ . فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : هَذَا أَوَّلُ
مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ اللَّهِ . وَأَدْنَانِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

تأديب الصغير

٢٠٠ قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سَرَّ بِهِ كَبِيرًا . وَقَالُوا :
أَطْعِمِ الطَّيْنَ مَا كَانَ رَطْبًا . وَأَعْدِلِ الْعُودَ مَا كَانَ لَدْنَا . وَقَالَ صَالِحُ
ابْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

وَإِنَّ مِنْ أَدَبَتِهِ فِي الصَّبَا كَأَنْعُودٍ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصُرْتَ مِنْ يُنْسِهِ
وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا أَرَعَوَى عَادَ لَهُ جَهْلُهُ كَذِي الضَّنَى عَادَ إِلَى نَكْسِهِ
مَا تَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي سُوءِ تَرْبِيَةِ صَغِيرٍ :

فِيَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا أَلْقَمَهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ
أَعْلَمَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
أَعْلَمَهُ الْفُتُوَّةَ كُلَّ وَقْتٍ فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَنَانِي
وَكَمْ عِلْمَتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَفِيَّةً هَجَانِي

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاةِ : الْحَيَاءُ فِي الصَّبِيِّ خَيْرٌ مِنَ الْخُوفِ . لِأَنَّ
الْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْعَقْلِ . وَالْخُوفَ يَدُلُّ عَلَى الْجَبَنِ (لابن عبد ربه)

ما ينبغي للوالد في تربية ابنه

٢٠٧ يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَنْ لَا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ وَلَدِهِ . وَيُحَسِّنَ عِنْدَهُ
الْحَسَنَ . وَيَقْبِضَ عِنْدَهُ الْقَبِيحَ . وَيُحَيِّثَهُ عَلَى الْمَكَارِمِ وَعَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ
وَالْأَدَبِ . وَيَضْرِبُ بِهِ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَسْهُ عَنْ آدَبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ شَكَ أَلَمَ التَّعَبِ
وَدَعِ الْكَبِيرِ وَشَأْنَهُ كَبِيرَ الْكَبِيرِ عَنِ الْأَدَبِ

٢٠٨ قَالَ ابْنُ عُثْبَةَ يُوصِي مُوَدَّبَ وَلَدِهِ : إِيكُنْ أَوَّلَ إِصْلَاحِكَ
بَنِي إِصْلَاحِكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّ عُيُوبَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْبِكَ . فَالْحَسَنُ
عِنْدَهُمْ مَا فَعَلْتَ . وَالْقَبِيحُ مَا تَرَكْتَ . عَلَّمَهُمُ الدِّينَ وَلَا تَمَلَّهُمْ فِيهِ
فَيَتْرَكُوهُ . وَلَا تَتْرِكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ . وَرَوِّهِمْ مِنَ الشُّعْرِ أَتَقَهُ . وَمَنْ
الْكَلَامِ أَشْرَفَهُ . وَلَا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكَمُوهُ . فَإِنَّ
أَزْدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضَلَةٌ لِأَنَّهُمْ تَهْدِدُهُمْ فِي وَأَدِيبُهُمْ دُونِي .
وَكَنْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يَجْعَلُ بِالْذَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . وَجَنِبَهُمْ مُحَادَاثَةَ
السُّفَهَاءِ . وَرَوِّهِمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ (كتاب الدراري لجمال الدين الحلبي)

٢٠٩ أَوْصَى الرَّشِيدُ مُوَدَّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةَ نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ . فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً
وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . أَقْرَأْهُ كُتُبَ الدِّينِ . وَعَرَّفْهُ الْآثَارَ . وَرَوِّدْ
الْأَشْعَارَ . وَعَلِّمَهُ السُّنَنَ وَبَيِّنْهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ . وَأَمِّنْهُ أَصْحَابَ الْإِلَى
فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمُرُّ بِكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُنْتَبِهٌ فِيهَا فَائِدَةٌ تُفِيدُهُ

إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْرُقَ بِهِ غُشِيَتَ ذِهْنَهُ . وَلَا تَمَعِنَ فِي مُسَاحَتِهِ فَيَسْتَحِيلَ
الْفَرَاغَ وَيَأْتِقَهُ . وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَعَتْ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَانِيَةِ . فَإِنْ أَبَاهَا
فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالنَّعَاطَةِ (الشرطي)

رقة الادب في الظاهر

٢١٠ قَالَ أَبُو حَفْصٍ : حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ
الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ . قِيلَ لِأَبِي وَائِلٍ : أَيُّكُمْ أَكْبَرُ أَنْتَ أَمْ الرَّبِيعُ
ابْنُ خَيْمٍ . قَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا . وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي عَمَلًا .
قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةٍ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ أَدَبًا وَلَا أَكْرَمَ
عَشِيرَةً مِنْ أَيْكٍ . سَمَرْتُ عِنْدَهُ لَيْلَةً فَبَدَأَ نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ غُشِيَ
الْمُصْبَاحُ وَنَامَ الْعُلَامُ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ غُشِيَ الْمُصْبَاحُ وَنَامَ
الْعُلَامُ فَلَوْ أَذِنْتَ لِي أَصْلَحْتُهُ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَرْوَةِ الرَّجُلِ أَنْ
يَسْتَحْدِمَ ضَيْفَهُ . ثُمَّ حَطَّ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . وَقَامَ إِلَى الدَّبَّةِ . فَصَبَّ
مِنَ الزَّيْتِ فِي الْمُصْبَاحِ وَأَشْخَصَ الْقَتِيَةَ . ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي مُعَاشَرَةِ الْأَدْبَاءِ :

وَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَمْسَى أَدِيبًا بِصُحْبِهِ تَأْدِيرٌ وَعَدَا إِمَامًا
كَلَّمَ الْجَبْرَ مَرَّةً ثُمَّ تَحَاءَ مَذَاقَهُ إِذَا سَحِبَ الْعَمَامَا

الادب في الحديث والاستماع

٢١١ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : رَأْسُ الْأَدَبِ كُلِّهِ حُسْنُ الْفَهْمِ وَالْفَهْمُ .

وَالْإِصْفَاءَ لِلْمُتَكَلِّمِ . قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَبْنِهِ : يَا بَنِي تَعَلَّمْ حُسْنَ
الْإِسْتِمَاعِ كَمَا تَعَلَّمْ حُسْنَ الْحَدِيثِ . وَيَعْلَمِ النَّاسُ أَنَّكَ أَحْرَصُ عَلَى
أَنْ تَسْمَعَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ . فَأَحْذَرُ أَنْ تَسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِيمَا يَجِبُ
عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . قَالُوا : مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ أَنْ لَا تَنْفَابَ أَحَدًا
عَلَى كَلَامِهِ . وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تَجِبْ عَنْهُ . وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَلَا
تَنَازِعْهُ إِيَّاهُ . وَلَا تَقْتَحِمْ عَلَيْهِ فِيهِ . وَلَا تَرِدْ أَنَّكَ تَعَلَّمَهُ

يُقَالُ إِنَّ هِشَامًا كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ : مِنْ هِشَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَلِكِ الطَّاغِيَةِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الْمَلُوكَ تَسْبُ .
وَمَا الَّذِي يُؤْمِنُكَ أَنْ أُجِيبَكَ : مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمَلِكِ الْمَذْمُومِ

الادب في المجالسة

٢١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَيْتًا فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ
أَجْلَسَهُ أَهْلُهُ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : مَا مَدَدْتُ رِجْلِي قَطُّ بَيْنَ يَدَيْ
جَلِيسِي . وَلَا قُمْتُ حَتَّى يَقُومَ . وَقَالَ أَيْضًا : لِحَالِيسِي عَلَى ثَلَاثٍ . إِذَا
دَنَا رَجَبْتُ بِهِ . وَإِذَا جَلَسَ وَسَعَتْ لَهُ . وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ .
قَالَ زِيَادٌ : إِيَّاكَ وَصُدُورَ الْمَجَالِسِ وَإِنْ صَدَرَكَ صَاحِبُهَا فَإِنَّهَا مَجْلِسُ
قُلَمَةٍ . وَلَئِنْ أَدْعَى مِنْ بَعْدِ إِلَى قُرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْصَى مِنْ
قُرْبٍ إِلَيَّ بَعْدٍ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : لَا تَسْرِعْ إِلَى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ فِي
الْمَجْلِسِ فَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُحِطُّ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُحِطُّ مِنْهُ

(لابن عبد ربه)

٢١٣ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : بَعَثَنِي أَبِي إِلَى الْمُتَمَدِّ فِي شَيْءٍ .
فَقَالَ لِي : اجْلِسْ . فَاسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ . فَأَعَادَ . فَأَعْتَذَرْتُ بِأَنَّ ذَلِكَ
لَا يَجُوزُ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَرَكَ أَدَبَكَ فِي الْقَبُولِ مِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَدَبِكَ
فِي خِلَافِي

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ فَاسْتَحْسَنَ لَفْظَهُ
وَأَدَبَهُ . فَقَالَ لَهُ : سَلْ حَاجَتَكَ . فَقَالَ : يُبْقِيكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَيَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ . فَقَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ
يُمْكِنُ أَنْ يُؤَمَّرَ لَكَ بِذَلِكَ . فَقَالَ : وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلَ اللَّهِ مَا
أَخَافُ بُلْغَكَ . وَلَا أَسْتَقْصِرُ أَجَالَكَ . وَلَا أَعْتَمُّ مَالِكَ . وَإِنَّ عَطَاءَكَ
لَزَيْنٌ . وَمَا بَأَمْرِي بِذَلِكَ وَجِهَهُ إِلَيْكَ نَقْصٌ وَلَا شَيْنٌ . فَاعْجَبَ الْمَنْصُورُ
كَلَامَهُ . وَاشْتَى عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ وَوَصَلَهُ

٢١٤ وَقَفَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بَابَ مُعَاوِيَةَ
فَازِنَ لِلْأَخْنَفِ ثُمَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَشْعَثَ . فَاسْرَعَ مُحَمَّدٌ فِي مَشْيِهِ حَتَّى
دَخَلَ قَبْلَ الْأَخْنَفِ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُعَاوِيَةُ . قَالَ لَهُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَذِنْتُ لَكَ
قَبْلَكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ . وَإِنَّا كَمَا نَبِي أُمُورِكُمْ كَذَلِكَ نَبِي
أَدَبِكُمْ . وَمَا تَزِيدُ مَتْرِيدُ إِلَّا لِنَقْصِ مَجْدِهِ مِنْ نَفْسِهِ (لِلْمُسْتَعْصِمِ)
وَمِنَ الْأَدَبِ الْأَتْنَابُ صَاحِبًا فَتُشْتَلَّ عَلَيْهِ . قَالَ الثَّعَالِبِيُّ :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّمَا

إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْعَجْرِ مَسْلَكًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْغَيْثَ يُسَامُ دَائِمًا
وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ

الادب في المشاة

٢١٥ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَا شِئْتُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي
بُسْتَانَ مُوَأَسَّةَ بِنْتِ الْمُهَدِيِّ . فَكَانَتْ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ
الشَّمْسِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَارَادَ الرَّجُوعَ أَرَدَتْ أَنْ أَدُورَ إِلَى
الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنَ الشَّمْسِ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ وَلَكِنْ كُنْ بِجَانِبِ
حَتَّى اسْتُرَكَ كَمَا سَتَرْتَنِي . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَقِيكَ
حَرَّ النَّارِ لَمَعَاتُ فَكَيْفَ الشَّمْسِ . فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مِنْ كَرَمِ الصُّحْبَةِ .
وَمَشَى سَاتِرًا لِي مِنَ الشَّمْسِ كَمَا سَتَرْتَنِي (لابن عبد ربه)

الادب في الأكل

٢١٦ قَالَ الْعَزَّازِيُّ : إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدِيَ
فِي الْأَكْلِ وَمَعَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّمَدُّمَ عَلَيْهِ لِكِبَرِ سِنِّ أَوْ زِيَادَةِ فَضْلِهِ .
إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُتَبَوِّعُ الْمُقْتَدِي بِهِ . فَحَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَطُولَ
عَلَيْهِمْ الْإِتِّظَارُ إِذَا اجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَسْكُتَ عَلَى
الطَّعَامِ . وَلَكِنْ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ وَبِالْحَدِيثِ عَنِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ
الْأَدَبِ فِي الْأَطْعَمَةِ . قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : أَحْسَنُ الْأَكْلِينَ مَنْ
لَا يَجُوجُ صَاحِبَهُ إِلَى تَفْقُدِهِ فِي الْأَكْلِ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَدَّمَ لَهُ أَخُوهُ
الطَّعَامَ أَنْ يَتَبَّهُ وَلَا يَرُدَّهُ (للمستعصي)

الكتاب والقلم

٢١٧ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْقَلَمُ صَانِعُ الْكَلَامِ يُفْرَغُ مَا يَجْمَعُهُ
الْقَلْبُ . وَيَصُوعُ مَا يَسْبِكُهُ الْأَبُّ
قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغَزًا فِي قَلَمٍ :

وَسَاكِنِ رَمْسٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَ
يَقُومُ وَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا وَيَرْجِعُ مَنْ فِي الْقَبْرِ مِنْهُ مَقُومًا
وَلَيْسَ بِحَيٍّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ يَسْتَحِقُّ التَّرْحَمًا
قَالَ الْعَتَابِيُّ : بِبِكَاءِ الْقَلَمِ تَبْتَسِمُ الْكُتُبُ . وَالْأَقْلَامُ مُطَايَا الْقَطَنِ .

قَالَ أَرِسْطَاطَالِيْسُ : عُقُولُ الرِّجَالِ تَحْتَ سِنِّ أَقْلَامِهِمْ . قَالَ ثَمَامَةُ
ابْنُ أَشْرَسَ : مَا أَثَرَتْهُ الْأَقْلَامُ . لَمْ تَطْمَعْ فِي دِرَاسَتِهِ الْأَيَّامُ

٢١٨ قِيلَ فِي الْكِتَابِ : إِنَّهُ الْجَلِيسُ الَّذِي لَا يُنَافِقُ وَلَا يُبَالِ . وَلَا
يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي فَضِيلَتِهِ :

جَالِيسُ الْأَيْسِ يَأْمَنُ النَّاسُ شَرَّهُ وَيَذُكُرُ أَنْزَاعَ الْمَكَارِمِ وَالنُّهَى
وَيَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ وَالْتَقَى وَيَنْهَى عَنِ الطُّغْيَانِ وَالشَّرِّ وَالْأَذَى

الشعر

٢١٩ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : رَوَّأُوا أَوْلَادَكُمْ الشِّعْرَ تَعَذَّبَ السِّنُّهُمْ .
فَإِنَّ أَفْضَلَ صِنَاعَاتِ الرَّجُلِ الْأَبْيَاتُ مِنَ الشِّعْرِ . يُقَدِّمُهَا فِي حَاجَتِهِ
يَسْتَعْتَفُ بِهَا قَلْبَ الْكَرِيمِ . وَيَسْتَمِيلُ بِهَا قَلْبَ اللَّئِيمِ . وَقَالَ أَيْضًا :
الشِّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُسَكَّنُ بِهِ الْفَيْضُ . وَتُطْفَأُ بِهِ النَّارُ .

وَيَبْلُغُ لَهُ الْقَوْمُ فِي نَادِيهِمْ . وَيُعْطَى بِهِ السَّائِلُ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
الشَّعْرُ عِلْمُ الْعَرَبِ وَدِيُونُهَا فَتَعَلَّمُوهُ
كَانَ بَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ يُعَيَّبُونَ بِهَذَا الْأِسْمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى قَالَ
فِيهِمُ الْخَطِيئَةُ :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فَعَادَ هَذَا الْأِسْمُ فَخْرًا لَهُمْ وَشَرَفًا فِيهِمْ (لابن عبد ربه)
٢٢٠ قِيلَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ . قَالَ : الذَّائِبَةُ إِذَا
رَهَبَ . وَزَهَيْرٌ إِذَا رَغَبَ . وَجَرِيدٌ إِذَا غَضِبَ . وَعَنْتَرَةٌ إِذَا رَكِبَ .
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلْفَرَزْدَقِ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ :
كَفَّاكَ يَا بْنَ النَّصْرَانِيَّةِ إِذَا مَدَحَ . (يُرِيدُ الْأَخْطَلُ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةِ
النَّصْرَانِيِّ) (الاغانى)

الباب الثامن

في اللطائف

٢٢١ رَأَى الْإِسْكَندَرُ سَمِيًّا لَهُ لَا يَزَالُ يَنْهَزِمُ فِي الْحُرُوبِ فَقَالَ لَهُ :
يَا هَذَا إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ فِعْلَكَ أَوْ تُغَيِّرَ اسْمَكَ
٢٢٢ بَعَثَ مَلِكٌ إِلَى عَبْدِ لَهُ مَا لَكَ لَا تَخْدُمُنِي وَأَنْتَ عَبْدِي .
فَأَجَابَهُ : لَوْ أُعْتَبِرْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ عَبْدُ عَبْدِ . لِأَنَّكَ تَتَّبِعُ الْهُوَى
فَأَنْتَ عَبْدُهُ وَأَنَا أَمْلِكُهُ فَهُوَ عَبْدِي (للمستعصي)

٢٢٣ قَالَتْ بُنُو تَمِيمٍ لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ: تَجِدُنَا بِشِعْرِكَ. قَالَ: أَفْعَلُوا حَتَّى أَقُولَ (لأبن عبد ربه)

٢٢٤ سَأَلَ حَكِيمٌ غُلَامًا مَعَهُ سِرَاجٌ: مِنْ أَيْنَ تَجِي؟ أَلَذَّارُ بَعْدَ مَا تَنْطَفِئُ؟ فَقَالَ: إِنْ أَخْبَرْتَنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ أَخْبَرْتُكَ مِنْ أَيْنَ تَجِي.
٢٢٥ قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ فِي أَعْيَ أَعْلَظَ فِي كَلَامِهِ:

كَيْفَ يَرْجُو الْحَيَاءُ مِنْهُ صَدِيقٌ وَمِمَّا كَانَ الْحَيَاءُ مِنْهُ خَرَابٌ
٢٢٦ مَرَّانُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْجَعْدِيُّ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ أَهْدَى إِلَيْهِ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتَ عَدَدًا أَقَلَّ مِنْ وَاحِدٍ وَلَوْ نَا شَرًّا مِنْ السَّوَادِ لَأَهْدَيْتَهُ وَالسَّلَامُ

٢٢٧ وَصِيفُ التُّرْكِيِّ وَالِيِ الشَّامِ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَرَكِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ فَعَزَّاهُ بِأَخْبَارِ وَأَمْثَالٍ. ثُمَّ أَصِيبَ مُحَمَّدٌ بِمُصِيبَةٍ فَرَكِبَ إِلَيْهِ وَصِيفٌ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَنَا رَجُلٌ أَعْجَبِي لَا أُذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ. وَلَكِنْ أَنْظُرْ مَا عَزَّيْتَنِي بِهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَعَزَّ بِهِ نَفْسَكَ الْآنَ. فَاسْتَظَرَ فِ النَّاسِ كَلَامَهُ (لطائف الوزراء)

الاعرابي والسنور

٢٢٨ صَادَ أَعْرَابِيٌّ سِنُورًا وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ. فَاقْبَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا السِّنُورُ. وَاقْبَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْقَطُّ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْهَرُّ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الضِّيُونُ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْخَيْدَعُ. ثُمَّ لَقِيَهُ آخَرُ فَقَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطَلُ. ثُمَّ لَقِيَهُ

أَخْرَجَ فَقَالَ : مَا هَذَا الدَّمُّ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فِي نَفْسِهِ : أَحْمَلُهُ وَأَيُّعُهُ
فَيَجْعَلُ اللَّهُ لِي فِيهِ مَالًا كَثِيرًا . فَلَمَّا أَتَى السُّوقَ قِيلَ لَهُ : بِكُمْ هَذَا .
قَالَ : بِمَانَّتِي دِرْهَمٍ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يُسَاوِي نِصْفَ دِرْهَمٍ . فَرَمَى
بِهِ ثُمَّ قَالَ : مَا أَكْثَرَ أَسْمَاءَ دُ وَأَقَلَّ ثَمَّةُ (للدميري)

٢٢٩ حكي أَنَّ الْحَجَّاجَ اشْتَرَى غُلَامَيْنِ أَحَدَهُمَا أَسْوَدُ وَالثَّانِي أَيْضُ .
فَقَالَ لَهُمَا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : كُلُّ وَاحِدٍ يَمْدَحُ نَفْسَهُ وَيَذُمُّ رَفِيقَهُ
فَقَالَ الْأَسْوَدُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَسْكَ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَأَنَّ بِيَاضَ الْعَيْنِ جَمَلٌ بِدِرْهَمٍ .
وَأَنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ لَا شَيْءَ نُورِهَا وَأَنَّ بِيَاضَ الْعَيْنِ لَا شَيْءَ فَأَعْلَمُ .
وَقَالَ الْأَيْضُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَدْرَ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَأَنَّ سَوَادَ الْفَحْمِ جَمَلٌ بِدِرْهَمٍ .
وَأَنَّ رِجَالَ اللَّهِ بِيَضٌ وَجُوهُهُمْ وَلَا شَيْءَ أَنَّ السُّودَ أَهْلُ جَهَنَّمَ .
فَضْحِكَ صَاحِبُهُمَا وَأَجَازَهُمَا (ألف ليلة وإيلة)

٢٣٠ حكي أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ نَأَى حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ
الْمَغْرِبِ قَالَ لَهُ : يُقَالُ إِنَّ الدُّنْيَا بِمِثَابَةِ طَائِرٍ ذَنْبُهُ الْمَغْرِبُ . فَقَالَ
الرَّجُلُ : صَدِّقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُ طَاوُسٌ . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ
وَتَعَجَّبَ مِنْ سُرْعَةِ جَوَابِ الرَّجُلِ وَأَنْتَصَرَهُ لِقَطْرِهِ
(نفع الطيب لقمري)

١٣١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغَزًا فِي مِيزَانٍ :

وَقَاضٍ قَدْ قَضَى فِي الْأَرْضِ عَدْلًا لَهُ كَفٌّ وَلَيْسَ لَهُ بَنَانٌ
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ قَبِلُوا قَضَاءَهُ وَلَا نُطِقُ لَدَيْهِ وَلَا يَبَانُ
وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو سَرْفٍ مُلَغِزًا فِي إِبْرَةِ :

ضَيْلَةَ الْجِسْمِ لَهَا فِعْلٌ مَتِينُ السَّبَبِ

حَافِرُهَا فِي رَأْسِهَا وَعَيْنُهَا فِي الذَّنَبِ

٢٣٢ أَعْتَقَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ غُلَامًا لَهُ كَبِيرًا . فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدٌ صَغِيرٌ .

فَقَالَ : أَذْكَرُنِي يَا مَوْلَايَ ذَكَرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَمْ تَحْتَرِفْ .

فَقَالَ : إِنَّ النَّخْلَةَ قَدْ نُجِّتَنِي زَهْوًا . قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ مَعْوًا . فَقَالَ : قَاتَاكَ

اللَّهُ لَقَدْ اسْتَعْتَمْتَ وَأَحْسَنْتَ . وَقَدْ وَهَبْتَكَ لِوَاهِبِكَ . كُنْتَ أَمْسَرَ

لِي وَالْيَوْمَ مِنِّي

دعوة أكرم بن صيفي لأولاده

٢٣٣ دَعَا الْأَكْرَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ أَوْلَادَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَاسْتَدْعَى إِضْمَامَةً مِنْ

السَّهَامِ . فَتَقَدَّمَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكْسِرَهَا . فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى

كْسَرِهَا . ثُمَّ بَدَّدَهَا فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكْسِرُوهَا . فَاسْتَسْرَبُوا كَسْرَهَا .

فَقَالَ : كُونُوا مُجْتَمِعِينَ لِيُعْجِزَ مَنْ نَاوَأَكُمُ عَنْ كَسْرِكُمْ كَعُجْزِكُمْ عَنْ

كَسْرِهَا مُجْتَمِعَةً . فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَرَّقْتُمْ سَهَلَ كَسْرِكُمْ

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِي إِذَا أُعْتِرَى خَطْبٌ وَلَا تَفَرَّقُوا أَحَادًا

تَأْتِي الْقِدَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسِرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكْسِرَتْ أَفْرَادًا

٢٣٤ قَالَ الشَّعْبِيُّ : وَجَّهَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ فَلَمَّا انْصَرَفْتُ

دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مَخْتُومًا . فَلَمَّا قَرَأَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَيْتُهُ تَغَيَّرَ . فَقَالَ :
 يَا سَعِيدُ أَعْلَمْتَ مَا كَتَبَ هَذَا النَّذْلُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ كَتَبَ :
 يَا بَعْجِي لِلْعَرَبِ أَنْ لَا تُمَّاكَ إِلَّا مَنْ أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيَّ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَمْ يَرَكَ فَكَيْفَ يَعْرفُ فَضْلَكَ . وَإِنَّهُ حَسَدَكَ عَلَى
 اسْتِخْدَامِكَ مِثْلِي . فَسَرَّيَ عَنْهُ (للشعالي)

٢٣٥ لَمَّا عَلَا أَمْرُ يَعْقُوبَ بْنِ لَيْثٍ أَرْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَظَهَرَ اسْمُهُ وَذِكْرُهُ .
 وَمَلَكَ كِرْمَانَ وَسَجِسْتَانَ . وَكَانَ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْمُعْتَمِدَ .
 فَكَتَبَ إِلَى يَعْقُوبَ : إِنَّكَ كُنْتَ رَجُلًا صَفَارًا فَمِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتَ تَدْبِيرَ
 الْمَمَالِكِ . فَرَدَّ يَعْقُوبُ إِلَيْهِ جَوَابًا وَقَالَ : إِنَّ الْمَوْلَى الَّذِي أَعْطَانِي
 الدَّوْلَةَ أَعْطَانِي التَّدْبِيرَ (للغزالي)

الاعرابي الشاعر والحليفة

٢٣٦ اسْتَدْعَى بَعْضُ الْخُلَافَاءِ شُعْرَاءَ مِصْرَ . فَصَادَفَهُمْ شَاعِرٌ فَقِيرٌ بِيَدِهِ
 جَرَّةٌ فَارِغَةٌ ذَاهِبًا بِهَا إِلَى الْبَحْرِ لِيَأْخُذَ بِهَا . فَتَبَهُهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى
 دَارِ الْخُلَافَةِ . فَبَالَغَ الْخَلِيفَةُ فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَرَأَى ذَلِكَ
 الرَّجُلَ وَالْجَرَّةَ عَلَى كَتْفِهِ وَنَظَرَ إِلَى ثِيَابِهِ الرِّثَّةِ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ وَمَا
 حَاجَتُكَ . فَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ شَدُّوا رِحَالَهُمْ إِلَى بَحْرِكَ الطَّامِي أَتَيْتُ بِجَرَّتِي
 فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : أَمَلَاوَالَهُ الْجَرَّةُ ذَهَبًا وَفِضَّةً . فَحَسَدَهُ بَعْضُ
 الْحَاضِرِينَ وَقَالَ : هَذَا فَقِيرٌ مَجْنُونٌ لَا يَعْرِفُ قِيَمَةَ هَذَا الْمَالِ وَرُبَّمَا

أَتَقَهُ وَضِعَهُ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : هُوَ مَالُهُ يَفْعَلُ بِهِ مَا شَاءَ . قُلْتُ لَهُ
 ذَهَبًا وَخَرَجَ إِلَى الْبَابِ فَفَرَّقَ الْجَمِيعَ . وَبَلَغَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ فَاسْتَدْعَاهُ
 وَعَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ :

يُجُودُ عَلَيْنَا الْخَيْرُونَ بِمَالِهِمْ وَنَحْنُ بِمَالِ الْخَيْرِينَ نَجُودُ
 فَأَعْجَبُهُ ذَلِكَ . وَأَمْرٌ أَنْ تَمَلَّأَ لَهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَقَالَ : الْحَسَنَةُ
 بَعِشْرَةَ أَمْثَالِهَا (حلبة الكميت للنواجي)

٢٣٧ أَلَحَّ رَجُلٌ عَلَى الْأَخْفَفِ بِالشَّمِّ . فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ
 فِي الْغَدَاءِ . فَإِنَّكَ مُدُّ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَالٍ يُقَالُ . وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنْ
 قُلْتَ وَاحِدَةً لَكُمِّنْ عَشْرًا . فَقَالَ : وَأَنْتَ إِنْ قُلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ
 وَاحِدَةً (اللابسيهي)

٢٣٨ قَالَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بْنِ مُنْقِذٍ مُنْغَزَا فِي الزُّنْبُورِ وَالنَّخْلِ :
 وَمُعَرِّدِينَ تَرَمَّا فِي مَجْلِسٍ فَفَنَّاها لِأَذَاهَا الْأَقْوَامَ
 هَذَا يُجُودُ بِمَا يُجُودُ بَعْكُسِهِ هَذَا فَيُحْمَدُ ذَا وَذَلِكَ يَلَامُ

٢٣٩ جَاءَتْ أُمْرَأَةٌ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ فَقَالَتْ لَهُ : مَشَتْ
 جِزَانَ بَيْتِي عَلَى الْعَفَاءِ . فَقَالَ : سَادَعِيهِمْ يَثْبُونَ وَتُوبِ الْأُسُودِ .
 ثُمَّ أَرْسَلَتْ لَهَا مَمْلَأَ الْبَيْتِ مِنْ سَائِرِ الْحُبُوبِ وَالْأَطْعِمَةِ . (وَالْعَفَاءُ
 التُّرَابُ . وَمَرَادُهَا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي بَيْتِهَا شَيْءٌ يَأْكُلُهُ النَّارُ)

شقيق و البطيخة

٢٤٠ اشْتَرَى شَقِيقُ الْبَلْخِي بَطِيخَةً لِأُمْرَأَتِهِ . فَوَجَدَتْهَا غَيْرَ طَيِّبَةٍ

فَغَضِبْتُ . فَقَالَ لَهَا : عَلَى مَنْ تَغْضَبِينَ . أَعَلَى الْبَائِعِ . أَمْ عَلَى الْمُشْتَرِي .
 أَمْ عَلَى الزَّارِعِ . أَمْ عَلَى الْخَالِقِ . فَأَمَّا الْبَائِعُ فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَكَانَ أَصِيبَ
 شَيْءٌ يُرْغَبُ فِيهِ . وَأَمَّا الْمُشْتَرِي فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَأَشْتَرَى أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ .
 وَأَمَّا الزَّارِعُ فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَأَنْبَتَ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ . فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا غَضَبُكَ
 عَلَى الْخَالِقِ فَأَتَى اللَّهَ وَأَرْضَى بِقَضَائِهِ (للقليوبي)

اسحاق الموصلي عند البرامكة

٢٤١ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ : دَعَانِي يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ فَدَخَلْتُ
 عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ الْفَضْلَ وَجَعْفَرَ وَوَلَدَيْهِ جَالِسِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ
 إِسْحَاقُ : أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَهْمُومًا فَأَرَدْتُ الصُّبْحَ لِأَسْأَلَ فَعَنَّنِي صَوْتًا
 لِعَلِّي أَرْتَاحَ لَهُ فَعَنَّنِيته :

إِذَا نَزَلُوا بَطْحَاءَ مَكَّةَ أَتَمَّرْتِ يَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرَ
 فَمَا خَلَقْتَ إِلَّا لِجُودِ أَكْثَمِهِمْ وَأَرْجَاهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مَنْبَرِ
 فَسْرٍ وَأَمْرِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَأَمْرِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 وَلَدَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَحَمَلْتُ أُمَالًا وَأَنْصَرَفْتُ (لالنواجي)

الروم بئوت احد الخلفاء

٢٤٢ لَمَّا مَاتَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ تَحَشَّشَتِ الرُّومُ وَأَحْتَشَدَتْ وَاجْتَمَعَتْ
 مُلُوكُهَا وَقَالُوا : الْآنَ يَسْتَقِلُّ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَمَكِنْنَا الْغُرَّةَ
 فِيهِمْ وَالْوَثْبَةَ عَلَيْهِمْ . وَضَرَبُوا فِي ذَلِكَ مُشَاوَرَاتٍ . وَتَرَا جَعُوا فِيهِ
 بِالْمَنَظَرَاتِ . وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ فُرْصَةُ الدَّهْرِ . وَثُغْرَةُ النَّحْرِ . وَكَانَ رَجُلٌ

مِنْهُمْ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ فَقَالُوا : مِنْ الْحَزْمِ عَرَضُ
 الرَّأْيِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ صَوَابًا .
 فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ . فَقَالَ : غَدًا أَخْبِرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا
 غَدُوا عَلَيْهِ الْوَعْدِ وَقَالُوا : لَقَدْ وَعَدْتَنَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كَلْبَيْنِ
 عَظِيمَيْنِ قَدْ أَعَدَّهُمَا . ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا وَأَبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى
 الْآخَرِ فَنَوَّابًا وَتَمَّ ارشًا حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا . فَلَمَّا بَلَغَ الْغَايَةَ فَتَحَ بَابَ
 بَيْتِ عَمْدَهُ وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذَيْبًا ضِدَّهُ قَدْ أَعَدَّهُ . فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ
 تَرَكَمَا مَا كَانَا عَلَيْهِ وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا . وَوَتَّابَا جَمِيعًا عَلَى الذِّبِّ فَنَالَا
 مِنْهُ مَا أَرَادَا . ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ : مَثَلُكُمْ مَعَ
 الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هَذَا الذِّبِّ مَعَ الْكَلَابِ لَا يَزَالُ الْمَرْجُ وَالْقِتَالُ بَيْنَهُمْ
 وَتَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ . نَأْتَحَسِنُوا غَوْلَهُ وَتَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِ

الرشيد والذكي

٢٤٣ يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا أَسْتَأْذَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ فَقَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ مَا
 تَعْجِزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ : هَاتِ . فَأَخْرَجَ أَنْبُوبَةً فَصَبَّ فِيهَا
 إِبْرَاعِدَةً . ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ . وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَدْمِي
 إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ فَتَقَعُ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ حَتَّى فَرَّغَ
 دَسْتَهُ . فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ بِمِائَةِ سَوْطٍ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ .
 فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالْمَوَانِ فَقَالَ : وَعَاقِبَتُهُ لِحُودَةِ ذِكَايِهِ .
 وَادْبَتُهُ لِكَيْ لَا يَصْرِفَ فَرَطَ ذِكَايِهِ فِي النَّضُولِ

الملك وسائق الحمار

٢٤٤ مَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ حِمَارًا غَيْرَ مُنْبَعِثٍ وَقَدْ عَنَفَ عَلَيْهِ فِي السُّوقِ فَقَالَ : يَا غُلَامُ ارْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ فِي الرِّفْقِ بِهِ مَضْرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضْرَتُهُ . قَالَ : يَطُولُ طَرِيقُهُ وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ . وَفِي الْعُنْفِ بِهِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ . قَالَ : يَخْفُ حِمْلُهُ وَيَطُولُ أَكْلُهُ . قَالَ : فَأَعْجِبَ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَنْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : رِزْقٌ مَقْدُورٌ . وَوَاهِبٌ مَأْجُورٌ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِ أُنْتِكَ فِي جَيْشِي . فَقَالَ : كَهَيْتُ مَوْثِقَةٌ . وَرِزْقٌ بِهَا مَعُونَةٌ . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ حَدِيثُ السِّنِّ لَأَسْتَوَزَرْتُكَ . قَالَ : لَنْ يَبْدَمَ الْفَضْلُ مَنْ رَزَقَ الْعَقْلَ . قَالَ : فَهَلْ تَصْلُحُ لِدَايِكَ . قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ بَعْدَ التَّجْرِبَةِ . وَلَا يَبْرِفُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى يَبْلُوهَا . قَالَ : فَأَسْتَوَزَرَهُ فَوَجَدَهُ ذَا رَأْيٍ صَائِبٍ وَفَهْمٍ رَجِيبٍ وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ التَّوْفِيقِ

(للطراطوشي)

٢٤٥ فَرَّ حِمَاسٌ عَنِ الْعَدُوِّ مِنْهُزِمًا يَوْمَ الْحَنْدَمَةِ . فَلَامَتَهُ أُمَّرَأَتُهُ . فَقَالَ :

إِنَّكَ لَوْ شَاهَدْتَ يَوْمَ الْحَنْدَمَةِ	إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ
إِذْ لَحِقُونَا بِالسُّيُوفِ الْأَسَامَةِ	يَقْلَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجَمَةٍ
ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمَمَةَ	لَمْ تَنْطِقِي فِي الْيَوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

عمر بن الخطاب والضمامة

٢٤٦ بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ أَنْ يَبْعَثَ
إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ الْمَعْرُوفِ بِالضَّمَامَةِ . فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا ضَرَبَ بِهِ
وَجَدَهُ دُونَ مَا كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ : إِنَّمَا
بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّيْفِ وَلَمْ أَبْعَثْ بِالسَّاعِدِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ

إبراهيم الموصلي عند الرشيد

٢٤٧ قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : كُنْتُ عِنْدَ الرَّشِيدِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ
الْمَوْصِلِيُّ فَأَنْشَدَهُ :

وَأَمْرَةٌ بِالْجُلِّ قُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي فَلَيْسَ إِلَيَّ مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ
فِعَالِي فِعَالُ الْمُكْثَرِينَ تَجْمَلًا وَمَا لِي كَمَا قَدْ تَعَلَّمِينَ قَلِيلُ
فَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغَنَى وَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ
فَقَالَ : لِلَّهِ آيَاتٌ تَأْتِيهَا مَا أَحْسَنَ أَصُولَهَا . وَأَبِينَ فُضُولَهَا . وَأَقْلَّ
فُضُولَهَا . يَا غُلَامُ أَعْطَاهُ عِشْرِينَ أَلْفًا . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُ مِنْهَا دِرْهَمًا .
قَالَ : وَلَمْ . قَالَ : لِأَنَّ كَلَامَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ شِعْرِي .
قَالَ : أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَصِيدُ لِدِرَاهِمِ
الْمَلُوكِ مِنِّي

٢٤٨ كَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى بَعْضِ وُلاةِ الْكُوفَةِ رُقْعَةً فِيهَا هَذِهِ
الْآيَاتُ :

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ

فَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَبِي غَرِيمٍ مِنْ الْأَنْصَارِ قُبَّحٌ مِنْ غَرِيمٍ
 لَزُومٌ مَا عَلِمْتُ إِبَابِ دَارِي لَزُومِ الْكَلْبِ أَصْحَابِ الرَّقِيمِ
 لَهُ مِائَةٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ النَّصْفِ فِي صِكَ قَدِيمٍ
 دَرَاهِمٍ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلا كُنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي قِيمِ
 قَالَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (للشريشي)

ازهر وابو جعفر المنصور

٢٤٩ رَوَى الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ
 إِذَا دَخَلَ دَخَلَ مُسْتَتْرًا . وَكَانَ يَجْلِسُ فِي حَلَقَةِ أَزْهَرَ السَّمَانِ
 الْمُحَدِّثِ . فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ قَدِيمٌ عَلَيْهِ أَزْهَرُ فَرَحَبٌ بِهِ وَقَرَّبَهُ
 وَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : دَارِي مُنْهَدِمَةٌ . وَعَلَيَّ أَرْبَعَةُ
 أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوَصَلَهُ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَقَالَ : قَدْ قَضَيْتُ حَاجَتَكَ
 يَا أَزْهَرُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا . فَأَخَذَهَا وَأَرْتَحِلَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : جِئْتُكَ مُسَلِّمًا .
 قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَأَذْهَبُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا
 مُسَلِّمًا . فَأَخَذَهَا وَمَضَى . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ أَتَاهُ . فَقَالَ : مَا جَاءَ
 بِكَ يَا أَزْهَرُ . قَالَ : أَتَيْتُ عَائِدًا . قَالَ : إِنَّهُ يَتَّقُ فِي خَلْدِي أَنَّكَ
 جِئْتَ طَالِبًا . قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا عَائِدًا . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي
 عَشَرَ أَلْفًا . وَأَذْهَبُ فَلَا تَأْتِنَا طَالِبًا وَلَا مُسَلِّمًا وَلَا عَائِدًا . فَأَخَذَهَا
 وَانصرفت . فَلَمَّا مَضَتْ السَّنَةُ أَقْبَلَ . وَقَالَ لَهُ : مَا جَاءَ بِكَ يَا أَزْهَرُ .

قَالَ : دُعَاءُ كُنْتُ أَسْتَعِيكَ تَدْعُو بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جِئْتُ لِأَكْتُبَهُ .
فَضَحِكَ أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ : إِنَّهُ دُعَاءٌ غَيْرُ مُسْتَجَابٍ . وَذَلِكَ أَنِّي قَدْ
دَعَوْتُ اللَّهَ بِهِ أَنْ لَا أَرَاكَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَثْنِي عَشَرَ
الْفَأْ . وَتَعَالَ مَتَى شِئْتَ فَقَدْ أَعْيَانِي فِيكَ الْحِيلَةُ

٢٥٠ أَبُطَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يُحْيَى عَنِ الدِّيَوَانَ فَاَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ
يَتَعَرَّفُ خَبْرَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانَيْنِ مِنْ الْإِفْلَاسِ وَالذِّينِ
فِي هَذَيْنِ لِي شُغْلٌ وَحَسْبِي شُغْلُ هَذَيْنِ
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ

المستعطي بالحلم

٢٥١ قَالَ الْعُتْبِيُّ : دَخَلَ ابْنُ دَعْبِلٍ عَلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ لَمَّا وَلى
الْكُوفَةَ فَقَعَدَ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا
فَأُذِّنُ لِي فِي قِصَصِهَا . فَقَالَ : قُلْ . فَقَالَ :

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلَ أَنْامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ جَدْتَ لِي بِوَصِيْفَةٍ مَوْسُومَةٍ حَسَنٍ عَلَيَّ قِيَامُهَا
رَبِّدْرَةٍ حَمَتُ إِلَيَّ وَبَغَاءٍ شَهْبَاءٍ نَاجِيَةٍ يَصْرُحُ لِحَامُهَا
قَالَ لَهُ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ : كُلُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ فَهُوَ عِنْدِي إِلَّا الْبَغَاءَ فَإِنَّهَا
دَهْمَاءُ فَارِهَةٌ . قَالَ : بَرَأْتُ مِنْ نَسْبِي إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُهَا إِلَّا دَهْمَاءَ إِلَّا
أَنِّي غَلَطْتُ

٢٥٢ قَالَ الْبُطَيْنُ الشَّاعِرُ : قَدِمْتُ عَلَى ابْنِ يَحْيَى الْأَرْمِينِيِّ فَكَتَبْتُ

إِلَيْهِ :

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَي وَصِيفٌ وَفِي صَكِّي دَنَانِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ حِذْقٌ وَمَعْرِفَةٌ رَأَيْتَ خَيْرًا وَالْأَحْلَامُ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسِرْ عَدَا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ تَعْبِيرَ ذَلِكَ وَفِي الْقَالِ التَّبَاشِيرُ
فَجِئْتُ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشْعِرًا فَرِحًا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفِعْلِ تَبْشِيرُ
قَالَ : فَوَقَّعَ لِي فِي أَسْفَلِ كِتَابِي أَضْعَافَ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ ذَكَرْتُهُ فِي آيَاتِي وَرَأَيْتُهُ فِي

مَنَامِي

٢٥٣ مَدَحَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ أَمِيرًا فَخَيَّبَهُ . فَأَنشَدَهُ :

لَيْنَ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَحَلَّتْ أَمَالِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

السائل وعبيد الله بن عباس

٢٥٤ مِنْ جُودِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ آتَاهُ سَائِلٌ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ
لَهُ : صَدَّقْ فَإِنِّي نَبِئْتُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَعْطَى سَائِلًا أَلْفَ
دِرْهَمٍ . فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : وَإِنَّ أَنَا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ . قَالَ : أَيْنَ أَنْتَ
مِنْهُ فِي الْحَسَبِ أَمْ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ . قَالَ : فِيهِمَا . قَالَ : أَمَا الْحَسَبُ فِي
الرَّجُلِ مَمْرُوءٌ تَهُ وَفِعْلُهُ . وَإِذَا شِئْتَ فَعَلْتَ . وَإِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ حَسِيبًا .
فَأَعْطَاهُ أَلْفِي دِرْهَمٍ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْقِ الْحَالِ . فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ :

إِنْ لَمْ تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُ . وَإِنْ كُنْتَ هُوَ
فَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمْسٍ . فَأَعْطَاهُ لِقَاءَ أُخْرَى . فَقَالَ السَّائِلُ :
هَذِهِ هَزْرَةٌ كَرِيمٍ حَسِيبٍ . وَاللَّهِ لَقَدْ نَقَرْتَ حَبَّةَ قَلْبِي فَأَفْرَغْتَهَا فِي
قَلْبِكَ فَمَا أَخْطَأْتُ إِلَّا بِاعْتِرَاضِ الشَّدْرِ مِنْ جَوَانِحِي

٢٥٥ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُطَيْرٍ : أَنْشَدْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ أَيْبَاتًا كُنْتُ

مَدَحْتُ بِهَا بَعْضَ الْوَلَاةِ وَهِيَ :

لَهُ يَوْمٌ بُوْسٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُوْسٌ وَيَوْمٌ نَعِيمٌ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمٌ
فَيَقْطُرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى وَيَقْطُرُ يَوْمَ الْبُوْسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمَ

فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبُوْسِ لَمْ يَبْنِ كَفَّهُ

عَنِ النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُجْرِمٌ

وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ فَرَّغَ كَفَّهُ

لِبَدْلِ النَّدَى مَا كَانَ بِالْأَرْضِ مُعْدِمٌ

فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ : كَمْ أَعْطَاكَ . قُلْتُ : خَمْسَةَ آفٍ . قَالَ : فَقَبِلْتَهَا .

قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ لِي : أَخْطَأْتُ . مَا ثَمَنُ هَذِهِ إِلَّا هَاتِي آفٍ

٢٥٦ قَالَ الْعَتَبِيُّ : سَمِعْتُ عَمِّي يُنْشِدُ لِأَبِي عَبَّاسِ الزُّبَيْرِيِّ :

وَكُلُّ خَلِيفَةٍ وَوَلِيٍّ عَهْدٍ أَبْكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ الْفِدَاءِ

إِمَارَتِكُمْ شِفَاءٌ حَيْثُ كَانَتْ وَبَعْضُ إِمَارَةِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ

فَأَنْتُمْ تُحْسِنُونَ إِذَا مَلَكَكُمْ وَبَعْضُ الْقَوْمِ إِنْ مَلَكَوا أَسَاءُوا

أَجْمَلَكُمْ وَغَيْرَكُمْ سِوَاءٌ وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهَوَاءُ

هُمُ أَرْضُ لِأَرْجَائِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَا
فَقَاتُ لَهُ : كَمْ أُعْطِيَ عَلَيْهَا . قَالَ : عِشْرِينَ أَلْفًا

٢٥٧ دَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ : كَبُرَتْ يَا مَعْنُ .
قَالَ : فِي طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ . قَالَ : عَلَى
أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّ فِيكَ لَبَقِيَّةً . قَالَ : هِيَ إِلَيْكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَيُّ الدَّوْلَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ ابْنُضُ . أَدَوْلَتَهُ
أَمْ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ زَادَ بَرُّكَ عَلَى
بَرِّهِمْ كَانَتْ دَوْلَتُكَ أَحَبَّ إِلَيَّ . وَإِنْ زَادَ بَرُّهُمْ عَلَيَّ بَرُّكَ كَانَتْ
دَوْلَتُهُمْ أَحَبَّ إِلَيَّ . قَالَ : صَدَقْتَ

٢٥٨ دَخَلَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا بَيْتَ الدِّيَّانِ فَرَأَى غُلَامًا جَمِيلًا عَلَى أَذُنِهِ
قَلَمٌ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ . قَالَ : أَنَا النَّاسِيُّ فِي دَوْلَتِكَ . وَالْمَتَأَبُّ
فِي نِعْمَتِكَ . وَالْمَوْمِلُ لِحُدُومَتِكَ الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ . قَالَ الْمَأْمُونُ :
بِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيَّةِ تَفَاضَاتِ الْعُقُولِ . إِرْفَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَوْقَ
مَرَاتِنِهِ

٢٥٩ كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ إِلَى عَلِيلٍ :
نُبِّئْتُ أَنَّكَ مُعْتَلٌّ فَقَاتُ لَهُمْ نَفْسِي الْقِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ
يَأْتِيَتْ عَلَيْهِ بِي ثُمَّ كَانَ لَهُ أَجْرُ الْعَلِيلِ وَإِنِّي غَيْرُ مَا جُورٍ
٢٦٠ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي شِكَاةٍ لَهُ يَعُودُهُ فَقَالَ :
اللَّهُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِ الْإِمَامِ لَنَا وَكَلْنَا لِمَنَا يَا دُونَهُ عَرَضُ

فَلَيْتَ أَنْ الَّذِي يَعْرُوهُ مِنْ مَرَضٍ بِالْعَائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ الْمَرَضُ
 فَبِالْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عِوَضٌ وَلَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عِوَضٌ
 فَمَا أَبَالِي إِذَا مَا نَفْسُهُ سَلِمَتْ لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ اللَّهِ وَأَنْتَرَضُوا
 (لابن عبد ربه)

٢٦١ مَا قَدِمَ نَضْرِبُ مِنْ مَنِعٍ بَيْنَ يَدَيِ الْأُمَمُونَ وَكَانَ قَدْ أَمَرَ
 بِضَرْبِ عُنُقِهِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَسْمَعُ مِنْي كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا . قَالَ :
 قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

زَعَمُوا أَنَّ الصَّعْرَ صَادَفَ مَرَّةً عَصْفُورٌ بِرَّ سَاقَهُ التَّقْدِيرُ
 فَتَكَامَ الْعَصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَالصَّعْرُ مُنْتَضٍ عَلَيْهِ يَطِيرُ
 إِنِّي لِإِثْلِكَ لَا أَتَمُّ لِقَمَةً وَلَئِنْ شُوتُ فَإِنِّي لِخَيْرِ
 فَتَهَآوَنَ الصَّعْرُ الْمُدِلُّ بِصَيْدِهِ كَرَمًا وَأَفَلَتْ ذَلِكَ الْعَصْفُورُ
 فَعَمَّا عَنْهُ (لابن خلكان)

الدجاجة المدفونة في بقعة مباركة

٢٦٢ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : نَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى خِيْمَةِ أَعْرَابِيَّةٍ وَلَهَا
 دَجَاجَةٌ وَقَدْ دَجَنَتْ عِنْدَهَا . فَذَبَحَهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : يَا أَبَا
 جَعْفَرٍ هَذِهِ دَجَاجَةٌ لِي كُنْتُ أُدَجِّنُهَا وَأَعْلِفُهَا مِنْ قُوتِي وَالْمِسْهَا فِي آتَاءِ
 اللَّيْلِ فَكَأَنَّمَا الْمِسُّ بِنْتِي زَلَّتْ عَنْ كِبْدِي . فَذَدَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَدْفِنَهَا فِي
 أَكْرَمِ بُقْعَةٍ تَكُونُ . فَلَمْ أَجِدْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ الْمُبَارَكَةَ إِلَّا بِطَنِكَ . فَأَرَدْتُ
 أَنْ أَدْفِنَهَا فِيهِ . فَضَوَّكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ .

٢٦٣ دَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كَفَّ بَصَرَهُ . فَأَجْلَسَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى سَرِيرِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ مَعْشَرُ بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . قَالَ : وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ بَنِي أُمِيَّةٍ تُصَابُونَ فِي بَصَارِكُمْ .

٢٦٤ كَانَ بَطْرِيْقُوسُ الْأَخِيرُ مَلِكُ الرُّومِ يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِذَا أَضْمَحَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْمِرَاةِ فَإِنْ رَأَى وَجْهَهُ حَسَنًا لَمْ يَشْنَهُ بِشَيْءٍ . وَإِنْ رَأَى قَبِيْحًا لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَبِيْحَيْنِ (ثمرات الاوراق للحموي)

٢٦٥ قَالَ حَسَنٌ : خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ الْمُبَارِكِ مُرَابِطِينَ إِلَى الشَّامِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَأَنَامَهُ فِي أَرْقَةِ الْمُصَيِّصَةِ إِذْ لَقِيَ سَكَرَانَ قَدْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى . فَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارِكِ بِرَنَاجِمًا مِنْ كَمِهِ فَكَتَبَ الْبَيْتَ . فَقَالَمَا لَهُ : أَتَكْتُبُ بَيْتَ شِعْرِ سَمِعْتَهُ مِنْ سَكَرَانَ . قَالَ : أَمَا سَمِعْتُمْ الْأَثَلَ . رَبُّ جَوْهَرَةٍ فِي مَرْبَلَةٍ : قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ فِي مَرْبَلَةٍ .

٢٦٦ اسْتَأْذَنَ نَصِيبُ بْنُ رِيَّاحٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَقَالَ : أَعْلَمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي قُلْتُ شِعْرًا أَوْلَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ . فَأَعْلَمُوهُ فَأْذَنَ لَهُ . فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَا بَعْدُ يَا عُمَرُ فَقَدْ أَتَيْتَا بِكَ الْحَاجَاتِ وَالْقَدْرُ
فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَيْدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
فَأَعْرَسَ لَهُ بِحَلِيَّةِ سَيْفِهِ (لابن عبد ربه)

٢٦٧ حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : كَانَ ثَابِتُ قُطْنَةَ قَدْ وُلِيَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ . فَلَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَامَ الْكَلَامَ فَتَعَدَّرَ

عَلَيْهِ وَحَصِرَ فَقَالَ : سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا وَبَعْدَ عِيٍّ بَيَانًا .

وَأَنْتُمْ إِلَى أَمِيرٍ فَمَا لَأُحْوجُ مِنْكُمْ إِلَى أَمِيرٍ قَوَالٍ

وَإِلَّا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسِيئِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لِحَطِيبٍ

فَبَلَغَتْ كَلِمَاتُهُ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ . (وَيُقَالُ الْأَخْفَفُ بْنُ قَيْسٍ)

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلَا ذَلِكَ الْمَنْبَرُ أَخْطَبُ مِنْهُ (الْإِغَانِي)

٢٦٨ نَظَرَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى فَتَى عَلَى ثِيَابِهِ أَثْرُ مِدَادٍ . فَوَثَبَهُ عَلَى

ذَلِكَ فَقَالَ :

لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ

فَأَجَابَهُ :

حَمَارٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ

فَدَعَّ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ لَطَحْتَ نَفْسَكَ بِالسَّوَادِ

٢٦٩ حَدَّثَ الثَّمَالِيُّ قَالَ : تَهَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ

وَوَخَّوْفَهُ . فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ يَهْجُودُ :

أَلَا قُلْ لِابْنِ مَعْنٍ وَالَّذِي مِ فِي أُلُودٍ قَدْ حَالَ

أَلَمَّ دُ بَلَّغْتُ مَا قَالَا فَمَا بَالَيْتُ مَا قَالَا

وَأَوْكَانَ مِنَ الْأَسَدِ لَمَّا رَاعَ وَلَا هَالَا

فَصُغُّ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالَ

فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَالَ

أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالَ وَقَدْ أَصْبَحْتَ بَطَالَ

قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَيْسَتْ السَّيْفُ قَطُّ فَفَحَنِي إِنْسَانٌ إِلَّا
 قُلْتُ : إِنَّهُ يُحْفَظُ شِعْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي فَيَنْظُرُ إِلَيَّ بِسَبَبِهِ
 (للشريشي)

٢٧٠ حَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : عَيْرَ زِيَادِ الْأَعْجَمِ الْمَغِيرَةَ بْنِ حَبْنَاءَ فِي
 مَجَاسِ الْمُهَابِ بِالْبَرَصِ . فَقَالَ لَهُ الْمَغِيرَةُ : إِنَّ عَيْقَ الْحَيْلِ لَا تَشْبِيهِهَا
 الْأَوْضَاحُ وَلَا تَعِيرُ بِالْفَرَرِ وَالْحَجُولِ . وَقَدْ قَالَ صَاحِبُنَا بَالِعَا بْنُ قَيْسٍ
 لِرَجُلٍ عَيْرَهُ بِالْبَرَصِ : إِنَّمَا أَنَا سَيْفُ اللَّهِ جَلَادُهُ وَأَسْتَلُّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ
 (الافغاني)

٢٧١ قِيلَ لِبَعْضِ الْمَجَانِينِ وَقَدْ أَقْبَلَ مِنَ الْمُقْبِرَةِ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ .
 فَقَالَ : مِنْ هَذِهِ الْقَافِلَةِ النَّازِلَةِ . قِيلَ : مَاذَا قُلْتَ لَهُمْ . قَالَ : قُلْتُ
 لَهُمْ مَتَى تَرْحَلُونَ . فَقَالُوا : حِينَ عَلَيْنَا تَهْدُمُونَ (لبهاء الدين)
 ٢٧٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لِكُلِّ فِتْيٍ خُرَجَ مِنَ الْعَيْبِ مُتَمَلِّ
 عَلَى كِثْفِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ
 فَعَيْنُ عِيُوبِ النَّاسِ نَصَبُ عِيُونِهِ
 وَعَيْنُ عِيُوبِ النَّفْسِ مِنْ خَافِ ظَهْرِهِ

وعند عرقوب

٢٧٣ كَانَ عُرْقُوبٌ وَعَدَّ رَجُلًا ثَرِيحًا فَلَمَّا أَطْلَعَتْ أَنَاهُ فَقَالَ : دَعَهَا
 حَتَّى تَبْلُجَ . فَلَمَّا أَبْلَحَتْ قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تُرْهِمِي . فَلَمَّا أَزْهَتْ أَنَاهُ . فَقَالَ :

دَعَا حَتَّى تَرْطِبَ . ثُمَّ أَنَاهُ فَقَالَ : دَعَهَا حَتَّى تُتَمِّرَ . فَلَمَّا أَتَمَّرَتْ عَدَا
عَلَيْهَا الْبَلَاءُ فَجَدَّهَا فَضْرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْخُفَّاءِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
مَنْ كَانَ خُفَّ الْوَعْدِ شَيْئُهُ وَالْفَدْرَ عُرْقُوبٌ لَهُ مَثَلُ
٢٧٤ حَدَّثَ أَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ : دَخَلَ التَّمِيمِيُّ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ
فِي يَوْمٍ عِيدٍ فَأَنشَدَهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَانِعُ
تَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَعًا إِذَا مَا بَدَأَ وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ
فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ (الآغَانِي)

٢٧٥ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلَغَزًا فِي اسْمِ عَلِيٍّ :
إِسْمُ الَّذِي تَمَيَّنِي أَوَّلُهُ نَاطِرُهُ
إِنْ فَاتَنِي أَوَّلُهُ فَإِنِّي آخِرُهُ

٢٧٦ لِعَجِبِ الدِّينِ فِي زَهْرِ اللُّوزِ :
أَزْهَرَ اللُّوزُ أَنْتَ لِكُلِّ زَهْرٍ مِنْ الْأَزْهَارِ يَا تَيْنَا إِمَامُ
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَيَّامُ حَتَّى كَانَتْ فِي قَمِ الدُّنْيَا أُبْتِسَامُ
٢٧٧ كَتَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَدِيَّةٍ وَأَرْسَلَهَا :

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّتْ أَيْدِيهِ الْجَلِيلَةُ
إِقْبَلْ هَدِيَّةً مِنْ بَرِيٍّ فِي حَقِّكَ الدُّنْيَا قَلِيلَةً
٢٧٨ قَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِ سَيْنَا : هَلَّا تَسَافَرْتُ بِحُرَّاءٍ . فَقَالَ :

لَا أَزْكَبُ الْأَجْرَ أَخْشَى عَلَيَّ مِنْهُ الْمَعَاطِبُ
طِينٌ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ وَالطِّينُ فِي الْمَاءِ ذَائِبٌ

٢٧٩ سَمِعَ رَجُلٌ رَجُلًا يَقُولُ : أَيْنَ الزَّاهِدُونَ فِي الدُّنْيَا . الرَّاعِبُونَ

فِي الْآخِرَةِ . فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا أَقْبَلْ كَلَامَكَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيَّ مِنْ شَيْتَ

٢٨٠ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَفْتَحُوا أَعْيُنَكُمْ

حَتَّى تُبْصِرُوا . وَأَنَا أَقُولُ : عَمَّضُوا أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُبْصِرُوا

٢٨١ كَانَ فِي زَمَانِ دِيوجَانِسَ الْحَكِيمِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ فَتَرَكَ التَّصْوِيرَ

وَصَارَ طَيِّبًا فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ إِنَّكَ لَمَّا رَأَيْتَ خَطَأَ التَّصْوِيرِ ظَاهِرًا

لِلْعَيْنِ وَخَطَأَ الطِّيبِ يُوَارِيهِ التُّرَابُ تَرَكْتَ التَّصْوِيرَ وَدَخَلْتَ فِي الطِّيبِ

٢٨٢ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ قَوْمًا يَجُودُونَ بِأَنْفُسِهِمْ :

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَمَا نَهُمُ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قَتَلُوا

٢٨٣ وَفَدَّ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ عَلَى أَنْوَشِرَوَانَ فَأَسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ . فَقَالَ

لِلْحَاجِبِ : سَلَهُ مِنْ هُوَ . فَقَالَ : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ

يَدَيْهِ قَالَ لَهُ أَنْوَشِرَوَانُ : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : سَيِّدُ الْعَرَبِ . قَالَ :

أَلَيْسَ زَعَمْتَ أَنَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ كَذَلِكَ . فَلَمَّا

اَكْرَمَنِي الْمَلِكُ بِكَلِمَتِهِ صِرْتُ سَيِّدَهُمْ . فَأَمَرَ بِحَشْوِ فِيهِ دُرًّا (لِلْعَامِلِي)

٢٨٤ قِيلَ : إِنَّ جَرِيدَ الْفَخْرِ الْعَرَبِ حَيْثُ يَقُولُ :

تَرَى النَّاسَ إِنْ سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا

وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا

عين ابصرت بقعها

٢٨٥ حكي عن بعض الشعراء أنه دخل على بعض الخلفاء فوجده
جالسا وإلى جانبه جارية سوداء تدعى خالصة . وعليها من الحلى
وأشياء الجواهر والألآئى ما لا يوصف . فصار الشاعر يمتدحها وهو
يسهو عن استماعه . فلما خرج كتب على الباب :

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصة
فقرأه بعض حاشية الخليفة وأخبره به . فغضب لذلك وأمره
بإحضار الشاعر . فلما وصل إلى الباب مسح العينين التي في لفظه
ضاع . وأحضر بين يديه . فقال له : ما كتبت على الباب . قال :

كتبت

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع در على خالصة
فأعجبه ذلك وأنعم عليه . وخرج الشاعر وهو يقول : لله درك
من شعر قلعت عيناه فأبصر
(للنواجي)

٢٨٦ تفاخر بعضهم على أحد الشعراء . فقال فيه الشاعر :

دهر علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالنجر يسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفة
قال آخر في هذا المعنى :

لاغر وان فاق الدنيا أبا العلاء في ذا الزمان وهما لذلك جاحد
فالدهر كالميزان يرفع كل ما هو ناقص ويحط ما هو زائد

الفلاح الحكيم

٢٨٧ قيل: وقف كسرى على فلاح نرس نخلًا وقد طعن في السن. فقال له كسرى متعجبًا منه: أيها الشيخ أتومل أن تأكل من ثمرة هذا النخل وهو لا يحمل إلا بعد سنين كثيرة. وأنت قد فني عمرك. فقال: أيها الملك عرسوا وأكنا وعرسنا فيا كاون. فقال متعجبًا من كلامه: زه. وأعطى الفلاح ألف دينار فأخذها وقال: أيها الملك ما أعجل ما أثمر هذا النخل. فاستحسن كسرى ذلك وقال: زه. فأعطاه ألف دينار أخرى. فأخذها وقال: أيها الملك وأعجب من كل شيء أن النخل أثمر السنة مرتين. فاستحسن كسرى ذلك وقال: زه. فأعطاه ألف دينار أخرى ثم تركه وأنصرف (اللاتيدي)

عفو معن بن زائدة عن أسراه

٢٨٨ قيل: إن معنًا قبض على عدوة من الأسرى فعرضهم على السيف. فالتفت إليه بعضهم وقال له: أضح الله الأمير لا تجمع علينا بين الجوع والعطش ثم القتل. فوالله إن كرم الأمير يبعد عن ذلك. فأمر لهم حينئذ بطعام وشراب. فأكلوا وشربوا ومعن ينظر إليهم. فلما فرغوا من أكابهم قالوا له: أيها الأمير أطل الله بقاءك إننا قد كنا أسراك والآن صرنا ضيوفك. فأنظر كيف تصنع ضيوفك. فعند ذلك قال لهم معن: قد عفوت عنكم. فقال له أحدهم: والله أيها الأمير إن عندنا عفوك عنا أشرف من يوم

ظَنَرَكَ يَا . فَسَّرَ مَعْنَا هَذَا الْكَلَامِ وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِكُسُوفِ وَمَالٍ
(لابن عبد ربه)

٢٨٩ . لَمَّا قَتَلَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ الْكَثْرَةَ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْمُرَائِيِّ فِيهِ . فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ شَيْبِ الدَّوْلَةِ مُقَاتِلِ بْنِ عَطِيَّةَ :

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ جَوْهَرَةً

مَكْنُونَةً صَاغَهَا الْبَارِي مِنَ الشَّرَفِ

جَاءَتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الْأَيَّامَ قِيَمَتَهَا

فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدْفِ

المتنبي وكتابه

٢٩٠ . مِنْ أَرْقٍ دَا حَكِي أَنْ الْمُتَنَبِّيَ أُمْتَدَحَ بَعْضَ أَعْدَاءِ صَاحِبِ
مَمْلَكَتِهِ . فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَتَوَعَّدَ الْمُتَنَبِّيَ بِالْقَتْلِ . فَخَرَجَ هَارِبًا ثُمَّ اخْتَفَى
مُدَّةً . فَأَخْبَرَ الْمَلِكُ أَنَّهُ بِلَدَةِ كَذَا . فَقَالَ الْمَلِكُ لِكَاتِبِهِ : اكْتُبْ لِلْمُتَنَبِّيِ
كِتَابًا وَاطْفِ لَهُ الْعِبَارَةَ . وَأَسْتَعِظْ خَاطِرَهُ وَأَخْبِرْهُ أَنِّي رَضِيتُ
عَنْهُ . وَأَمْرًا بِالرُّجُوعِ إِلَيْنَا . فَإِذَا جَاءَ إِلَيْنَا فَعَلْنَا بِهِ مَا زِيدُ . وَكَانَ بَيْنَ
الْكَاتِبِ وَالْمُتَنَبِّيِ مُصَادَقَةٌ فِي السِّرِّ . فَلَمْ يَسْمَعْ الْكَاتِبُ إِلَّا الْأَيْمَتَالَ .
فَكَتَبَ كِتَابًا وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَدُسَّ فِيهِ شَيْئًا خَوْفًا مِنَ الْمَلِكِ لِأَنَّهُ يَفْرَاهُ
قَبْلَ خْتَمِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَكَتَبَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى شَدَّدَ
النُّونَ (إِنْ) . وَقَرَأَهُ السُّلْطَانُ وَخْتَمَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمُتَنَبِّيِ . فَلَمَّا وَصَلَ
إِلَيْهِ وَرَأَى تَشْدِيدَ النُّونِ ارْتَحَلَ مِنْ تِلْكَ الْبَلَدَةِ عَلَى التُّورِ . فَقِيلَ لَهُ

فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : أَشَارَ الْكَاتِبُ بِتَشْدِيدِ التُّونِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ :
 إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُّونَ بِكَ يَمْتَلِكُونَ . فَأَخْرَجَ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ .
 فَأَنْظِرْ إِلَى بُلُوغِ هَذَا الْفَرَضِ بِالطَّفِّ عِبَارَةً . وَيُحْكِي أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ
 كَتَبَ الْجَوَابَ وَزَادَ الْفَائِي آخِرَ لَفْظَةٍ إِنَّ إِشَارَةَ إِلَى مَا قِيلَ : إِنَّا لَنَنْ
 نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا (للنواجي)

٢٩١ قَالَ بَعْضُهُمْ مَأْغِزًا فِي النَّارِ :

وَأَكَلَةٌ يَغِيرُ فَمٍ وَبَطْنٍ لَهَا الْأَشْجَارُ وَالْحَيَوَانُ قُوتُ
 فَمَا أَطْعَمْتَهَا انْتَعَشَتْ وَعَاشَتْ وَلَوْ اسْتَقَيْتَهَا مَاءً تَمُوتُ

٢٩٢ وَقَالَ آخَرُ مَلْغِزًا فِي بَجْعٍ :

مَا طَارَ فِي قَلْبِهِ يَلُوحُ لِلنَّاسِ عَجَبُ
 مِنْقَارُهُ فِي رَأْسِهِ وَأَعْيُنُ مِنْهُ فِي الذَّنْبِ

٢٩٣ رَأَى أَبُو الْمَعْمَارِ أَمِيرًا جَائِرًا يُصَلِّي فَقَالَ :

قَدْ بَلَيْتَنَا بِأَمِيرٍ ظَلَمَ النَّاسَ وَسَجَّ
 فَهُوَ كَالْجَزَارِ فِيهِمْ يَذْكُرُ اللَّهُ وَيَذْبَحُ

٣٩٤ قَالَ عَبْدُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ فِي رَجُلٍ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ .

فَرَمَاهُ مُسْتَوِي الْقِصَاصِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ كَعْبِدَهُ فَقَتَلَهُ . فَقَالَ عَبْدُ

الْحَكَمِ :

أَخْرَجْتَ مِنْ كَيْدِ الْقَوْسِ أُنْبَاهًا فَعَدَّتْ

تَيْنُ وَالْأُمُّ قَدْ تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ

وَمَا دَرَّتْ أَنَّهُ لَمَّا رَمَيْتَ بِهِ

مَا سَارَ مِنْ كَيْدٍ إِلَّا إِلَى كَيْدٍ

٢٩٥ كَانَ الْوَزِيرُ صَفِيَّ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ يَا بْنَ شُكْرِ وَزِيرَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
ابْنَ أَيُّوبَ بِمِصْرَ . فَعَزَلَ عَبْدَ الْحَكْمِ الْمَذْكُورَ عَنْ خُطَابَةِ جَامِعِ
مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

فَلَا بِي بَابٍ غَيْرِ بَابِكَ أَرْجِعُ وَيَا بِي جُودٍ غَيْرِ جُودِكَ أَطْمَعُ
سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكِي وَمَذَاهِبِي إِلَّا إِلَيْكَ فَدَأْبِي مَا أَصْنَعُ
فَكَأَنَّمَا الْأَبْوَابُ بِبَابِكَ وَحْدَهُ وَكَأَنَّمَا أَنْتَ الْحَلِيقَةُ أَجْمَعُ

ذَكَاءُ الْمَأْمُونِ

٢٩٦ حَكِي أَنْ أُمَّ جَعْفَرٍ عَاتَبَتْ الرَّشِيدَ فِي تَهْرِيطِهِ لِلْمَأْمُونِ دُونَ
الْأَمِينِ وَلِدِهَا . فَدَعَا خَادِمًا وَقَالَ لَهُ : وَجِّهْ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ
خَادِمًا يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْخَلْوَةِ : مَا تَفْعَلُ بِي إِذَا أَفْضَتِ
الْخِلَافَةَ إِلَيْكَ . فَأَمَّا الْأَمِينُ فَقَالَ لِلْخَادِمِ : أَقْطَعُكَ وَأَعْطِيكَ . وَأَمَّا
الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ قَامَ إِلَى الْخَادِمِ بِدَوَاةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : أَسْأَلُ بِي
عَمَّا أَفْعَلُ بِكَ يَوْمَ يَمُوتُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . وَخَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِدَاءً لَهُ . فَقَالَ الرَّشِيدُ لِأُمَّ جَعْفَرٍ : كَيْفَ
تَرِينَ . فَسَكَتَتْ عَنِ الْجَوَابِ (الابن خلكان)

٢٩٧ لَمَّا قُتِلَ ذُو الرِّئَاسَتَيْنِ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَ : لَا تَحْزَنِي
فَإِنِّي أَبْنُكَ بَعْدَ ابْنِكَ . فَقَالَتْ : أَفَلَا أَبْنِي عَلَى ابْنِ كَسْبِنِي أَبْنَاءَ مِثْلِكَ

٢٩٨ نَظَرَ رَجُلٌ مِنَ الْخُذَّاقِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ جُهَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ
حَسَنَةٌ وَيَتَكَلَّمُ وَيَلْعَنُ . فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ عَلَى قَدْرِ ثِيَابِكَ . أَوْ أَلْبَسْ عَلَى
قَدْرِ كَلَامِكَ (الفتيرواني)

٢٩٩ وَصَفَ بَعْضُ النَّبَلَاءِ بِخِيَالٍ فَقَالَ : هُوَ جَامٌ أَيُّ مِقْصُ . مِنْ
حَيْثُ جِئْتَهُ وَجَدْتَهُ لَا (الكنز المدفون)

٣٠٠ دَخَلَ طَيْبٌ عَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ لَهُ : أَنَا وَأَنْتَ وَالْعَلَّةُ ثَلَاثَةٌ
فَإِنْ أَعْنَتْنِي عَلَيْهَا بِالْقَبُولِ مِنِّي صِرْنَا أَثْنَيْنِ وَأَنْفَرَدْتَ الْعِلَّةُ فَتَوِينَا
عَلَيْهَا (الملل والنحل للشهرستاني)

٣٠١ كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَى بَعْضِ إِخْوَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
الصَّلَاحُ وَزَيْدٌ مُسْتَشْفِعًا :

مِنْ شَرَطِ صَاحِبٍ مَضْرٍ أَنْ يَكُونَ كَمَا
قَدْ كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَسَنِ لِإِخْوَتِهِ
سَاوُوا فَقَابِلَهُمْ بِالْعَفْوِ وَأَفْتَتَرُوا
فَبَرَّهُمْ وَقَوْلَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ

عبد الملك بن مروان والحجاج

٣٠٢ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يَعْمَلَ بَابَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَيُكْتَبَ
عَلَيْهِ أَسْمُهُ . وَسَأَلَهُ الْحَجَّاجُ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ بَابًا . فَأَذِنَ لَهُ فَأَتَنَّقَ أَنْ صَاعِقَةٌ
وَقَعَتْ فَأَحْتَرَقَ مِنْهَا رَأْسُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَبَقِيَ بَابُ الْحَجَّاجِ فَعَظُمَ ذَلِكَ
عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ : بَلَّغْنِي أَنَّ نَارًا نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ

فَأَحْرَقَتْ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تُحْرِقْ بَابَ الْحِجَابِ . وَمَا مَثَلْنَا فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَا كَانَتْ بَابُ أَبِي آدَمَ إِذْ قَرَّبْنَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ . فَسَرَى عَنْهُ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ

٣٠٣ رَوَى الْحَافِظُ الْحَمِيدِيُّ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ الْأُمَوِيِّ فِي الْإِفْتِرَاقِ :

إِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ نَائِيَةً فَنفُوسُ أَهْلِ الظَّرْفِ تَأْتِفُ
يَا رَبُّ مُفْتَرِقِينَ قَدْ جَمَعْتَ قَلْبَهُمَا الْأَقْلَامُ وَالصُّحُفُ

٣٠٤ مِنْ شِعْرِ ابْنِ مَسْهَرٍ كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الرُّسَاءِ فِي عِلَّةٍ :

وَلَمَّا أَشْتَكَيْتَ أَشْتَكَى كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ وَأَعْتَلَّ شَرْقٌ وَغَرْبٌ
لِأَنَّكَ قَلْبُ لِحْجَمِ الزَّمَانِ وَمَا صَحَّ جِسْمٌ إِذَا أَعْتَلَّ قَلْبُ

٣٠٥ قَالَ أَبُو الْيَمِينِ الْمُبَارَكُ الْكِنَانِيُّ فِي الْبِرَاغِيثِ :

وَمَعَشَرَ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ قَتْلَهُمْ كَمَا اسْتَحْلُوا دَمَ الْحِجَابِ فِي الْحَرَمِ
إِذَا سَفَكَتْ دَمًا مِنْهَا فَمَا سَفَكَتْ يَدَايَ مِنْ دَمِهَا الْمُسْفُوكِ غَيْرَ دَمِي

٣٠٦ كَلَّمَ الشَّعْبِيُّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ أَمِيرَ الْعِرَاقِيِّينَ فِي قَوْمِ

حَبْسِهِمْ لِيُطْلِقَهُمْ فَأَبَى . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْبَاطِلِ
فَأَلْحَقْ يُخْرِجُهُمْ . وَإِنْ حَبَسْتَهُمْ بِالْحَقِّ فَالْعَنُوا يَسْعَهُمْ . فَأَطْلَقَهُمْ

(لَا بِنَ خَلَّكَانَ)

٣٠٧ لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ أَنْ قَصْرَهُ حِيَالِ قَصْرِ الْمَأْمُونِ قِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ وَبَاهَاكَ . فَدَعَاهُ وَقَالَ : لِمَ بَنَيْتَ هَذَا الْقَصْرَ حِذَائِي .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَيْتُ أَنْ تَرَى نِعْمَتَكَ عَلَيَّ فَجَمَعْتَهُ نَصَبَ

عَيْنِكَ . فَاسْتَحْسَنَ الْمَأْمُونُ جَوَابَهُ وَعَفَا عَنْهُ (للمستعصي)

ان للعالم خاتماً

٣٠٨ حِكْيَ أَنْ دَهْرِيًّا جَاءَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِكَ مِثْلُ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا . فَمَنْ كَانَ فَاضِلًا مِنْ هَؤُلَاءِ فَأَمْرُهُ أَنْ يُحْضَرَ هَهُنَا حَتَّى أُنَبِّحَ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأُثْبِتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ . فَأَرْسَلَ هَارُونَ الرَّشِيدُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ لِأَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ الْعُلَمَاءِ . وَقَالَ : يَا إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا الدَّهْرِيُّ وَهُوَ يَدَّعِي نَفِي الصَّانِعِ وَيَدْعُوكَ إِلَى الْمُنَازَرَةِ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَذْهَبُ بَعْدَ الظُّهْرِ . فَجَاءَ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَ بِمَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ . فَأَرْسَلَ ثَانِيًا . فَقَامَ أَبُو حَنِيفَةَ وَاتَى إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ . فَاسْتَقْبَلَهُ هَارُونَ وَجَاءَ بِهِ وَأَجَاسَهُ فِي الصَّدْرِ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْأَكْبَابُ وَالْأَعْيَانُ . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : يَا أَبَا حَنِيفَةَ لِمَ أَبْطَأْتَ فِي مَجِيئِكَ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : قَدْ حَصَلَ لِي أَمْرٌ عَجِيبٌ فَلِذَلِكَ أَبْطَأْتُ . وَذَلِكَ أَنَّ بَيْتِي وَرَاءَ دِجْلَةَ . فَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي وَجِئْتُ إِلَى جَنْبِ دِجْلَةَ حَتَّى أَعْبَرَهَا فَرَأَيْتُ بِجَنْبِ دِجْلَةَ سَفِينَةً عَتِيقَةً مُتَقَطَّعَةً قَدْ اقْتَرَبَ الْوَاحِيَا . فَلَمَّا وَقَعَ بِصَرِي عَلَيْهَا اضْطَرَبَتِ الْأَلْوَاحُ وَتَحَرَّكَتْ وَاجْتَمَعَتْ وَتَوَصَّلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَصَارَتِ السَّفِينَةُ صَحِيحَةً بِلَا تَجَارٍ وَلَا عَمَلٍ عَامِلٍ . فَتَقَعَدْتُ عَلَيْهَا وَعَبَّرْتُ الْمَاءَ وَجِئْتُ هَهُنَا . فَقَالَ الدَّهْرِيُّ : اسْتَمِعُوا أَيُّهَا الْأَعْيَانُ مَا يَقُولُ إِمَامُكُمْ وَأَفْضَلُ زَمَانِكُمْ .

فَهَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامًا أَكْذَبَ مِنْ هَذَا كَيْفَ تَحْصُلُ السَّفِينَةُ الْمَكْسُورَةُ
 بِإِلَّا عَمَلِ تِجَّارٍ فَهُوَ كَذِبٌ تَحْضُّ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَائِكُمْ . فَقَالَ
 أَبُو حَنِيفَةَ : أَيُّهَا الْكَافِرُ الْمَطْلُوقُ إِذَا لَمْ تَحْصُلِ السَّفِينَةُ بِإِلَّا صَانِعٍ
 وَتِجَّارٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْصُلَ هَذَا الْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ
 بِعَدَمِ الصَّانِعِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِ عُنُقِ الدَّهْرِيِّ فَقَتَلُوهُ
 (للسيوطي)

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الْحِكَايَاتِ

٣٠٩ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْإِسْكَانْدَرِ إِنَّهُ دَعَاهُمْ فَلَكِي لَيْلَةَ إِيْرِيهِمْ
 النُّجُومَ وَيَعْرِفُهُمْ خَوَاصَهَا وَأَحْوَالَ سَيْرِهَا . فَأَذْخَاهُمْ إِلَى بُسْتَانٍ وَجَعَلَ
 يَمْشِي مَعَهُمْ وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَيْهَا حَتَّى سَقَطَ فِي بئرٍ هُنَاكَ . فَقَالَ : مَنْ
 تَعَاصَى عِلْمَ مَا فَوْقَهُ بُلِي بِجَهْلٍ مَا تَحْتَهُ (لبهاء الدين)

٣١٠ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا انْكَسَرَتْ بِهِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ فَوَقَعَ إِلَى جَزِيرَةٍ .
 فَعَمِلَ شَكْلًا هِنْدِيًّا عَلَى الْأَرْضِ فَرَأَهُ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
 فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَكَرَّمَهُ مَثْوَاهُ وَكَتَبَ الْمَلِكُ إِلَى سَائِرِ
 مَمَالِكِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ اقْتَنُوا مَا إِذَا كَبِرْتُمْ فِي الْبَحْرِ صَارَ مَعَكُمْ
 (تاريخ الحكماء للشهرزوري)

بزرجمهر في حبسه

٣١١ سَخَطَ كَسْرَى عَلَى بَزْرَجْمَهْرٍ فَحَبَسَهُ فِي بَيْتِ مُظَاهِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَنَّدَ بِالْحَدِيدِ فَبَقِيَ أَيَّامًا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فَإِذَا هُوَ مُشْرُوحُ الصَّدْرِ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ فَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الضِّيقِ وَتَرَكَ نَاعِمَ الْبَالِ . فَقَالَ : أَصْطَلَمْتُ سِتَّةَ أَخْلَاطٍ وَعَجَنْتَهَا وَأَسْتَعْمَلْتُهَا فَهِيَ الَّتِي أَبَيْتُنِي عَلَى هَاتِرُونَ . قَالُوا : صِفْ لَنَا هَذِهِ الْأَخْلَاطَ لَعَلَّنَا نَنْتَفِعُ بِهَا عِنْدَ الْبَلْوَى فَقَالَ : نَعَمْ . أَمَّا الْخِلَاطُ الْأَوَّلُ فَالثَّقَةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَمَّا الثَّانِي فَكُلُّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانُ . وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُتَمَتِّحُونَ . وَأَمَّا الرَّابِعُ فَإِذَا لَمْ أَصْبِرْ فَمَاذَا أَصْنَعُ وَلَا أَعِينُ عَلَيَّ نَذْسِي بِالْجَزَعِ . وَأَمَّا الْخَامِسُ فَقَدْ يَكُونُ أَشَدَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَأَمَّا السَّادِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ . فَبَلَغَ مَا قَالَهُ كَسْرَى . فَأَطْلَقَهُ وَأَعْرَدَ .

٣١٢ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِفًا مَعَ سَائِمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ فَسَمِعَ صَوْتَ رَعْدٍ فَفَزِعَ سَائِمَانٌ مِنْهُ وَوَضَعَ صَدْرَهُ عَلَى مَقْدَمِ رِجْلِهِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : هَذَا صَوْتُ رَحْمَتِهِ فَكَيْفَ صَوْتُ عَذَابِهِ

المدعو الى الولية والسائل

٣١٣ دَعَا رَجُلٌ آخَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَالَ : إِنَّا كُلُّ مَعَكَ خُبْرًا وَمِلْحًا . فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّ ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ طَعَامٍ لَطِيفٍ لَذِيذٍ أَعَدَّهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ . فَمَضَى مَعَهُ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ . فَبَيْنَاهُمَا يَا كِلَانِ إِذْ وَقَفَ

بِالْبَابِ سَائِلٌ . فَهَرَهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مَرَارًا فَلَمْ يَنْزَجِرْ . فَقَالَ لَهُ :
 أَذْهَبُ وَإِلَّا خَرَجْتُ وَكَسَرْتُ رَأْسَكَ . فَقَالَ الْمُدْعُوُّ : يَا هَذَا
 أَنْصَرِفْ فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ مِنْ صِدْقٍ وَعَيْدِهِ مَا عَرَفْتَ مِنْ صِدْقٍ
 وَعَيْدِهِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ

علي بن أبي رافع وابنة علي بن أبي طالب

٣١٤ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ وَكَاتِبِهِ . فَكَانَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عِقْدٌ لَوْلُو كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ
 الْبَصْرَةِ فَأَرْسَلْتُ إِلَى بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ
 بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِقْدٌ لَوْلُو . وَهُوَ فِي يَدِكَ وَأَنَا
 أَحِبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي يَوْمِ الْأَضْحَى . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَةٌ
 مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَتْ : نَعَمْ
 عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا وَإِذَا أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ رَأَاهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ . فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ هَذَا الْعِقْدُ .
 فَقَالَتْ : اسْتَعْرَيْتُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 لِأَتَرِّينَ بِهِ فِي الْعِيدِ ثُمَّ أَرَدَهُ . فَبِعْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَحَبَّتُهُ فَقَالَ لِي :
 أَخْوَنُ الْمُسْلِمِينَ يَا ابْنَ أَبِي رَافِعٍ . فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَخْوَنَ الْمُسْلِمِينَ .
 فَقَالَ : كَيْفَ أَعْرَتَ بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعِقْدَ الَّذِي فِي بَيْتِ مَالِ
 الْمُسْلِمِينَ بَعِيرٍ إِذْنِي وَرِضَاهُمْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهَا بِنْتُكَ
 وَسَأَلْتَنِي أَنْ أُعِيرَهَا تَتَرِّينَ بِهِ . فَأَعْرَيْتُهَا إِيَّاهُ عَارِيَةً مَضْمُونَةً مَرْدُودَةً

عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ سَالِمًا إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : رُدَّهُ مِنْ يَوْمِكَ وَإِيَّاكَ أَنْ
تَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ فَتَنَالَكَ عُقُوبَتِي . ثُمَّ قَالَ : وَيْلٌ لِيَابَتِي . لَوْ كَانَتْ أَخَذَتْ
الْعِقْدَ عَلَى غَيْرِ عَارِيَّةٍ مَرْدُودَةٍ مَضْمُونَةٍ لَكَانَتْ إِذْنُ أَوَّلِ هَائِمِيَّةٍ قَطَطُ
يَدَهَا فِي سَرِقَةٍ . فَبَلَغَتْ مَقَالَتَهُ أَبْنَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا
أَبْنَتُكَ وَبَضْعَةٌ مِنْكَ فَمَنْ أَحَقُّ بِإِسْبَهِ مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتَ ابْنِ أَبِي
طَابٍ لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنِ الْحَقِّ . أَكُلُّ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
يَتَزَيَّنُّ فِي مِثْلِ هَذَا الْعِيدِ بِمِثْلِ هَذَا . فَتَبَضَّضَتْ مِنْهَا وَرَدَدَتْهُ إِلَى
مَوْضِعِهِ

(إيهاب الدين)

للحلاوة المدخرة

٣١٥ حَدَّثَ عَنِ الْوَزِيرِ مُوَيْدِ الدِّينِ الْقَمِيِّ مَمْلُوكُهُ بَدْرُ الدِّينِ أَرَاؤُ
قَالَ : طَلَبَ أَيْلَةً مِنْ الْأَيْلِي حَلَاوَةَ النَّبَاتِ فَعَمِلَ فِي الْحَالِ مِنْهَا صُحُونٌ
كَثِيرَةٌ وَأَحْضَرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي تِلْكَ الْأَيْلَةِ . فَقَالَ لِي : يَا أَرَاؤُ أَنْتُمْ
أَنْ تَذْخَرَ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ لِي مُؤَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا
وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَهَلْ يُمَكِّنُ هَذَا . قَالَ : نَعَمْ . تَخْضِي فِي هَذِهِ
السَّاعَةِ إِلَى مَشْهَدِ مُوسَى وَالْجُودِ . تَضَعُ هَذِهِ الْأَصْحُنَ قُدَّامَ آيَاتِمِ
الْمَلَوِيِّينَ فَإِنَّهَا تُذْخَرُ لِي مُؤَفَّرَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَرَاؤُ : فَقُلْتُ :
السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَمَضِيَّتُ وَكَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ إِلَى الْمَشْهَدِ وَفَتَحَتْ
الْأَبْوَابَ وَنَهَتْ الصِّبْيَانَ الْآيَاتِمَ وَوَضَعَتْ الْأَصْحُنَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَرَجَعَتْ

(للفخري)

بهرام جور والراعي

٣١٦ حكى أن الملك بهرام جور خرج يوماً للصيد فظهر له حمارٌ وحش فأتبعه حتى خفي عن عسكره . فظفر به فمسكه . ونزل عن فرسه يريد أن يذبحه . فرأى راعياً أقبل من البرية فقال له : يا راعي أمسك فرسي هذا حتى أذبح هذا الحمار فمسكه ثم تشاغل بذبح الحمار . فلاح منه التفاتة فرأى الراعي يقطع جوهره في عذار فرسه . فأعرض الملك عنه حتى أخذها وقال : إن النظر إلى العيب من العيب . ثم ركب فرسه ولحق بعسكره . فقال له الوزير : أيها الملك السعيد أين جوهره عذار فرسك فتسم الملك . ثم قال : أخذها من لا يردّها وأبصر من لا ينم عليه فمن رآها منكم مع أحدٍ فلا يعارضه بشيءٍ بسبب ذلك (للقليوبي)

الملك المتعظ مجنون

٣١٧ من الحكايات اللطيفة أن بعض الملوك قصد التفرج على المجانين . فلما دخل عليهم رأى فيهم شاباً حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف . وتلوح عليه شمائل الفطنة . فدنا منه وسأله مسأئلاً فأجابه عن جميعها بأحسن جواب . فتعجب منه عجباً شديداً ثم إن المجنون قال للملك : قد سألتني عن أشياء فأجبتك وإني سأسألك سؤالاً واحداً . قال : وما هو . قال : متى يجد النائم لذة النوم . ففكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه . فقال

الْمَجْنُونُ : حَالَةَ النَّوْمِ لَيْسَ لَهُ إِحْسَاسٌ . فَقَالَ الْمَلِكُ : قَبْلَ الدُّخُولِ
 فِي النَّوْمِ . فَقَالَ الْمَجْنُونُ : كَيْفَ تَوْجَدُ لَذَّتَهُ قَبْلَ وُجُودِهِ . فَقَالَ
 الْمَلِكُ : بَعْدَ النَّوْمِ . فَقَالَ الْمَجْنُونُ : تَوْجَدُ لَذَّتَهُ وَقَدْ انْتَضَى . فَخَبِرَ
 الْمَلِكُ وَزَادَ إِعْجَابَهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَا يَحْصُلُ مِنْ عُقْلَاءَ كَثِيرَةٍ
 فَأَوْلَى أَنْ يَكُونَ تَدِيمِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَمْرًا أَنْ يُنْصَبَ لَهُ تَحْتَ
 بِإِزَاءِ سُبَالِكِ الْمَجْنُونِ . ثُمَّ اسْتَدْعَى بِالشَّرَابِ فَحَضَرَ . فَتَنَاوَلَ الْكَأْسَ
 وَشَرِبَ ثُمَّ نَاولَ الْمَجْنُونِ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْتَ شَرِبْتَ هَذَا لِتَصِيرَ
 مِثْلِي فَأَنَا أَشْرَبُهُ لِأَصِيرَ مِثْلَ مَنْ . فَاتَّعَظَ الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ وَرَمَى الْقَدَحَ
 مِنْ يَدِهِ وَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ
 (للاتليدي)

الشاب السارق

٣١٨ سَرَقَ شَابٌ سَرِقَةً فَأَتَى بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ . فَأَمَرَ بِتَقْطَعِ يَدِهِ
 فَتَقَدَّمَ لِتَقْطَعِ يَدَهُ فَأَنْشَدَ الشَّابُّ يَقُولُ :

يَدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُعِيدُهَا بِعَفْوِكَ أَنْ تَلْقَى نِكَالًا يَشِينُهَا
 فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا رَاحَةَ فِيهَا إِذَا مَا شِمَالُ فَارَقَتْهَا يَمِينُهَا
 وَكَانَتْ أُمُّ الشَّابِّ وَاقِفَةً عَلَى رَأْسِهِ فَبَكَتْ وَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَلَدِي وَوَأَحَدِي . نَاشِدُكَ اللَّهُ الْإِرْحَمَتِي وَهَدَيْتَ
 لَوْعَتِي . وَجُدْتَ بِالْعَفْوِ عَمَّا اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا حَدُّ
 مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْعَلْ عَفْوِكَ عَنْ هَذَا
 الْحَدِّ ذَنْبًا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَسْتَغْفِرُ مِنْهَا . فَرَقَّ لَهَا الْمَأْمُونُ وَعَفَا عَنْهُ

٣١٩ حكي أن المؤمن أشرف يوماً على قصره فرأى رجلاً يكتب
 بفحمة على حائط قصره. فقال المؤمن لبعض خدمه: اذهب إلى ذلك
 الرجل فأنظر ما كتب وأتني به. فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً
 وقبض عليه وقال: ما كتبت. فإذا هو قد كتب هذين البيتين:
 يَا قَصْرُ جَمَعَ فِيكَ الشُّومُ وَاللُّومُ مَتَى يُعَشِّرُ فِي أَرْكَانِكَ الْبُومُ
 يَوْمًا يُعَشِّشُ فِيكَ الْبُومُ مِنْ فَرَحِي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنَعَاكَ مَرْغُومُ
 ثُمَّ إِنَّ الْخَادِمَ قَالَ لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الرَّجُلُ:
 سَأَتُنْكَ بِاللَّهِ لَا تَذْهَبْ بِي إِلَيْهِ. فَقَالَ الْخَادِمُ: لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ
 ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا مَشَى بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلَمَ بِمَا كَتَبَ. فَقَالَ
 لَهُ الْمَأْمُونُ: وَيْلَكَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا
 يَخْفَى عَلَيْكَ مَا حَوَاهُ قَصْرُكَ هَذَا مِنْ خَزَائِنِ الْأَمْوَالِ وَالْحَلِيِّ وَالْحُلَلِ
 وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْفُرْشِ وَالْأَوَانِي وَالْأَمْتَعَةِ وَالْجَوَارِي وَالْخَدَمِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ وَصَفِي. وَيَجْزُ عَنْهُ فَهْمِي. وَإِنِّي قَدْ مَرَرْتُ
 عَلَيْهِ الْآنَ وَأَنَا فِي غَايَةِ مِنَ الْجُوعِ وَالْفَقَاةِ. فَوَقَفْتُ مُفَكِّراً فِي أَمْرِي
 وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا الْقَصْرُ عَامِرٌ عَالٍ. وَأَنَا جَائِعٌ وَلَا فَايِدَةَ لِي فِيهِ.
 فَلَوْ كَانَ خَرَاباً وَمَرَرْتُ بِهِ لَمْ أَعْدِمَ رُخَامَةً أَوْ خَشَبَةً أَوْ مِسْمَاراً أَيْبَعُهُ
 وَأَتَمَمْتُ بِشْتِهِ. أَوْ مَا عَلِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَعَاهُ اللَّهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ أَمْرِي نَصِيبٌ وَلَا حَظٌّ تَمَنَّى زَوَالَهَا

وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ يُرْجَى سِوَاهَا فَهُوَ يَهْوَى انْتِقَالَهَا
 فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا غَلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ . ثُمَّ قَالَ: هِيَ لَكَ فِي
 كُلِّ سَنَةٍ مَا دَامَ قَصْرُنَا عَامِرًا بِأَهْلِهِ مَسْرُورًا بِدَوْلَتِهِ
 وَأَنْشِدُوا فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِنًا فَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ مَاضٍ وَتَارِكُهُ
 (اعلام الناس للاتليدي)

الادب يرفع الحامل

٣٢٠ رُوِيَ أَنَّ الْمَأْمُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ خَلِيفَةً أَعْلَمَ
 مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ . وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَوْمَانِ يُجْلِسُ فِيهِمَا
 لِمَنَظَرَةِ الْعُلَمَاءِ . فَيَجْلِسُ الْمَنَظُرُونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ بِمَحْضَرَتِهِ
 عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ . فَيَبِينُ مَا هُوَ جَالِسٌ مَعَهُمْ إِذْ دَخَلَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ
 غَرِيبٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ رَثَّةٌ . فَجَلَسَ فِي آخِرِ النَّاسِ وَقَعَدَ مِنْ وَرَاءِ
 الْفُقَهَاءِ فِي مَكَانٍ مَجْهُولٍ . ثُمَّ ابْتَدَأَ فِي الْكَلَامِ وَشَرَعُوا فِي مُعْضَلَاتِ
 الْمَسَائِلِ . وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ يُدِيرُونَ الْمَسْئَلَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ
 وَاحِدًا تَبَعًا وَاحِدٍ . فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ زِيَادَةً لَطِيفَةً أَوْ نُكْتَةً غَرِيبَةً
 ذَكَرَهَا . فَدَارَتِ الْمَسْئَلَةُ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الْغَرِيبِ .
 فَتَكَلَّمَ وَأَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنْ أَجْوِبَةِ الْفُقَهَاءِ كُلِّهِمْ . فَاسْتَحْسَنَ
 الْخَلِيفَةُ كَلَامَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى أَعْلَى مِنْهُ . فَلَمَّا
 وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَةَ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ مِنَ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ .

فَأَمَرَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُرْفَعَ إِلَى أَعْلَى مِنْ تِلْكَ الرَّتَبَةِ . فَلَمَّا دَارَتْ الْمَسْئَلَةُ
الثَّالِثَةُ أَجَابَ بِجَوَابٍ أَحْسَنَ وَأَصُوبٍ مِنْ الْجَوَابَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ . فَأَمَرَ
الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَجْلِسَ قَرِيبًا مِنْهُ . فَلَمَّا انْقَضَتِ الْمَنَاطِرَةُ أَحْضَرُوا الْمَاءَ
وَوَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَحْضَرُوا الطَّعَامَ فَأَكَلُوا . ثُمَّ نَهَضَ الْفُقَهَاءُ فَخَرَجُوا
وَمَنَعَ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ الشَّخْصَ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ وَأَدْنَاهُ مِنْهُ وَلَاطَفَهُ
وَوَعَدَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَهَيَّأَ مَجْلِسُ الشَّرَابِ وَحَضَرَ
النُّدْمَاءُ الْمِلَاحُ وَدَارَتْ الرَّاحُ . فَلَمَّا وَصَلَ الدَّوْرُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ
وَتَبَّ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَالَ : إِنْ أَدْنَى لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَكَلَّمْتُ
كَلِمَةً وَاحِدَةً . قَالَ لَهُ : قُلْ مَا تَشَاءُ . فَقَالَ : قَدْ عَلِمَ الرَّأْيُ الْعَالِي
زَادَهُ اللَّهُ عُلُومًا أَنَّ الْعَبْدَ كَانَ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ مِنْ
مَجَاهِلِ النَّاسِ وَوَضَعَاءِ الْجُلَّاسِ . وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرِيبٌ وَأَدْنَاهُ
بِيسِيرٍ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَبْدَاهُ وَجَعَلَهُ مَرْفُوعًا عَلَى دَرَجَةٍ غَيْرِهِ . وَبَلَغَ بِهِ
الْفَايَةَ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ إِلَيْهَا هَمَّتُهُ . وَالْآنَ يُرِيدُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ
الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي أَعَزَّهُ بَعْدَ الذَّلَّةِ وَكَثَّرَهُ بَعْدَ الْقِلَّةِ .
وَحَاشَا وَكَأَنَّ أَنْ يُحْسَدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي مَعَهُ مِنْ
الْعَقْلِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْفَضْلِ . لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا شَرِبَ الشَّرَابَ تَبَاعَدَتْ عَنْهُ
الْعَمَلُ وَقُرْبَ مِنْهُ الْجَهْلُ وَسَلِبَ أَدَبُهُ . وَعَادَ إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ الْخَفِيرَةِ
كَمَا كَانَ وَصَارَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَقِيرًا مَجْهُولًا . فَارْجُوا مِنَ الرَّأْيِ الْعَالِي
أَنَّهُ لَا يَسْلُبُ مِنْهُ هَذِهِ الْجَوْهَرَةَ بِفِعْضِهِ وَكِرْمِهِ وَسَيَادَتِهِ وَحُسْنِ شَيْئِهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ مِنْهُ الْقَوْلَ مَدَحَهُ وَشَكَرَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي رُتْبَتِهِ
وَوَقَّرَهُ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَأَعْطَاهُ ثِيَابًا
فَاخِرَةً . وَكَانَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَرْفَعُهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى جَمَاعَةِ التَّقِيَاءِ حَتَّى
صَارَ أَرْفَعَ مِنْهُمْ دَرَجَةً وَأَعْلَى مَرْتَبَةً
(الف ليلة وليلة)

عدالة النورون في بناء الايوان

٣٢١ حكي أن قيصر ملك الروم أرسل رسولاً إلى ملك فارس أنوشروان
صاحب الأيوان . فلما وصل ورأى عظمة الأيوان وظرافته وعظمة
مجلس كسرى على كرسيه والملوك في خدمته ميز الأيوان فرأى في
بعض جوانبه أعوجاجاً . فسأل الترجمان عن ذلك . فقال له : إن
هناك بيتاً لعجوز كرهت بيعه عند عمارة الأيوان . ولم ير الملك إكراهها
على البيع فأبقى بيتها في جانب الأيوان . فذلك ما رأيت وسألت .
فقال الرومي : وحق رأسه إن هذا الأعوجاج أحسن من الاستقامة
وإن ما فعاه ملك الزمان لم يورخ فيما مضى لملك ولا يورخ فيما بقي
لملك . فأعجب كسرى كلامه وردده مسروراً محبوراً (الابشيهي)

الغلام والشعب

٣٢٢ كان لرجل من أغنياء التجار ولد نجيب صرفه من صغر سنه
في التجارة ببلده حتى رضي بخيرته فيها . فلما بلغ أشده أراد أن
يعوده على الأسفار في تجارة الأقطار . فجهزه تجهيزاً يليق بأمثاله
وأصحابه ومضى الغلام . فلما كان على مسيرة أيام من المدينة نزل

ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ أَرْوَاجِ . وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ مُسْمَرَةً . فَقَامَ يَتَمَتَّى وَقَدْ
مَضَى جُزْءٌ مِنَ اللَّيْلِ . فَبَصُرَ ثَعْلَابٌ طَرِيحٌ وَقَدْ أَخَذَهُ الْهَرَمُ وَالْإِغْيَاءُ
وَضَعُفَ عَنِ الْحَرَكَةِ . فَوَقَفَ عِنْدَهُ وَأَخَذَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَيَقُولُ :
كَيْفَ يُرْزَقُ هَذَا الْحَيَوَانُ الْمُسْكِينُ وَمَا أَظُنُّ إِلَّا أَنَّهُ يَمُوتُ جُوعًا .
فَيَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِأَسَدٍ مُقْبِلٍ قَدْ أَفْتَرَسَ فَرِيسَةً فَجَاءَ حَتَّى
قَرِبَ مِنَ الثَّعْلَابِ . فَتَنَاوَلَ مِنْهَا حَتَّى شَبِعَ وَتَرَكَ بِقِيَّتَهَا وَمَضَى . فَعِنْدَ
ذَلِكَ تَحَامَلَ الثَّعْلَابُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى أَنْتَهَى
إِلَى مَا تَرَكَهُ الْأَسَدُ . فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ وَالْغَلَامُ يَتَعَجَّبُ مِنْ صُنْعِ
اللَّهِ فِي خَلْقِهِ . وَمَا سَأَلَ لِهَذَا الْحَيَوَانِ الْعَاجِزِ مِنْ رِزْقِهِ . وَقَالَ فِي
نَفْسِهِ : إِذَا كَانَ سُجَّانَهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِالْأَرْزَاقِ فَلَا يَشِيءُ أَحْتِمَالُ
الْمَشَاقِّ وَرُكُوبِ الْأَسْفَارِ وَأَفْتِحَامِ الْأَخْطَارِ . ثُمَّ أَنْتَنِي رَاجِعًا إِلَى وَالِدِهِ
فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَشَرَحَ لَهُ مَا نَشَى عَزَمَهُ عَنِ السَّفَرِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ قَدْ
أَخْطَأْتَ النَّظَرَ إِنَّمَا أَرَدْتُ بِكَ أَنْ تَكُونَ أَسَدًا تَأْوِي إِلَيْكَ أَشْعَابُ
الْحِيَاغِ . لِأَنَّ تَكُونَ ثَعْلَابًا جَائِعًا تَنْتَظِرُ فَضْلَةَ السَّبَاعِ . فَقَبِلَ نَهْيَةَ
أَبِيهِ وَرَجَعَ لِمَا كَانَ فِيهِ

الثوب المبيع

٣٣٣ قَالَ ابْنُ الْحَرِيفِ : حَدَّثَنِي وَالِدِي قَالَ : أُعْطِيتُ أَحْمَدَ بْنَ
حَسْبِ الدَّلَالِ ثَوْبًا وَقُلْتُ : بَعُهُ لِي وَبَيْنَ هَذَا الْعَيْبِ الَّذِي فِيهِ .
وَأَرَيْتَهُ خَرَقًا فِي الثَّوْبِ . فَمَضَى وَجَاءَ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَدَفَعَ إِلَيَّ ثَمَنَهُ

وَقَالَ : بَعَثُهُ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَبِي غَرِيبٍ بِهَيْدِهِ الدَّنَانِيرِ . قُلْتُ لَهُ : وَأَرَيْتَهُ
 الْعَيْبَ وَأَعْلَمْتَهُ بِهِ . فَقَالَ : لَا وَإِنِّي نَسِيتُ ذَلِكَ . فَقُلْتُ : لِأَجْرِكَ
 اللَّهُ خَيْرًا إِمَضِ مَعِيَ إِلَيْهِ . وَذَهَبْتُ مَعَهُ وَقَصَدْنَا مَكَانَهُ فَلَمْ نَجِدْهُ .
 فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ : إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَكَّةَ مَعَ قَافِلَةِ الْحُجَّاجِ . فَأَخَذْتُ صِفَةَ
 الرَّجُلِ مِنَ الدَّلَالِ وَكَثَرْتِ دَابَّةً وَلِحْتِ الْقَافِلَةِ . وَسَأَلْتُ عَنْ
 الرَّجُلِ فَدَلَّتْ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : وَالثُوبُ الْفُلَانِيُّ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ
 أَمْسَ مِنَ الدَّلَالِ فَلَانَ بِكَذَابٍ وَكَذَابِ فِيهِ عَيْبٌ فَهَاتِهِ وَخُذْ ذَهَبَكَ .
 فَقَامَ وَأَخْرَجَ الثُّوبَ وَطَافَ عَلَى الْعَيْبِ حَتَّى وَجَدَهُ . فَلَمَّا وَجَدَهُ قَالَ :
 يَا شَيْخُ أَخْرَجْ ذَهَبِي حَتَّى أَرَاهُ وَكُنْتُ لَمَّا قَبَضْتُهُ لَمْ أُمِيزْهُ وَلَمْ أَنْتَقِدْهُ .
 فَأَخْرَجْتَهُ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : هَذَا ذَهَبِي أَنْتَقِدْهُ يَا شَيْخُ . فَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا
 هُوَ مَغْشُوشٌ لَا يُسَاوِي شَيْئًا . فَأَخَذَهُ وَرَمَى بِهِ وَقَالَ لِي : قَدْ اشْتَرَيْتُ
 مِنْكَ هَذَا الثُّوبَ عَلَى عَيْبِهِ بِهَذَا الذَّهَبِ . وَدَفَعَ إِلَيَّ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ
 الذَّهَبِ الْمَغْشُوشِ ذَهَبًا جَيِّدًا وَوَعَدْتُ بِهِ

كسرى انوشروان والمؤدب

٣٢٤ رَوِيَ أَنَّ كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّأْدِيبِ
 يَعْلَمُهُ حَتَّى فَاقَ فِي الْعُلُومِ . فَضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ .
 فَحَقَّقَ أَنْوَشِرَوَانُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وَوَلِيَ الْمَلِكُ قَالَ لِلْمُعَلِّمِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى
 ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرَعَّبُ فِي الْعِلْمِ رَجَوْتُ

لَكَ الْمَلِكُ بَعْدَ أَيِّكَ . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ الظُّلْمِ لِئَلَّا تَظْلِمَ .
فَقَالَ أَنُوشِرَوَانُ : زِهْ زِهْ وَرَفَعَ قَدْرَهُ

(للأبشيهي)

الهادي والخارجي

٣٢٥ ذَكَرَ صَاحِبُ السُّكْرَدَانِ أَنَّ الْهَادِيَّ كَانَ يَوْمًا فِي بُسْتَانَ
يَتَنَزَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا سِلَاحَ مَعَهُ . وَبِحَضْرَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِهِ وَأَهْلِ
بَيْتِهِ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِالْبَابِ بَعْضَ الْخَوَارِجِ لَهُ بُاسٌ
وَمَكَيْدٌ وَقَدْ ظَفِرَ بِهِ بَعْضُ الْقَوَادِ . فَأَمَرَ الْهَادِيَّ بِإِدْخَالِهِ . فَدَخَلَ
عَلَيْهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ قَدْ قَبِضَا عَلَى يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَبْصَرَ الْخَارِجِيَّ الْهَادِيَّ
جَذَبَ يَدَيْهِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ وَأَخْتَطَفَ سَيْفَ أَحَدِهِمَا وَقَصَدَ الْهَادِيَّ .
فَقَرَّ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ وَبَقِيَ وَحْدَهُ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى حِمَارِهِ . حَتَّى إِذَا
دَنَا مِنْهُ الْخَارِجِيُّ وَهَمَّ أَنْ يَعْלוهُ بِالسَّيْفِ أَوْ مَا إِلَى وَرَاءِ الْخَارِجِيَّ
وَأَوْهَمَهُ أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ وَقَالَ : يَا غُلَامُ أَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَظَنَّ الْخَارِجِيُّ
أَنَّ غُلَامًا وَرَاءَهُ . فَالْتَفَتَ الْخَارِجِيُّ فَنَزَلَ الْهَادِيَّ مُسْرِعًا عَنْ حِمَارِهِ
فَقَبِضَ عَلَى عُنُقِ الْخَارِجِيَّ وَذَبَحَهُ بِالسَّيْفِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى
ظَهْرِ حِمَارِهِ مِنْ قَوْرِهِ . وَالْخُدَمُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَتَسَلَّلُونَ عَلَيْهِ وَقَدْ مَلُوا
مِنْهُ حَيَاءً وَرُعْبًا . فَمَا عَاتَبَهُمْ وَلَا خَاطَبَهُمْ فِي ذَلِكَ بِكَلِمَةٍ . وَلَمْ يُفَارِقِ
السَّيْلَاحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ

(اعلام الناس للآتايدي)

المنصور وابو عبد الله

٣٢٦ قَالَ الْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ : عَلِيٌّ بِجَعْفَرٍ . قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْ أَبَا عَبْدِ

اللَّهُ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَرَكَ شَفْتَيْهِ ثُمَّ قَرَّبَ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : لَأَسْلَمَ
 اللَّهُ عَلَيْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ تَعْمَلُ عَلَى الْغَوَائِلِ فِي مَلِكِي . قَتَانِي اللَّهُ إِنْ لَمْ
 أَقْتُلْكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ . وَإِنَّ أَيُّوبَ
 أَبْتَلِيَ فَصَبَرَ . وَإِنَّ يُوسُفَ ظَلَمَ فَغَفَرَ . وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِ مِنْهُمْ وَأَحَقُّ مِنْ
 تَأْسِي بِهِمْ . فَنَكَّسَ النَّصُورُ رَأْسَهُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِلَيَّ أَبَاعَبِدُ
 اللَّهُ فَأَنْتَ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةِ . وَأَنْتَ ذُو الرَّحِمِ الْوَالِدِ . وَالسَّلَامُ
 النَّاحِيَةَ . الْقَلِيلُ الْغَائِلَةَ . ثُمَّ صَافَحَهُ بِيَمِينِهِ وَعَانَتْهُ بِشِمَالِهِ . وَأَجَاسَهُ
 مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَقْبَلَ يَسَائِلُهُ وَيُحَادِثُهُ . ثُمَّ قَالَ : عَجَلُوا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 إِذْ نُهُ وَجَارِزَتُهُ وَكُسُوتُهُ . فَلَمَّا خَرَجَ أَمْسَكَهُ الرَّبِيعُ وَقَالَ لَهُ : رَأَيْتُكَ
 قَدْ حَرَكَتَ شَفْتَيْكَ فَأَنْجَلِي الْأَمْرُ وَأَنَا خَادِمُ السُّلْطَانِ وَلَا غِنَى لِي
 عَنْهُ فَعَلَّمَنِي إِيَّاهُ . فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ : اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ .
 وَارْكُنْفِي بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ . لَا أَهْلُكَ وَأَنْتَ رَجَانِي فَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ
 أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ قَلَّ عِنْدَهَا شُكْرِي فَلَمْ تَحْرَمْنِي . وَكُمُ مِنْ بَلِيَّةٍ أَبْتَلَيْتَ بِهَا
 قَلَّ عِنْدَهَا صَبْرِي فَلَمْ تَخْذَلْنِي . اللَّهُمَّ بَكَ أَذْرَأُ فِي مَحْرَمٍ وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شَرِّهِ

(للشراشي)

القاضي والنصري الحسن

٣٢٧ حكي أن فقيراً جاء إلى قاضٍ في يومٍ عاشوراءٍ وقال له : أعزَّ
 اللهُ القاضي وإني رجلٌ فقيرٌ وذو عيالٍ وقد جئتُك مُسْتَشْفِعاً بِهَذَا
 اليومِ أن تُعْطِيَنِي عَشْرَةَ أَمْنَانَ لِحَمَا وَدِرْهَمَيْنِ لِأَشْبَعِ أَطْفَالِي فِي هَذَا

الْيَوْمِ وَلَكَ الْجَزَاءُ عَلَى اللَّهِ . فَوَعَدَهُ إِلَى الظُّهْرِ . فَلَمَّا جَاءَ الظُّهْرُ عَادَ
 إِلَيْهِ . فَوَعَدَهُ إِلَى العَصْرِ . فَلَمَّا جَاءَ العَصْرُ عَادَ إِلَيْهِ وَأَوْلَادُهُ فِي مَنْزِلِهِ
 ذَابَتْ أَكْبَادُهُمْ مِنَ الجُوعِ فَوَعَدَهُ إِلَى المَغْرِبِ . فَعَادَ إِلَيْهِ عِنْدَ الغُرُوبِ .
 فَقَالَ لَهُ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ . فَرَجَعَ الفَقِيرُ مُنْكَسِرَ القَلْبِ بِأَكْبَرِ
 العَيْزِ خَائِفًا مِنْ أَطْفَالِهِ كَيْفَ جَوَابُهُ لَهُمْ . فَمَرَّ وَهُوَ يَبْكِي بِنَصْرَانِي
 جَالِسًا عَلَى بَابِهِ . فَرَأَاهُ بَاكِيًا فَقَالَ لَهُ : مَا بَكَؤُكَ يَا هَذَا . فَقَالَ لَهُ :
 لَا تَسْأَلُ عَن حَالِي . فَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ أَعْلِمَنِي بِحَالِكَ .
 فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ مَعَ القَاضِي . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : مَا هَذَا اليَوْمِ عِنْدَكُمْ .
 فَقَالَ لَهُ : هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ . فَرَفَّقَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ وَأَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ
 مِنَ الخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَأَعْطَاهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا فَوْقَ الدِّرْهَمَيْنِ . فَقَالَ لَهُ :
 خُذْ هَذَا وَهُوَ لَكَ وَلِعِيَالِكَ عَلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ . فَذَهَبَ بِهِ الفَقِيرُ
 لِأَطْفَالِهِ فَرِحُوا مَسْرُورًا . فَلَمَّا رَأَاهُ أَطْفَالُهُ فَرِحُوا فَرِحًا شَدِيدًا . ثُمَّ نَادَوْا
 بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ : اللَّهُمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيْنَا السُّرُورَ فَادْخِلْ عَلَيْهِ الفَرَحَ
 عَاجِلًا . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ وَنَامَ القَاضِي سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَهُ : أَرْفَعُ
 رَأْسَكَ . فَرَفَعَهُ وَإِذَا هُوَ يَنْظُرُ قَصْرَيْنِ مَبْنِيِّينِ لَبْنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبْنَةً
 مِنْ فِضَّةٍ . فَقَالَ : إِلَهِي لِمَنْ هَذَانِ القَصْرَانِ . فَأَجِيبَ إِيَّاهُمَا كَمَا نَاكَ
 لَوْ قَضَيْتَ حَاجَةَ الفَقِيرِ فَلَمَّا رَدَدَتْهُ صَارَا لِلنَّصْرَانِيِّ فُلَانٍ . فَأَنْتَبَهَ
 القَاضِي مَرْغُوبًا يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى النَّصْرَانِيِّ وَقَالَ لَهُ :
 مَا فَعَلْتَ البَارِحَةَ مِنَ الخُبْرِ . فَقَالَ لَهُ : وَلِمَ ذَا سَوَأْتُكَ . فَأَخْبَرَهُ بِمَا

رَأَى . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بِنِي هَذَا الْجَمِيلِ الَّذِي فَعَلْتَهُ الْبَارِحَةَ مَعَ الْتَقِيرِ
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ النَّصْرَانِيُّ : إِنِّي لَا أَبِيعُ ذَلِكَ بِمِلءِ
الْأَرْضِ ذَهَبًا . فَرَحِمَ اللَّهُ ثَرَاهُ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ (للقليوبي)

اجارة مع لرجل استغاث به وكان المنصور قد اهدر دمه

٣٢٨ رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْصُورَ أَهْدَرَ دَمَ رَجُلٍ كَانَ يَسْعَى
بِفَسَادِ دَوْلَتِهِ مَعَ الْخَوَارِجِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ
جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ . فَبَيْنَمَا هُوَ
يَمْشِي مُخْتَفِيًا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَعَرَفَهُ
فَأَخَذَ بِجَمَاعِ ثِيَابِهِ وَقَالَ : هَذَا بَغِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَبَيْنَمَا الرَّجُلُ عَلَى
هَذِهِ الْحَالَةِ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ الْخَيْلِ . فَالْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ .
فَاسْتَعَاثَ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أَجْرَنِي أَجَارَكَ اللَّهُ . فَالْتَفَتَ مَعْنُ إِلَى الرَّجُلِ
الْمُتَعَلِّقِ بِهِ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ وَهَذَا . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ بَغِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِي أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَّ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : دَعَهُ .
وَقَالَ لِأَعْلَامِهِ : أَنْزِلْ عَنِّي دَابَّتَكَ وَأَحْمِلِ الرَّجُلَ عَلَيْهَا . فَصَاحَ الرَّجُلُ
الْمُتَعَلِّقُ بِهِ وَصَرَخَ وَأَسْتَجَارَ بِالنَّاسِ وَقَالَ : حَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ بَغِيَّةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : أَذْهَبَ فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ
عِنْدِي . فَأَنْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْمُنْصُورِ فَأَخْبَرَهُ . فَأَمَرَ الْمُنْصُورُ بِأَحْضَارِ
مَعْنُ فِي السَّاعَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُ الْمُنْصُورِ إِلَى مَعْنُ دَعَا جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ
وَمَوَالِيهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُودُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

أَقْسَمُ عَلَيْكُمْ بَأَن لَّا يَصِلَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ أَبَدًا وَفِيكُمْ عَيْنٌ
نَظَرَتْ . ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى الْمُنْصُورِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ
الْمُنْصُورُ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّ الْمُنْصُورَ قَالَ لَهُ : يَا مَعْنُ ائْتِجِرْ أَعْلَى . قَالَ :
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمُنْصُورُ : وَنَعَمْ أَيْضًا . وَقَدْ أَشَدَّ غَضَبُهُ .
فَقَالَ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقَدَّمُ فِي دَوْلَتِكُمْ بِالْإِثْمِ وَحَسَنُ
عَنَائِي . وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدَيْمِي . أَمَّا رَأَيْتُنِي أَهْلًا بِأَن يُوهَبَ لِي
رَجُلٌ وَاحِدٌ اسْتَجَارَ بِي بَيْنَ النَّاسِ بِوَهْمِهِ أَتَى عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَلِكَ هُوَ . فَمُرُّ بِمَا شِئْتَ هَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ : فَأَطْرَقَ
الْمُنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ سَكَنَ مَا بِهِ مِنَ الْغَضَبِ وَقَالَ لَهُ :
قَدْ أَجْرْنَا كَهُ يَا مَعْنُ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَن يَجْمَعَ
بَيْنَ الْأَجْرَيْنِ فَيَأْمُرَ لَهُ بِصِلَةٍ فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ . فَقَالَ الْمُنْصُورُ :
قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ صِلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ جِنَايَاتِ الرَّعِيَّةِ . وَإِنَّ ذَنْبَ الرَّجُلِ
عَظِيمٍ فَأَجْرُ صِلَتِهِ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ
مَعْنُ : عَجِّلْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ عَاجِلُهُ . فَأَمَرَ بِتَعْجِيلِهَا فَحَمَلَهَا
وَأَنْصَرَفَ وَأَتَى مَنْزِلَهُ . وَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَجُلُ خُذْ صِلَاتَكَ وَالْحَقُّ
بِأَهْلِكَ وَإِيَّاكَ وَمَخَافَةُ الْخُلَفَاءِ فِي أُمُورِهِمْ بَعْدَ هَذِهِ (لِللَّابِشِيِّ)

ملك الفرس وصاحب المطبخ

٣٢٩ كَانَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ عَظِيمِ الْمَمْلَكَةِ شَدِيدِ الثَّمَةِ .

وَكَانَ لَهُ صَاحِبُ مَطْبُخٍ . فَلَمَّا قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ صَاحِبُ الْمَطْبُخِ
سَقَطَتْ نُقْطَةٌ مِنْ الطَّعَامِ عَلَى يَدَيْهِ . فَرَوَى لَهَا الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَعَلِمَ
صَاحِبُ الْمَطْبُخِ أَنَّهُ قَاتِلُهُ . فَكَفَأَ الصَّخْفَةَ عَلَى رَأْسِهِ . وَقَالَ الْمَلِكُ : عَلَيَّ
بِهِ . فَلَمَّا آتَاهُ قَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سُقُوطَ النُّقْطَةِ أَخْطَأَتْ بِهَا
يَدَكَ . فَمَا عُدْرَكَ فِي الثَّانِيَةِ . قَالَ : اسْتَحَيْتُ لِلْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ مِنِّي
فِي سِنِّي وَقَدِيمِ حُرْمَتِي فِي نُقْطَةٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْظِمَ ذَنْبِي لِيَحْسُنَ بِهِ
قَتْلِي وَأَسْأَلَ نَاسِكَ النَّاسِ إِلَى الظُّلْمِ وَالْجُورِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنْ
لُطِفَ الْأَعْتِدَارُ يُنْجِيكَ مِنَ الْقَتْلِ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ (لابن عبد ربّه)

الرشيذ والدمشقي

٣٣٠ رُفِعَ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّ رَجُلًا بَدِمَشَقٍ مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةٍ
عَظِيمُ الْمَالِ كَثِيرُ الْجَادِ مُطَاعٌ فِي الْبَلَدِ لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَمَمَالِكُ
يُرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ السَّلَاحَ وَيَغْزُونَ الرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمِعَ جَوَادُ
كَثِيرُ الْبَدَلِ وَالضِّيَافَةِ وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مِنْهُ . فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَى الرَّشِيدِ .
قَالَ مَنَارَةٌ : وَكَانَ وَقُوفَ الرَّشِيدِ عَلَى هَذَا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ فِي بَعْضِ
حَجَّجِهِ فِي سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَقَدْ عَادَ مِنَ الْمَوْسِمِ . وَقَدْ بَاعَ
لِلْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ أَوْلَادَهُ فِدَعَانِي وَهُوَ خَالٌ . وَقَالَ :
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرِ يَهْمُنِي وَقَدْ مَنَعَنِي النَّوْمُ فَأَنْظُرُ كَيْفَ يَكُونُ . ثُمَّ
قَصَّ عَلَيَّ خَبَرَ الْأُمَوِيِّ وَقَالَ : أَخْرَجَ السَّاعَةَ فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ
الْحَيْوَلَ وَأَزَحْتُ عِلَّتَكَ فِي الزَّادِ وَالنَّفْقَةِ وَالْآلَةِ . وَتَضَمُّنْتُ إِلَيْكَ مِائَةَ

غُلامٍ وَأَسْكَ الْبَرِيَّةَ وَهَذَا كِتَابِي إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ وَهَذِهِ قِيُودُ
 فَأَبْدَأُ بِالرَّجُلِ فَإِنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ فَصَيِّدَهُ وَجِنِّي بِهِ . وَإِنْ عَصَى فَتَوَكَّلْ
 عَلَيْهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ لِأَلَّا يَهْرُبَ . وَأَنْفِذِ الْكِتَابَ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ
 لِيَكُونَ مُسَاعِدًا وَأَقِضْ عَلَيْهِ وَجِنِّي بِهِ وَأَجَلْتُكَ لِدَهَابِكَ سِتًّا وَلَا يَأْبُكَ
 سِتًّا وَيَوْمًا بِقَامِكَ . وَهَذَا مَحْمَلُ تَجْمَعُهُ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ إِذَا قَيْدَتْهُ وَتَقَعْدُ
 أَنْتَ فِي الشِّقَّةِ الْأُخْرَى . وَلَا تَكِلْ حِفْظَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ
 فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ خُرُوجِكَ . فَإِذَا دَخَلْتَ دَارَهُ فَتَفَقَّدْهَا
 وَجَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَعِلْمَانِهِ وَقَدَّرْ نِعْمَتَهُ وَالْحَالَ وَالْحَالَ .
 وَأَحْفَظْ مَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ حَرْفًا بِحَرْفٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ مِنْذُ يَقَعُ طَرْفُكَ
 عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ يُشَكَّكَ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ .
 أَنْطَاقُ . قَالَ مَنَارَةٌ : فَوَدَّعْتُهُ وَأَنْطَاقْتُ وَخَرَجْتُ فَرَكِبْتُ الْإِبِلَ
 وَسِرْتُ أَطْوَى الْمَنَازِلِ أَسِيرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ
 فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ السَّابِعَةِ وَأَبْوَابُ الْبَلَدِ مُغْلَقَةٌ . فَكَرِهْتُ طُرُوقَهَا لَيْلًا
 فَبِتُّ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ إِلَى أَنْ فَتَحَ بَابَهَا مِنْ غَدٍ . فَدَخَلْتُ عَلَى هَيْئَتِي ثُمَّ
 أَتَيْتُ بَابَ الرَّجُلِ وَعَلَيْهِ صَفٌّ عَظِيمٌ وَحَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ أَسْتَأْذِنْ
 وَدَخَلْتُ بَغَيْرِ إِذْنٍ . فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ ذَلِكَ سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ مَعِيَ
 عَنِّي . قَالَ : هَذَا مَنَارَةٌ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى صَاحِبِكُمْ . قَالَ :
 فَلَمَّا صَرْتُ فِي صَحْنِ الدَّارِ نَزَلْتُ وَدَخَلْتُ مَجَاسِرًا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْمًا
 جُلُوسًا فَظَنَنْتُ أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ . فَقَامُوا وَرَحَّبُوا بِي . فَقُلْتُ : أَفِيكُمْ

فُلَانٌ . قَالُوا : لَا . نَحْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي الْحَمَامِ . فَقُلْتُ : اسْتَجْلِدُوهُ . فَمَضَى
 بَعْضُهُمْ يَسْتَجْلِيهِ وَأَنَا أَتَفَقَّدُ الدَّارَ وَالْأَحْوَالَ وَالْحَاشِيَةَ فَوَجَدْتُهَا مَا جَت
 بِأَهْلِهَا مَوْجًا كَثِيرًا . فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَ الرَّجُلُ بَعْدَ أَنْ أَطَالَ
 مَكْتَهُ . وَأَسْتَرَبْتُ مِنْهُ وَأَشْتَدُّ قَائِي وَخَوْفِي مِنْ أَنْ يَتَوَارَى إِلَى أَنْ
 رَأَيْتُ شَخْصًا يَزِي الْحَمَامَ يَمْشِي فِي صَحْنِ الدَّارِ وَحَوَالِيهِ جَمَاعَةٌ كَهَوْلِ
 وَأَحْدَاثِ وَصِبْيَانٍ . وَهُمْ أَوْلَادُهُ وَغُلَمَانُهُ فَقُلْتُ : إِنَّهُ الرَّجُلُ . فَجَاءَ
 وَجَلَسَ وَسَلَّمَ عَلَيَّ سَلَامًا خَفِيفًا . وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْتَقَامَةَ
 أَمْرِ حَضْرَتِهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا وَجَبَ . وَمَا قَضَى كَلَامَهُ حَتَّى جَاؤُوا بِأَطْبَاقِ
 فَاكِهَةٍ فَقَالَ : تَقَدَّمْ يَا مَنَارَةَ وَكُلْ مَعَنَا . فَقُلْتُ : مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ
 سَبِيلٍ . فَلَمْ يُعَاوِدْنِي فَأَكَلْتُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ . ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا
 بِالطَّعَامِ فَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِمَائِدَةٍ حَسَنَةٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ . فَقَالَ : يَا مَنَارَةَ
 سَاعِدِي نَاعِلِي الْأَكْلِ . لَا يَزِيدُنِي عَلَى أَنْ يَدْعُوَنِي بِأَسْمِي كَمَا يَدْعُوَنِي
 الْخَلِيفَةُ . فَأَمْتَنْتُ عَلَيْهِ فَمَا عَاوَدَنِي . فَأَكَلْتُ وَمَنْ مَعَهُ وَكَانُوا تِسْعَةً
 مِنْ أَوْلَادِهِ . فَتَأَمَّتْ أَكْلَهُ فِي نَفْسِهِ فَوَجَدْتُهُ يَأْكُلُ أَكْلَ الْمَلُوكِ .
 وَوَجَدْتُ ذَلِكَ الْأَضْطِرَابَ الَّذِي كَانَ فِي دَارِهِ قَدْ سَكَنَ وَوَجَدْتُهُمْ
 لَا يَرْفَعُونَ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَدْ وُضِعَ عَلَى الْمَائِدَةِ إِلَّا تَهَيَّأَ غَيْرُهُ حَالًا
 أَعْظَمُ وَأَحْسَنُ مِنْهُ . وَقَدْ كَانَ غُلَمَانُهُ أَخَذُوا لَمَّا نَزَلْتُ إِلَى الدَّارِ مَا لِي
 وَغُلَمَانِي وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارِ أُخْرَى . فَمَا أَطَاقُوا مُمَانَعَتَهُمْ وَبَقِيَتْ
 وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَمْسَةٌ أَوْ سِتَّةٌ غُلَمَانٍ وَقُوفٍ عَلَى رَأْسِي .

قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ فَإِنْ أَمْتَنَعَ مِنْ الشُّخُوصِ لَمْ أُطِقْ
 إِشْخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا بِنِ مَعِي وَلَا حِفْظَهُ إِلَّا أَنْ يُلْحَقَنِي أَمِيرُ الْبَلَدِ .
 وَجِزْتُ جِزْعًا شَدِيدًا وَرَأَيْتُ مِنْهُ اسْتِحْتِفَافَهُ وَتَهَاوُنَهُ بِأَمْرِي . يَدْعُونِي
 بِأَسْمِي وَلَا يُفَكِّرُ فِي أَمْتِنَاعِي مِنَ الْأَكْلِ . وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ
 وَيَأْكُلُ مُطْمَئِنًّا وَأَنَا مُفَكِّرٌ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ
 يَدَيْهِ دَعَا بِالْجُورِ فَتَجَرَّ وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَصَلَّى الظُّهْرَ وَكَثُرَ مِنَ الدُّعَاءِ
 وَالْإِبْتِهَالِ . وَرَأَيْتُ صَلَاتَهُ حَسَنَةً . فَلَمَّا انْتَقَلَ مِنَ الْحَرَابِ أَقْبَلَ
 عَلَيَّ وَقَالَ : مَا أَقْدَمَكَ يَا مَنَارَةَ . فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَقَضَاهُ وَقَرَّاهُ . فَلَمَّا اسْتَمَّ قَرَأَتْهُ دَعَا أَوْلَادَهُ وَحَاشَيْتَهُ
 فَأَجْتَمَعَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ . فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بِي . فَلَمَّا
 تَكَلَّمُوا ابْتَدَأَ فَحَلَفَ أَيْمَانًا غَلِيظَةً فِيهَا الطَّلَاقُ وَالْعِتَاقُ وَالْحَجُّ
 وَالصَّدَقَةُ وَالْوَقْفُ أَنْ لَا يَجْتَمِعَ اثْنَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَأَمَرَهُمْ
 أَنْ يَنْصَرِفُوا وَيَدْخُلُوا مَنَازِلَهُمْ وَلَا يَظْهَرُوا إِلَيَّ أَنْ يُكْشَفَ لَهُمْ أَمْرٌ
 يَتَعَمَدُونَ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهِ وَلَسْتُ
 أَقِيمُ بَعْدَ نَظْرِي فِيهِ سَاعَةً وَاحِدَةً . وَأَسْتَوْصُوا بَيْنَ وَرَائِي مِنَ الْحَرِيمِ
 خَيْرًا . وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ يُصَحَّبَنِي أَحَدٌ . هَاتِ قِيُودَكَ يَا مَنَارَةَ .
 فَدَعَوْتُ بِهَا وَكَانَتْ فِي سَفَطٍ وَمَدَّ يَدَهُ فَقَبَضَتْهُ وَأَمَرْتُ غُلَامَانِي بِحَمْلِهِ
 حَتَّى صَارَ فِي الْمَحْمَلِ وَرَكِبْتُ فِي الشَّقِ الْآخِ وَسِرْتُ مِنْ وَقْتِي . وَلَمْ
 أَلِاقِ أَمِيرَ الْبَلَدِ وَلَا غَيْرَهُ . وَسِرْتُ بِالرَّجُلِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَنْ

صِرْنَا بِظَاهِرِ دِمَشْقَ . فَأَبْتَدَأُ يُحَدِّثُنِي بِأَنْبِسَاطٍ حَتَّى أُنْتَهِنَا إِلَى بُسْتَانٍ
حَسَنِ فِي النَّوْطَةِ فَقَالَ لِي : أَرَى هَذَا . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ : إِنَّهُ لِي .
وَفِيهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . ثُمَّ أَنْتَهَى إِلَى آخِرِ فَقَالَ
مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَنْتَهَى إِلَى مَزَارِعِ حِسَانٍ وَقُرَى فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ :
هَذَا لِي . فَأَشْتَدُّ غَيْظِي مِنْهُ . وَقَالَ : أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَهَمَّهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَنْ أَنْتَرَمَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَهَذَا
وَوَلَدِكَ وَأَخْرَجَكَ فَرِيدًا مُقَيَّدًا مَغْلُولًا مَا تَدْرِي إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ
أَمْرُكَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ . وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ مِنْ هَذَا حَتَّى تَصِفُ
ضِيَاعَكَ وَبَسَاتِينِكَ بَعْدَ أَنْ جِئْتِكَ . وَأَنْتَ لَا تَتَفَكَّرُ فِيمَا جِئْتَ بِهِ .
وَأَنْتَ سَاكِنُ الْقَلْبِ قَلِيلُ التَّفَكُّرِ لَمَدْتُ كُنْتُ عِنْدِي شَيْخًا فَاضِلًا . فَقَالَ
لِي مُجِيبًا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أَخْطَأْتُ فِرَاسَتِي فِيكَ . لَقَدْ
ظَنَنْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ كَامِلُ الْعَقْلِ وَأَنَّكَ مَا حَلَمْتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ هَذَا الْمَحَلِّ
إِلَّا لِمَا عَرَفُوكَ . فَإِذَا عَقَلْتُكَ وَكَلَامُكَ يُشْبِهُ كَلَامَ الْعَوَامِّ . وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ . أَمَا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ إِيَّايَ إِلَى
بَابِهِ عَلَى صُورَتِي هَذِهِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِيَدِهِ
نَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يَمْلِكُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَافُهُ . وَبَعْدُ
فَإِذَا عَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرِي وَعَرَفَ سَلَامَتِي وَصَلَاحَ نَاحِيَتِي
سَرَّحَنِي مَكْرَمًا . فَإِنَّ الْحَسَدَةَ وَالْأَعْدَاءَ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِي .

وَتَقُولُوا عَلَى الْأَقْوَابِ فَلَا يَسْتَجِيبُ دَعْوِي وَيُخْرِجُنِي مِنْ إِيْدَائِي وَإِزْعَاجِي .
 وَبَرَّدَنِي مَكْرَمًا وَيَقِينِي بِإِلَادِهِ مُعْظَمًا مُجَلًّا . وَإِنْ كَانَ قَدْ سَبَقَ فِي
 عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَبْدُو لِي مِنْهُ سُوءٌ وَقَدْ اقْتَرَبَ أَجَلِي وَكَانَ
 سَنُّكَ دَمِي عَلَى يَدِهِ . فَأَنِّي أَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَحْيَا
 وَأَمَاتَ . وَإِنَّ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَالسَّلَامَ إِلَى مَنْ يَلَاكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .
 وَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هَذَا فَإِذَنْ قَدْ عَرَفْتُ مَبَاحَ فَهْمِكَ .
 فَأَنِّي لَا أَكَلِمَكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَمَا تَبِعْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ الشُّبْحِ أَوْ
 طَلَبِ مَاءٍ أَوْ حَاجَةٍ حَتَّى شَارَفْنَا الْكُوفَةَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ بَعْدَ
 الظُّهْرِ وَالشُّجْبُ قَدْ اسْتَشْبَانِي قَبْلَ سِتِّهِ فَرَائِخُ مِنَ الْكُوفَةِ يَتَجَسَّسُونَ
 خَبْرِي . فَحِينَ رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَقَدِّمِينَ بِالْخَبَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 فَأَتَيْتُ إِلَى الْبَابِ فِي آخِرِ النَّهَارِ فَحَطَّطْتُ رَحْلِي . وَدَخَلْتُ عَلَى
 الرَّشِيدِ وَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ
 يَا مَنَارَةَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ مِنْهُ عَنِ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ . فَسُئْتُ الْحَدِيثَ مِنْ
 أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ حَتَّى أُتَيْتُ إِلَى ذِكْرِ النَّاصِيَةِ وَالطَّعَامِ وَالغَسْلِ
 وَالنَّجْوَرِ وَمَا حَدَّثَنِي بِهِ نَفْسِي مِنْ أَمْتَانِهِ . وَالغَضَبُ يَفْضُرُ فِي وَجْهِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَزَايِدُ . حَتَّى أُتَيْتُ إِلَى فِرَاقِ الْأُمُورِ مِنَ الصَّلَاةِ
 وَالنَّفَاقَةِ إِلَيَّ وَسُؤَالِهِ عَنِ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمُبَادَرَتِهِ
 إِلَى إِحْضَارِ وُلْدِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَافِيهِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ

وَصَرَفَهُ إِيَّاهُمْ وَمَدَّ رِجْلَيْهِ فَتَيَّدَتْهُ . ثُمَّ زَالَ وَجْهُ الرَّشِيدِ يُسْفِرُ . فَلَمَّا
 أَنْتَهَيْتُ إِلَى مَا خَاطَبَنِي بِهِ عِنْدَ تَوْبِخِي لَهُ ، أَرَكِنَا فِي أَحْمَلٍ فَقَالَ :
 صَدَقَ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ إِلَّا مُخْشَوْدٌ عَلَى النِّعْمَةِ ، كَذُوبٌ عَلَيْهِ ،
 وَأَعْمَرِي لَمَّا أَرَعْمَنَاهُ وَأَذَيْنَاهُ وَرَعْنَا أَهْلَهُ . فَبَادَرَ بِتَرْعِ قِيُودِهِ وَتَنِي
 بِهِ . قَالَ : فَخَرَجْتُ وَتَرَعْتُ قِيُودَهُ وَأَدَخَاتَهُ إِلَى الرَّشِيدِ . فَمَا هُوَ إِلَّا
 أَنْ رَأَاهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ الْحَيَاةِ يُجْوِلُ فِي وَجْهِ الرَّشِيدِ . فَدَنَا الْأُمَوِيُّ
 وَسَلَّمَ بِالْحِلَاقَةِ وَوَقَفَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ .
 فَجَلَسَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَلَّغْنَا عَنْكَ
 فَضْلَ هَيْئَةٍ وَأُمُورَ أَحِبِّينَا مَعَهَا أَنْ تَرَكَ وَتَسْمَعَ كَلَامَكَ وَتُحْسِنَ إِلَيْكَ
 فَأَذْكَرَ حَاجَتَكَ . فَاجَابَ الْأُمَوِيُّ جَوَابًا جَمِيلًا وَشَكَرَ وَدَعَا ثُمَّ قَالَ :
 أَيْسَرُ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ . فَقَالَ : مَقْضِيَةٌ فَمَا
 هِيَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رُدَّنِي إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي وَوَالِدِي . قَالَ :
 نَفْعَلُ ذَلِكَ . وَأَكْبَنُ سَلَّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَاشِكَ
 فَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يُخْرَجُ إِلَّا وَيَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا لَكَ مِنْ صَفُونَ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتُ بَعْدَهُمْ عَنْ مَسْأَلَتِي . فَأُمُورِي
 مُسْتَقِيمَةٌ وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَلَدِي بِالْعَدْلِ الشَّامِلِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَنْصَرِفْ مَحْفُوظًا إِلَى بَلَدِكَ وَأَكْتُبْ إِلَيْنَا بِأَمْرٍ إِنْ
 عَرَضَ لَكَ . فَوَدَّعَهُ الْأُمَوِيُّ . فَلَمَّا وُلِيَ خَارِجًا قَالَ الرَّشِيدُ : يَا مَنَارَةَ
 أَحْمَلَهُ مِنْ وَقْتِكَ وَسِرَّ بِهِ رَاجِعًا كَمَا سِيرْتَهُ حَتَّى إِذَا وَصَلْتَ إِلَى مَجْلِسِهِ

الَّذِي أَخَذَتْهُ مِنْهُ فَوَدَعَهُ وَأَنْصَرَفَ . قَالَ مَنَارَةٌ : فَمَا زِلْتُ مَعَهُ حَتَّى
 أَنْتَهَى إِلَى مَحَلِّهِ فَفَرِحَتْ بِهِ أَهْلُهُ وَأَعْطَانِي عَطَاءً جَزِيلًا وَأَنْصَرَفْتُ
 (للالتيدي)

استقامة رجل اشكي عليه ظلمًا

٣٣١ نُقِلَ عَنِ الرَّبِيعِ حَاجِبِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ قَالَ : مَا رَأَيْتُ
 رَجُلًا أَحْضَرَ جَنَانًا وَلَا أَرْبَطَ جَاشَأَمِنْ رَجُلٍ رُفِعَ إِلَى الْمَنْصُورِ عَلَى أَنْ
 عِنْدَهُ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا لِبَنِي أُمِيَّةَ . فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ وَدَخَلْتُ
 بِهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قَدْ رُفِعَ إِلَيْنَا خَيْرُ الْوَدَائِعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي
 عِنْدَكَ لِبَنِي أُمِيَّةَ فَأَخْرِجْهَا لَنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوَارِثُ أَنْتَ
 لِبَنِي أُمِيَّةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَنْتَ لَهُمْ وَصِيٌّ . قَالَ : لَا . فَقَالَ لَهُ
 الرَّجُلُ : إِذَا فَمَا سَبَبَ سُؤَالِكَ عَمَّا فِي يَدِي مِنْ ذَلِكَ . فَأَطْرَقَ
 الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ : إِنْ بَنِي أُمِيَّةَ ظَلَمُوا
 الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ وَأَنَا وَكِلَهُمْ فِي حَقِّهِمْ فَأَرِيدُ أَنْ أَخْذَ
 أَمْوَالَهُمْ وَأَجْعَلَهَا فِي بَيْتِ مَا لَهُمْ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 يَلْزِمُ فِي ذَلِكَ إِقَامَةُ الْبَيْتَةِ الْعَادِلَةِ عَلَى أَنْ الَّذِي فِي يَدِي هُوَ لِبَنِي أُمِيَّةَ
 وَأَنْهُمْ خَانُوهُ وَظَلَمُوهُ وَأَغْتَصَبُوا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَإِنَّ بَنِي أُمِيَّةَ
 كَانُوا لَكُمْ أَمْوَالًا غَيْرَ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . فَعَادَ الْمَنْصُورُ وَأَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ
 سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَالتَّفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ مَا رَجَبَ عَلَى
 الرَّجُلِ عِنْدَنَا شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ التَّفَتَ إِلَى الرَّجُلِ وَبَشَّرَ بِهِ

مُبْتَسِمًا فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَقْضِيهَا لَكَ . فَقَالَ :
 نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَاجَتِي أَنْ تُنْفِذَ كِتَابِي عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى أَهْلِي فِي
 الشَّامِ لِيَسْكُنُوا إِلَى سَلَامَتِي فَقَدْ رَاعَهُمْ إِشْخَاصِي مِنْ عِنْدِهِمْ . ثُمَّ
 أَسْأَلُكَ حَاجَةً أُخْرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : وَمَا هِيَ . فَقَالَ :
 أُرِيدُ مِنْ كَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَعَى بِي عِنْدَهُ
 فَوَاللَّهِ مَا عِنْدِي لِبَنِي أُمِّيَّةٍ شَيْءٌ . وَلَا فِي يَدِي مَالٌ وَلَا وَدِيعَةٌ وَلَا
 فِي مَعْرِفَتِي أَنْ لَهُمْ عِنْدَ أَحَدٍ شَيْئًا . وَلَكِنِّي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَسَأَلْتَنِي رَأَيْتُ مَا قُوتُ أَقْرَبَ إِلَى الْخُلَاصِ وَالنَّجَاةِ . فَالْتَقَيْتُ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا رَبِيعُ اجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَعَى
 بِهِ . قَالَ الرَّبِيعُ : فَأَخَذْتُ الرَّجُلَ وَجَمَعْتُهُ بِالَّذِي سَعَى بِهِ . فَحِينَ
 رَأَاهُ الرَّجُلُ قَالَ : هَذَا غُلَامِي ضَرَبَ عَلَيَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ مَالِي
 وَأَبَقَ بِهَا مِنِّي . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَنْصُورُ ذَلِكَ هَدَّدهُ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ
 بِتَعْذِيبِهِ . فَأَقْرَأَ عِنْدَ ذَلِكَ الْغُلَامُ بِصِدْقِ كَلَامِ الرَّجُلِ وَأَنَّهُ غُلَامُهُ .
 وَأَنَّهُ أَخَذَ الْمَالَ الَّذِي ذَكَرَهُ مَوْلَاهُ وَأَبَقَ بِهِ . وَسَعَى بِمَوْلَاهُ لِيَجْرِيَ
 عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ وَيَسْلَمَ هُوَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي يَدِهِ . فَالْتَقَيْتُ الْمَنْصُورَ إِلَى
 الرَّجُلِ وَقَالَ : نَسَأُكَ الصَّخْرَةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 صَفَحْتُ عَنْ جُرْمِهِ وَأَبْرَأْتُ ذِمَّتَهُ مِنْ الْمَالِ وَأَعْطَيْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ
 دِينَارٍ أُخْرَى . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ مِنَ الْكُرْمِ مَزِيدٌ .
 فَقَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا حَقُّ كَلَامِكَ . ثُمَّ اسْتَأْذَنَ

وَأَنْصَرَفَ . وَكَانَ الْمَنْصُورُ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُهُ تَعْجَبٌ وَيَقُولُ لِي :

مَا رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ يَا رَبِيعُ

(اللاتليدي)

غيلان بن سئمة عند كسرى

٣٣٢ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُرِيدُونَ الْعِرَاقَ بِتِجَارَةٍ .
فَلَمَّا سَارُوا أَثَلَاثًا جَمَعَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّا مِنْ مَسِيرِنَا هَذَا أَلَى
خَطَرٍ مَا قَدُومُنَا عَلَى مَلِكِ جَبَّارٍ لَمْ يَأْذَنْ لَنَا فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ وَائِسَتْ
بِلَادُهُ أَنَا نُتَجَّرُ . وَلَكِنْ أَتَيْكُمْ يَذْهَبُ بِالْعِيرِ فَإِنْ أُصِيبَ فَتَحْنُ بَرَاءَةٌ مِنْ
دَمِهِ وَإِنْ غَنِمَ فَهُوَ نِصْفُ الرِّبْحِ . فَقَالَ غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ : دَعُونِي إِذَا
فَأَنَّا لَهَا . فَلَمَّا قَدِمَ بِلَادَ كِسْرَى تَخَافُ وَلَيْسَ تَوْبَيْنِ أَصْفَرَيْنِ . وَشَهْرٌ
أَمْرُهُ وَجَلَسَ بَابَ كِسْرَى حَتَّى أَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَبَيْنَهُمَا شُبَّالٌ مِنْ
ذَهَبٍ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ التَّرْجَمَانُ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : مَا أَذْخَاكَ
بِالْأَدْيِ بَغَيْرِ إِذْنِي . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : أَنَسْتُ مِنْ أَهْلِ عَدَاوَةِ لَكَ وَلَا
أَتَيْتُكَ جَاسُوسًا لِضِدِّ مِنْ أَضْدَادِكَ . وَإِنَّمَا جِئْتُ بِتِجَارَةٍ لِنَسْتَمِعُ بِهَا .
فَإِنْ أَرَدْتَهَا فَهِيَ أَيْكَ . وَإِنْ لَمْ تُرِدْهَا وَأَذِنْتَ فِي بَيْعِهَا لِرِعِيَّتِكَ بِعَثْمَا .
وَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ فِي ذَلِكَ رَدَدْتُهَا . قَالَ : فَإِنَّهُ لَيْتَكَلَّمُ . وَإِذْ سَمِعَ صَوْتَ
كِسْرَى سَجَدَ . فَقَالَ لَهُ التَّرْجَمَانُ : يَقُولُ لَكَ الْمَلِكُ : لَمْ تَسْجُدْتَ .
فَقَالَ : سَمِعْتُ صَوْتًا عَالِيًا حَيْثُ لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَلُوحَ صَوْتُهُ إِجْلَالًا
لِلْمَلِكِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمْ عَلَيَّ رَفَعَ الصَّوْتَ هُنَاكَ غَيْرُ الْمَلِكِ
فَسَجَدْتُ إِعْظَامًا لَهُ . قَالَ : فَاسْتَحْسَنَ كِسْرَى مَا فَعَلَ وَأَمَرَ لَهُ بِمِرْفَقَةٍ

فَوَضَعُ تَحْتَهُ . فَلَمَّا أَتَى بِهَا رَأَى عَلَيْهَا صُورَةَ الْمَلِكِ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ
فَأَسْتَجَبَهَا كَسْرَى وَأَسْتَحَمْتَهُ . وَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ : قُلْ لَهُ : إِنَّمَا بَعَثْنَا بِهَذِهِ
لِنَجِيسَ عَائِيَا . قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُ بِهَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا صُورَةَ
الْمَلِكِ فَلَمْ يَكُنْ حَقُّ صُورَتِهِ عَلَى مِثْلِ أَنْ يُجَالِسَ عَائِيَا . وَلَكِنْ كَانَ حَقًّا
التَّعْظِيمِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَعْضَائِي وَأَكْرَمُهَا عَلَيَّ .
فَأَسْتَحْسَنَ فِعْلَهُ جِدًّا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَيْكَ وَالدُّ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ
أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ . وَالْمَرِيضُ حَتَّى يَبْرَأَ . وَالغَائِبُ
حَتَّى يَوُوبَ . فَقَالَ كَسْرَى : زَهْ . مَا أَدْخَلَكَ عَلَيَّ وَدَدَّكَ عَلَيَّ هَذَا
الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ إِلَّا حَظُّكَ . فَبِذَا فِعْلُ الْحُكْمَاءِ وَكَلَامُهُمْ وَأَنْتَ مِنْ
قَوْمِ جَفَاةٍ لَا حِكْمَةَ فِيهِمْ . فَمَا غِذَاؤُكَ . قَالَ : خُبْزُ الْبُرِّ . قَالَ : هَذَا
الْعَتَلُ مِنَ الْبُرِّ لَا مِنَ اللَّبَنِ وَالْتَمَرِ . ثُمَّ اشْتَرَى مِنْهُ التُّجَارَةَ بِأَضْعَافِ
ثَمَانٍ وَكَسَاهُ وَبَعَثَ مَعَهُ مِنَ الْفُرْسِ مِنْ بَنِي لَهُ أَطْمَأً بِالطَّائِفِ فَكَانَ
أَوَّلَ أَطْمَرِ بَنِي بِهَا

(اللاصبياني)

المؤمن ورائي البراءة

٣٣٣ قَالَ خَادِمُ الْمُؤْمِنِ : طَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً وَقَدْ مَضَى مِنَ
الْأَيْلِ ثَلَاثَةٌ . فَقَالَ لِي : خُذْ مَعَكَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَاهَا لِي أَحَدَهُمَا عَلَى
أَبْنِ مُحَمَّدٍ وَالْآخَرَ دِينَارُ الْخَادِمِ . وَأَذْهَبْ مُسْرِعًا لِمَا أَقُولُ لَكَ . فَإِنَّهُ
بَلَّغَنِي أَنَّ شَيْخًا مَحْضُرًا لَيْلًا إِلَى آثَارِ دُورِ الْبَرَامِكَةِ وَيُشَدُّ شِعْرًا وَيَذْكُرُهُمْ
ذِكْرًا كَثِيرًا وَيَنْدُبُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . فَأَمَضِ أَنْتَ وَعَلَيَّ

وَدِينَارٌ حَتَّى تَرَدُّوا تِلْكَ الْخَرَابَاتِ فَاسْتَرَوْا خَلْفَ بَعْضِ الْجُدُرِ . فَإِذَا
 رَأَيْتُمْ الشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَبَكَى وَنَدَبَ وَأَنْشَدَ آيَاتًا فَأَتَرَنِي بِهِ . قَالَ :
 فَأَخَذْتُهُمَا وَمَضَيْنَا حَتَّى آتَيْنَا الْخَرَابَاتِ فَإِذَا نَحْنُ بِغَلَامٍ قَدَأْتِي وَمَعَهُ
 بَسَاطٌ وَكُرْسِيٌّ حَدِيدٌ . وَإِذَا الشَّيْخُ قَدْ جَاءَ وَهُوَ جَمَالٌ وَعَلَيْهِ مَهَابَةٌ
 وَأَطْفٌ فَجَلَسَ عَلَى الْكُرْسِيِّ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَتَحَبَّبُ وَيَقُولُ هَذِهِ
 الْآيَاتُ :

رَمَا رَأَيْتُ السِّيفَ جَنْدَلًا جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَمِينِي
 بَكَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَادَ تَأْسِفِي عَلَيْهِمْ وَقَاتَ الْآنَ لَا تَنْفَعُ لَدُنِّيَا
 مَعَ آيَاتِ أَطَالَهَا . فَلَمَّا فَرَغَ قَبَضْنَا عَلَيْهِ وَقَالْنَا لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
 فَنُزِعَ فَرَعًا شَدِيدًا وَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى أُوصِي بِوَصِيَّةٍ فَإِنِّي لَا أُوقِنُ
 بَعْدَهَا بِحَيَاةٍ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ الدُّكَّانِينَ وَأَسْتَقْبَحَ وَأَخَذَ وَرْقَةً
 وَكَتَبَ فِيهَا وَصِيَّةً وَسَأَلَهَا إِلَى غَلَامِهِ . ثُمَّ سَرَّ نَابَهُ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ
 يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ حِينَ رَأَاهُ : مَنْ أَنْتَ وَبِمَا أُسْتَوْجِبُ مِنْكَ
 الْبَرَامِكَةُ مَا تَفْعَلُهُ فِي خَرَابِ دُورِهِمْ . قَالَ الشَّيْخُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِنِّي لِلْبَرَامِكَةِ أَيَادِي خَضِرَةٌ عِنْدِي أَفْتَأْذَنُ لِي أَنْ أُحَدِّثَكَ بِمَحَالِي
 مَعَهُمْ . قَالَ : قُلْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا الْمُنْذِرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ مِنْ
 أَوْلَادِ الْمُلُوكِ . وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي نِعْمَتِي كَمَا تَرَوْنَ عَنِ الرَّجَالِ . فَلَمَّا
 زَكَبَنِي الدُّنْيَى وَأَحْتَجَّتْ إِلَى بَيْعِ مَا عَلَيَّ رَأَيْتِي وَرُؤُوسَ أَعْلَى وَبَيْتِي
 الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَرَامِكَةِ فَخَرَجْتُ مِنْ

دِمَشْقَ وَمَعِي نَيْفٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِي وَوَلَدِي وَلَيْسَ مَعَنَا مَا
 يُبَاعُ وَلَا مَا يُوهَبُ . حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَزَلْنَا فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ .
 فَدَعَوْتُ بَعْضَ ثِيَابِ كُنْتُ أَعَدَدْتُهَا لِاسْتِرِّبِهَا فَلَيْسَتْهَا وَخَرَجْتُ .
 وَتَرَكَتُهُمْ جِيَاعًا لِأَشْيَاءٍ عِنْدَهُمْ . وَدَخَلْتُ شَوَارِعَ بَغْدَادَ سَائِلًا عَنْ
 الْبِرَامِكَةِ . فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدِ مَرْخَرَفٍ وَفِي جَانِبِهِ شَيْخٌ بِأَحْسَنِ زِيٍّ
 وَزِينَةٍ . وَعَلَى الْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي الْجَمَاعِ جَمَاعَةٌ جُلُوسٌ . فَطَمَعْتُ فِي
 الْقَوْمِ وَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَأَنَا أُقَدِّمُ رَجُلًا
 وَأُؤَخِّرُ أُخْرَى . وَالْعَرَقُ يَسِيلُ مِنِّي لِأَنَّهُمَا لَمْ تَكُنْ صِنَاعَتِي . وَإِذَا
 الْخَادِمُ قَدْ أَقْبَلَ وَدَعَا الْقَوْمَ فَقَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ . فَدَخَلُوا دَارَ يَحْيَى بْنِ
 خَالِدٍ فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا يَحْيَى جَالِسٌ عَلَى دَكَّةٍ لَهُ وَسَطُ بُسْتَانٍ .
 فَسَلَّمْنَا وَهُوَ يَعِدُنَا مِائَةً وَوَاحِدًا . وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَشْرَةٌ مِنْ وُلْدِهِ . وَإِذَا
 بِمِائَةٍ وَأَثْنَعَشَرَ حَادِمًا قَدْ أَقْبَلُوا وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ صِنِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى
 كُلِّ صِنِيَّةٍ أَلْفٌ دِينَارٍ . فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ رَجُلٍ مِئَتًا صِنِيَّةً .
 فَرَأَيْتُ الْقَاضِيَّ وَالْمَشَاحِجَ يَضَعُونَ الدَّنَائِرَ فِي أَكْدَامِهِمْ وَيَجْعَلُونَ
 الصَّوَانِي تَحْتَ أَبْطَاهِمُ وَيَقُومُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ حَتَّى بَقِيَتْ وَحْدِي لَا
 أَجْسِرُ عَلَى اخْتِاطِ الصِّينِيَّةِ . فَعَمَزَنِي الْخَادِمُ فَجَسَرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ
 الذَّمْبَ فِي كُمِي وَالصِّينِيَّةَ فِي يَدِي . وَقَمْتُ وَجَعَلْتُ أَتَيْتُ إِلَى
 وَرَائِي تَخَافَةً أَنْ أَمْنَعَ مِنَ الذَّهَابِ . فَوَصَلْتُ وَأَنَا كَذَلِكَ إِلَى
 عَمْرٍ الدَّارِ وَيَحْيَى يَلَاحِظُنِي . فَقَالَ لِلْخَادِمِ : أَنْتَنِي بِهَذَا الرَّجُلِ .

فَأْتَانِي . فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكَ تَلَفَّتْ يَمِينًا وَشِمَالًا . فَتَقَصَّصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي .
فَقَالَ لِلْخَادِمِ : أَنْتَنِي بَوْلَدِي مُوسَى . فَأَتَاهُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا بَنِي هَذَا
رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَأَحْفَظْهُ بِنَفْسِكَ وَنِعْمَتِكَ . فَقبَضَ مُوسَى
وَلَدَهُ عَلَى يَدِي وَأَدْخَلَنِي إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِهِ . فَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ
وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيَاتِي فِي الدَّعِيشِ وَأَتَمَّ سُرُورٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا
بِأَخِيهِ الْعَبَّاسِ وَذَالَ لَهُ : الْوَزِيرُ أَمَرَنِي بِالْعَطْفِ عَلَى هَذَا الْفَتَى وَقَدْ
عَامَتِ أَشْتَعَالِي فِي بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَقْبَضَهُ إِلَيْكَ وَكَرَّمَهُ .
فَفَعَلَ ذَلِكَ وَكَرَّمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ تَسَلَّمَنِي
أَخُوهُ أَحْمَدُ . ثُمَّ لَمْ أَزَلْ فِي أَيَدِي الْقَوْمِ يَتَدَاوَلُونِي عَلَى مُدَّةِ عَشْرَةِ
أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ خَبَرَ عِيَالِي وَصِبْيَانِي أَفِي الْأَمْوَاتِ هُمْ أَمْ فِي الْأَحْيَاءِ .
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْحَادِي عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَدَمِ .
فَقَالُوا : قُمْ فَأَخْرُجْ إِلَى عِيَالِكَ بِسَلَامٍ . فَقُلْتُ : وَأَوَيْلَاةٍ سَلَبْتُ
الدَّانِيَةَ وَالصَّنِيَّةَ وَأَخْرَجْتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
فَرَفَعَ السُّتْرَ الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثَ ثُمَّ الرَّابِعَ . فَلَمَّا رَفَعَ الْخَادِمُ
السُّتْرَ الْأَخِيرَ . قَالَ لِي : مَهْمَا كَانَ لَكَ مِنَ الْخَوَائِجِ فَأَرْفُقْهَا إِلَيَّ .
فَأْتَانِي مَأْمُورٌ بِقَضَاءِ جَمِيعِ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ . فَلَمَّا رَفَعَ السُّتْرَ الْأَخِيرَ رَأَيْتُ
حِجْرَةً كَأَنَّهَا حَسَنًا وَنُورًا . وَأَسْتَقْبَانِي مِنْهَا رَائِحَةُ النَّدِّ وَالْعُودِ
وَنَفْحَاتُ الْمِسْكِ . وَإِذَا بِصِبْيَانِي وَعِيَالِي يَتَقَلَّبُونَ فِي الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ
وَحَمَلٌ لِي مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعِشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ . وَمَأْشُورًا بِضِعْمَتَيْنِ

وَتِلْكَ الصِّينِيَّةُ الَّتِي كُنْتُ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالْبَنَادِقِ . وَاقْتَتِ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يَعْلَمُ
 النَّاسُ أَمِنَ الْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَلِيَّةُ وَزُلْ
 بِهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّشِيدِ مَا نَزَلَ أَحْجَفِي عَمْرُو بْنُ مُسْعِدَةَ
 وَالزَّمَنِي فِي هَاتَيْنِ الضَّيْعَتَيْنِ مِنَ الْخُرَاجِ مَا لَا يَفِي دَخْلُهُمَا بِهِ . فَلَمَّا
 تَحَامَلَ عَلَى الدَّهْرِ كُنْتُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَقْصِدُ خَرَابَاتِ دُورِهِمْ
 فَأَنْدَبُهُمْ وَأَذْكَرُ حَسَنَ صُنْعِهِمْ إِلَيَّ وَأَبْكِي عَلَى إِحْسَانِهِمْ . فَقَالَ
 الْمَأْمُونُ : عَلِيٌّ بَعْمَرُو بْنُ مُسْعِدَةَ . فَلَمَّا أَتَى بِهِ قَالَ لَهُ : تَعْرِفُ هَذَا
 الرَّجُلَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ بَعْضُ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ . قَالَ : كَمْ
 أَلْزَمْتَهُ فِي ضَيْعَتِهِ . قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : رُدِّ إِلَيْهِ كُلَّ مَا أَخَذْتَهُ
 مِنْهُ فِي مُدَّتِهِ وَأَفْرَعُهُمَا لَهُ لِيَكُونَ لَهُ وَعَاقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ . قَالَ : فَعَلَا
 نَحِيبُ الرَّجُلَ . فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ كَثْرَةَ بُكَائِهِ قَالَ لَهُ : يَا هَذَا قَدْ
 أَحْسَنَّا إِلَيْكَ فَمَا يَبْكِيكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ صَنِيعِ
 الْبَرَامِكَةِ . لَوْ لَمْ آتِ خَرَابَاتِهِمْ فَأَبْكِيهِمْ وَأَنْدَبِيهِمْ حَتَّى أَتَّصِلَ خَبْرِي
 إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ بِي مَا فَعَلَ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَصِلُ إِلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ : فَرَأَيْتُ الْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ
 وَظَهَرَ عَلَيْهِ حُزْنُهُ . وَقَالَ : لَعَمْرِي هَذَا مِنْ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ فَعَلِيهِمْ
 فَأَبْكِي وَإِيَّاهُمْ فَأَشْكُرُ وَلَهُمْ فَأَوْفِي وَإِلْحَسَانِهِمْ فَأَذْكَرُ (للاتليدي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ
فِي أَنْفِكَاهَاتِ

٣٣٤ قَرَعَ قَوْمٌ عَلَى الْجَاحِظِ الْبَابَ فَخَرَجَ صَبِيٌّ لَهُ . فَسَأَلُوهُ مَا يَصْنَعُ .
فَقَالَ : هُوَذَا يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ . قِيلَ : كَيْفَ . قَالَ : نَظَرَ فِي أُمِّرَةِ .
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ صُورَتِي (الجمال الدين الحلبي)
٣٣٥ تَحَاكَمَ إِلَى أَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي الرَّشِيدِ وَزُبَيْدَةَ فِي الْقَالُودِجِ
وَاللُّوزِينِجِ أَيُّهُمَا أَطِيبٌ . فَقَالَ : أَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَى الْغَائِبِ . فَأَمَرَ
بِاتِّخَاذِهَا وَتَمْدِيمِهَا إِلَيْهِ . فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا مَرَّةً وَمِنْ ذَلِكَ أُخْرَى
حَتَّى نَصَفَ الْجَافِ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ أَعْدَلَ مِنْهُمَا
كَلِمًا أَرَدْتُ أَنْ أُسْجَلَ لِأَحَدِهِمَا أَدْلَى الْآخِرِ بِحُجَّتِهِ (اللابسيهي)

العائد والمريض

٣٣٦ مَرَضَ صَدِيقٌ لِحَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَأَرَادَ أَنْ يُنْفَذَ إِلَيْهِ ابْنُهُ
يَعُودُهُ . فَأَوْصَاهُ وَقَالَ : إِذَا دَخَلْتَ فَأَجْلِسْ فِي أَرْفَعِ الْمَوْضِعِ وَقُلْ
لِلْمَرِيضِ : مَا تَشْكُو . فَإِذَا قَالَ : كَذَا وَكَذَا فَقُلْ : سَلِيمٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَقُلْ لَهُ : مَا يَجِئُكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . فَإِذَا قَالَ : فُلَانٌ . فَقُلْ : مُبَارَكٌ
مَيُّونٌ . وَقُلْ لَهُ : مَا غِذَاؤُكَ . فَإِذَا قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقُلْ طَعَامٌ مَحْمُودٌ .
فَذَهَبَ الْإِبْنُ فَدَخَلَ عَلَى الْعَلِيلِ . وَكَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنَارَةٌ فَجَلَسَ
عَلَيْهَا لِأَرْتِقَاعِهَا . فَسَقَطَتْ عَلَى صَدْرِ الْعَلِيلِ فَأَوْجَعَتْهُ . ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ

لِلْعَلِيلِ : مَا تَشْكُو . فَقَالَ بِضَجْرَةٍ : أَشْكُو دِلَّةَ الْمَوْتِ . فَقَالَ : سَلِمٌ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ يَحْيِيكَ مِنَ الْأَطِبَّاءِ . قَالَ : مَلِكُ أَمْوَتِ .
 قَالَ : مُبَارَكٌ مَيُّونٌ . قَالَ : فَمَا غِذَاؤُكَ . فَقَالَ : سَمُّ أَمْوَتِ . قَالَ :
 طَعَامٌ طَيِّبٌ مَحْمُودٌ
 (لكمال الدين الحلبي)

نطح النضل

٣٣٧ مِنْ ظَرِيفٍ مَا اتَّفَقَ لِأَبِي الرَّقَعَمَقِ قَالَ : كَانَ لِي إِخْوَانٌ
 أَرْبَعَةٌ وَكُنْتُ أَنْادِمُهُمْ فِي أَيَّامِ الْأَسْتَاذِ كَافُورٍ . فَأَتَى إِلَيَّ رَسُولُهُمْ فِي
 يَوْمٍ بَارِدٍ وَلَيْسَتْ لِي كُسْوَةٌ تُحَصِّنُنِي مِنَ الْبَرْدِ . فَقَالَ الرَّسُولُ :
 إِخْوَانُكَ يَقْرَأُونَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُونَ لَكَ : أَصْطَبَجْنَا الْيَوْمَ
 وَذَبَجْنَا شَاةً سَمِينَةً فَأَشْتَهِي مَا نَطْبُخُهُ لَكَ وَأَتْنَا عَاجِلًا . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ :
 إِخْوَانُنَا قَصَدُوا الصُّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَأَتَى رَسُولُهُمْ إِلَيَّ خَصِيصًا
 قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نَجِدُكَ طَبْخَهُ فَأَتِ أَطْبَخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا
 فَذَهَبَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ بِالرُّقْمَةِ . فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَادَ وَمَعَهُ أَرْبَعُ
 خَمْعٍ وَأَرْبَعُ صُرَرٍ فِي كُلِّ صُرَّةٍ عَشْرَةٌ دَنَانِيرٌ فَأَبْسْتُ إِحْدَاهَا وَسَرْتُ

إِلَيْهِمْ

٣٣٨ وَحَكِي أَنَّهُ أَتَى بِرَجُلٍ مَدَنِيٍّ سَكْرَانَ إِلَى بَعْضِ الْوَلَاةِ فَأَمَرَ
 بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ طَوِيلًا وَالْجِلْدُ قَصِيرًا فَمَ تَدَكَّنَ مِنْ
 ضَرْبِهِ . فَقَالَ الْجِلْدُ تَقَاصِرُ لَيْنَا لَكَ الضَّرْبُ . فَقَالَ لَهُ : وَيَا لَكَ إِلَى
 أَكُلِ الْقَالُودِجِ تَدْعُونِي . وَلَقَدْ وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي أَطُولُ مِنْ عَوْجِ

ابن عنقٍ وأنت أقصر من ياجوج وماجوج (للنواجي)

الأعربي وجرو الذئب

٣٣٩ حكي أن أعرابياً أخذ جرو ذئب فرباه بلبن شاة فقال : إذا رببته مع الشاة يأنس بها فيذب عنها ويكون أشد من الكلب . فلا يعرف طبع أجناسه . فلما قوي وثب على شاته فافترسها . فقال الأعرابي :

بقرت شويهي وفجعت قاي وأنت لسانكا ولد ريب
غذيت بدرها وربيت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب

عدل غريب

٣٤٠ جاءت امرأة إلى قاض فمات : مات زوجي وترك أبويه وولداً
وأمرأة وأهلاً وله مال . فقال لأبويه الشك . ولولده اليم . ولأمراته
الحلف . ولأهله القلة والذلة . والمال يحمل إلينا حتى لا يقع فيه بينكم
الخصومة (للشعالي)

ابو دلالة وابن سليمان في الصيد

٣٤١ روي أن أبا دلالة كان منحرفاً على علي بن سليمان فاتفق
أن خرج المهدي إلى الصيد ومعه علي وأبو دلالة . فرمى المهدي ظبياً
عن له فأنفذ مقاتله . ورمى علي بن سليمان فأصطاد كلباً من كلاب
الصيد فارتجبل أبو دلالة :

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فواده

وَعَلِيُّ بْنُ سَلَيْمَانَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَوَيْدِنَا هُمَا كُلُّ فِتْيَانٍ يَأْكُلُ زَادَهُ

فَضْحَكَ الْمُدَيِّبِيُّ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ (بدائع البدائنه الازدی)

٣٤٢ يَمْكِي أَنْ أَعْرَابِيًّا اسْتَضَافَ حَقِيًّا فَلَمْ يَنْزِلْهُ . فَبَاتَ جَائِعًا
مَقْرُورًا . فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحْرِ رَكِبَ رَاحِيَتَهُ وَانْصَرَفَ . فَتَقَدَّمَ حَاتِمٌ .
فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَقِيَهُ مُتَنَكِّرًا فَقَالَ لَهُ : مَنْ كَانَ أَبَا مَثْوَاكِ
الْبَارِحَةَ . قَالَ : حَاتِمٌ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ مَبِيتُكَ عِنْدَهُ . قَالَ : خَيْرَ مَبِيتٍ .
نَحَرَ لِي نَاقَةً فَأَطْعَمَنِي لَحْمًا عَيْطَانًا وَأَسْقَانِي الْخَمْرَ . وَعَافَ رَاحِيَتِي
وَسِرْتُ مِنْ عِنْدِهِ بِخَيْرِ حَالٍ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا حَاتِمٌ . وَإِنَّكَ لَا تَبْرَحُ
حَتَّى تَرَى مَا وَصَفْتُ فَرَدَّهُ . وَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الْكُذْبِ . فَقَالَ لَهُ
الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يُثْبِنُونَ عَلَيْكَ بِالْجُودِ . وَلَوْ ذَكَرْتُ شَرًّا
كُنْتُ أَكْذَبُ . فَرَجَعْتُ مُضْطَرًّا إِلَى قَوْلِهِمْ إِبْقَاءً عَلَى نَفْسِي لَا
عَلَيْكَ

(الشريشي)

الفتى والحار

٣٤٣ قِيلَ مَضَى فِتْيَانٌ فِي طَرِيقٍ عَلَى حِمَارِهِ حَتَّى أَمْسَى فَنَزَلَ فِي مَنْزِلٍ
بِالطَّرِيقِ . وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى مَهْرٍ فَأَسْتَقْبَلَهُ الْفَتَى وَحَيَّاهُ فَأَنَسَ
بِهِ . وَجَلَسَا يَتَحَادَثَانِ بَرَهَةً فَأَسْتَأْذَنَهُ الرَّجُلُ . ثُمَّ دَعَا بِطَعَامٍ فَخَضِرَ .
وَدَعَا بِعَلْفٍ لِمَهْرِهِ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ . وَجَلَسَ يَأْكُلُ وَالْفَتَى . وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ
نَفَقَةٌ إِعْلَافَ حِمَارِهِ فَنَظَرَ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ :

يَا سَيِّدِي نَظْمِي يُعَابُ بِشُرْكََا فِذَاكَ شِعْرِي لَا يُقَاسُ بِشِعْرِكََا
 أَوْلَيْتَنِي فَضْلًا وَإِنِّي عَاجِزٌ مَا طَالَ عُمْرِي أَنْ أَقُومَ بِشُكْرِكََا
 أَنَا فِي ضِيَاغَتِكَ الْعِشِيَّةِ كُلِّهَا فَأَجْعَلْ حِمْرِي فِي ضِيَاغَةِ مَهْرِكََا
 فَضْحُوكَ الرَّجُلُ . وَقَالَ : مَا هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ مِنِّي . وَدَعَا بَعْلَانِ
 لِلْحِمَارِ كَعَلَفِ الْمَهْرِ فَقُدِّمَ إِلَيْهِ (لابن خلكان)

٣٤٤ قِيلَ لِرَجُلٍ جَبَانَ فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ : تَقَدَّمَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 وَقَالُوا تَقَدَّمَ قُلْتَ لَسْتُ بِفَاعِلٍ أَخَافُ عَلَى فِخَّارَتِي أَنْ تَحْطَمَا
 فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَنْلَقْتُ وَاحِدًا وَلَكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا رَاحَ أَعْقَمَا
 وَلَوْ كَانَ مُبْتَاعًا لَدَى السُّوقِ مِثْلُهُ فَعَلْتُ وَلَمْ أَحْفَلْ بِأَنْ أَتَقَدَّمَا
 فَأَوْتِمَ أَوْلَادًا وَأُرْمِلَ نِسْوَةً فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرُونَ التَّقَدَّمَا

ابو دلامة في بيت الدجاج

٣٤٥ كَانَ الْمُهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دِلَامَةَ سَاجًا فَأَخَذَ بِهِ وَهُوَ سَكْرَانٌ .
 فَأَتَى بِهِ إِلَى الْمُهْدِيِّ فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ السَّاجِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُجْبَسَ فِي بَيْتِ
 الدَّجَاجِ . فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ وَصَحَا أَبُو دِلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى
 نَفْسَهُ بَيْنَ الدَّجَاجِ صَاحَ : يَا صَاحِبَ الْبَيْتِ فَاسْتَجَابَ لَهُ السَّجَّانُ
 قَالَ : مَا لَكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ . قَالَ : وَيْلَكَ مَنْ أَدْخَلَنِي مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ :
 أَعْمَالُكَ الْخَبِيثَةُ . أَتَى بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ سَكْرَانٌ . فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ
 سَاجِكَ وَجَبَسِكَ مَعَ الدَّجَاجِ . قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ أَرْقُبْ لِي سِرَاجًا
 وَجِئْنِي بِدَوَاةٍ وَوَرَقٍ . فَكَتَبَ أَبُو دِلَامَةَ إِلَى الْمُهْدِيِّ :

أمير المؤمنين فدتك نفسي
 أقاد إلى السجون بغير ذنب
 علام حبستني وخرقت ساجي
 وكانني بغض عمال الخراج
 ولو معهم حبست لهان ذاكم
 ولكنني حبست مع الدجاج
 دجاجات يطيف بين ديك
 ينادي بالصياح إذا يناجي
 وقد كانت تخبرني ذنوبي
 بأني من عذابك غير ناجي
 على أتي وإن لاقيت شرا
 لحيرك بعد ذلك الشر راجي
 ثم قال أوصلها إلى أمير المؤمنين فأوصلها إليه السجن . فلما قرأها
 أمر بإطلاقه وأدخله عليه . فقال له : أين بت الأيلة أبا دلامة . قال :
 في بيت الدجاج يا أمير المؤمنين . قال : فما كنت تصنع . قال :
 كنت أقوي معهن حتى أضجت . فضحك المهدي وأمر له بصله
 جزيلة وخاع عليه كنوة شريفة

في أي الاثنين اغلب على الرجل الادب او الطبع

٣٤٦ قيل إن ملكا من ملوك فارس كان له وزير حازم مجرب فكان
 يصدر عن رأيه ويتعرف اليه في مشورته . ثم إنه هلك ذلك الملك
 وقام بعده ولده فأعجب بنفسه مستبدا برأيه ومشورته . فقيل له : إن
 أباك كان لا يقطع أمرا دونه . فقال : كان يغلط فيه وسأمتحنه
 بنفسي . فأرسل إليه فقال له : أيهما أغلب على الرجل الأدب أو
 الطبيعة . فقال له الوزير : الطبيعة أغلب لأنها أصل والأدب فرع .
 وكل فرع يرجع إلى أصله . فدعا بسفرته فلما وضعت أقبلت سنانير

بأيديها أسمع فوقفت حول السفرة فقال للوزير : أعتبر خطاك
وضعف مذهبك متى كان أبو هذه السنابير شامعا . فسكت عنه
الوزير . وقال : أمهني في الجواب إلى الليلة المقبلة . فقال : ذلك لك .
فخرج الوزير فدعا بلام له فقال : التمس لي قارا واربطه في خيط
وجئني به . فأتاه به الغلام فمقده في سينته وطرحة في كفه . ثم راح
من الغد إلى الملك فلما حضرت سفرته أقيت السنابير بالسمع حتى
حفت بها فحل الوزير القار من سينته ثم ألقاه إليها . فاستبقت السنابير
إليه ورمت بالشم حتى كاد البيت يضطرم نارا . فقال الوزير :
كيف رأيت غلبة الطبع على الأدب ورجوع الفرع إلى أصله . قال :
صدقت . ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه . فإنا مدار كل شيء على
طبعه والتكاف مذموم من كل وجه (لابن عبد ربه)

الستخبر عن وفاة أبيه

٣٤٧ بينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده
حيتانا . إذ استأذن عليهم أشعب . فقال أحدهم : إن من شأن أشعب
اللبس إلى أجل الطعام . فأجعلوا كبار هذه الحيتان في قسعة بناحية
ويأكل معنا الصغار . ففعلوا وأذن له . فقالوا له : كيف رأيت
في الحيتان . فقال : إن بي عليها حرذا شديدا أو حقا لأن أبي
مات في البحر وأكلته الحيتان . قالوا له : فدونك خذ بئرا إليك .
فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير . ثم وضعه عند أذنه وقد نظر إلى

التصعة التي فيها الحيتان في زاوية المجلس فقال : أتدرون ما يقول لي هذا الحوت . قالوا : لا . قال : إنه يقول إنه لم يحضر موت أبي . ولا أدركه لأن سنه يصغر عن ذلك . ولكن قال لي : عليك بيتك الكبار التي في زاوية البيت فهي أدركت أباك وأكاته

الحب الانيجاز

٣٤٨ أضطرب نحوي ورجل في سفر . فمرض النحوي . وأراد الرجل أن يرجع إلى بلده . فأراد النحوي أن يحمله رسالة إلى أهله فقال له : قل لأهلي . لقد أصابه صدع في رأسه . وبلي بوجع أضراسه . ووقعت الحمأة في أنفاسه . وقد فترت يداه . وتورمت رجلاه . وشخصت عيناه . وانحلت زكبتاه . وأصابه وجع في ظهره . وضربان في صدره . وهزال في طحاله . وتقطع في أوصاله . وخفقان في قلبه . وألم في صلبه . وماء في عيئه . وريح في ساقيه . وأرتخاء في حنكه . ونبضان في صدغيه . وسكون في نبضه من تواتر غشائه وسكته في لسانه . فقال الرجل : يا سيدي الشيخ أنا أكره أن أطيل الكلام ولكن أقول لهم : مات والسلام

البقرة الغارقة

٣٤٩ حكى في الإحياء أن شخصاً كان له بقرة وكان يشوب ابنها بالماء ويبيعه . فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فمر عليها فغرقها . فجلس صاحبها ليندبها . فقال له بعض بنيه : يا أبت لا

تُنْدِبُهَا فَإِنَّ الْمِيَاهَ الَّتِي كُنَّا نَخْلُطُهَا بِبَنِينَا اجْتَمَعَتْ فَفَرَّقْتَهَا (الابشيهي)

السائل ونجيب

٣٥٠ قِيلَ إِنَّ سَائِلًا أَتَى إِلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْ أَغْنِيَاءِ أَصْفَهَانَ فَسَأَلَ شَيْئًا لِلَّهِ . فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لِعَبْدِهِ : يَا مُبَارَكُ قُلْ لِعَبْدِكَ : يَقُولُ جَوْهَرٌ وَجَوْهَرٌ يَقُولُ لِيَأْقُوتُ وَيَأْقُوتُ يَقُولُ لِأَلْمَاسِ وَالْأَلْمَاسُ يَقُولُ لِقَيْرُورٍ وَقَيْرُورٌ يَقُولُ لِرَجَانٍ وَمَرَجَانٌ يَقُولُ لِهَذَا السَّائِلِ : يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَسَمِعَهُ السَّائِلُ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : يَا رَبِّ قُلْ لِحِبْرَائِيلَ يَقُولُ لِمِيكَائِيلَ وَمِيكَائِيلُ يَقُولُ لِدَرْدَائِيلَ وَدَرْدَائِيلُ يَقُولُ لِكِيكَائِيلَ وَكِيكَائِيلُ يَقُولُ لِإِسْرَافِيلَ وَإِسْرَافِيلُ يَقُولُ لِعِزْرَائِيلَ أَنْ يَزُورَ هَذَا الْبَخِيلَ . فَحَجَلَ التَّاجِرُ وَمَضَى السَّائِلُ حَالِ سَبِيلِهِ (الليثي)

٣٥١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَخِيلًا :

لَا يَخْرُجُ الزَّيْتُ مِنْ كَفِّهِ وَلَوْ ثَقَبْنَاهَا بِمِسْمَارٍ
يُحَاسِبُ الدَّيْكَ عَلَى نَقْدَةٍ وَيَطْرُدُ الْهَرَّ مِنَ الدَّارِ
يَكْتُبُ فِي كُلِّ رَغِيفٍ لَهُ يَحْرُسُكَ اللَّهُ مِنَ الْفَارِ

٣٥٢ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمٍ الْخِطَاطُ فِي رَجُلٍ كَثِيرِ الْكَلَامِ :

لِي صَاحِبٌ فِي حَدِيثِهِ الْبُرْكَهَ يَزِيدُ عِنْدَ السُّكُونِ وَالْحُرْكَهَ
لَوْ قَالَ لَا فِي قَلِيلِ أَحْرَفِهَا لَرَدَّهَا بِالْحُرُوفِ مُشْتَبِكَةً

٣٥٣ حَكَى دَعْبَلُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ يَوْمَ مَا فُوجِدَ نَادٍ

يَتَضَوَّرُ جُوعًا . ثُمَّ إِنَّهُ نَادَى غُلَامًا لَهُ وَقَالَ : وَيْحَكَ أَيْنَ الْعَدَاءُ . فَجَاءَ

بِقِصَّةٍ فِيهَا دِيكَ مَطْبُوحٌ . فَتَأَمَّلْهُ ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الرَّسُّ . فَقَالَ الْغُلَامُ :
 رَمَيْتُهُ . قَالَ : إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يَدْمَى بِرِجْلِهِ فَكَيْفَ بِرَأْسِهِ . وَيُحْكُ أَمَا
 عَلِمْتَ أَنَّ الرَّأْسَ رَيْسُ الْأَعْضَاءِ وَمِنْهُ يَصْرُخُ الدِّيكُ . وَلَوْ لَا صَوْتُهُ
 مَا أُرِيدَ . وَفِيهِ فَرْقَةٌ الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ . وَعَيْنُهُ أَتَى يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ .
 فَيَقَالُ شَرَابُ كَعِينِ الدِّيكِ . وَدَمَاعُهُ مُهَيِّدٌ لَوْجِعِ الْبَطْنِ . وَلَمْ أَرَعْظَمًا
 أَهْشَ تَحْتَ الْأَسْنَانِ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ . وَهَبَكَ ظَنَنْتَ أَنِّي لَا أَكُلُهُ
 أَمَا قَاتَ عِنْدَهُ مِنْ يَأْكُلُهُ . أَنْظِرْ فِي أَيِّ مَكَانٍ رَمَيْتُهُ فَأُتِنِي بِهِ . فَقَالَ :
 بِحَيَاتِكَ مَا أَدْرِي أَيْنَ رَمَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَدْرِي وَأَعْرِفُ . رَمَيْتُهُ فِي
 بَطْنِكَ اللَّهُ حَسْبُكَ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبُخْلِ وَأَهْلِهِ (للقيرواني)

الاصبع المتضوعة

٣٥٤ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : بَلَغَنِي أَنَّ أَعْرَابِيَّيْنِ ظَرِيفَيْنِ مِنْ شِيَاطِينِ
 الْعَرَبِ حَطَمْتُمَا سِنَّةً فَأَتَحَدَّرَا إِلَى الْعِرَاقِ . فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَمَاشِيَانِ فِي
 السُّوقِ وَأَسْمُ أَحَدِهِمَا خِنْدَانٌ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَوْطَأَ دَابَّتَهُ رَجُلٌ خِنْدَانٌ
 فَتَقَطَعَ إصْبَعًا مِنْ أَصَابِعِهِ . فَتَعَلَّقَا بِهِ حَتَّى أَخَذَا أُرْشَ الْإِصْبَعِ . وَكَانَا
 جَانِعَيْنِ مَقْرُورَيْنِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ بِأَيْدِيهِمَا قَصَدَا إِلَى بَعْضِ الْكِرَامِجِ
 فَأَتَا عَامِنَ الطَّعَامِ مَا أَشْتَهِيَا . فَلَمَّا شَبِعَ صَاحِبُ خِنْدَانٍ أَنْشَأَ يَقُولُ :
 فَلَا غَرَّتْ مَا دَامَ فِي النَّاسِ كُرْبُجٌ وَهِيَ بَقِيَّتُ فِي رِجْلِ خِنْدَانٍ إِصْبَعٌ

السفط الثقيل

٣٥٥ أُنِيَ الْحُجَّاجُ بِسَفْطٍ قَدْ أُصِيبَ فِي بَعْضِ خَزَائِنِ كِسْرَى مُثْقَلٍ :

فَأَمَرَ بِالْقُلِّ وَكَسِرَ فَإِذَا فِيهِ سَفَطٌ آخِرٌ مَقْلٌ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : مَنْ
 يَشْتَرِي مِنِّي هَذَا السَّفَطَ بِمَا فِيهِ فَتَزِيدَ فِيهِ أَصْحَابُهُ حَتَّى يَبْلُغَ خَمْسَةَ
 آلَافِ دِينَارٍ . فَأَخَذَهُ الْحَجَّاجُ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ
 إِلَّا حَمَافَةٌ مِنْ حَمَاقَاتِ الْعَجَمِ . ثُمَّ انْقَدَّ الْبَيْعُ وَعَزَمَ عَلَى الْمُشْتَرِي أَنْ
 يَفْتَحَهُ وَيُرِيَهُ مَا فِيهِ . فَفَتَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا فِيهِ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا : مَنْ
 أَرَادَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ فَلْيَسْطِطْهَا مِنْ أَسْفَلِ (لابن عبد ربه)

٣٥٦ دَخَلَ بَشَّارُ الضَّرِيرِ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَعِنْدَهُ خَالُهُ يُزَيْدُ بْنُ مَنْصُورِ
 الْحِمَيْرِيُّ فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةَ يَمْدَحُهُ بِهَا . فَلَمَّا أَتَمَّهَا قَالَ لَهُ يُزَيْدُ : مَا
 صِنَاعَتُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ . فَقَالَ لَهُ : أَتَشْبُ اللُّؤْلُؤَ . فَقَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ :
 أَتَهْرَأُ بِخَالِي . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَكُونُ جَوَابِي لَهُ وَهُوَ يَرَانِي
 شَيْخًا أَعْمَى يُشَدُّ شِعْرًا . فَضَحِكَ الْمُهْدِيُّ وَأَجَازَهُ

٣٥٧ كَانَ أَبُو الشَّيْمَقِ الشَّاعِرُ الظَّرِيفُ الْمَشْهُورُ قَدْ كَرِمَ بَيْتَهُ
 لِأَطْمَارِ رَثَّةٍ كَانَ يَسْتَحْيِي أَنْ يُخْرَجَ بِهَا إِلَى النَّاسِ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ
 إِخْوَانِهِ يُسَلِّيهُ عَمَّا رَأَى مِنْ سُوءِ حَالِهِ : أَبَشِّرْ يَا أَبَا الشَّيْمَقِ فَقَدْ
 رُويَ أَنَّ الْعَارِينَ فِي الدُّنْيَا هُمُ الْكَاسُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ
 كَانَ ذَلِكَ حَقًّا فَإِنِّي لَأَكُونُ بَرَّازًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (إبهام الدين)

٣٥٨ قَالَ ابْنُ سَكْرَةَ أَهْلِي فِي صَاحِبٍ يَعْرِفُ بِأَبْنِ الْبَرْمُوثِ :
 بَلِيَّتٌ وَلَا أَقْوَلُ مِنْ لَائِي مَتَى مَا قَلَّتْ مِنْهُ هُوَ يَصْحَبُهُ
 خَلِيلٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُوَادِي فَإِنْ انْغَمَضْتَ أَيُّظَانِي أَبُوهُ

الحجاز الحَبُوس

٣٥٩ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ طَائِفٌ يَقَالُ لَهُ صَفْوَانُ . فَجَاءَ الْحَزِينُ الدَّبِيلِيُّ
إِلَى شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَعَارَهُ حِمَارَهُ وَذَهَبَ إِلَى الْعَمِيقِ فَشَرِبَ .
وَأَقْبَلَ عَلَى الْحِمَارِ وَقَدْ سَكِرَ . فَجَاءَ الْحِمَارُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى بَابِ
الْمَسْجِدِ كَمَا كَانَ سَاحِبُهُ عَوْدَهُ إِيَّاهُ . فَمَرَّ بِهِ صَفْوَانُ فَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ
وَحَبَسَ الْحِمَارَ فَأَصْبَحَ الْحِمَارُ مَحْبُوسًا مَعَهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَيَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ خَبِرُونِي بِأَيِّ جَرِيَّةٍ حَبَسَ الْحِمَارُ
فَمَا لِلْعَيْرِ مِنْ جُرْمٍ إِلَيْكُمْ وَمَا بِالْعَيْرِ إِنْ ظَلِمَ أَنْتَصَارُ
فَضْحِكُوا وَخَلَوْا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ ضَرَبُوهُ السُّدَّ (الاعاني)

إبرهان القاطع

٣٦٠ إِدَّعَى رَجُلٌ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ . فَقَالَ لَهُ
الْمَأْمُونُ : إِنْ مُعْجِزَةٌ أَسْئَلُكَ فِي النَّارِ . فَتَحَنَّنُ نَأْمِيكَ فِيمَا نَتْرَى
حَالِكَ . قَالَ : أُرِيدُ وَاحِدَةً أَخْفَ مِنْ هَذِهِ . قَالَ : فَبَرُّهَانَ مُوسَى
إِذَا لَقِيَ الْعَصَا فَصَارَتْ تُعْبَانَا . قَالَ : هَذِهِ أَصَبُ عَلَيَّ مِنَ الْأُولَى .
قَالَ : فَبَرُّهَانَ عِيسَى وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى . قَالَ : مَكَانَكَ وَصَلْتَ . أَنَا
أَضْرِبُ رَقَبَةَ الْمَاضِي يَمِينِي بِنِ الْكُفْرِ وَأُحْيِيهِ لَكُمْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ . فَقَالَ
يَحْيَى : أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ وَبَدَّقَ . فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ وَأَعْطَاهُ جَائِزَةً

المظالم من ختمه

٣٦١ بَيْنَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ رَاكِبٌ إِذْ تَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ

فَمَكَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ وَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ تَضْرِبَ عُنُقِي .
 فَبَرِهْتَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : أَمَعْتُوهُ أَنْتَ . قَالَ : لَا وَرَأْسِ الْأَمِيرِ . قَالَ :
 فَمَا الْحَبِيرُ . قَالَ : لِي خَصْمٌ أَلِدُّ قَدْ لَزِمَنِي وَأَخَّ وَضَيَّقَ عَلَيَّ وَابْسَلَ لِي بِهِ
 طَاقَةً . قَالَ : وَسِنَّ خَصْمِكَ . قَالَ : الْقَمْرُ . فَاتَّفَقَتْ عَبْدُ اللَّهِ لِفَتَاةٍ
 وَقَالَ : أَدْفَعْ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ خُذْهَا وَتَمَحَّنْ
 سَائِرُونَ . وَلَكِنْ إِذَا عَادَ إِلَيْكَ خَصْمُكَ مُتَغَشِّمًا فَإِنَّا مَتَّظِلَمًا . فَإِنَّا
 مُنْصِتُونَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنْ مَعِيَ مِنْ جُودِكَ مَا
 أُدْحِضُ بِهِ حُجَّةَ خَصْمِي بَقِيَّةَ عُمْرِي . ثُمَّ أَخَذَ أَمْوَالَهُ وَأَنْصَرَفَ

سليمان بن عبد الملك والأعرابي

٣٦٢ ذَكَرَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَكَانَ
 كَثِيرَ التَّطِيرِ . فَبَيْنَا هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ لَقِيَهِ رَجُلٌ أَعْوَرٌ . فَقَالَ :
 أَوْثَقُوهُ . فَأَوْثَقُوهُ وَمَرُّوا بِهِ عَلَى بَيْرٍ خَرَابٍ قَدْ تَهَجَّمَ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ :
 أَلْتَوَهُ فِي هَذِهِ الْبَيْرِ فَإِنْ صِدْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا أَطْلَسْنَا . وَإِلَّا قَتَلْنَا .
 لَتَعْرِضَنِي لِنَامِعِ عِلْمِهِ بِتَطِيرِنَا . فَأَتَمَّوهُ فِي تَابِكِ الْبَيْرِ هَا رَأَى سُلَيْمَانَ
 فِي عُمْرِهِ صَيْدًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . فَلَمَّا رَجَعُوا وَمَرُّوا عَلَى الرَّجُلِ
 أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ : يَا شَيْخُ مَا رَأَيْتُ أَسْرًا
 وَأَبْرًا مِنْ طَلْعَتِكَ . قَالَ الشَّيْخُ : صَدَقْتَ وَلَكِنِّي أَنَا مَا رَأَيْتُ أَشَامًا
 مِنْ طَلْعَتِكَ عَلَيَّ . فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ
 ٣٦٣ إِعْتَرَضَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ الْمُأْمُونِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ . قَالَ : لَأَعْجَبَ . قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ . قَالَ :
 الطَّرِيقُ وَاسِعَةٌ . قَالَ : لَيْسَ مَعِيَ نَفَقَةٌ . قَالَ : قَدْ سَقَطَ عَنْكَ
 الْحَجُّ . قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ جِئْتُكَ مُسْتَجِدًّا لَا مُسْتَفْتِيًّا . فَضَحِكَ الْأَمَامُونَ
 وَأَمَرَهُ بِجَائِزَةٍ (للهمني)

٣٦٤ كَانَ الْعِمَادُ بْنُ جَبْرِيلَ الْمُرُوفِيُّ ابْنَ أَخِي الْعَلَمِ صَاحِبَ دِيوَانَ
 بَيْتِ الْمَالِ بِمِصْرَ . وَكَانَ قَدْ وَقَعَ فَأَنْكَسَرَتْ يَدُهُ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ
 الْمُسْلِمِ الْعِرَاقِيُّ :

إِنَّ الْعِمَادَ بْنَ جَبْرِيلَ أَخِي عَالِمٍ لَهُ يَدٌ أَضْبَحَتْ مَذْمُومَةَ الْأَثَرِ
 تَأَخَّرَ الْقَطْعُ عَنْهَا وَهِيَ سَارِقَةٌ فَجَاءَهَا الْكُمُرُ اسْتَيْصِي عَنْ الْخَبْرِ
 ٣٦٥ دَخَلَ الْعَبَّاسِيُّ عَلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ فَمَنَعَهُ الْبَوَابُ فَقَالَ :

حَمَدْتُ بَوَابَكَ إِذْ رَدَّنِي وَذَمَّمَهُ غَيْرِي عَلَى رَدِّهِ
 لِأَنَّهُ قَلَّدَنِي نِعْمَةً تَسْتَوْجِبُ الْإِعْرَاقَ فِي حَمْدِهِ
 أَرَاخِي مِنْ فَيْحِ مَلْفَتِكَ لِي وَكِبْرِكَ الزَّائِدِ فِي حَدِّهِ

٣٦٦ كَتَبَ سَبْطُ بْنُ التَّعَاوَيْدِيِّ قَصِيدَةً وَسَّيَّرَهَا إِلَى مُجَاهِدِ الدِّينِ
 الزُّبَيْرِيِّ فَأَجَازَهُ جَائِزَةً سَنِيَّةً . وَسَّيَّرَ مَعَهَا بَعْلَةً فَوَصَلَتْ إِلَيْهِ وَقَدْ هَزَلَتْ
 مِنْ تَعَبِ الطَّرِيقِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

مُجَاهِدَ الدِّينِ دُمْتَ دُخْرًا ابْكُلْ ذِي فَاقَةٍ وَكُنَّا
 بَعَثْتُ لِي بَعْلَةً وَابْكُنْ قَدْ مَسَخَتْ فِي الطَّرِيقِ عَنَّا

٣٦٧ ذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْجَزُولِيِّ الْهَزْدَكِيِّ أَنَّهُ حَضَرَ عِنْدَهُ

لِيَقْرَأَ عَلَيْهِ قِرَاءَةَ أَبِي عَمْرٍو . فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : أَتُرِيدُ أَنْ تَقْرَأَ
عَلَى الشَّيْخِ النَّخْوِ . قَالَ : فَقُلْتُ : لَا . فَسَأَلَنِي آخَرُ كَذَلِكَ . فَقُلْتُ :
لَا . فَأَنشَدَ الشَّيْخُ وَقَالَ : قُلْ لَهُمْ :

لَسْتُ لِلنَّخْوِ جِسْتَكُمْ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ
خَلَّ زَيْدًا إِشَانِهِ أَنَّمَا شَاءَ يَذْهَبُ
أَنَا مَا لِي وَلَا مَرِي أَبَدَ الدَّهْرِ يَضْرِبُ

الباهلي والاعرابي

٣٦٨ كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْتَكْفُفُ الْإِنْسَابَ إِلَى قَبِيلَةِ بَاهِلَةَ وَتَضْرِبُ
بِهَا الْمَثَلَ فِي الْحَمَقِ وَالْجَهْلِ . وَيُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا لَقِيَ مُنْخَصًّا فِي الطَّرِيقِ
فَسَأَلَهُ : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : مِنْ بَاهِلَةَ . فَرَفِئَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ . فَقَالَ ذَلِكَ
الشَّخْصُ : وَأَزِيدُكَ أَنِّي لَسْتُ مِنْ صَمِيمِهِمْ وَلَكِنْ مِنْ مَوَالِيهِمْ . فَأَقْبَلَ
الْأَعْرَابِيُّ عَلَيْهِ يُقْبِلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : وَلِمَ هَذَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَبْتَلَاكَ بِهَذِهِ الرِّزِيَّةِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَيُعَوِّضُكَ الْجَنَّةَ
فِي الْآخِرَةِ (الابن خلكان)

ابن بن عثمان والاعرابي

٣٦٩ حَدَّثَنَا ابْنُ زُبَيْعٍ قَالَ : كَانَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ النَّاسِ
وَأَعْبَاهُمْ . فَيُنَادِيهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهُ وَعِنْدَهُ أَشْعَبُ إِذَا قَبِلَ أَعْرَابِيًّا
وَمَعَهُ جَمَلٌ لَهُ . وَالْأَعْرَابِيُّ شَقِيرٌ أَرْقٌ أَرَعَرُ غَضُوبٌ يَتَاغَى كَأَنَّهُ
أَفْعَى وَيَتَبَيَّنُ الشَّرُّ فِي وَجْهِهِ . مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا شَتَّمَهُ وَنَهَرَدَهُ . فَقَالَ

أَشْعَبُ لِأَبَانَ : هَذَا مِنْ الْبَادِيَةِ أَدْعُهُ . فَدُعِيَ وَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْأَمِيرَ أَبَانَ
 ابْنَ عُثْمَانَ يَدْعُوكَ . فَأَتَاهُ فَسَأَلَ عَلَيْهِ . فَسَأَلَهُ أَبَانَ عَنْ نَسَبِهِ فَأَنْتَسَبَ
 لَهُ . فَقَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا خَالِي . حَيْبُ أُرْدَادٍ حَبَابًا . فَجَلَسَ . فَقَالَ لَهُ : إِنِّي
 فِي طَلَبِ جَمَلٍ مِثْلِ جَمَاكَ هَذَا مِنْذُ زَمَانٍ . فَلَمْ أَجِدْهُ كَمَا أَشْتَهِي
 بِهَذِهِ الصِّنَةِ وَهَذِهِ الْأَمَامَةِ وَاللَّوْنِ وَالصَّدْرِ وَالْوَرِكِ وَالْأَخْفَافِ .
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ ظَهْرِي بِهِ مِنْ عِنْدِ مَنْ أَحْبَبَهُ . أَتَبِعُهُ . فَقَالَ :
 نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : فَإِنِّي قَدْ بَدَأْتُ لَكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ . وَكَانَ
 الْجَمَلُ يُسَاوِي عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ . فَطَمَعَ الْأَعْرَابِيُّ وَسَرَّ وَأَتَفَحَّ وَبَانَ
 السَّرُورُ وَالْأَطْمَعُ فِي وَجْهِهِ . فَأَقْبَلَ أَبَانَ عَلَى أَشْعَبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَيَا لَكَ
 يَا أَشْعَبُ إِنَّ خَالِي هَذَا مِنْ أَهْلِكَ وَأَقَارِبِكَ (يَعْنِي الطَّمَعُ) فَأَوْسِعْ لَهُ مِمَّا
 عِنْدَكَ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ يَا أَبِي أَنْتَ وَزِيَادَةٌ . فَقَالَ لَهُ أَبَانَ : يَا خَالِي إِنَّمَا
 زِدْتَنِي فِي الثَّمَنِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَإِنَّمَا الْجَمَلُ يُسَاوِي سِتِينَ دِينَارًا . وَكَأَنَّ
 بَدَأْتُ لَكَ مِائَةَ لَمَلَّةٍ التَّقْدِ عِنْدَنَا . وَإِنِّي أُعْطِيكَ بِهِ عُرُوضًا تُسَاوِي
 مِائَةَ . فزَادَ طَمَعُ الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ : قَدْ قَبِلْتُ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَأَسْرَرَ
 إِلَى أَشْعَبٍ فَأَخْرَجَ شَيْئًا مَغْطًى . فَقَالَ لَهُ : أَخْرِجْ مَا جِئْتَ بِهِ . فَأَخْرَجَ
 جَرْدَ عِمَامَةٍ خَزَّ خَلَقَ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ فَقَالَ لَهُ : قَوْمُهَا يَا أَشْعَبُ .
 فَقَالَ لَهُ : عِمَامَةُ الْأَمِيرِ تُعْرَفُ بِهِ وَيَشْهَدُ فِيهَا الْأَعْيَادُ وَالْجَمْعُ وَيَلْتَقِي فِيهَا
 الْخُلَّةُ . خَمْسُونَ دِينَارًا . فَقَالَ : ضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ لِابْنِ زَبْنَجٍ :
 أَتَيْتُ قِيمَتَهَا . فَكَتَبَ ذَلِكَ وَوَضَعَتِ الْعِمَامَةَ بَيْنَ يَدَيْ الْأَعْرَابِيِّ .

فَكَادَ يَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ غَيْظًا . وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ . ثُمَّ قَالَ :
 هَاتِ قَلَنْسُوتِي فَأَخْرَجَ قَلَنْسُوتَهُ طَوِيلَةً خَلَقَةً قَدَّعَلَاهَا الْوَسْخُ وَالذَّهْنُ
 وَتَحَرَّقَتْ تَسَاوِي نِصْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ قَوْمٌ : قَلَنْسُوتُ الْأَمِيرِ تَعْلُو
 هَامَتَهُ وَيُصَلِّي فِيهَا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَيَجْلِسُ لِلْحُكْمِ ثَلَاثُونَ دِينَارًا .
 قَالَ : أَثَبْتُ . فَأَثَبَتْ ذَلِكَ وَوَضَعَتْ الْقَلَنْسُوتَ بَيْنَ يَدَيْ الْأَعْرَابِيِّ .
 فَتَرَبَّدَ وَجْهَهُ وَجَحَّظَتْ عَيْنَاهُ وَهَمَّ بِالْوُثُوبِ ثُمَّ تَمَّسَكَ وَهُوَ مُتَقَلِّبٌ .
 ثُمَّ قَالَ لِأَشْعَبَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ . فَأَخْرَجَ خُفَيْنِ خَالِقَيْنِ قَدَّ نِقَبَا
 وَتَقَشَّرَا وَتَفَتَّقَا . فَقَالَ لَهُ قَوْمٌ : خِيفَا الْأَمِيرَ يَطَأُ بِهِمَا الرُّوضَةَ وَيَعْلُو
 بِهِمَا الْبُنْبُرَ أَرْبَعُونَ دِينَارًا . فَقَالَ : ضَعُفُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَوَضَعَهُمَا ثُمَّ قَالَ
 الْأَعْرَابِيُّ : أَضْمَمْتُ إِلَيْكَ مَتَاعَكَ وَقَالَ لِبَعْضِ الْأَعْوَانِ : أَذْهَبُ فَخُذِ
 الْجَمَلَ . وَقَالَ لِأَخْرَجَ : أَمْضِ مَعَ الْأَعْرَابِيِّ فَأَفْبِضْ مِنْهُ مَا بَقِيَ لَنَا عَلَيْهِ
 مِنْ ثَمَنِ الْمَتَاعِ وَهُوَ عِشْرُونَ دِينَارًا . فَوَثَبَ الْأَعْرَابِيُّ فَأَخَذَ الْقَمَاشَ
 فَضْرَبَ بِهِ وُجُوهَ الْقَوْمِ لَا يَأْلُو فِي شِدَّةِ الرَّمْيِ بِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 أَتَدْرِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أَمُوتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : لَمْ أَذْرَأُكَ
 أَبَاكَ عُمَانَ فَأَشْرَكَ وَاللَّهِ فِي دَمِهِ إِذْ وُلِدَ مِثْلَكَ . ثُمَّ نَهَضَ مِثْلَ الْخُنُونِ
 حَتَّى أَخَذَ بِرَأْسِ بَعِيرِهِ . وَضَحَكَ أَبَانٌ حَتَّى سَقَطَ وَضَحَكَ كُلُّ مَنْ كَانَ
 مَعَهُ . وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا لَقِيَ أَشْعَبَ يَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ
 حَتَّى أَكْفَيْتَكَ عَلَى تَثْوِيمِكَ الْمَتَاعِ يَوْمَ قَوْمٍ فِيهِ رُبُّ أَشْعَبٍ مِنْهُ

(الاعرابي)

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي النُّوَادِرِ

٣٧٠ أُمِسَّكَ عَلَى النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ الشَّعْرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَنْطِقْ .
 ثُمَّ إِنَّ بَنِي جَعْدَةَ غَزَوْا قَوْمًا فَظَفَرُوا فَلَمَّا سَمِعَ فَرِحَ وَطَرِبَ فَاسْتَحْشَهُ
 الشَّعْرُ فَذَلَّ لَهُ مَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : بِحَيَاتِكَ لَنَحْنُ
 بِإِطْلَاقِ إِسَانِ شَاعِرِنَا أَسْرًا مِنَ الظَّفَرِ بَعْدُونَا (إبهاء الدين)

وضع الشطرنج

٣٧١ لَمَّا أَفْتَحَرَ مُلُوكُ فَارِسَ عَلَى مُلُوكِ الْهُنْدِ بَوَضَعَ الْمَلِكُ زَرْدَشِيرَ
 لِنَفْسِهِ الزَّرْدَ وَضَعَ صَصَهُ الْحَكِيمُ الشُّطْرَنْجَ وَعَرَضَهَا عَلَى الْمَلِكِ وَأَظْهَرَ
 خَفِيَّ أَمْرِهَا وَمَكْنُونِ بَرِّهَا . قَالَ لَهُ : اقْتَرِحْ مَا تَشْتَهِي . قَالَ : أَنْ
 تَضَعَ حَبَّةً مِنَ الْبُرِّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَلَا تَرَأَى تَضَاعِفَهَا حَتَّى تَنْتَهِيَ
 إِلَى آخِرِ الْبُيُوتِ فَهَمَّا بَلَغَ تَعْطِينِي . فَاسْتَحْفَ الْمَلِكُ عَقْلَهُ وَأَحْتَقَرَ مَا
 طَلَبَ وَقَالَ لَهُ : كُنْتُ أَظُنُّكَ بِرَجَاحَةِ عَقْلِكَ وَتَوَقُّدِ فِكْرِكَ تَطَابُ
 سَيِّئًا نَفْسِيًّا . فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ لَمَّا أَمَرْتَنِي بِالْتَّمَنِّي لَمْ يَخْطُرْ
 بِبَالِي غَيْرُ ذَلِكَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى الرَّجُوعِ عَنْهُ . فَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمَا سَأَلَ
 وَتَقَدَّمَ بِأَحْضَارِ الْحُسَابِ وَأَمَرَهُمْ بِحِسَابِ ذَلِكَ . فَأَعْمَلُوا فِي بُلُوغِ
 قَصْدِهِ مَطَابِقَ الْأَفْكَارِ . حَتَّى لَاحَ لَهُمْ نَجْمٌ صِدْقُهُ فَعَرَفُوهُ بَعْدَ

أَلَا زَكَرَ . فَلَمْ يَجِدُوا فِي بِلَادِ الدُّنْيَا مَا يَفِي لَهُ مُرَادَهُ مِنَ الْبِرِّ وَلَوْ
كَانَتْ الرِّمَالُ مِنْ أَمْدَادِهِ . (للقلوبى)

المريض والخنساء

٣٧٢ حكى القزويني أن رجلاً رأى خنساءً فقال : ماذا يريد الله
تعالى من خلق هذه . أحسن شكلها أو طيب ريحها . فأبت إله الله
تعالى بمرحةٍ عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها . فسمع يوماً صوت
طيبٍ من الطريقين يُنادي في الدرب . فقال : هاأتوه حتى ينظر في
أمرى . فقالوا : وما تصنع بطريقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء .
فقال : لا بد لي منه . فلما أحضره ورأى القرحة استدعى بخنساء .
فضحك الحاضرون منه . فتذكر العليل القول الذي سبق منه . فقال :
أحضروا له ما طلب فإن الرجل على بصيرةٍ من أمره . فأحضروها له
فأحرقها وذر رمادها على قرحته فبرئ بإذن الله تعالى . فقال
للحاضرين : إن الله تبارك وتعالى أراد أن يعرفني أن أحسن المخلوقات
أعز الأدوية (الدميري)

النعمان وسنمار

٣٧٣ بنى النعمان بن أمريّ أيس قصرًا بظاهر الحيرة في ستين
سنة أتمه الخورنق . بناه رجلٌ من الروم يقال له سنمار . وكان
يبني على وضع عجيب لم يعرف أحدٌ أن يبني مثله . فلما فرغ من
بنايه كان قصرًا عجيبًا لم يكن للملوك مثله . ففرح به النعمان . فقال

لَهُ سِنِمَارٌ : إِنِّي لَأَعْلَمُ مَوْضِعَ أُجْرَةٍ لَوْ زَالَتْ أَسْقَطَ الْقَصْرُ كُلَّهُ .
 فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : هَلْ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ . قَالَ : لَا . فَأَمَرَ بِهِ فَمَقْدَفَ
 مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ إِلَى أَسْفَلِهِ فَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ . فَأَشْتَهَرَ ذَلِكَ حَتَّى
 ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فَقَالَ الشَّاعِرُ :

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبِ
 سِوَى رِمَّةِ الْبَيْكَانِ سِتِّينَ حِجَّةً يُعَالِي عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكْبِ
 فَلَمَّا رَأَى الْبَيْكَانُ تَمَّ شُهُوفُهُ وَأَضْرَكِثِلِ الطُّودِ وَالشَّامِخِ الصَّعْبِ
 وَضَنَّ سِنِمَارٌ بِهِ كُلَّ حَبْوَةٍ وَفَارَزَ لَدَيْهِ بِالْمُودَةِ وَالْقُرْبِ
 فَقَالَ أَقْدِفُوا بِالْعُلُجِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ فَبَدَا لِعَمْرِ اللَّهِ مِنْ أَعْجَبِ الْخَطْبِ
 فَصَعِدَ النُّعْمَانُ قَلْبَهُ وَنَظَرَ إِلَى الْبَجْرِ تَجَاهَهُ وَإِلَى الْبَرِّ خَلْفَهُ
 وَالْبَسَاتِينَ حَوْلَهُ . وَرَأَى الظُّبْيَ وَالْحُوتَ وَالنَّخْلَ فَقَالَ لَوْزِيرِهِ : مَا
 رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْبِنَاءِ قَطُّ . فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ : لَهُ عَيْبٌ عَظِيمٌ .
 قَالَ : وَمَا ذَلِكَ . قَالَ : إِنَّهُ غَيْرُ بَاقٍ قَالَ النُّعْمَانُ : وَمَا الشَّيْءُ الَّذِي
 هُوَ بَاقٍ : قَالَ : مَلِكُ الْآخِرَةِ . قَالَ : فَكَيْفَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ . قَالَ :
 يَتْرِكُ الدُّنْيَا . قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي طَلَبِ ذَلِكَ . قَالَ :
 نَعَمْ . فَتَرَكَ الْمَلِكُ وَتَرَهَّدَ هُوَ وَوَزِيرُهُ

(للقزويني)

الوزير الحاسد

٣٧٤ حَكِيٌّ أَنْ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ دَخَلَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ
 وَجَعَلَهُ نَدِيمَهُ . وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ حَاسِدٌ فَعَارَ مِنَ الْبَدْوِيِّ وَحَسَدَهُ وَقَالَ

فِي نَفْسِهِ : إِنْ لَمْ أُحْتَلْ عَلَى هَذَا الْبَدَوِيِّ فِي قَتْلِهِ أَخَذَ بِقَلْبِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْعَدَنِي مِنْهُ . فَصَادَ يَتَلَطَّفُ بِالْبَدَوِيِّ حَتَّى أَتَى بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ
 فَطَبَخَ لَهُ طَعَامًا وَكَثُرَ فِيهِ مِنَ الثُّومِ . فَلَمَّا أَكَلَ الْبَدَوِيُّ مِنْهُ قَالَ
 لَهُ : أَحْذَرُ أَنْ تَقْرُبَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَيَشُمَّ مِنْكَ رَائِحَةَ الثُّومِ
 فَتَأْذَى مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكْرَهُ رَائِحَتَهُ . ثُمَّ ذَهَبَ الْوَزِيرُ إِلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ فَخَلَا بِهِ . وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْبَدَوِيَّ يَقُولُ عَنْكَ
 لِلنَّاسِ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْخَرُ وَمَهَابٌ تَمُنُّ مِنْ رَائِحَةِ فَمِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ
 الْبَدَوِيُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ كَمَهُ عَلَى فَمِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَشُمَّ مِنْهُ رَائِحَةَ
 الثُّومِ . فَلَمَّا رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ يَسْتُرُ فَمَهُ بِكُمِّهِ قَالَ : إِنَّ الَّذِي
 قَوْلَهُ الْوَزِيرُ عَنْ هَذَا الْبَدَوِيِّ صَحِيحٌ . فَكَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا إِلَى
 بَعْضِ عُمَّالِهِ يَقُولُ لَهُ فِيهِ : إِذَا وَصَلَ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا فَأَضْرِبْ رِقَبَةَ
 حَامِلِهِ . ثُمَّ دَعَا بِالْبَدَوِيِّ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ بِهِ إِلَى
 فُلَانٍ وَأَتِنِي بِالْجَوَابِ . فَأَمْتَمَّ الْبَدَوِيُّ مَا رَسَمَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخَذَ
 الْكِتَابَ وَخَرَجَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ بِالْبَابِ إِذْ لَقِيَ الْوَزِيرَ فَقَالَ :
 أَيْنَ تُرِيدُ . قَالَ : أَتَوَجَّهُ بِكِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَامِلِهِ فُلَانٍ . فَقَالَ
 الْوَزِيرُ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هَذَا الْبَدَوِيَّ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ مَا لَمْ
 يَجْزِيلُ . فَقَالَ لَهُ : يَا بَدَوِيُّ مَا تَقُولُ فِيمَنْ يُرِيحُكَ مِنْ هَذَا التَّعَبِ
 الَّذِي يَحْتَمِكُ فِي سَفَرِكَ وَيُعْطِيكَ النَّهْيَ دِينَارًا . فَقَالَ : أَنْتَ الْكَبِيرُ
 وَأَنْتَ الْحَاكِمُ وَمِمَّا رَأَيْتَهُ مِنَ الرَّأْيِ أَفْعَلُ . قَالَ : أَعْطِنِي الْكِتَابَ .

فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ الْوَزِيرُ الَّذِي دِينَرٌ وَسَارَ بِالْكِتَابِ إِلَى الْمُبَكَّانِ
الَّذِي هُوَ قَاصِدُهُ . فَلَمَّا قَرَأَ الْعَامِلُ الْكِتَابَ أَمَرَ بِضَرْبِ رَقَبَةِ
الْوَزِيرِ . فَبَعْدَ أَيَّامٍ تَذَكَرَ الْخَلِيفَةُ فِي أَمْرِ الْبَدَوِيِّ وَسَأَلَ عَنِ الْوَزِيرِ
فَأَخْبَرَ بِأَنَّهُ لَهُ أَيَّامًا مَا ظَهَرَ وَأَنَّ الْبَدَوِيَّ بِالْمَدِينَةِ مُقِيمٌ فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْبَدَوِيِّ فَحَضَرَ . فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ الَّتِي
اتَّفَقَتْ لَهُ مَعَ الْوَزِيرِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ قَاتَتْ عَنِّي
لِلنَّاسِ إِنِّي أَنْجَرٌ . فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ اتَّحَدَّثَ بِمَا
لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مَكْرًا مِنْهُ وَحَسَدًا . وَأَعْلَمَهُ كَيْفَ
دَخَلَ بِهِ بَيْتَهُ وَأَطْعَمَهُ الثُّومَ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَهُ . فَقَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :
قَاتَلَ اللَّهُ الْحَسَدَ مَا أَعْدَلَهُ بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ خَاعَ عَلَى الْبَدَوِيِّ
وَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا وَرَاحَ الْوَزِيرُ بِجَسَدِهِ

(اللابشيهي)

كَلْبٌ جَادٌ بِنَفْسِهِ

٣٧٥ كَانَ مَلِكٌ عَظِيمُ الشَّانِ يُحِبُّ التَّنَزُّهَ وَالصَّيْدَ . وَكَانَ لَهُ كَلْبٌ
قَدْرَبَادٌ لَا يُفَارِقُهُ . فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ مَتْنَزَّهَاتِهِ وَقَالَ لِبَعْضِ
عِلْمَانِهِ : قُلْ لِلطَّبَّاخِ يُصْلِحْ لَنَا ثَرْدَةً بَابِنَ . فَجَاؤُوا بِأَبْنٍ إِلَى الطَّبَّاخِ
وَنَسِيَ أَنْ يُعْطِيَهُ إِشِيءًا وَأَشْتَغَلَ بِالطَّبْخِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ الشُّعُوقِ
أَفْعَى فَكَرَعَ فِي ذَلِكَ الْبَابِ وَنَفَثَ فِي الثَّرْدَةِ مِنْ نَفْسِهِ . وَالْكَلْبُ رَابِضٌ
يَرَى ذَلِكَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ حِيلَةً يَصِلُ بِهَا إِلَى الْأَفْعَى . وَكَانَ هُنَاكَ جَارِيَةٌ
خَرَسَاءُ زَمَنِي قَدْرَاتٌ مَا صَنَعَ الْأَفْعَى . وَوَأَفَى الْمَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ فِي

آخِرَ النَّهَارِ فَقَالَ يَا غُلَامَانِ أَدْرِكُونِي بِالْثَّرْدَةِ فَلَمَّا وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ
 أَوَمَاتِ الْخُرْسَاءِ إِلَيْهِ فَلَمْ يَفْهَمَ مَا تَقُولُ . وَنَجَّ الْكَلْبُ وَصَاحَ فَلَمْ
 يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَجَلَ فِي الصَّبَاحِ فَلَمْ يَعْلَمْ مُرَادَهُ . فَقَالَ لِغُلَامَانِ : تَحَوُّهُ
 عَنِّي . وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى اللَّبَنِ بَعْدَ مَا رَمَى إِلَى الْكَلْبِ مَا كَانَ يَرْمِي إِلَيْهِ .
 فَلَمْ يَلْتَفِتْ الْكَلْبُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى غَيْرِ الْمَلِكِ . فَلَمَّا
 رَأَى يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ اللَّثْمَةَ مِنَ اللَّبَنِ فِي فَمِهِ طَفَرَ إِلَى وَسْطِ الْمَائِدَةِ
 وَأَدْخَلَ فِيهِ وَكَرَعَ مِنَ اللَّبَنِ وَسَقَطَ مَيْتًا وَتَنَثَّرَ لَحْمُهُ وَبَقِيَ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا
 مِنَ الْكَلْبِ وَمِنْ فِعْلِهِ . فَأَوَمَاتِ الْخُرْسَاءِ إِلَيْهِمْ فَعَرَفُوا مُرَادَهَا وَمَا
 صَنَعَ الْكَلْبُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : لِحَاشِيَتِهِ هَذَا الْكَلْبُ قَدْ فَدَانِي بِنَفْسِهِ
 وَقَدْ وَجَبَ أَنْ نَكْفِيَهُ . وَمَا يَحْمِلُهُ وَيُدْفِنُهُ غَيْرِي . فَدَفَنَهُ وَبَنَى
 عَلَيْهِ قُبَّةً فِي ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ (للحوي)

ابراهيم الخواص والسبع

٣٧٦ حكى ابراهيم الخواص قال : في بعض أسفار ابي انتميت إلى
 شجرة قعدت تحتها فإذا سبع هائل يأتي تحوي . فلما دنا مني رأيت
 يعرج . فإذا بيده مستحقة وفيها فتح فهمهم وتركها في حجري . وعرفت
 أنه يقول : عالج هذه . فأخذت خشبة ففتحت بها الفتح ثم شددتها
 بمخرقة خرقتها من ثوبي . فغاب ثم جاني ومعه شبلان يبصيصان
 ورغيف تركه عندي ومشى (اللزويني)

المطيب اسم الله

٣٧٧ كَانَ سَبَبُ تَوْبَةِ بَشْرِ بْنِ الْخَارِثِ أَنَّهُ أَصَابَ فِي الطَّرِيقِ وَرَقَةً
وَفِيهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى مَكْتُوبٌ . وَقَدْ وَطِئَهَا الْأَقْدَامُ فَأَخَذَهَا وَأَشْتَرَى
بِدِرَاهِمٍ كَانَتْ مَعَهُ غَالِيَةً . فَطَيَّبَ بِهَا الْوَرَقَةَ وَجَعَلَهَا فِي شِقِّ حَائِطٍ
فَرَأَى فِي النَّوْمِ كَأَن قَابِلًا يَقُولُ لَهُ : يَا بَشْرُ طَيَّبْتَ اسْمِي لِأَطْيَبِينَ
أَتَمَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَلَمَّا تَذَبَّه مِنْ نَوْمِهِ تَابَ (لابن خلكان)

الدواء الشافي

٣٧٨ قَالَ بَعْضُ الْأَبْدَالِ مَرَرْتُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى طَيْبٍ وَالْمَرْضَى
بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَصِفُ لَهُمْ عِلَاجَهُمْ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ : عَالِجُ
مَرْضَى يَرْحَمُكَ اللَّهُ . فَتَأَمَّلْ فِي وَجْهِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : خُذْ عُرُوقَ الْفَقْرِ
وَوَرَقَ الصَّبْرِ مَعَ إَهْلِيحِ التَّوَاضِعِ . وَأَجْمِعِ الْكُلَّ فِي إِنَاءِ الْقَيْنِ
وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاءَ الْحَشِيَّةِ وَأَوْقِدْ تَحْتَهُ نَارَ الْحَزْنِ . ثُمَّ صَفِّهِ بِصَفَاةِ الْمُرَاقِبَةِ
فِي جَامِ الرِّضَا . وَأَمْزِجْهُ بِشَرَابِ التَّوَكُّلِ . وَتَنَاوَلْهُ بِكَفِّ الصِّدْقِ .
وَأَشْرَبْهُ بِكَاسِ الْإِسْتِغْفَارِ . وَتَمَضَّضْ بَعْدَهُ بِمَاءِ الْوَرَعِ . وَأَحْتَمِ عَنْ
الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ فَتَشْفَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (إيهاء الدين العاملي)

ذكر الأمم التي دخلت في دين التصاري

٣٧٩ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَنَصِّرَةِ أُمَّةُ الرُّومِ . عَلَى كَثْرَتِهَا وَعَظَمِ مُلُوكِهَا
وَأَتْسَاعِ بِلَادِهَا . (من الكامل) وَقَالَ غَيْرُهُ إِنَّ الرُّومَ كَانَتْ تُدِينُ
بِدِينِ الصَّابِئَةِ وَيَعْبُدُونَ أَصْنَامًا عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوكَبِ . وَمَا زَالَتِ الرُّومُ

مُلُوكُهَا وَرِعِيَّتُهَا كَذَلِكَ حَتَّى تَصَرَ قُسْطَنْطِينُ وَحَمَلَهُمْ عَلَى دِينِ النَّصَارَى
 فَتَنَصَرُوا عَلَى آخِرِهِمْ . وَمِنْ أُمَّمِ النَّصَارَى (الْأَرْمَنُ) كَانُوا بِأَرْمِينِيَّةَ .
 وَقَاعِدَةٌ مَمْلُوكَتُهَا خِلَاطُ . وَلَمَّا مَلَكَهَا صَارُوا فِيهَا رِعِيَّةً . ثُمَّ تَقَلَّبُوا
 وَمَلَكَوا مَنَاظِرَ سُوسَ وَالْمَصِيصَةَ وَبِلَادَ سِيسَ مَدِينَةٌ بِقَلْعَةٍ حَصِينَةٌ هِيَ
 كُرْسِيٌّ مُلْكِهِمْ فِي زَمَانِنَاهَذَا . وَمِنْهَا (الْكُرْجُ) بِلَادُهُمْ مُجَاوِرَةٌ لِبِلَادِ
 خِلَاطُ إِلَى الْخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيِّ وَإِلَى مَخَوِ الشِّمَالِ . وَلَهُمْ جِبَالٌ
 مَنِيَعَةٌ وَقِلَاعٌ حَصِينَةٌ . وَالغَايِبُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ . يَلِي مُلْكَهُمُ
 الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِالْوَرَاثَةِ . وَهُمْ خَلَقُ كَثِيرٌ فِي عُلْحِ الشَّتَارِ الْيَوْمَ .
 وَمِنْهَا (الْجُرْكُسُ) عَلَى شَرْقِيِّ بَحْرِ نِيطَشَ فِي شَطْفِ مِنَ الْعَيْشِ
 غَالِبِهِمْ نَصَارَى . وَمِنْهَا (الرُّوسُ) لَهُمْ جَزَائِرٌ فِي بَحْرِ نِيطَشَ وَبَحْرِ
 الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَهُمْ بِلَادٌ شِمَالِيٌّ الْبَجْرُ . وَمِنْهَا (الْبُلْغَارُ) نِسْبَةٌ إِلَى
 مَدِينَةٍ يَسْكُنُونَهَا شِمَالِيٌّ نِيطَشَ كَانَ غَالِبِهِمْ نَصَارَى فَأَسَامَ بَعْضُهُمْ .
 وَمِنْهَا (الْأَنَانُ) الْكَبِيرُ أُمَّمِ النَّصَارَى غَرْبِيٌّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى الشِّمَالِ
 جُنُودُهُمْ كَثِيرَةٌ . قَصَدَ مَلِكُهُمْ فِي مِائَةِ أَلْفِ مُتَأَلِّفَةٍ صَاحِحَ الدِّينِ بْنِ
 أَيُّوبَ فَهَلَكَ هُوَ وَغَالِبُ عَسْكَرِهِ فِي الطَّرِيقِ . وَمِنْهَا (الْبَرْجَانُ) أُمَّةٌ
 يَلِي أُمَّمُ طَاعِيَةٌ مُثَلَّثُونَ . بِلَادُهُمْ مُتَوَعِّلَةٌ فِي الشِّمَالِ . سِيرَهُمْ مُنْقَطِعَةٌ
 أَيْدِيَهُمْ عَنَّا وَجَفَاءُ طِبَاعِهِمْ . وَمِنْهَا (الْفَرَنْجُ) أُمَّمُ أَصْلُ بِلَادِهِمْ
 فَرَنْجِيَّةٌ وَيُقَالُ فَرَنْسَةٌ جِوَارُ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ شِمَالِيًّا يُقَالُ لِمَلِكِهِمْ
 الْفَرَنْسِيُّسُ . قَصَدَ دِيَارَ مِصْرَ وَأَخَذَ دِمْيَاطَ . ثُمَّ أَسْرَهُ الْمُسْلِمُونَ

وَأَسْتَقْدُوا دِمْيَاطَ مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِ الْمَلِكِ صَالِحِ أَيُّوبَ بْنِ الْكَامِلِ .
 وَقَدْ غَلَبَ الْفَرَجُ عَلَى مُعْظَمِ الْأَنْدَلُسِ . وَلَهُمْ فِي بَحْرِ الرُّومِ جَزَائِرُ
 مَشْهُورَةٌ مِثْلُ صَقَلِيَّةَ وَقَبْرُسَ وَأَقْرِيطُسَ . وَمِنْهُمْ (الْجَنُوبِيَّةُ) نِسْبَةً
 إِلَى جَنُوبِ مَدِينَةِ عَظِيمَةٍ . وَبِلَادِهِمْ كَبِيرَةٌ غَرْبِيَّةُ السُّطْنَطِينِيَّةِ عَلَى
 بَحْرِ الرُّومِ . وَمِنْهُمْ (الْبِنَادِقَةُ) مَدِينَتُهُمُ الْبِنْدِيقِيَّةُ عَلَى خَلِجٍ مِنْ بَحْرِ
 الرُّومِ تَمْتَدُّ نَحْوَ سَبْعِمِائَةِ مَيْلٍ فِي جِهَةِ الشِّمَالِ وَالْغَرْبِ . وَهِيَ قَرِيبَةٌ
 مِنْ جَنُوبِ فِي الْبَرِّ . بَيْنَهُمَا ثَمَانِيَةٌ أَيَّامٌ (لابن الوردي)

ذكر أمم الهند وتقاسيمهم وعواندهم

٣٨٠ أُمَّمُ الْهِنْدِ فَرِقَ مِنْهُمْ (الْبَاسُويَّةُ) . زَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ رَسُولًا مَلَكًا
 رُوحَانِيًّا نَزَلَ بِصُورَةِ الْبَشَرِ أَمْرَهُمْ بِتَعْظِيمِ النَّارِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِالطَّيِّبِ
 وَالذَّبَائِحِ . وَنَهَاهُمْ عَنِ الْقَتْلِ وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ النَّارِ . وَسَنَّ لَهُمْ أَنْ
 يَتَوَضَّعُوا بِحَيْطٍ يَعْتَدُونَهُ مِنْ مَنَازِكِهِمْ الْأَيَّامِ إِلَى تَحْتِ شِمَائِلِهِمْ .
 وَعَظَمَ الْبَرَّ وَأَمَرَ بِالسُّجُودِ لَهَا حَيْثُ رَأَوْهَا . وَمِنْهُمْ (الْيَهُودِيَّةُ)
 يَقُولُونَ : الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا صَنَعَ الْخَالِقِ فَلَا يَبْعَافُونَ شَيْئًا . وَيَتَقَلَّدُونَ
 بِعِظَامِ النَّاسِ وَيَمَسِّحُونَ بِرُؤْسِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ بِالرَّمَادِ . وَمِنْهُمْ
 (عِبَادَةُ النَّسِ وَعِبَادَةُ الْقَمَرِ) . وَمِنْهُمْ (عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ) وَهُمْ
 مُعْظَمُهُمْ لِكُلِّ طَائِفَةٍ صَنَمٌ . وَأَشْكَالُ الْأَصْنَامِ مُخْتَلِفَةٌ . وَمِنْهُمْ
 (عِبَادَةُ الْمَاءِ الْجَلْهَكِيَّةُ) . يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَاءَ مَلِكٌ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ
 شَيْءٍ . إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ عِبَادَةَ الْمَاءِ تَجَرَّدَ وَدَخَلَ الْمَاءَ إِلَى وَسْطِهِ .

وَيَقِيمُ سَاعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَمَعَهُ رِيَّاحِينَ يَقْطَعُهَا صِغَارًا وَيُلْقِيهَا فِيهِ . وَهُوَ
 يُسَبِّحُ وَيَقْرَأُ . وَإِذَا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ حَرَّكَ الْمَاءَ بِيَدِهِ . ثُمَّ نَقَطَ مِنْهُ عَلَى
 رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَسَجَدَ وَانْصَرَفَ . وَمِنْهُمْ (عِبَادُ النَّارِ الْأَكْثَوِيَّةُ) .
 عِبَادَتُهُمْ أَنْ يَخْفِرُوا وَأَخْذُودًا مَرَبَّعًا وَيُوجِّجُوا بِهِ النَّارَ ثُمَّ لَا يَدْعُونَ طَمَامًا
 لَذِيذًا وَلَا ثَوْبًا فَآخِرًا وَلَا شَرَابًا لَطِيفًا وَلَا عَطْرًا فَاتِحًا وَلَا جَوْهَرًا نَفِيسًا
 إِلَّا طَرَحُوهُ فِي تِلْكَ النَّارِ تَقَرُّبًا إِلَيْهَا . وَحَرَّمُوا الْقَاءَ النَّفْسِ فِيهَا خِلَافًا
 لِطَائِفَةٍ أُخْرَى . وَمِنْهُمْ (الْبِرَاهِمَةُ) أَصْحَابُ فِكْرَةٍ وَعَالِمٌ بِالْفَلَكَ
 وَالنُّجُومِ . تُخَالَفُ طَرِيقَتَهُمْ مُنْتَجِمِي الرُّومِ وَالنَّجْمِ . لِأَنَّ أَكْثَرَ أَحْكَامِهِمْ
 بِاتِّصَالِ الثَّوَابِ دُونَ السَّيَّارَاتِ . يُعْظَمُونَ أَمْرَ الْفِكْرِ وَيَقُولُونَ :
 هُوَ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمُحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ . وَيَجْتَهِدُونَ فِي صَرْفِ الْفِكْرِ
 عَنِ الْمُحْسُوسَاتِ لِتَجَرُّدِ الْفِكْرِ عَنِ هَذَا الْعَالَمِ وَيَتَجَلَّى لَهُ ذَلِكَ الْعَالَمُ .

(للشهرستاني)

فَرَبَّمَا يُخْبِرُ عَنِ الْمَغِيبَاتِ

٣٨١ وَمِنْ عَوَائِدِ أُمَّمِ الْهِنْدِ إِقَامَةُ عِيدِ كَبِيرٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ
 سَنَةٍ . فَيُخْرَجُ أَهْلُ الْبِلَادِ جَمِيعًا مِنْ شَيْخٍ وَشَابٍّ وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ إِلَى
 صَحْرَاءٍ خَارِجِ الْبِلَادِ فِيهَا حَجَرٌ كَبِيرٌ مَنْصُوبٌ . فَيُنَادِي مُنَادِي الْمَلِكِ لَا
 يَصْعَدُ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ إِلَّا مَنْ حَضَرَ الْعِيدَ السَّابِقَ قَبْلَ هَذَا . فَرَبَّمَا جَاءَ
 الشَّيْخُ الْأَهْرَمُ الَّذِي ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَعَمِيَ بَصَرُهُ أَوْ الْعَجُوزُ الشَّوْهَاءُ وَهِيَ
 تَرَبُّضٌ مِنَ الْكَبِيرِ . فَيَصْعَدَانِ عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا وَرَبَّمَا لَا
 يَجِيءُ أَحَدٌ وَيَكُونُ قَدْ فَنِيَ ذَلِكَ الْقَرْنُ بِأَسْرِهِ . ثُمَّ يَصْعَدُ عَلَى ذَلِكَ

أَلْحَجْرِ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتٍ : قَدْ حَضَرْتُ الْعِيدَ السَّابِقَ وَأَنَا طِفْلٌ
صَغِيرٌ وَكَانَ مَلِكُنَا فَلَانًا وَوَزِيرُنَا فَلَانًا . ثُمَّ يَصِفُ الْأُمَّةَ السَّابِقَةَ مِنْ
ذَلِكَ الْقَرْنِ كَيْفَ حَمَلَتْهُمُ الْمَوْتُ وَأَهْلَكَهُمُ الْبَلَاءُ وَصَارُوا تَحْتَ الثَّرَى .
ثُمَّ يَقُومُ خُطْبَتَهُمْ فَيُعْظُ النَّاسَ وَيَذَكِّرُهُمْ بِالْمَوْتِ وَغُرُورِ الدُّنْيَا
وَتَقْلِبِهَا بِأَهْلِهَا . فَيَكْثُرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْبُكَاءُ وَذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّاسُفُ
عَلَى صُدُورِ الذُّنُوبِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ ذَهَابِ الْعُمُرِ . ثُمَّ يَتُوبُونَ وَيَكْثُرُونَ
الْصَّدَقَاتِ وَيَخْرُجُونَ مِنَ التَّيْمَاتِ (لِبِهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِيِّ)

٣٨٢ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ فِي مَمْلَكَةِ بَهْرَا وَغَيْرِهِ مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ مَنْ
يُحْرِقُ نَفْسَهُ بِالنَّارِ . وَذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ بِالتَّسَامُحِ وَتَمَكُّنِهِ فِي قُلُوبِهِمْ
وَزَوَالِ الشَّكِّ فِيهِ عَنْهُمْ . وَفِي مُلُوكِهِمْ مَنْ إِذَا قَعَدَ لِلْمَلِكِ طَبَخَ لَهُ أَرْزًا
ثُمَّ وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى وَرَقِ الْمُوزِ . وَيَتَدَبَّبُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكَلَامَةَ
وَالْأَرْبَعَانَةَ بِاخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ لِأَيُّكَرَادٍ مِنَ الْمَلِكِ لَهُمْ . فَيُعْطِيهِمُ
الْمَلِكُ مِنْ ذَلِكَ الْأَرْزِ بَعْدَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ . وَيَتَقَرَّبُ رَجُلٌ رَجُلًا
مِنْهُمْ فَيَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا فَيَأْكُلُهُ . فَيَلْزِمُ كُلٌّ مِنْ أَكْلِ مِنْ هَذَا
الْأَرْزِ إِذَا مَاتَ الْمَلِكُ أَوْ قُتِلَ أَنْ يُحْرِقُوا أَنْفُسَهُمْ بِالنَّارِ عَنْ آخِرِهِمْ فِي
الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ . لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ عَيْنٌ وَلَا
أَثْرٌ . وَإِذَا عَزَمَ الرَّجُلُ عَلَى إِحْرَاقِ نَفْسِهِ صَارَ لِي بَابِ الْمَلِكِ فَاسْتَأْذَنَ .
ثُمَّ دَارَ فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ أُحْجَتْ لَهُ النَّارُ فِي حَطَبِ جَزَلٍ كَثِيرٍ . عَلَيْهَا
رِجَالٌ يَقُومُونَ بِإِيْتَادِهَا حَتَّى تَصِيرَ كَالْعَمِيقِ حَرَارَةً وَالتَّهَابَا . ثُمَّ يَعْدُو

وَبَيْنَ يَدَيْهِ الصُّنُوجُ دَائِرًا فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ أَحْتَوَشَهُ أَهْلُهُ وَذَوُو
 قَرَابَتِهِ . وَبَعْضُهُمْ يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلًا مِنَ الرِّيحَانِ يَلَاهُ جَمْرًا
 وَيَصُبُّ عَلَيْهِ السَّنْدْرُوسَ وَهُوَ مَعَ النَّارِ كَالنَّقْطِ . وَيَمِشِي وَهَامَتُهُ تَحْتَرِقُ
 وَرَوَائِحُ لَحْمِ رَأْسِهِ تَفُوحُ وَهُوَ لَا يَتَغَيَّرُ فِي مَشِيَّتِهِ . وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ
 جَزَعٌ حَتَّى يَأْتِيَ النَّارَ فَيَثِبُ فِيهَا فَيَصِيرُ رَمَادًا . فَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ
 حَضَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ أَرَادَ دُخُولَ النَّارِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا أَخَذَ الْخَنْجَرَ
 فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِ فُوَادِهِ فَشَقَّهُ بِيَدِهِ . ثُمَّ ادَّخَلَ يَدَهُ الْيَسْرَى فَقَبِضَ
 عَلَى كَبِدِهِ فَجَذَبَ مِنْهَا مَا تَهَيَّأَ لَهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ . ثُمَّ قَطَعَ بِالْخَنْجَرِ مِنْهَا
 قِطْعَةً فَدَفَعَهَا إِلَى أَخِيهِ اسْتِهَانَةً بِالْمَوْتِ . وَصَبَرَ عَلَى الْأَلَمِ ثُمَّ زَجَّ
 بِنَفْسِهِ فِي النَّارِ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمُ الْقِمَارُ بِالْدَيْكَةِ وَالزَّرْدُ
 وَالْدَيْكَةُ عِنْدَهُمْ عَظِيمَةُ الْأَجْسَامِ وَأَفْرَةُ الصَّيَاصِي . يَسْتَعْمَارُونَ لَهَا مِنَ
 الْخَنْجَرِ الصَّغَارِ الْمَرْهَفَةِ مَا يُشَدُّ عَلَى صِيَاصِيهَا ثُمَّ تُرْسَلُ . وَقِمَارُهُمْ فِي
 الذَّهَبِ وَالنِّقْضَةِ وَالْأَرْضِينَ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَيَبْلُغُ الدِّيكَ
 الْغَالِبُ جُمْلَةً مِنَ الذَّهَبِ (مَرُوجُ الذَّهَبِ لِلسَّعُودِيِّ)

نبذة من عوائد السودان

٣٨٣ . إِنَّ عَاصِمَةَ مُلِكِ السُّودَانِ تُسَمَّى بِالْغَابَةِ وَيَكْتَنِفُهَا الْحَدَائِقُ
 وَالْمَسَاكِينُ وَبِنَاؤُ بِيوتِهِمْ بِالْحِجَارَةِ وَخَشَبِ السَّنْطِ . وَلِلْمَلِكِ قَصْرٌ
 وَقَبَابٌ وَقَدْ أَحَاطَ بِذَلِكَ كُلِّهِ حَائِطٌ كَالسُّورِ . وَحَوْلَ مَدِينَةِ الْمَلِكِ
 غَابَاتٌ وَشَعْرَاءٌ يَسْكُنُ فِيهَا سَحَرَتُهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ دِينَهُمْ . وَفِيهَا

دكا كبيرهم وقبور ملوكهم . ولتلك الغابات حرس ولا يمكن أحدا
 دخولها ولا معرفة ما فيها . وهناك شجون الملك فإذا سخن فيها أحدا
 انتقطع عن الناس خبره . وتراجمه الملك من المسلمين وكذلك صاحب
 بيت ماله وأكثر وزرائه . ولا يلبس أخيط من أهل دين الملك غيره
 وغير ولي عهد . ويلبس سائر الناس ملاحف القطن والحرير
 والدياج على قدر أحوالهم . وهم أجمع يحلقون لحاهم . وملكهم يتحلى
 بحلى النساء في العنق والذراعين . ويجعل على رأسه الطراير المذهبة
 عليها عمام القطن الرفيعة . وهو يجلس للناس والمظالم في قبة .
 ويكون حوالي القبة عشرة أفراس بثياب مذهب . ووراء الملك
 عشرة من العلمان يحملون الحنف والسيف الحلاة بالذهب . وعن
 يمينه أولاد ملوك بلده قد ضفروا على رؤوسهم الذهب وعانهم
 الثياب الرفيعة . ووالي المدينة بين يدي الملك جالس في الأرض
 وحواليه الوزراء . وعلى باب القبة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق
 موضع الملك تحرسه . في أعناقها سواجير الذهب والنضة يكون في
 الساجور عدد رمانات ذهب وفضة . وهم يندرون بجلوسه بطبل
 وهو خشبة طويلة منقورة فيجتمع الناس . فإذا دنا أهل دينه منه
 جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحية لهم .
 وديانتهم الجوسية وعبادة الدكا كبير وإذا مات ملكهم عقدوا له
 قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره . ثم أتوا به

عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلِ الْفُرْشِ وَأُطَوَّاءَ فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ . وَوَضَعُوا مَعَهُ
حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَأَنْبَتَهُ الَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ . وَأَدْخَلُوا فِيهَا
الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرِبَةَ وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رِجَالًا مِنْ كَثَرِ مَنْ يَخْدُمُ طَعَامَهُ
وَشْرَابَهُ . وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ الْقُبَّةِ الْحُصْرَ وَالْأَمْتَعَةَ .
ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَرَدُّوْا فَوْقَهَا بِالتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَالْجَبَلِ الضَّخْمِ . ثُمَّ
يَخْتَدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوَصَلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ . وَهُمْ
يَذَبْحُونَ لِمَوْتَاهُمْ الذَّبَائِحَ وَيُقَرِّبُونَ لَهُمُ الْخُمُورَ

(المسالك والممالك للبكري)

فائدة فيما خصت به كل بلدة

٣٨٤ يُقَالُ : أَفَاعِي سِجِسْتَانَ . وَثَمَابِينُ مِصْرَ . وَذُبَابُ تَلِّ قَافِلٍ .
وَأَوْزُ غِيَلَةَ . وَيُقَالُ : بُرُودُ الْيَمَنِ . وَقَبَاطِي مِصْرَ . وَدِيَابِجُ الرُّومِ . وَخَزْ
السُّوسِ . وَحَرِيرُ الصِّينِ . وَمَلْحُ مَرُورَ . وَأَكْسِيَّةُ فَارِسَ . وَحَلَلُ
أَصْبَهَانَ . وَسَقْلَاطُونِي بَغْدَادَ . وَعَمَائِمُ الْأَبْلَةِ . وَيُقَالُ : سِنْجَابُ خَرْخِيزَ .
وَسَمُورُ بُلْغَارَ . وَثَعَالِبُ الْخَزَرَ . وَفَنَّاكُ كَاشْغَرَ . وَحَوَاصِلُ هَرَّاتَةَ . وَفَاقِمُ
التَّنْغَرُغُزِ . وَيُقَالُ : عِمَاقُ الْبَادِيَةِ . وَتَجَابِ الْحِجَازِ . وَحَمِيرُ مِصْرَ .
وَبَرَّادِينَ طَخَارِسْتَانَ . وَبَغَالُ بَرْدَعَةَ . وَيُقَالُ : سَكْرُ الْأَهْوَازِ . وَعَسَلُ
أَصْفَهَانَ . وَقَصَبُ مِصْرَ . وَدِيسُ أَرْجَانَ . وَرَطْبُ الْعِرَاقِ . وَغُنَابُ
جُرْجَانَ . وَتَمْرُ كِرْمَانَ . وَإِجَاصُ بُسْتِ . وَسَفَرَجِلُ نَيْسَابُورَ . وَتَفَاحُ
الشَّامِ . وَمَشِيشُ طُوسَ . وَكُمَثْرِي نِهَازِنْدَ . وَنَارَنْجُ الْبَصْرَةِ . وَفَشُوشُ

هَرَاةَ . وَأَتْرَجُ طَبْرِسْتَانَ . وَتَيْنُ حُلْوَانَ . وَعَنْبُ بَغْدَادَ . وَمَوْزُ أَلْيَنَ .
 وَوَرْدُ جُورَ . وَتِيلُوفَرُ شَرَوَانَ . وَزَعْفَرَانُ قُمَّ . وَتَمْرُ حِنَاءِ مَكَّةَ . وَيُقَالُ :
 طَوَاعِينُ الشَّامِ . وَطَحَالُ الْبَجْرَيْنِ . وَحَمَى خَيْبَرَ . وَدَمَاهِلُ الْجَزِيرَةِ .
 وَعِرْقُ مَكَّةَ . وَوَبَاءُ مِصْرَ . وَبَرَسَامُ الْعِرَاقِ . وَقُرُوحُ بَيْحَ . وَالنَّارُ
 الْفَارِسِيَّةُ . وَيُقَالُ : شِتَاءُ أَرْمِيَةَ . وَمَصِيفُ مِصْرَ . وَصَوَاعِقُ تِهَامَةَ .
 وَزَلْزَالُ الدَّيْلِ . وَيُقَالُ : شُقْرَةُ الرُّومِ . وَسَوَادُ الزَّمْجِ . وَغَلَاظُ التُّرَاكِ .
 وَجَنَاءُ الْحَتْلِ . وَدَمَامَةُ الصِّينِ . وَلَطَافَةُ بَغْدَادَ . وَقَصْرُ يَأْجُوحَ . وَطُولُ
 مَاْجُوحَ . وَذَكَاءُ مِصْرَ . وَبِلَادَةُ الشَّامِ . وَحَمَاقَةُ الْحَبَشِ . وَيُقَالُ :
 رُطْبُ ثُوتَ . وَرُمَانُ بَابِهِ . وَمَوْزُ هَتُورَ . وَتَكَ كَيْهَكَ . وَلَبَنُ
 بِرْمَهَاتَ . وَنَبَقُ بَشْنَسَ (#) (الكثر المدفون)

(٥) ومن قبيل تفرد البلاد تفرد الناس . قال الصَّفَدِيُّ : جماعة رُزِقُوا السَّعَادَةَ فِي أَشْيَاءَ لَمْ
 يَأْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ تَأْهِمَاتِهِمْ . عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْقَضَاءِ . أَبُو عَبِيدَةَ فِي الْأَمَانَةِ . أَبُو ذَرِيٍّ صَدَقَ
 النَّهْجَةَ . أَبِي بِنِ كَمَبٍ فِي الْقُرْآنِ . زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الْفَرَائِضِ . ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .
 الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي التَّذْكَيرِ . وَهَبُ بْنُ مُنْبَجٍ فِي الْقِصَصِ . ابْنُ سِيرِينَ فِي التَّعْبِيرِ . نَافِعُ فِي
 الْقِرَاءَةِ . أَبُو حَنِيفَةَ فِي النِّقَاحِ قِيَاسًا . ابْنُ خَلْقَانَ فِي الْمَغَازِي . مُقَاتِلُ فِي التَّأْوِيلِ . ابْنُ الْكَلَابِيِّ
 الصَّغِيرُ فِي النَّسَبِ . أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي الْأَخْبَارِ . مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ فِي عُلُومِ الْأَثَرِ .
 الْخَلِيلُ فِي الْعَرُوضِ . الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي الْعِبَادَةِ . مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فِي الْعِلْمِ . الشَّافِعِيُّ فِي فِقْهِ
 الْحَدِيثِ . أَبُو عَبِيدَةَ فِي الْغَرِيبِ . عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ فِي عِلَلِ الْحَدِيثِ . يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فِي الرِّجَالِ .
 أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي السُّنَنِ . الْبُخَارِيُّ فِي نَقْدِ الْحَدِيثِ النَّصِيحِ . الْجُنَيْدُ فِي التَّصَوُّفِ . مُحَمَّدُ بْنُ
 تَصْرِ الْمَرْوَزِيِّ فِي الْإِخْتِلَافِ . الْحَبَائِيُّ فِي الْإِعْتِرَالِ . الْأَشْعَرِيُّ فِي الْكَلَامِ . أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ
 فِي الْعَوَالِي . عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي اِرْتِمَالِ النَّاسِ إِلَيْهِ . ابْنُ مَنْدَهَ فِي سَعَةِ الرَّحَلَةِ . أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ فِي
 سُرْعَةِ الْخُطَابَةِ . سَيِّدِيوِيَهَ فِي الْعَوْرِ . أَبُو الْحَسَنِ الْبَكْرِيُّ فِي الْكُذِبِ . أَيَّاسُ فِي التَّفَرُّسِ . عَبْدُ الْحَمِيدِ
 فِي الْكِتَابَةِ . أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَّاسِيُّ فِي عُلُوِّ الصَّمَةِ وَالْحَزْمِ . الْمَوْصِلِيُّ الْتَدِيمُ فِي الْغَنَاءِ . أَبُو الْفَرَجِ

العقق السارق

٣٨٥ حَدَّثَ حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ لِي وَأَنَا صَبِيٌّ
عَقَّقْتُ قَدْ رَيْتُهُ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ سَمِعَهُ . فَسَرَقَ خَاتَمَ يَأْقُوتِ
كَانَ أَبِي وَضَعَهُ عَلَى حَجَرٍ لِيَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَطَلَبَهُ وَضَرَبَ
غُلَامَهُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ . فَبَدْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي
دَارِنَا إِذْ أَبْصَرْتُ الْعُقُقَّ قَدْ نَبَسَ تَرَابًا . فَأَخْرَجَ الْخَاتَمَ مِنْهُ وَلَعِبَ
بِهِ طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ فِيهِ وَدَفَنَهُ . فَأَخَذَتْهُ وَجِئْتُ بِهِ إِلَى أَبِي فَسَرَّ بِذَلِكَ
وَقَالَ يَهْجُو الْعُقُقَّ :

الأصهباني صاحب الأغاني في الحاضرة . أبو معشر في النجوم . الرازي في الطب . الفضل بن
بجي في الجود . جعفر بن بجي في التوقيع . ابن زيدون في سعة العبارة . ابن القرني في البلاغة .
الجاحظ في الأدب وبيان . الحريري في المقامات . البديع العمادي في الحفظ . أبو نواس في
المطايبات والهزل . ابن حجاج في مخلف الألفاظ . الثعالبي في الحكيم والأمثال شعراً . الرُّمَيْشِيُّ
في تعاطي العربية . أنسني في الجدل . جرير في الشجاء الخبيث . حماد الراوية في شعر العرب .
معاوية في الحلم . المؤمنون في حبِّ العفو . عمر بن العاص في الدعاء . الوليد في شرب الخمر .
أبو موسى الأشعري في سلامة الباطن . عطاء السلي في الخوف من الله . ابن البواب في الكتابة .
القاضي الفاضل في الترسل . العماد الكاتب في الجنس . ابن الجوزي في الوعظ . تميم في
الطمع . أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء . ومعرفة وتفسيره . حنين بن إسحاق في ترجمة
اليوناني إلى العربي . ثابت بن قرة في تحذير ما نقل من الرياضي إلى العربي . ابن سينا في الفلاسفة
وعلوم الأوائل . الإمام فخر الدين في الأضلاع على العلوم السيف الأمدي في التقيق . النصار
الطوسي في الجسطي . ابن الهيثم في الرياضي . نجم الدين الكاتب في المنطق . أبو الحسن العمري في
الاطلاع على اللغة . أبو العيينة في الأجوبة المسكينة . مزيد في النحل . القاضي أحمد بن أبي دؤاد
المروزي وحسن القاضي . ابن المعتز في التشبيه . ابن الرومي في التميز . العمري في الشطرنج . أبو
محمد الفارابي في الجمع بين القول والمعقول . أبو الوليد بن رشد في تحفيس كتب الأقدمين
الفلسفية والطبية . يحيى الدين بن عربي في التصوف (لبياء الدين)

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَائِرٍ فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعُثْقِ
 طَوِيلُ الذَّنَابِي قَصِيرُ الْجَنَاحِ مَتَى مَا يَجِدُ غَفْلَةً يَسْرِقُ
 يُقَلِّبُ عَيْنَهُ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهَا قَطْرَتَا زَيْتٍ
 (الافغاني)

قصة اصحاب الكهف (٢٥١)

٣٨٦ كَانَ لِلرُّومِ مَلِكٌ اسْمُهُ دِقْيَانُوسُ (دِسْيُوس) وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
 وَيَذْبَحُ لِلطَّوَاغِيتِ . وَكَانَ يَنْزِلُ قُرَى الرُّومِ وَلَا يَتْرِكُ فِيهَا أَحَدًا مُؤْمِنًا
 إِلَّا قَتَلَهُ حَتَّى يَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . فَنَزَلَ يَوْمًا مَدِينَةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَهِيَ
 أَسُوسُ وَكَانَ فِيهَا بَقَايَا عَلَى دِينِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ . فَهَرَبَ
 مِنْهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ . وَكَانَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ اتَّخَذَ شُرْطَةً مِنَ الْكُفَّارِ
 مِنْ أَهْلِهَا يَتَّبِعُونَ أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي أَمَاكِنِهِمْ . فَمَنْ وَقَعَ بِهِ الْمَلِكُ خَيْرُهُ
 بَيْنَ الْقَتْلِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْغَبُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِي فَيُقْتَلُ .
 ثُمَّ أَمَرَ بِأَجْسَادِهِمْ أَنْ تُلْقَى عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ
 فَأَتَّفَقَ أَنْ سَبْعَةَ فِتْيَانٍ مِنْ أَوْلَادِ الْبَطَارِقَةِ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ
 خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ لِيَنْظُرُوا إِلَى الْمُعَذِّبِينَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ . فَفَتَحَ اللَّهُ
 أَبْصَارَهُمْ فَكَانُوا يَرَوْنَ الرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ هَبَطَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ
 السَّمَاءِ وَعَرَجُوا بِرُوحِهِ فَأَمَنُوا . فَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ : رَبَّنَا
 رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِهِ لِمَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا .
 اللَّهُمَّ اكْشِفْ عَنَّا عِبَادَتَكَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ وَأَدْفَعْ الْبَلَاءَ وَالنَّعَمَ عَنَّا

الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ . فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِذْ أَدْرَكَهُمُ الشُّرَطَةُ وَكَانُوا قَدْ
 دَخَلُوا فِي مِصْرَ لَمْ يَجِدُوهُمْ سَجِدُوا عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ يَسْكُونَ
 وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمَّا عَثَرَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ قَالَ لَهُمْ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ
 تَعْبُدُوا آيَمَتَنَا فَأَخْتَارُوا إِمَامًا أَنْ تَذْبُجُوا إِلَّا لِهَيْتَنَا وَإِمَامًا أَنْ أَقْتُلَكُمْ . فَقَالَ
 مَكْسَلُمِينَا وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ : إِنْ لَنَا إِلَهًا مَلَأَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَظَمَتُهُ
 أَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا . أَمَا الطَّوَاغِيتُ وَعِبَادَتُهَا فَلَنْ نَعْبُدَهَا أَبَدًا
 فَأَصْنَعُ مَا بَدَأَكَ . فَلَمَّا قَالَ ذَٰلِكَ أَمَرَ الْمَلِكُ فَنَزَعَ مِنْهُمْ الْمُبُوسَ الَّذِي
 كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ بُيُوسِ عُظَمَائِهِمْ وَقَالَ : إِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَإِنِّي
 سَأُخْرِجُكُمْ وَأُفْرِغُ لَكُمْ وَأُنْحِرُكُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ . وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ
 أَجْعَلَ ذَٰلِكَ إِلَّا أَنِّي أَرَأَيْتُمْ شَبَابًا حَدِيثَةً أَسْنَانَكُمْ . فَلَا أُحِبُّ أَنْ
 أَهْلِكَكُمْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلًا تَتَذَكَّرُونَ فِيهِ وَتُرَاجِعُونَ عُقُوبَتَكُمْ ثُمَّ
 أَمَرَ بِهِمْ فَأَخْرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ . وَأَنْطَلَقَ دَقِيَانُوسُ إِلَى مَدِينَةٍ سِوَى
 مَدِينَتِهِمْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ

فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ أَنَّ دَقِيَانُوسَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَتِهِمْ أَتَمَرُوا أَنْ يَأْخُذَ
 كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَتَصَدَّقُوا مِنْهَا ثُمَّ يَتَرَوَدُوا بِمَا
 بَقِيَ . ثُمَّ يَنْطَلِقُوا إِلَى كَهْفٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَمْكُثُونَ فِيهِ وَيَعْبُدُونَ
 اللَّهَ تَعَالَى . حَتَّى إِذَا جَاءَ دَقِيَانُوسُ أَتَوْهُ فَتَأَمَّرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهِمْ
 مَا شَاءَ . فَلَمَّا جَنَّبَهُمُ اللَّيْلُ خَرَجُوا إِلَى الْجَبَلِ وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُمْ إِلَى فَتَى
 مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ تَمْلِيحًا . فَكَانَ يَبْتَاعُ لَهُمْ طَعَامَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ

مِنْ أَجْلِهِمْ وَأَجْلَدِهِمْ . وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ لَيْسَ ثِيَابَ الْمَسَاكِينِ
 وَاشْتَرَى طَعَامَهُمْ وَتَجَسَّسَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ . فَلَمَّ شِئُوا كَذَلِكَ زَمَانًا . ثُمَّ
 أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْمَلِكَ يَطْلُبُهُمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ
 يَتَحَدَّثُونَ وَيَتَدَارَسُونَ إِذْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ . فَوَقَفَ
 الْمَلِكُ عَلَى أَمْرِهِمْ فَأَلْقَى إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْكَهْفِ فَيَسُدَّ عَلَيْهِمْ
 حَتَّى يَمُوتُوا جُوعًا وَعَطْشًا . وَقَد تَوَقَّى اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ وَقَاةَ النَّوْمِ . ثُمَّ عَمَدَ
 رَجُلَانِ مُؤْمِنَانِ كَانَا فِي بَيْتِ الْمَلِكِ وَكَتَبَا شَأْنَ النَّبِيِّ وَأَسْمَاءَهُمْ
 وَأَنْسَابَهُمْ فِي رَقِيمٍ . وَجَعَلَاهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نُحَاسٍ وَجَعَلَاهُ فِي
 الْبَلْيَانِ . وَنَامُوا ثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَزْدَادُوا تَسْعًا وَأَفْتَقَدَهُمُ الْمَلِكُ . قَالَ
 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَلَكَ أَهْلَ تِلْكَ الْبِلَادِ رَجُلٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ
 تَاوَدُوسِيُوسُ . وَتَحَزَّبَ النَّاسُ فِي مَلِكِهِ أَحْزَابًا فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَيَعْلَمُ أَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْذِبُ . فَحَزَنَ حَزْنًا شَدِيدًا لِمَا رَأَى
 أَهْلَ الْبَاطِلِ يَزِيدُونَ وَيُظْهِرُونَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ . وَيَقُولُونَ : لَا حَيَاةَ
 إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . وَإِنَّمَا تُبْعَثُ الْأَرْوَاحُ وَلَا تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ
 ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَانَ الرَّحِيمَ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ النَّبِيَّةَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ شَأْنَهُمْ . وَيَجْعَلُهُمْ آيَةً لِيَعْلَمُوا بِهَا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا
 رَيْبَ فِيهَا . فَأَلْقَى اللَّهُ فِي نَفْسِ رَجُلٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَنْ يَبْنِيَ فِيهِ
 حَظِيرَةً لِنَفْسِهِ . فَاسْتَأْجَرَ عَامِلَيْنِ فَجَعَلَ لِيَنْزِعَانَ تِلْكَ الْأَخْجَارَ وَيَبْنِيَانِ
 بِهَا تِلْكَ الْحَظِيرَةَ . حَتَّى فَرَّغَ مَا عَلَى فَمِ الْكَهْفِ . فَلَمَّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ

الْبَابِ أذنَ اللهُ ذُو الْقُدْرَةِ وَالْعِظْمَةِ وَالسُّلْطَانِ مُجِى الْمَوْتَى أَنْ يَهُومَ
 الْقَتِيَّةَ . فَجَلَسُوا فَرِحِينَ مُسْتَبَشِرَةً وَجُوهَهُمْ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ . فَسَلِمَ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . حَتَّى كَانُوا اسْتَيْقَظُوا مِنْ سَاعَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
 يَسْتَيْقِظُونَ فِيهَا إِذَا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمُ الَّتِي يَسْتَيْتُونَ فِيهَا . ثُمَّ قَامُوا إِلَى
 الصَّلَاةِ فَصَلُّوا كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لَا يَرَى فِي وَجُوهِهِمْ وَلَا فِي أَبْشَارِهِمْ
 وَلَا أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ يَكْرَهُونَهُ . إِنَّمَا هُمْ كَهَيْئَتِهِمْ حِينَ رَقَدُوا . وَهُمْ يَرُونَ
 أَنَّ مَلَكَهُمْ دَقِيَانُوسَ الْجَبَّارِ فِي طَلَبِهِمْ . فَلَمَّا قَضَوْا صَلَاتَهُمْ قَالَ لَهُمْ
 مَكْسَلُمِينَا : يَا إِخْوَانَاهُ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوا اللَّهَ فَلَا تَكْفُرُوا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
 إِذَا دَعَاكُمْ غَدَا . ثُمَّ قَالَ تَمَلِّجْنَا : انْطَلِقْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَاسْتَمِعْ مَا يَقُولُهُ
 النَّاسُ فِي شَأْنِنَا . فَتَلَطَّفَ وَلَا تُشْعِرَنَّ بِنَا أَحَدًا وَأَتَّبِعْ لَنَا طَعَامًا وَأَتَنَا
 بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَالَ الْجُوعَ . فَأَخَذَ تَمَلِّجْنَا الثِّيَابَ الَّتِي كَانَ يَتَّكِرُ فِيهَا وَأَخَذَ
 وَرَقًا مِنْ نَفَقَتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمُ الَّتِي ضَرَبَتْ بِطَاعِ دَقِيَانُوسَ .
 فَانْطَلَقَ تَمَلِّجْنَا خَارِجًا فَلَمَّا مَرَّ بِبَابِ الْكُهْفِ رَأَى الْحِجَارَةَ مَنْزُوعَةً عَنِ
 بَابِ الْكُهْفِ . فَعَجِبَ مِنْهَا ثُمَّ مَرَّ قَائِمٌ بِبَابِهَا . حَتَّى أَتَى بَابَ الْمَدِينَةِ
 مُسْتَخْفِيًا يَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ تَخَوُّفًا مِنْ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا فَيَعْرِفَهُ
 فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى دَقِيَانُوسَ الْجَبَّارِ . وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ دَقِيَانُوسَ وَأَهْلَهُ قَدْ
 هَلَكُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مِائَةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا رَأَى تَمَلِّجْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ رَفَعَ رَأْسَهُ
 فَرَأَى نَوْقَ ظَهْرِ الْبَابِ عَلَامَةً تَكُونُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَجِبَ
 وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْتَخْفِيًا . فَظَرَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرِ أَحَدًا مِنْ يَمِينِهِ .

ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ الْبَابَ وَتَحَوَّلَ إِلَى بَابٍ آخَرَ مِنْ أَبْوَابِهَا فَرَأَى مِثْلَ ذَلِكَ.
فَجَعَلَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَدِينَةَ لَيْسَتْ بِالَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا . وَرَأَى نَاسًا
كَثِيرِينَ مُحَدِّثِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ . فَجَعَلَ يَمِثِّي وَيَتَعَجَّبُ
مِنْهُمْ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَيْرَانٌ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي
أَتَى مِنْهُ . فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ وَمِنْ نَفْسِهِ وَيُخَيَّلُ وَيَتَوَلَّى : يَا لَيْتَ شِعْرِي
أَمَا هَذِهِ عَشِيَّةُ أُمِّسَ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يُحْتَوُونَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ وَيَسْتَحْفُونَ
بِهَا . فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ لِعَلِيٍّ حَالِمٌ . ثُمَّ بَدَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَائِمٍ فَأَخَذَ
كِسَاءَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ

ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَمِثِّي بَيْنَ ظَهْرَانِي سَوْقَهَا فَيَسْمَعُ نَاسًا
كَثِيرِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ . ثُمَّ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ . فزَادَهُ عَجَبًا وَرَأَى أَنَّ
حَيْرَانٌ . فَقَامَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى جِدَارٍ مِنْ جُدْرَانِ الْمَدِينَةِ وَيَتَوَلَّى فِي
نَفْسِهِ : مَا أَدْرِي مَا هَذَا أَمَّا عَشِيَّةُ أُمِّسَ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
إِنْسَانٌ يَذْكُرُ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ الْإِقْتِلَ . وَأَمَّا الْغَدَاةُ فَأَسْمَعُ كَلِمَاتٍ إِنْسَانٍ
يَذْكُرُ أَمْرَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ وَلَا يَخَافُ . ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ : أَعَلَّ هَذِهِ
لَيْسَتْ الْمَدِينَةُ الَّتِي أَعْرِفُهَا أَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِهَا وَلَا أَعْرِفُ أَحَدًا مِنْهُمْ .
مَا أَعْلَمُ مَدِينَةً أَقْرَبَ مِنْ مَدِينَتِنَا ثُمَّ قَامَ كَالْحَيْرَانِ لَا يَتَوَجَّهُ وَجْهًا . ثُمَّ
لَقِيَ فِتًى مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ : يَا فِتَى مَا اسْمُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ :
أَفْسُوسُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَعَلَّ بِي مَسَاءٌ أَوْ أَمْرٌ أَذْهَبَ عَلَيَّ . ثُمَّ إِنَّهُ
أَفَاقَ فَقَالَ : لَوْ عَجَلْتُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يُفْطَنَ بِي لَكَانَ

كَيْسَ بِي . فَدَنَا مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الطَّعَامَ فَأَخْرَجَ الْوَرَقَ الَّتِي كَانَتْ
 مَعَهُ فَأَعْطَاهَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بَعْنِي بِهَذِهِ الْوَرَقِ طَعَامًا .
 فَأَخَذَهَا الرَّجُلُ وَنَظَرَ إِلَى ضَرْبِ الْوَرَقِ وَنَفَسَهَا وَعَجِبَ مِنْهَا . ثُمَّ
 صَرَحَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَارَحُونَهَا بَيْنَهُمْ
 مِنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهَا . ثُمَّ جَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ
 وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَصَابَ كَنْزًا خَيْرًا فِي الْأَرْضِ
 مُنْذُ زَمَانٍ وَدَعَرَ طَوِيلٍ . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ يَتَشَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِهِ فَرَقَ فَرَقًا
 شَدِيدًا وَحَزَنَ حُزْنًا عَظِيمًا . وَجَعَلَ يَرْتَعِدُ وَيَضُنُّ أَنَّهُمْ قَطَنُوا بِهِ
 وَعَرَفُوهُ . وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَحْمَلُوهُ إِلَى مَلِكِهِمْ دَقِيْقَانُوسَ . وَجَعَلَ أَنَاسٌ
 آخَرُونَ يَأْتُوهُ فَيَتَعَرَّفُونَهُ . فَقَالَ لَهُمْ : وَهُوَ شَدِيدُ الْفَرَقِ أَقْضُونِي
 مَا جِئْتُمْ أَخَذْتُمْ وَرَقِي وَإِلَّا فَأَمْسِكُوا طَعَامَكُمْ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . فَقَالُوا
 لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا فِتْيَ وَمَا شَأْنُكَ . إِنَّكَ لَمَقْدٌ وَجَدْتَ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ
 الْأَوَّلِينَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُخْفِيَهُ عَنَّا فَأَنْطَلِقْ مَعَنَا وَشَارِكْنَا فِيهِ يَخْفَى
 عَلَيْكَ مَا وَجَدْتَ . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ نَأْتِي بِكَ السُّلْطَانُ فَاسْلَمَكَ إِلَيْهِ
 فَيَسْتَأْذِنُكَ . فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ عَجِبَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : قَدْ وَقَعْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
 أَحْذَرُ مِنْهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا فِتْيَ إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكْتُمَ شَيْئًا وَجَدْتَهُ وَلَا
 تَتَّظَنُّ فِي نَفْسِكَ أَنْ سَتُخْفِي عَلَيْكَ . فَجَعَلَ تَمَلِّحًا لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ وَمَا
 يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَفَرَّقَ حَتَّى مَا يَحْمِلُ إِلَيْهِمْ جَوَابًا . فَلَمَّا رَأَوْهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَخَذُوا
 كِسَاءَهُ فَطَوَّقُوهُ فِي عُنُقِهِ . ثُمَّ جَعَلُوا يَقُودُونَهُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ مُكْبَلًا

حَتَّى سَمِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ فِيهَا . فَقِيلَ : أَخَذَ رَجُلٌ عِنْدَهُ كَثْرًا . وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ
 أَهْلُ الْمَدِينَةِ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ : مَا هَذَا
 الَّذِي مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَارًا يَنَادُ فِيهَا قَطُّ وَمَا نَعْرِفُهُ . فَجَعَلَ تَمَلِّحًا
 مَا يَدْرِي مَا يَقُولُ لَهُمْ مَعَ مَا تَسْمَعُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
 فَرَّقَ وَسَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّم . وَلَوْ قَالَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُصَدِّقْ .
 وَكَانَ مُسْتَقْنًا أَنْ أَبَادُ وَإِخْوَتُهُ بِالْمَدِينَةِ . وَأَنْ حَسَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
 مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِهَا وَأَنَّهُمْ سَيَأْتُونَهُ إِذَا سَمِعُوا . وَقَدْ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ عَشِيَّةُ
 أَمْسٍ كَانَ يَعْرِفُ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا
 فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ كَالْحَيْرَانَ يَنْتَظِرُ مَنْ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ إِمَّا
 أَبُوهُ أَوْ بَعْضَ إِخْوَتِهِ فَبِخَاصَّةٍ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِذِ اخْتَطَفُوهُ فَأَنْطَلَقُوا بِهِ إِلَى
 رَئِيسِ الْمَدِينَةِ وَمُدَبِّرِهَا الَّذِينَ يُدِيرَانِ أَمْرَهَا . وَهَمَّا رَجُلَانِ صَالِحَانِ
 اسْمُ أَحَدِهِمَا أَرْمُوسُ وَالْآخَرُ إِصْطَفَنُوسُ . فَلَمَّا انْطَلَقَ بِهِ إِلَيْهِمَا كَاطِنًا
 تَمَلِّحًا أَنَّمَا يُنْطَلِقُ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسِ الْجَبَّارِ مَا كَانَهُمُ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ .
 فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَجَعَلَ النَّاسُ يُسَخَّرُونَ بِهِ كَمَا يُسَخَّرُونَ مِنَ
 الْجُنُونِ وَالْحَيْرَانِ . وَجَعَلَ تَمَلِّحًا يَبْكِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :
 اللَّهُمَّ إِلَهَ السَّمَاءِ وَإِلَهَ الْأَرْضِ أَفْرِغْ عَلَيَّ الْيَوْمَ صَبْرًا وَأَوْجِ مَعِيَ رُوحًا
 مِنْكَ تُؤَيِّدُنِي بِهِ عِنْدَ هَذَا الْجَبَّارِ . وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
 فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي يَا لَيْتَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا لَقِيتُ وَأَيْنَ يَذْهَبُ بِي .
 فَلَوْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ فَيَأْتُونِي فَتَقُومُ جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيِ هَذَا الْجَبَّارِ . فَإِنَّا كُنَّا

رَأَيْتُنَا نَكُونَنَّ مَعًا لَا نَكْفُرُ بِاللَّهِ وَلَا نَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ . فَرِقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَلَمْ أَرَهُمْ وَلَمْ يَرُونِي . وَقَدْ كُنَّا تَوَاقِفْنَا أَنْ
لَا نَفْتَرِقَ فِي حَيَاةٍ وَلَا مَوْتٍ أَبَدًا . يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ بِي
أَقَاتِلِي أُمَّ لَا

ثُمَّ أَنْتَهَى بِهِ إِلَى الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحِينَ أَرْمُوسَ وَإِصْطَفُوسَ فَلَمَّا
رَأَى تَمَلِيحًا أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ بِهِ إِلَى دِقْيَانُوسَ أَفَاقَ وَسَكَنَ عَنْهُ الْبُكَاءُ
فَأَخَذَ أَرْمُوسُ وَإِصْطَفُوسُ الْوَرَقَ فَنَظَرَا إِلَيْهَا وَعَجِبَا مِنْهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : أَيْنَ الْكَنْزُ الَّذِي وَجَدْتَهُ يَا قَتِي . فَهَذَا الْوَرَقُ يَشْهَدُ عَلَيْكَ
أَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ كَنْزًا . فَقَالَ لَهُ تَمَلِيحًا : مَا وَجَدْتُ كَنْزًا وَلَكِنْ هَذَا
الْوَرَقُ وَرَقُ آبَائِي وَنَشِئْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ وَضَرِبْتُهَا . وَلَكِنِّي مَا أَدْرِي
مَا أَقُولُ لَكُمْ . قَالَ أَحَدُهُمَا : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ تَمَلِيحًا : أُمَّا مَا أَرَى فَإِنِّي
كُنْتُ أَرَى أَنِّي مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . فَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَبُوكَ وَمَنْ يَعْرِفُكَ
بِهَا . فَأَنْبَأَهُمْ بِأَسْمِ أَبِيهِ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يَعْرِفُهُ وَلَا أَبَاهُ . فَقَالَ لَهُ
أَحَدُهُمَا : أَنْتَ رَجُلٌ كَذَّابٌ لَا تُخْبِرُ بِالْحَقِّ . فَلَمْ يَدِرْ تَمَلِيحًا مَا يَقُولُ
لَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ نَكَسَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ . فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَوْلَهُ : هَذَا
الرَّجُلُ مَجْنُونٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ بِمَجْنُونٍ وَلَكِنَّهُ يُحِمُّ نَفْسَهُ عَمْدًا
لِكِي يُفْلِتَ مِنْكُمْ . فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمَا وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرًا شَدِيدًا : أَتَظُنُّ أَنَا
رُسُلًاكَ وَنُصَدِّقُكَ أَنَّ هَذَا مَالُ أَبِيكَ . وَنَشِئْتُ هَذِهِ الْوَرَقَ وَضَرِبْتُهَا
أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً . وَأَنْتَ غَلَامٌ شَابٌ تَظُنُّ أَنَّكَ تَأْفِكُنَا وَتَسْخُرُ

بِنَا وَنَحْنُ شَطَطٌ كَمَا تَرَى . وَحَوْلَكَ سَرَاةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَوَلَاةُ أَمْرِهَا
وَخَزَائِنُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ بِأَيْدِينَا . وَإِنِيسَ عِنْدَنَا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ دِرْهَمٌ
وَلَا دِينَارٌ . وَإِنِّي لِأُظَنِّي سَامُرُ بَكَ فَتُضْرَبُ وَتُعَذَّبُ عَذَابًا شَدِيدًا
ثُمَّ أُوثِقَ حَتَّى تُقَرَّبَ بِهَذَا الْكَنْزِ الَّذِي وَجَدْتَ . فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ
لَهُ تَمَانِيخًا : أَنْبِئُونِي عَنْ شَيْءٍ أَسَأَ لَكُمْ عَنْهُ فَإِنِ فَعَلْتُمْ صَدَقْتُمْكُمْ مَا
عِنْدِي . قَالُوا : سَلْ لَا نَكْتُمُكَ شَيْئًا . قَالَ : فَمَا فَعَلَ الْمَلِكُ دِقْيَانُوسُ ؟
فَقَالُوا لَهُ : لَيْسَ نَدْرِفُ الْيَوْمَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَلِكًا يُسَمَّى دِقْيَانُوسَ .
وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مَلِكًا قَدْ هَلَكَ مُنْذُ زَمَانٍ وَدَهْرٍ طَوِيلٍ وَفَدَّهَا كَتَّ بَعْدَهُ
قُرُونٌ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُمْ تَمَانِيخًا : فَوَاللَّهِ مَا يُصَدِّقُنِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِمَا
أَقُولُ . لَقَدْ كُنَّا فِتْيَةَ الْمَلِكِ وَإِنَّهُ أَكْرَهْنَا عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالذَّبْحِ
لِلطَّوَانِغِيتِ . فَهَرَبْنَا مِنْهُ عَشِيَّةَ أَمْسٍ فَمَدِينَا . فَلَمَّا أَنْتَبَهْنَا خَرَجْتُ
لِأَشْتَرِي لِأَصْحَابِي طَعَامًا وَأَتَجَسَّسَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ فَإِذَا أَنَا كَمَا تَرَوْنَ .
فَأَنْطَلَقُوا مَعِيَ إِلَى الْكَهْفِ الَّذِي فِي جَبَلِ مَنخَلُوسِ أُرْكُمْ أَصْحَابِي .
فَلَمَّا سَمِعَ أَرْمُوسُ وَإِصْطَظُوسُ مَا يَقُولُ تَمَانِيخًا قَالَا : يَا قَوْمُ أَعَلَّ هَذِهِ
آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا اللَّهُ لَكُمْ عَلَى يَدَيِ هَذَا الْفَتَى .
فَأَنْطَلَقُوا بِنَا مَعَهُ يُرِينَا أَصْحَابَهُ كَمَا قَالَ . فَأَنْطَلَقَ مَعَهُ أَرْمُوسُ وَإِصْطَظُوسُ
وَأَنْطَلَقَ مَعَهُمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ نَحْوَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ
لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ

وَمَا رَأَى الْفِتْيَةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ تَمَانِيخًا قَدْ أُحْتَبَسَ عَنْهُمْ بِطَعَامِهِمْ

وَشَرَّابِهِمْ عَنِ الْقَدَرِ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِيهِ ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ وَذَهَبَ
 بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ الَّذِي هَرَبُوا مِنْهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَظُنُّونَ ذَلِكَ
 وَيَتَخَوَّفُونَهُ إِذْ سَمِعُوا الْأَصْوَاتَ وَجَلَبَةَ الْحَيْلِ مُصْعِدَةً تَحْوِهِمْ . فَظَنُّوا
 أَنَّهُمْ رُسُلُ الْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ لِيُوتِيَ بِهِمْ . فَتَأَمَّلُوا حِينَ سَمِعُوا
 ذَلِكَ إِلَى الصَّلَاةِ وَسَلَّمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَقَالُوا : أَنْطَلِقُوا بِنَا إِلَى
 أَخِينَا تَمَلِيخًا فَإِنَّهُ الْآنَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ دِقْيَانُوسَ يَنْتَظِرُ مَتَى نَأْتِيهِ .
 فَبَيْنَمَا هُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْكَهْفِ فَلَمْ يَرَوْا
 إِلَّا أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ وَقَوْمًا وَقَوْمًا عَلَى بَابِ الْكَهْفِ وَقَدْ سَبَقَهُمْ
 تَمَلِيخًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَبْكِي فَلَمَّا رَأَوْهُ يَبْكِي بَكَوْا مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلُوهُ
 عَنِ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِخَبْرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْمَسْئَلَةَ . فَعَرَفُوا عِنْدَ ذَلِكَ
 أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ذَلِكَ الزَّمَانَ كُلَّهُ . وَإِنَّمَا أَوْقَضُوا
 لِيَكُونُوا آيَةً لِلنَّاسِ وَتَصَدِيقًا لِّلْبَيْتِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا
 رَيْبَ فِيهَا . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أَثْرِ تَمَلِيخًا أَرْمُوسُ فَرَأَى تَابُوتًا مِنْ نُحَاسٍ
 مَخْتُومًا بِخَاتَمٍ مِنْ فِضَّةٍ . فَقَامَ بِبَابِ الْكَهْفِ وَدَعَا رَجُلًا مِنْ عِظَمَاءِ
 أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَفَتَحَ التَّابُوتَ عِنْدَهُمْ . فَوَجَدُوا فِيهِ لَوْحَيْنِ مِنْ رِصَاصٍ
 مَكْتُوبًا فِيهِمَا إِنَّ مَكْسَلَمِينًا وَتَمَلِيخًا وَمَرْتُوكُوشَ وَنَوَالِسَ وَسَانِيُوسَ
 رَبَّطْنِيُوسَ وَكَشْفُوطَ (١) كَانُوا فِتْيَةً هَرَبُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ

(١) وقد ضبط مؤرخو الكنيسة اسماءهم هكذا . كسيبيانوس والكوس ومرتيناوس

وديونيسيوس وبوحنا وسرايون وقسطنطينوس

الْجَبَّارِ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَقِبَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَدَخَلُوا فِي هَذَا الْكَهْفِ . فَلَمَّا أَخْبَرَ
 بِمَكَانِهِمْ أَمْرَ بِهَذَا الْكَهْفِ فَسَدَ عَلَيْهِمْ بِالْحِجَارَةِ . وَإِنَّا كَتَبْنَا شَأْنَهُمْ
 وَخَبَرَهُمْ لِيَعْلَمَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِنْ عَثَرَ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا قَرَأُوهُ عَجِبُوا وَحَمَدُوا
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةَ الْبَعْثِ فِيهِمْ . ثُمَّ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِحَمْدِ
 اللَّهِ وَتَسْبِيحِهِ . ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى الْقَيْتِيَةِ الْكَهْفِ فَوَجَدُوهُمْ جُلُوسًا بَيْنَ
 ظَهْرَانِيهِ وَوُجُوهُهُمْ مُشْرِقَةٌ وَلَمْ تَبَلِّ ثِيَابَهُمْ . فَخَرَّ أَرْمُوسٌ وَأَصْحَابُهُ
 سَجْدًا لِلَّهِ تَعَالَى وَحَمَدُوا اللَّهَ الَّذِي أَرَاهُمْ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ . ثُمَّ كَلَّمَ
 بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَأَنْبَأَهُمُ الْقَيْتِيَةُ عَنِ الَّذِي لَقُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دَقْيَانُوسَ
 الْجَبَّارَ . ثُمَّ إِنَّ أَرْمُوسَ وَأَصْحَابَهُ بَعَثُوا بَرِيدًا إِلَى مَلِكِهِمُ الصَّالِحِ
 تَاوَدُوسِيُوسَ أَنْ عَجَّلَ لَمَلِكٍ تَنْظُرُ إِلَى آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَهَا
 اللَّهُ آيَةً عَلَى مُلْكِكَ . وَجَعَلَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ لِيَكُونَ ذَلِكَ نُورًا وَضِيَاءً
 وَتَصْدِيقًا بِالْبَعْثِ . فَأَعْجَلَ عَلَى فِتْنَةٍ بَعْثَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ قَدْ تَوَفَّاهُمْ مِنْذُ
 أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا أَتَى الْمَلِكُ الْخَبْرَ قَامَ مِنَ السُّدَّةِ الَّتِي
 كَانَ عَلَيْهَا وَذَهَبَ عَنْهُ هَمُّهُ . وَقَالَ : أَحْمَدُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ رَبَّ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْبُدُكَ وَأَسْتَجِبُ لَكَ . تَطَوَّلَتْ عَلَيَّ وَرَحْمَتِي
 بِرَحْمَتِكَ فَلَمْ تُطْفِئِ النُّورَ الَّذِي كُنْتَ جَعَلْتَهُ لِأَبْنَائِي
 فَلَمَّا أَنْبَأَ بِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَكَبُوا إِلَيْهِ وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى صَعَدُوا
 فَخَوْ الْكَهْفِ وَأَتَوْهُ فَلَمَّا رَأَى الْقَيْتِيَةَ تَاوَدُوسِيُوسَ فَرَحُوا بِهِ وَخَرُّوا
 سَجْدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ . وَقَامَ تَاوَدُوسِيُوسَ قَدَامَهُمْ ثُمَّ اعْتَقَهُمْ وَبَكَى .

وَهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ لَيْسَجُونَ اللَّهُ تَعَالَى وَيُحَمِّدُونَهُ .
 ثُمَّ قَالَ الْغَتِيَّةُ إِتَاوَدُو سَيُوسَ : نَسْتَوَدِعُكَ اللَّهُ وَنَهْرًا عَلَيْكَ السَّلَامَ
 حَفِظَكَ اللَّهُ وَمَدَّ مُلْكَكَ وَنُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ .
 فَيُنَادِي الْمَلِكُ قَائِمٌ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فَكَامُوا وَتَوَفَّى اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ .
 وَقَامَ الْمَلِكُ فَجَعَلَ ثِيَابَهُ عَلَيْهِمْ . وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَابُوتٌ مِنْ
 ذَهَبٍ . فَلَمَّا أَمْسَوْا وَنَامَ أَتَوْهُ فِي الْمَنَامِ وَقَالُوا : إِنَّا لَمُ نُنْحَاقُ مِنْ
 ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ وَلَكِنَّا خُلِقْنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ نَصِيرُ . فَأَثَرُكُنَا
 كَمَا كُنَّا فِي الْكُهْفِ عَلَى التُّرَابِ حَتَّى يَبْعَثَنَا اللَّهُ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ حِينَئِذٍ
 بِتَابُوتٍ مِنْ سَاجٍ فَجَعَلُوا فِيهِ . وَحَجَّجَهُمُ اللَّهُ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ
 بِالرُّعْبِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ . وَأَمَرَ الْمَلِكُ فَجَعَلَ عَلَى بَابِ
 الْكُهْفِ مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ . وَجَعَلَ لَهُمْ عِيدًا عَظِيمًا (للدّهيري)

الباب الثاني عشر

في الأسفار

مدح السفر

٣٨٧ السَّفَرُ أَحَدُ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ الَّتِي بِهَا قِيَامُهُ وَنِظَامُهُ لِأَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ نَافِعَ الدُّنْيَا فِي أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَهَا وَأَحْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ .
 وَمِنْ فَضْلِهِ أَنْ صَاحِبَهَا يَرَى مِنْ عَجَائِبِ الْأَمْصَارِ . وَبِدَائِعِ الْأَقْطَارِ .

وَمَحَاسِنِ الْأَثَارِ . مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا . وَيُفِيدُهُ فَهْمًا . بَهْدَرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ .
 وَيَدْعُوهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ . وَيَسْمَعُ الْعَجَائِبَ . وَيَكْسِبُ التَّجَارِبَ .
 وَيَفْتَحُ الْمَذَاهِبَ . وَيَجْلِبُ الْمَكَاسِبَ . وَيَشُدُّ الْأَبْدَانَ . وَيُنَشِّطُ
 الْكَسْلَانَ . وَيَسْلِي الْأَحْزَانَ . وَيَطْرُدُ الْأَسْقَامَ . وَيُشْعِي الطَّعَامَ .
 وَيَحِطُّ سُورَةَ الْكِبَرِ . وَيَبِثُّ عَلَى طَلَبِ الذِّكْرِ . وَقَالَ حَاتِمُ طَبِئٍ :
 إِذَا لَزِمَ النَّاسَ الْبُيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عُمَاءً عَنِ الْأَخْبَارِ خُرِقَ الْمَكَاسِبِ
 ٣٨٨ وَفِي الْمُنْبَهَجِ : مَنْ آثَرَ السَّفَرَ عَلَى الْقُعُودِ . فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَعُودَ
 مُورِقَ الْعُودِ . وَرَبَّمَا سَفَرَ السَّفَرَ عَنِ الظَّنْفَرِ . وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ
 الْوَطْرِ . وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَلْبٌ جَوَالٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ (لِلْمُقَدِّسِيِّ)
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

تَغْرَبُ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
 تَفْرَجُ هَمَّ وَأَكْتَسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَأَذَابٌ وَصُحْبَةٌ مَا جِدِ
 فَإِنْ قِيلَ فِي الْأَسْفَارِ ذَلٌّ وَمِحْنَةٌ وَقَطَعَ الْفِيَّافِي وَأَرْتَكَابُ الشَّدَائِدِ
 فَمَوْتُ الْقَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ مَقَامِهِ بَدَارِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدِ
 ٣٨٩ قَالَ الْمُتَأَمُّونُ : لَا شَيْءَ الَّذِي مِنَ السَّفَرِ فِي كِفَايَةٍ لِأَنَّكَ تَحُلُّ
 كُلَّ يَوْمٍ فِي مَحَاقِمٍ لَمْ تَحَلَّهَا وَتُعَاشِرُ قَوْمًا لَمْ تُعَاشِرْهُمْ . وَفِي كِتَابِ
 الْهِنْدِ : مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَابَ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 لَا يَمْنَعُكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَاةٍ مِنْ أَنْ تُبَدِّلَ أَوْطَانًا بِأَوْطَانِ
 تَأْتِي بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ

وَقَالَ أَيْضًا:

رَبِّادُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فَضَاءٌ وَرَزَقُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا فَسِيحٌ
فَقُلْ لِلْقَاعِدِينَ عَلَى هَوَانٍ إِذَا ضَاقَتْ بِكُمْ أَرْضٌ فَسِيحُوا
قَالَ غَيْرُهُ:

أَشَدُّ مِنْ فَاقَةِ الزَّمَانِ مَقَامٌ حُرٌّ عَلَى هَوَانٍ
فَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَأَسْتَعِينَهُ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَعَانٍ
وَإِنْ نَبَا مَنْزِلُ بَجْرٍ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
قَالَ آخَرُ:

سَافِرٌ تَجِدُ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ
وَأَنْصَبُ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي لُبٍّ وَذِي أَدَبٍ
مَعْرَةٌ فَأَتْرُكُ الْأَوْطَانَ وَأَعْتَرِبُ
إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ
فَإِنْ جَرَى طَابَ أَوْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبْ
وَالْبَدْرُ لَوْلَا أَفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرْتُ
إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ مَرَّتَيْبِ
وَالْأَسَدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا قَقَصَتْ
وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يَصِبْ
وَالتَّبْرُ كَالتُّرْبِ مُلِقِي فِي أَمَاكِنِهِ

وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْخَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطَابَهُ
وَإِنْ أَقَامَ فَلَا يَعْلُو إِلَى رَبِّ

٣٩٠ أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ وَقَدْ أَرَادَ سَفْرًا فَقَالَ : إِنَّكَ
تَدْخُلُ بِلَدَا لَا تَعْرِفُهُ وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهُ فَمَتَّمَسَّكَ بِوَصِيَّتِي تَنْفِقُ بِهَا فِيهِ .
عَلَيْكَ بِنِظَافَةِ الْبِرِّ فَإِنَّهَا تَنْبِي عَنْ النَّسْءِ فِي النِّعْمَةِ . وَالْأَدَبِ
الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يَكْسِبُ الْمَحَبَّةَ . وَلَيْكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَوْلُكَ دُونَ
فِعْلِكَ وَلِبَاسُكَ دُونَ قَدْرِكَ . وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنْفَةَ فَإِنَّكَ إِنْ
اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْقِظَازَةِ اجْتَنَبْتَ الْحَسَاسَةَ . وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْعَلِيَّةِ
لَمْ يَتَقَدَّمَكَ تَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

لَنْ تَنْقَلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتَ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنِ أَسْفَارٍ
فَأَلْجُرُحُ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ تَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارٍ

٣٩١ أَوْصَتْ أَعْرَابِيَّةٌ أَبْنَاهَا فِي سَفَرٍ فَقَالَتْ : يَا بَنِيَّ إِنَّكَ تُجَاوِرُ

الْأَعْرَابَ . وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ . وَأَعْلَاكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ . فَخَالَطِ

النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبَشْرِ . وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ . وَمِثْلُ بِنْفْسِكَ

مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَأَعْمَلْ بِهِ . وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ

فَاجْتَنِبْهُ . فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ

(للقيرواني)

ذم السفر

٣٩٢ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْغَرِيبُ كَالْغَرَسِ الَّذِي زَايَلَ أَرْضَهُ

وَفَقَدَ شُرْبَهُ فَهُوَ ذَاوٍ لَا يُزْهَرُ . وَذَابِلٌ لَا يُثْمِرُ . وَيُقَالُ : الْغَرِيبُ
كَالْوَحْشِ النَّائِي عَنْ وَطْنِهِ فَهُوَ أَكَلِ رَامٍ رَمِيَّةٌ وَلِكُلِّ سَبْعِ فَرِيَسَةٍ .
وَقَالَ آخَرُ : الْغَرِيبُ كَالْيَتِيمِ الْفَطِيمِ الَّذِي تَكِلُ أَبُوَيْهِ فَلَا أُمَّ تَرَامُهُ
وَلَا أَبَ يَرَأْفُ بِهِ . وَيُقَالُ : عُسْرَكَ فِي بَلَدِكَ خَيْرٌ مِنْ يُسْرِكَ فِي
غُرْبَتِكَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَفْسُ وَيْحَكَ فِي التَّغْرِبِ ذِلَّةٌ فَتَجَرَّعِي كَأْسَ الْأَذَى وَهَوَانَ
وَإِذَا تَرَاتَ بَدَارَ قَوْمٍ دَارِهِمْ فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ الْأَوْطَانِ
قَالَ الطَّرِيفِيُّ :

أَرَى وَطَنِي كَعُشِّ لِي وَكِنٍ أَسَافِرُ عَنْهُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وَلَوْلَا أَنَّ كَسْبَ الْقُوْتِ قَرُضٌ لَمَا بَرِحَ الْفِرَاحُ مِنَ الْعِمَاشِ
(للمقدسي)

سفر ابن بطرطة الى القسطنطينية (١٣٣٤)

٣٩٣ رَغِبَتِ الْخَنَاتُونُ بِيْلُونَ ابْنَةَ مَلِكِ الرُّومِ مِنَ السُّلْطَانِ أُوزُبَكَ
زَوْجَهَا أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا . فَسَافَرْنَا فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَوَالٍ فِي
صُحْبَةِ الْخَنَاتُونِ بِيْلُونَ وَتَحْتَ حُرْمَتِهَا . وَرَحَلَ السُّلْطَانُ فِي تَشْيِيعِهَا
مَرِحَلَةً وَرَجَعَ هُوَ وَالْمَلِكَةُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ . وَسَافَرَ سَائِرُ الْخَوَاتِينِ فِي
صُحْبَتِهَا مَرِحَلَةً ثَانِيَةً ثُمَّ رَجَعْنَ . وَسَافَرَ صُحْبَتِهَا الْأَمِيرُ بِيْدْرَةَ فِي خَمْسَةِ
آلَافٍ مِنْ عَسَاكِرِهِ . وَكَانَ عَسَاكِرُ الْخَنَاتُونِ نَحْوَ خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ .
مِنْهُمْ خُدَامُهَا مِنَ الْمَمَالِكِ وَالرُّومِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَالْبَاقُونَ مِنَ التُّرْكِ .

وَكَانَ مَعَهَا مِنَ الْجَوَارِي نَحْوُ مِائَتَيْنِ . أَكْثَرُهُنَّ رُومِيَّاتٌ وَكَانَ لَهَا مِنَ
 الْعَرَبَاتِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ عَرَبَةٍ وَنَحْوُ أَلْفِي فَرَسٍ لِحَرْبِهَا وَاللُّرُكُوبِ .
 وَكَانَ مَعَهَا مِنْ الْفَتَيَانِ الرُّومِيِّينَ عَشْرَةٌ وَمِنْ الْهِنْدِيِّينَ مِثْلَهُمْ
 وَقَائِدُهُمُ الْأَكْبَرُ يُسَمَّى بِسُنْبُلِ الْهِنْدِيِّ وَقَائِدُ الرُّومِيِّينَ يُسَمَّى
 بِمِخَائِيلَ . وَيَقُولُ لَهُ الْأَتْرَاكُ لَوْلَوْ أَنَّهُ وَهُوَ مِنْ أَشْجَمَانَ الْكِبَارِ . وَتَرَكَتْ
 أَكْثَرَ جَوَارِيهَا وَأَثْمَانَهَا بِمَجَلَّةِ السُّلْطَانِ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَوَجَّهَتْ بِرِسْمِ
 الزِّيَارَةِ . وَتَوَجَّهْنَا إِلَى مَدِينَةِ أَكَّ وَهِيَ مَدِينَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ حَسَنَةُ الْعِمَارَةِ
 كَثِيرَةُ الْخَيْرَاتِ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ . وَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 جِبَالُ الرُّوسِ . وَهُمْ شَعْرُ الشُّعُورِ زُرْقُ الْعِيُونِ قَبَاحُ الصُّورِ أَهْلُ غَدْرِ
 وَعِنْدَهُمْ مَعَادِنُ الْفِضَّةِ وَمِنْ بِلَادِهِمْ يُؤْتَى بِسَبَائِكِ الْفِضَّةِ أَتَى بِهَا
 يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فِي هَذِهِ الْبِلَادِ وَوَزْنُ السَّبِيكَةِ مِنْهَا خَمْسُ أَوْاقٍ
 ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ عَشْرِ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى مَدِينَةِ سَرْدَاقِ وَهِيَ
 عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَمَرَسَاهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَرَاثِي وَأَحْسَنِهَا . وَبِخَارِجِهَا
 الْأَسَاتِينُ وَالْمِيَادُ وَيَنْزِلُهَا التُّرْكُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الرُّومِ تَحْتَ ذِمَّتِهِمْ .
 وَهُمْ أَهْلُ الصَّنَائِعِ وَأَكْثَرُ بُيُوتِهَا خَشَبٌ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ كَبِيرَةً
 فَحَرِبَ مُعْظَمُهَا بِسَبَبِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ الرُّومِ وَالتُّرْكِ . وَكَانَتْ الضِّيَاقَةُ
 تُحْمَلُ إِلَى الْخَاتُونِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ مِنَ الْحَيْلِ وَالنَّعْمِ
 وَالْبَقْرِ وَاللَّبَانِ الْبَقْرِ وَالنَّعْمِ . وَالسَّفَرُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مُضْحِيٌّ وَمُشْيٌ .
 وَكُلُّ أَمِيرٍ بِتِلْكَ الْبِلَادِ يَصْحَبُ الْخَاتُونَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى آخِرِ حَدِّ بِلَادِهِ

تَعْظِيمًا لَهَا لِأَخْوَفِهَا. لِأَنَّ تِلْكَ الْبِلَادَ آمِنَةً. ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى الْبَلَدَةِ
 الْمَعْرُوفَةِ بِاسْمِ سَطُوقٍ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوَّلِ عِمَالَةِ الرُّومِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا
 فِي بَرِّيَّةٍ غَيْرِ مَعْمُورَةٍ. مِنْهَا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَأْتِ بِهَا يَتْرُودٌ لَهَا أَمَّا وَنَحْنُ فِي
 الرُّوَايَا وَالْقُرْبِ عَلَى الْعَرَبَاتِ. وَكَانَ دُخُولُنَا إِلَيْهَا فِي أَيَّامِ الْبَرْدِ فِي
 مُتَّصِفِ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمْ نَخْتَجْ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَمَّا. وَرَحَلْنَا فِي هَذِهِ
 الْبَرِّيَّةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا مُضْحَى وَمُعَشَى. وَمَارَأْنَا إِلَّا خَيْرًا
 ثُمَّ وَصَلْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حِصْنٍ مَهْتُولِي وَهُوَ أَوَّلُ عِمَالَةِ الرُّومِ.
 وَكَانَتِ الرُّومُ قَدْ تَبِعَتْ بِهَدُومِ هَذِهِ الْحَاثُونَ عَلَى بِلَادِهَا فَوْصَالَهَا إِلَى
 هَذَا الْحِصْنِ كَفَالِي نَقُولُهُ الرُّومِيُّ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ وَضِيَاةٍ عَظِيمَةٍ.
 وَجَاءَتِ الْحَوَاتِينُ مِنْ دَارِ أَبِيهَا الْمَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. وَبَيْنَ مَهْتُولِي
 وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَسِيرَةٌ أَثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا إِلَى
 الْخَلِيجِ وَسِتَّةَ مِنْهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَا يُسَافِرُ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ إِلَّا
 بِالْخَيْلِ وَالْبَعَالِ. وَتُتْرَكُ الْعَرَبَاتُ بِهِ لِأَجْلِ الْوَعْرِ وَالْجِبَالِ. وَجَاءَ
 كَفَالِي الْمَذْكُورُ بِنِيَالٍ كَثِيرَةٍ وَبَعَثَتْ إِلَى الْحَاثُونَ سِتَّةَ مِنْهَا. وَأَوْصَتْ
 أَمِيرَ ذَلِكَ الْحِصْنِ بِمَنْ تَرَكَهُ مِنْ أَصْحَابِي رِغَامَانِي مَعَ الْعَرَبَاتِ
 وَالْأَثَالِ فَأَمَرَهُمْ بِدَارِ. وَرَجَعَ الْأَمِيرُ بِيَدْرَةَ بِسَاكِرِهِ وَلَمْ يُسَافِرْ
 مَعَ الْحَاثُونَ إِلَّا نَاسَهَا. ثُمَّ وَصَلْنَا حِصْنَ مَسَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ
 بِسَفْحِ جَبَلٍ عَلَى نَهْرِ زَخَارٍ يُدْعَى لَهُ إِصْطَقِيلِي. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ هَذَا الْحِصْنِ
 إِلَّا آثَارُهُ وَبِحَارِجِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ. ثُمَّ سَرْنَا يَوْمَيْنِ وَوَصَلْنَا إِلَى الْخَلِيجِ

وَعَلَى سَاحِلِهِ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ فَوَجَدْنَا فِيهِ الْمُدَّ . فَأَقَمْنَا حَتَّى كَانَ الْجَزْرُ .
 وَخَضْنَاهُ وَعَرَضْنَاهُ نَحْوَ مِائَتَيْنِ . وَمَشِينَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ فِي رِمَالٍ . وَوَصَلْنَا
 الْحَيَجَ الثَّانِيَ فَخَضْنَاهُ وَعَرَضْنَاهُ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . ثُمَّ مَشِينَا نَحْوَ مِائَتَيْنِ
 فِي حِجَارَةٍ وَرَمَلٍ وَوَصَلْنَا الْحَيَجَ الثَّلَاثَ وَقَدْ ابْتَدَأَ الْمُدُّ . فَتَعَبْنَا فِيهِ
 وَعَرَضْنَاهُ مِيلًا وَاحِدًا . فَعَرَضَ الْحَيَجَ كُلَّهُ مَائِيَّةً وَيَا بَسِيَّةً اثْنَا عَشَرَ مِيلًا .
 وَتَصِيرُ مَاءٌ كُلُّهَا فِي أَيَّامِ الْمَطْرِ فَلَا تُخَاضُ إِلَّا فِي الْقَوَارِبِ . وَعَلَى
 سَاحِلِ هَذَا الْحَيَجِ الثَّلَاثِ مَدِينَةٌ الْفَنِيكَةُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ لَكِنَّمَا حَسَنَةٌ
 مَانِعَةٌ . وَكُنَانِسُهَا وَدِيَارُهَا حَسَانٌ وَالْأَنْهَارُ تَخْرُقُهَا وَالْبَسَاتِينُ تَحْفُهَا
 وَيُدْخِرُهَا الْعُنْبُ وَالْإِجَاصُ وَالْتَفَاحُ وَالسَّفْرَجَلُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى
 الْأُخْرَى . وَأَقَمْنَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثًا وَالْخَاتُونُ فِي قَصْرِ لِأَبِيهَا هُنَالِكَ .
 ثُمَّ قَدِمَ أَخُوهَا شَقِيقُهَا وَأَتَمَّهُ كِفَالِي قَرَّاسُ فِي خَمْسَةِ آلَافِ قَارِسٍ
 شَاكِينٍ فِي السَّلَاحِ . وَمَا أَرَادُوا إِتْمَاءَ الْخَاتُونِ رَكِبَ أَخُوهَا الْمَذْكُورُ قَرَّاسًا
 أَشْبَهَ وَابِسَ ثِيَابًا بِيضًا وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ مِظْلًا مَكْلَلًا بِالْجَوْهَرِ .
 وَجَعَلَ عَلَى يَمِينِهِ خَمْسَةَ مِائَةِ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَهُمْ لِابْسِينَ
 الْبِياضِ أَيْضًا . وَعَلَيْهِمْ مِظَالَاتُ مَرْزُكَشَةُ بِالذَّهَبِ . وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِائَةٌ مِنَ الْمَشَائِينِ وَمِائَةٌ قَارِسٍ قَدْ اسْبَغُوا الدَّرُوعَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَخِيَلِهِمْ .
 وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ قَرَّاسًا مُسْرَجًا مُدْرَعًا عَلَيْهِ شِكَّةُ قَارِسٍ مِنَ
 الْبَيْضَةِ الْجَوْهَرَةِ وَالذَّرْعُ وَالْقَوْسُ وَالسِّيفُ . وَبِيَدِهِ رُمْحٌ فِي طَرَفِ
 رَأْسِهِ رَايَةٌ . وَكَثُرَتْ تِلْكَ الرِّمَاحُ مَكْسُوءَةٌ بِصَفَائِحِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

وَتِلْكَ الْخَيْلُ الْمُقَوَّدَةُ هِيَ مَرَاكِبُ ابْنِ السُّلْطَانِ وَقَسَمَ فُرْسَانَهُ عَلَى
 أَنْفُوجٍ كُلُّ فَوْجٍ فِيهِ مِائَتَا فَارِسٍ . وَهُمْ أَمِيرٌ قَدْ قَدَّمَ أَمَامَهُ عَشْرَةَ مِنْ
 الْفُرْسَانِ شَاكِينَ فِي السَّلَاحِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُودُ فُرْسًا . وَخَلْفَهُ
 عَشْرَةٌ مِنْ الْعَلَامَاتِ مَلَوْنَةٌ بِأَيْدِي عَشْرَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَعَشْرَةٌ
 أَطْبَالٌ يَتَقَدَّمُهَا عَشْرَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَمَعَهُمْ سِتَّةٌ يَضْرِبُونَ الْأَبْوَاقَ
 وَالْأَنْفَارَ وَالصِّرْنَائَاتِ وَهِيَ الْغَيْطَاتُ . وَرَكِبَتِ الْخَاتُونُ فِي مَمَالِكِهَا
 وَجَوَارِيهَا وَفَتَيَانِهَا وَخُدَامِهَا . وَهُمْ نَحْوُ خَمْسِمِائَةٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْحَرِيرِ
 الْمُرْزُكَشَةُ بِالذَّهَبِ الْمُرْصَعَةِ . وَعَلَى الْخَاتُونِ حُلَّةٌ يُقَالُ لَهَا التَّنْسِيجُ
 مُرْصَعَةٌ بِالْجَوْهَرِ . وَعَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مُرْصَعٌ وَفُرْسُهَا مُجَلَّلٌ بِجِلِّ حَرِيرِ
 مُرْزُكَشٍ بِالذَّهَبِ . وَفِي يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ خَلَخُلُ الذَّهَبِ وَفِي عُنُقِهِ
 قَلَانِدٌ مُرْصَعَةٌ . وَعَظْمُ السَّرْجِ مَكْسُودٌ ذَهَبًا مُكَلَّلٌ جَوْهَرًا . وَكَانَ
 التَّمَقَاؤُهُمَا فِي بَسِيطٍ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى نَحْوِ مِيلٍ مِنَ الْبَلَدِ . وَتَرَجَّلَ لَهَا
 أَخُوهَا لِأَنَّهُ أَصْفَرُ سِنًا مِنْهَا وَقَبِلَ رِكَابَهَا وَقَبِلَتْ رَأْسَهُ . وَتَرَجَّلَ الْأَمْرَأَةُ
 وَأَوْلَادُ الْمُلُوكِ وَقَبِلُوا جَمِيعًا رِكَابَهَا وَأَنْصَرَفَتْ مَعَ أَخِيهَا . وَفِي غَدِ ذَلِكَ
 الْيَوْمِ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَا أُثْبِتُ الْآنَ اسْمَهَا
 ذَاتِ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ نَزَانًا بِخَارِجِهَا . وَوَصَلَ أَخُو الْخَاتُونِ وَوَلِيَ الْعَهْدَ فِي
 تَرْتِيبِ عَظِيمٍ وَعَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ مُدَرَّعٍ . وَعَلَى رَأْسِهِ
 تَاجٌ وَعَنْ يَمِينِهِ نَحْوُ عَشْرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَهُمْ . وَقَدْ
 رَتَّبَ فُرْسَانَهُ عَلَى تَرْتِيبِ أَخِيهِ سِوَاكَ إِلَّا أَنَّ الْخَفْلَ أَعْظَمَ وَالْجَمْعَ أَكْثَرَ .

وَتَلَقَّتْ مَعَهُ أُخْتَهُ فِي مِثْلِ زِيَّهَا الْأَوَّلِ وَرَجَّلا جَمِيعًا . وَأَوْتِي بِخِيبَاءِ حَرِيدٍ
 فَدَخَلَا فِيهِ . وَزَلْنَا عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ
 فَلَمَّا كَانَ الْعَدُ خَرَجَ أَهْلُهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَصِبْيَانٍ رُكْبَانًا
 وَمَشَاةً فِي أَحْسَنِ زِيٍّ وَأَجْمَلِ لِبَاسٍ وَضُرِبَتْ عِنْدَ الصُّبْحِ الْأَطْبَالُ
 وَالْأَبْوَابُ وَالْأَنْفَارُ وَرَكِبَتِ الْعَسَاكِرُ . وَخَرَجَ السُّلْطَانُ وَرَوْجَتُهُ أُمَّ
 هَذِهِ الْخَائِتُونَ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ وَالْخَوَاصُّ . وَعَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ رِوَاقٌ يَحْمَلُهُ
 جَمَلَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ وَرِجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ عَصِيٌّ طَوَالٌ فِي أَعْلَى كُلِّ عَصَا
 شِبْهُ كُرَّةٍ مِنْ جِلْدٍ يَرْفَعُونَ بِهَا الرِّوَاقَ . وَفِي وَسَطِ الرِّوَاقِ مِثْلُ الْقُبَّةِ
 يَرْفَعُهَا الْفُرْسَانُ بِالْعَصِيِّ . وَمَا أَقْبَلَ السُّلْطَانُ اخْتَلَطَتِ الْعَسَاكِرُ
 وَكَثُرَ الْعِجَاجُ . وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الدُّخُولِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَلَزِمْتُ أَثْقَالَ
 الْخَائِتُونَ وَأَصْحَابِهَا خَوْفًا عَلَى نَفْسِي . وَذُكِّرَ لِي أَنَّهُمَا قَرِبَتْ مِنْ
 أَبْوَيْهَا تَرَجَّتْ وَقَبَّتِ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا . ثُمَّ قَبَّتْ حَافِرِي
 فَرَسَيْهِمَا . وَفَعَلَ كِبَارُ أَصْحَابِهَا مِثْلَ فِعْلِهَا فِي ذَلِكَ . وَكَانَ دُخُولُنَا عِنْدَ
 الزَّوَالِ أَوْ بَعْدَهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعَظْمَى . وَقَدْ ضَرَبُوا تَوَاقِيدهُمْ
 حَتَّى ارْتَجَّتِ الْأَفَاقُ لِاخْتِلَاطِ أَصْوَاتِهَا . وَمَا وَصَانَا الْبَابَ الْأَوَّلَ مِنْ
 أَبْوَابِ قَصْرِ الْمَلِكِ وَجَدْنَا بِهِ نَحْوَ مِائَةِ رَجُلٍ مَعَهُمْ قَائِدُهُمْ فَوْقَ
 دُكَّانَةٍ وَتَبِعْتَهُمْ يَقُولُونَ : سَرَا كُنُوا سَرَا كُنُوا . وَهَمَّاهُ الْمُسْلِمُونَ
 وَمَنْعُونَا مِنَ الدُّخُولِ . فَقَالَ لَهُمْ أَصْحَابُ الْخَائِتُونَ : إِنَّهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ .
 فَقَالُوا : لَا يَدْخُلُونَ إِلَّا بِالْإِذْنِ . فَأَقَمْنَا بِالْبَابِ وَذَهَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ

الْحَاتُونِ فَبَعَثَ مَنْ أَعْلَمَهَا بِذَلِكَ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيِ وَالِدِهَا . فَذَكَرَتْ
 لَهُ شَأْنَهَا فَامْرَأَةٌ بِدُخُولِنَا وَعَيْنِنَا دَارًا بِمَشْرُوبَةٍ مِنْ دَارِ الْحَاتُونِ . وَكَتَبَ
 لَنَا أَمْرًا بِأَنْ لَا نَعْتَرِضَ حَيْثُ نَذْهَبُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَنُودِي بِذَلِكَ فِي
 الْأَسْوَاقِ . وَأَقَمْنَا بِالْأَدَارِ ثَلَاثًا تَبَعْتُ إِلَيْنَا الضَّيَافَةَ مِنَ الْغَنَمِ وَالْمَاكِهَةِ
 وَالْأَدْرَاهِمِ وَالْفُرُشِ وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ دَخَلْنَا عَلَى السُّلْطَانِ

٣٩٤ (ذِكْرُ سُلْطَانِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ) وَأَسْمُهُ تَكْفُورُ بْنُ السُّلْطَانِ
 جَرَجِيسَ وَأَبُوهُ السُّلْطَانُ جَرَجِيسُ بِمَقِيدِ الْحَيَاةِ لَكِنَّهُ تَزْهَدٌ وَتَرَهَّبَ
 وَأَنْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ فِي الْكَنَائِسِ وَتَرَكَ الْمُلْكَ لَوْلَدِهِ وَسَمَّاهُ . وَفِي
 الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ وَصُولِنَا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ بَعَثَ إِلَيَّ الْحَاتُونُ الَّتِي
 سُمِّيَتْ الْهِنْدِيَّةَ وَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَانِي إِلَى الْقَصْرِ فَحَزَنَّا أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ
 فِي كُلِّ بَابٍ سَقَائِفُ بِهَا رِجَالٌ وَأَسْلِحَتُهُمْ وَقَائِدُهُمْ عَلَى دُكَّانَةٍ
 مَمْرُوشَةٍ . فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى الْبَابِ الْخَامِسِ تَرَكْنِي الَّتِي سُمِّيَتْ وَدَخَلَ
 ثُمَّ أَتَى وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْقَتِيَانِ الرُّومِيِّينَ فَفَتَّشُونِي لِئَلَّا يَكُونَ مَعِيَ
 سِكِّينٌ وَقَالَ لِي الْقَائِدُ : تِلْكَ عَادَةٌ لَهُمْ لَا يُدْرُونَ تَفْتِيشَ كُلِّ مَنْ
 يَدْخُلُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ خَاصٍّ أَوْ عَامٍّ غَرِيبٍ أَوْ بَلَايٍ وَكَذَلِكَ الْقِمْلُ
 بِأَرْضِ الْهِنْدِ . ثُمَّ لَمَّا فَتَّشُونِي قَامَ الْمُوَكَّلُ بِالْبَابِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَفَحَّ
 الْبَابَ وَلَحَظَ بِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ أَمْسَكَ اثْنَانِ بِيَدِي وَاثْنَانِ
 مِنْ وَرَائِي فَدَخَلُوا بِي إِلَى مَشُورٍ كَبِيرٍ . حَيْطَانُهُ بِالْأَسْيَافِ قَدْ نُقِشَ
 فِيهَا صُورُ الْمَخْلُوقَاتِ ثُمَّ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادِ . وَفِي وَسَطِهِ سَاقِيَةٌ مَاءٍ

وَمِنْ جِهَتَيْهَا الْأَشْجَارُ . وَالنَّاسُ واقِفُونَ يَمِينًا وَيَسَارًا سَكُوتًا لَا يَتَكَلَّمُ
 أَحَدٌ مِنْهُمْ . وَفِي وَسْطِ الْمَشُورِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَقُوفٌ اسْتَلَمَنِي أُولَئِكَ
 الْأَرْبَعَةُ إِلَيْهِمْ . فَأَمْسَكُوا بِيَدَيَّ كَمَا فَعَلَ الْآخَرُونَ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ
 فَتَقَدَّمُوا بِي وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَهُودِيًّا . فَقَالَ لِي بِالْعَرَبِيِّ : لَا تَخَفْ فَهَكَذَا
 عَادَتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِالْوَارِدِ . وَأَنَا التَّرْجَمَانُ وَأَصْلِي مِنْ بِلَادِ الشَّامِ .
 فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ اسْتَلَمَ . فَقَالَ : قُلِ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى قُبَّةِ
 عَظِيمَةٍ وَالسُّلْطَانُ عَلِيٌّ سَرِيدهُ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ هَذِهِ الْخَاتُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ .
 وَأَسْفَلَ السَّرِيدهِ الْخَاتُونُ وَإِخْوَتُهَا . وَعَنْ يَمِينِهِ سِتَّةُ رِجَالٍ وَعَنْ يَسَارِهِ
 أَرْبَعَةٌ وَعَلَى رَأْسِهِ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّهُمْ بِالسَّلَاحِ فَأَشَارَ إِلَيَّ قَبْلَ السَّلَامِ
 وَالْوُجُوهُ إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ هَنِيئَةً لِيَسْكُنَ رَوْعِي . فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ثُمَّ
 وَصَلْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ عَلَيْهِ وَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أُجْلِسَ فَلَمْ أَفْعَلْ وَسَأَلَنِي
 عَنِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ وَعَنِ الْعِشْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَعَنِ الْقِمَامَةِ وَعَنْ مَهْدِ
 عِيسَى وَعَنِ بَيْتِ لَحْمٍ وَعَنِ مَدِينَةِ الْحَلِيلِ . ثُمَّ عَنِ دِمَشْقَ وَمِصْرَ
 وَالْعِرَاقِ وَبِلَادِ الرُّومِ فَاجْتَبَتْهُ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَالْيَهُودِيِّ يُتَرَجَّمُ بِيَدِي
 وَيَدُهُ فَاعْتَجَبَهُ كَلَامِي وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ : اكْرُمُوا هَذَا الرَّجُلَ وَأَمْنُوهُ .
 ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ خِطَابَةً وَأَمَرَ لِي بِفَرَسٍ مُسَرَّجٍ مُنْجِمٍ وَمِظْلَةٍ مِنْ أَلْتِي
 يُجْعَلُهَا الْمَلِكُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهِيَ عَلَامَةُ الْأَمَانِ . وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُعِينَنِي
 مَنْ يَرْكَبُ مَعِيَ بِالْمَدِينَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى أَشَاهِدَ عَجَائِبَهَا وَغَرَائِبَهَا
 وَأَذْكُرَهَا فِي بِلَادِي . فَعِينَنِي ذَلِكَ . وَمِنْ الْعَوَائِدِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الَّذِي

يَلْبَسُ خِلْعَةَ الْمَلِكِ وَيَرْكَبُ فَرَسَهُ يُطَافُ بِهِ بِالْأَبْوَاقِ وَالْأَنْفَارِ
وَالْأَطْبَالِ لِيَرَاهُ النَّاسُ لَمَّا يُؤْذُوهُ . فَطَافُوا بِي فِي الْأَسْوَاقِ

٣٩٥ (ذِكْرُ الْمَدِينَةِ) . وَهِيَ مُتَنَاهِيَةٌ فِي الْكَبْرِ مُنْقَسِمَةٌ بِقَسْمَيْنِ بَيْنَهُمَا
نَهْرٌ عَظِيمٌ فِيهِ الْمَدُّ وَالْجَزْرُ . وَكَانَتْ عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ قَنْطَرَةٌ مَدِينَةٌ
فَحَرِبَتْ وَهُوَ الْآنَ يُعْبَرُ فِي الْقَوَارِبِ . وَأَسْمُ هَذَا النَّهْرِ الْأَبْسِي . وَاحِدُ
الْقَسْمَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى أَصْطَنْبُولَ وَهُوَ بِالْعُدُودِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ .
وَفِيهِ سُكْنَى السُّلْطَانَ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ النَّاسِ . وَأَسْوَاقُهُ
وَشَوَارِعُهُ مَفْرُوشَةٌ بِالصُّفَاحِ مُتَّسِعَةٌ . وَأَهْلُ كُلِّ صِنَاعَةٍ عَلَى حِدَةٍ
لَا يُشَارِكُهُمْ سِوَاهُمْ . وَعَلَى كُلِّ سُوقِ أَبْوَابٍ تُسَدُّ عَلَيْهِ بِاللِّدْلِ وَأَكْثَرُ
الصَّنَاعِ وَالْبَاعَةِ بِهَا النِّسَاءُ . وَالْمَدِينَةُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ دَاخِلٍ فِي الْبَحْرِ
نَحْوَ تِسْعَةِ أَمْيَالٍ وَعَرْضُهُ مِثْلُ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ . وَفِي أَعْلَاهُ قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ
وَقَصْرُ السُّلْطَانَ . وَالسُّورُ يُحِيطُ بِهَذَا الْجَبَلِ وَهُوَ مَانِعٌ لِلسَّبِيلِ لِأَحَدٍ
إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ . وَفِيهِ نَحْوُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ قَرْيَةً عَامِرَةً . وَالْكَنِيسَةُ
الْعُظْمَى هِيَ فِي وَسْطِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي
مِنْهَا فَيُسَمَّى الْغَلْطَةَ وَهُوَ بِالْعُدُودِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ النَّهْرِ شَبِيهُ بِرِبَاطِ الْفَتْحِ
فِي قُرْبِهِ مِنَ النَّهْرِ . وَهَذَا الْقِسْمُ خَاصٌّ بِبَنَصَارَى الْإِفْرَنْجِ لِسُكُونِهِ .
وَهُمْ أَصْنَافٌ مِنْهُمْ الْجَنْوِيُّونَ وَالْبِنَادِقَةُ وَأَهْلُ رُومَةَ وَأَهْلُ إِفْرَنْسَةَ
وَحُكْمُهُمْ إِلَى مَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يُقَدِّمُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَتَضَوَّنُهُ
وَيُسَمُّونَهُ الْقَمِصَّ . وَعَلَيْهِمْ وَظِفَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ الْمَلِكِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

وربما استعصوا عليه فيجار بهم حتى يصلح بينهم البابا . وجميعهم أهل
تجارة . ومرسأهم من أعظم المراسي رأيت به نحو مائة جفن من
القراقر وسواها من السفن الكبار . وأما الصغار فلا تحصى كثرة .
وأسواق هذا القسم حسنة يشتهر بها صغير قدر

٣٩٦ (ذكر الكنيسة العظمى) وإنما نذكر خارجها وأما داخلها فأم

أشاهده . وهي تسمى عندهم أيا صوفيا . وهي من أعظم كنائس
الروم وعليها سور يطيف بها فكانها مدينة . وأبوابها ثلاثة تشر بابا .
ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد
دخلته مع والد الملك . وهو شبه مشور مسطح بالرخام وتشبه ساقية
تخرج من الكنيسة . لها حائطان مرتفعان نحو ذراع مضموعان
بالرخام المنقوش بأحسن صنعة . والأشجار منتظمة عن
جهتي الساقية . ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور معرش من
الخشب مرتفع عليه دوالي العنب وفي أسفله الأيسين والرياحين .
وخارج باب هذا المشور قبة خشب كبيرة فيها طابلات خشب
يجلس عليها خدام ذلك الباب . وعن يمين القبة مصاطب وحوانيت
أكثرها من الخشب يجلس بها قضاةهم وكتاب دواوينهم . وفي وسط
تلك الحوانيت قبة خشب يصعد إليها على درج خشب . وفيها كرسي
كبير مطبق بالملف يجلس فوقه قاضيهم . وعن يسار القبة التي على
باب هذا المشور سوق العطارين . والساقية التي ذكرناها تقسم

قَسَمِينَ أَحَدَهُمَا يَمُرُّ بِسُوقِ الْعَطَّارِينَ وَالْآخَرَ يَمُرُّ بِالسُّوقِ حَيْثُ الْقَضَاةُ
 وَالْكِتَابُ . وَعَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ سَقَافٌ مَجْلِسٌ بِهَا خُدَامُهَا الَّذِينَ يَقْمُونَ
 طَرَفَهَا وَيُوقِدُونَ سُرُجَهَا وَيُعَلِّقُونَ أَبْوَابَهَا . وَلَا يَدْعُونَ أَحَدًا يَدْخُلُهَا
 حَتَّى يَسْجُدَ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُمُ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَقِيَّةٌ مِنْ
 الْحَشْبَةِ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا عِيسَى . وَهُوَ عَلَى بَابِ الْكَنِيسَةِ مَجْمُولٌ فِي
 جَعْبَةٍ ذَهَبٍ طُولُهَا ثَمَانُ عَشْرَةَ أَذْرَعًا . وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهَا جَعْبَةً ذَهَبٍ
 مِثْلَهَا حَتَّى صَارَتْ صَلِيبًا . وَهَذَا الْبَابُ مُصَفَّحٌ بِصَفَاحِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ
 وَحَلَقَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَذَكَرَ لِي أَنَّ عَدَدَ مَنْ يَهْدِي الْكَنِيسَةَ
 مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْقَسِيْسِينَ يَنْتَهِي إِلَى مِائَاتٍ . وَأَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ
 الْخَوَارِيزِيِّينَ وَأَنَّ بَدَاخِلَهَا كَنِيسَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ . وَمِنْ عَادَةِ الْمَلِكِ
 وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْتُوا كُلَّ يَوْمٍ صَبَاحًا إِلَى زِيَارَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 ٣٩٧ (ذِكْرُ الْمَانِسْتَارَاتِ بِقُسْطَنْطِينِيَّةِ) وَالْمَانِسْتَارُ عِنْدَهُمْ شِبْهُ
 الزَّاوِيَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ . وَهَذِهِ الْمَانِسْتَارَاتُ بِهَا كَثِيرَةٌ فَمِنْهَا مَانِسْتَارُ
 عَمْرَةَ الْمَلِكِ جَرَجِيسُ . وَمِنْهَا مَانِسْتَارَانِ خَارِجَ الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى عَنْ
 يَمِينِ الدَّاخِلِ إِلَيْهَا وَهِيَ فِي دَاخِلِ بُسْتَانٍ يَشْقُهُمَا نَهْرُ مَاءٍ وَأَحَدُهُمَا
 لِلرِّجَالِ وَالْآخَرُ لِلنِّسَاءِ وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا كَنِيسَةٌ وَيَدُورُ بِهِمَا
 الْبُيُوتُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالْمُتَعَبِّدَاتِ وَقَدْ حِيسَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَحْبَابُ
 الْكِسْمَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَنَفَقَتِهِمْ . وَمِنْهَا مَانِسْتَارَانِ عَنْ يَسَارِ الدَّاخِلِ
 إِلَى الْكَنِيسَةِ الْعُظْمَى عَلَى مِثْلِ هَذَيْنِ الْآخَرَيْنِ وَيُطِيفُ بِهِمَا

بُيُوتٌ . وَأَحَدُهَا يَسْكُنُهُ الْعُمَيَّانُ وَالثَّانِي يَسْكُنُهُ الشُّيُوخُ الَّذِينَ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ الخِدْمَةَ مِمَّنْ بَلَغَ السِّتِينَ أَوْ نَحْوَهَا . وَإِكْلٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ
 كَسَوْتُهُ وَنَفَقْتُهُ مِنْ أَوْقَافٍ مُعَيَّنَةٍ لِذَلِكَ . وَفِي دَاخِلِ كُلِّ مَا نِسْتَارٍ
 مِنْهَا دَوْرَةٌ لِعَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي بَنَاهُ وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ إِذَا بَلَغَ السِّتِينَ
 أَوْ السَّبْعِينَ بَنَى مَا نِسْتَارًا وَابْسَ الْمُسُوحِ وَهِيَ ثِيَابُ الشَّعْرِ وَقَلَدَ وَلَدَهُ
 الْمَلِكُ وَأَشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ حَتَّى يَمُوتَ . وَهَمَّ يَخْتَفِلُونَ فِي بِنَاءِ هَذِهِ
 الْمَانِسْتَارَاتِ وَيَعْمَلُونَ بِالرَّخَامِ وَالْفَسْفَسَاءِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ .
 وَدَخَلْتُ مَعَ الرَّومِيِّ الَّذِي عَيْنَهُ الْمَلِكُ لِلرُّكُوبِ مَعِيَ إِلَى مَا نِسْتَارِ يَشْقَهُ
 نَهْرٌ وَفِيهِ كَنِيسَةٌ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَبْكَارِ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ وَرُؤُوسُهُنَّ مَحْلُوقَةٌ
 فِيهَا قَلَانِيسُ اللَّبَدِ وَعَلَيْهِنَّ أَثَرُ الْعِبَادَةِ . وَقَالَ لِي الرَّومِيُّ : إِنَّ هَؤُلَاءِ
 الْبَنَاتِ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لخدمَةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ . وَدَخَلْتُ
 مَعَهُ إِلَى كِنَائِسٍ فِيهَا الرَّهْبَانُ يَكُونُ فِي الْكَنِيسَةِ مِنْهَا مِائَةٌ رَجُلٌ وَأَكْثَرُ
 وَأَقَلُّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مُتَعَبِدُونَ وَقَسِيْسُونَ وَكِنَائِسَهَا لَا تُحْصَى
 كَثْرَةٌ . وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَغَيْرِهِ صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ يَجْعَلُونَ عَلَى
 رُؤُوسِهِمُ الْمِظَلَّاتِ الْكِبَارَ شِتَاءً وَصَيْفًا . وَالنِّسَاءُ لهنَّ عَمَامٌ كِبَارٌ
 ٣٩٨ (ذَكَرَ الْمَلِكُ الْمُتْرَهَبُ جَرَجِيسَ) وَهَذَا الْمَلِكُ وَلى الْمَلِكِ لِابْنِهِ
 وَأَنْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ وَبَنَى مَا نِسْتَارًا كَمَا ذَكَرْنَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاحِلِهَا .
 وَكُنْتُ يَوْمَ مَعَ الرَّومِيِّ الْمَعِينِ لِلرُّكُوبِ مَعِيَ فَإِذَا بِهَذَا الْمَلِكِ مَا شِئَا عَلَى
 قَدَمَيْهِ . وَعَلَيْهِ الْمُسُوحُ وَعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوتَةٌ لَبَدٌ وَلَهُ حِيَةٌ بَيْضَاءُ طَوِيلَةٌ

وَوَجْهٌ حَسَنٌ عَلَيْهِ أَثَرُ الْعِبَادَةِ وَخَلْفَةٌ وَأَمَامَةٌ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّهْبَانِ وَيَدِيهِ
 عَمَّازٌ وَفِي عُنُقِهِ سُبْحَةٌ . فَلَمَّا رَأَاهُ الرَّومِيُّ نَزَلَ وَقَالَ لِي : أَنْزِلْ فَهَذَا وَالِدُ
 الْمَلِكِ فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ الرَّومِيُّ سَأَلَهُ عَنِّي . ثُمَّ وَقَفَ وَبَعَثَ عَنِّي فَجِئْتُ إِلَيْهِ
 فَأَخَذَ يَدَيَّ وَقَالَ لِذَلِكَ الرَّومِيِّ وَكَانَ يَعْرِفُ اللُّسَانَ الْعَرَبِيَّ : قُلْ
 لِهَذَا السَّرَّاءِ كُنْتُ بَعَثْتُكَ الْمُسْلِمَ أَنَا أَصَاحِبُ الْيَدِ الَّتِي دَخَلَتْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ
 وَالرَّجُلِ الَّتِي مَشَتْ دَاخِلَ الصَّخْرَةِ وَالْكَنِيسَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُسَمَّى
 قِمَامَةَ وَبَيْتَ لَحْمٍ وَجَعَلَ يَدُهُ عَلَى قَدَمِي وَمَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ فَعَجِبْتُ مِنْ
 اعْتِقَادِهِمْ فِيمَنْ دَخَلَ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ يَدَيَّ
 وَمَشَيْتُ مَعَهُ فَسَأَلَنِي عَنِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَمَنْ فِيهِ مِنَ النَّصَارَى وَأَطَالَ
 السُّؤَالَ وَدَخَلَتْ مَعَهُ إِلَى حَرَمِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ آنِفًا . وَلَمَّا قَارَبَ
 الْبَابَ الْأَعْظَمَ خَرَجَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَسْبِيِّينَ وَالرُّهْبَانِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ
 وَهُوَ مِنْ كِبَارِهِمْ فِي الرُّهْبَانِيَّةِ . وَلَمَّا رَأَاهُمْ أَرْسَلَ يَدَيَّ فَقُلْتُ لَهُ أَرِيدُ
 الدُّخُولَ مَعَكَ إِلَى الْكَنِيسَةِ . فَقَالَ لِاتَّجَمَّانِ : قُلْ لَهُ لَا بُدَّ لِدَاخِلِهَا مِنْ
 السُّجُودِ لِلصَّلِيبِ الْأَعْظَمِ فَإِنَّ هَذَا مِمَّا سَلَّمْتَهُ الْأَوَائِلُ وَلَا يُمْكِنُ خِلَافُهُ
 فَتَرَكْتُهُ وَدَخَلَ وَحْدَهُ وَلَمْ أَرَهُ بَعْدَهَا . وَلَمَّا ظَهَرَ لِمَنْ كَانَ فِي صُحْبَةِ
 الْخَائِتُونَ مِنَ الْأَثْرَاكِ أَنَّهَا رَاغِبَةٌ فِي الْمَقَامِ مَعَ أَبِيهَا طَلَبُوا مِنْهَا الْإِذْنَ
 فِي الْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِنْتُ لَهُمْ . وَأَعْطَيْتُهُمْ عَطَاءً جَزِيلًا وَأَجْرَاتٍ
 عَلَى الْعَطَاءِ وَأَوْصَيْتُ بِي أَحَدَ أَمْرَانِيهَا فَوَدَّعْتَهَا وَأَنْصَرَفْتُ . فَكَانَ مُدَّةُ
 مُقَامِي عِنْدَهُمْ شَهْرًا وَسِتَّةَ أَيَّامٍ (تحفة النظائر في عجائب الاسفار)

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ فِي عَجَابِ الْمَخْلُوقَاتِ

في سكان السموات وهم الملائكة

٣٩٩ إعلم أن الملائكة جواهر مقدسة عن ظلمة الشهوة وكدورة
الغضب. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون. طعامهم
التسبيح وشرابهم التقديس. وأنسهم بذكر الله تعالى. وفرحهم بعبادته.
وقال بعض الحكماء: إن لم يكن في فضاء الأفلاك وسعة
السموات خلّاق فكيف يليق بحكمة الباري تعالى تركها فارغة خاوية
مع شرف جواهرها. وإنه لم يترك قعر البحار المظلمة فارغا حتى
خلق فيه أجناس الحيوانات وغيرها. ولم يترك جو الهواء الرقيق
حتى خلق له أنواع الطير تسبح فيه كما تسبح السمك في الماء. ولم
يترك البراري اليابسة والأجام الوحلة والجبال الراسية الصلبة حتى
خلق فيها أجناس السباع والوحوش. ولم يترك ظلمات التراب حتى
خلق فيه أجناس الهوام والحشرات

والملائكة أصناف منهم الكروبيون وهم العاكفون في حضرة
القدس لا أتمت لهم إلى غير الله تعالى لأستغراقهم بجمال الحضرة
الربوبية وجلالها يسبحون الليل والنهار لا يفترون. ومنهم ملائكة
السموات السبع مداومون على التسبيح والتبجيل في القيام والقعود

وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ. وَمِنْهُمْ
 الْمَعْتَبَاتُ . وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالْبَرَكَاتِ وَيَصْعَدُونَ
 بِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ وَأَعْمَالِهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَمِنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُكَلَّمُونَ
 بِالْكَاتِبَاتِ هُمْ مَلَائِكَةُ شَأْنِهِمْ إِصْلَاحُ الْكَاتِبَاتِ وَدَفْعُ الْفَسَادِ عَنْهَا .
 وَقَدْ وَكَّلَ بِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أُمَّرَائِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ

في حقيقة العناصر وطبائعها وترتيبها

٤٠٠ ذهبوا إلى أن العنصر هو الأصل في الموضوعات والمراد منه
 الأجسام التي دون فلك القمر . وتلك الأجسام أمهات والمولدات
 المعادن والنبات والحيوان ويقال للأمهات الأركان . والأركان أربعة
 النار والهواء والماء والأرض . فالنار حارة يابسة موضعها الطبيعي
 تحت الفلك وفوق الهواء . والماء بارد رطب موضعها الطبيعي تحت
 الهواء وفوق الأرض . والأرض باردة يابسة موضعها الطبيعي الوسط
 فصل في فوائد الجبال وعجائبها

٤٠١ أما فائدتها العظمى فما قال بعضهم : لو لم تكن الجبال لكان
 وجه الأرض مستديراً أملس . وكانت مياه البحار تغطيها من جميع
 جهاتها وتمحيط بها إحاطة كرة الهواء بالماء فتبطل الحكمة المودعة
 في المعادن والنبات والحيوان . فاقترضت الحكمة الإلهية وجود
 الجبال لما ذكرنا من الحكمة . وقال بعضهم : إن الجبال سبب
 لوجود الماء العذب السائح على وجه الأرض الذي هو مادة حياة

النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء إنما هو انعماد البخار في الجو أعني السحاب . والجبال الشائخة الطوال على بساط الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً تمنع الرياح أن تسوق البخار بل تجعلها منحصرة بينها حتى يلجمها البرد فتصير مطراً وتلجأ . فلوفرضت الجبال مرتفعة عن وجه الأرض لكانت الأرض كرة لا غور فيها ولا ثوء فالبخار المرتفع لا يبقى في الجو منحصراً إلى وقت يضربه البرد بل يتخلل ويستحيل هواءً فلا يجري الماء على وجه الأرض إلا قدر ما ينزل من المطر ثم تنشفه الأرض . فكان يعرض من ذلك أن يكون النبات والحيوان يعدم الماء في الصيف كما في البوادي البعيدة . فأقتضى التدبير الإلهي وجود الجبال لتحصر البخار المرتفع من الأرض بين أعوارها وتمنعه من السيلان وتمنع الرياح أن تسوقه

المعدنيات

٤٠٢ المعدن لا تكاد تسمى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهي مقسومة إلى ما يذوب وإلى ما لا يذوب . والذي أشهر بين الناس من المعدن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والأسرب والخارصيني

٤٠٣ (الذهب) . طبعه حار لطيف لا يخرق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائه (*) . ولا يبلى في التراب ولا يصدأ على طول

(*) ذهب الاقدمون الى ان الاحتراق متوقف على افتراق الاجزاء وقد اتفق المحدثون

الزَّمانِ . وَهُوَ لَيْسَ أَصْفَرُ بِرَأَقِ صَيْبِ الرَّائِحَةِ ثَقِيلُ رَزِينٌ . فَصُفْرَةٌ لَوْنُهُ
 مِنْ نَارِيَّتِهِ . وَابْنُهُ مِنْ ذَهْنِيَّتِهِ . وَرَبِيَّتُهُ مِنْ صَفَاءِ مَائِيَّتِهِ . وَثِقَلُهُ مِنْ
 تَرَابِيَّتِهِ . وَهُوَ أَشْرَفُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ إِذْ بِهِ قَوَامُ أُمُورِ الدُّنْيَا وَنِظَامُ
 أَحْوَالِ الْخَلْقِ لِأَضْطِرَّارِهِمْ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِمْ . فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُتَحَاجِّجٌ
 إِلَى أَعْيَانٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَسَائِرِ حَاجَاتِهِ . وَلَعَلَّهُ
 يَمْلِكُ مَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ كَمَنْ يَمْلِكُ الشِّيبَابَ وَهُوَ مُتَحَاجِّجٌ إِلَى الْبَرِّ . وَلَعَلَّ
 صَاحِبَ الْبَرِّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الشِّيبَابِ فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَوَسِّطٍ يَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ
 أَحَدٍ . فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الدَّرَاهِمَ وَالذَّنَائِرَ مُتَوَسِّطِينَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى
 يُبْذَلَانَ فِي مُقَابَلَةِ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبْذَلَ فِي مُقَابَلَتِهِمَا كُلُّ شَيْءٍ . وَهِيَ
 كَالْقَاضِيَيْنِ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ يَفْضِيَانِ حَوَائِجَ كُلِّ مَنْ لَقِيَهُمَا
 ٤٠٤ (الْحَدِيدُ) . جِسْمٌ (بَسِيطٌ) كَدِرُ الْمَادَّةِ أَسْوَدُ اللَّوْنِ . وَهُوَ
 أَكْثَرُ فَائِدَةٍ مِنْ سَائِرِ الْفَلِزَّاتِ وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ ثَمَنًا . فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
 وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ . فَالْبَأْسُ فِي النُّصُولِ الْمُتَّخَذَةِ مِنْهُ . وَالْمَنَافِعُ فِي
 الْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ حَتَّى قِيلَ : مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَالْحَدِيدَ فِيهَا فِي
 أَدَوَاتِهَا مَدْخُلٌ

الشجر

٤٠٥ (الشَّجَرُ) . هُوَ كُلُّ مَا لَهُ سَاقٌ مِنَ النَّبَاتِ . وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ
 بِمَثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْعِظَامِ وَالنُّجُومِ بِمَثَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ الصِّغَارِ . وَالْأَشْجَارُ

على أن الاحتراق إنما يحصل بتركب الأكسجين في الغالب مع المادة أو مع جزء منها

أَعْظَامُ لَا ثَمَرَهَا كَالسَّاجِ وَالذُّبِّ وَالْعَرَعِ (*) لِأَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ
 إِلَى نَفْسِ الشَّجَرَةِ . وَلَا كَذَلِكَ الْأَشْجَارُ الْمُثْمِرَةُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ
 إِلَى الشَّجَرَةِ وَالثَّمَرَةِ . وَقَدْ يُشَارِكُ النَّبَاتُ الْحَيَوَانَ فِي أَمْرِ التَّغْذِيَةِ .
 فَإِنَّ الْغِذَاءَ كَمَا يَسْرِي فِي بَدَنِ الْحَيَوَانَ حَتَّى لَا تَبْقَى شَعْرَةٌ إِلَّا وَأَخَذَتْ
 مِنْهَا قِسْطَهَا فَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي صَبَّ فِي أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ فَإِنَّهُ يعلو إِلَى
 الْأَغْصَانِ فِي دَاخِلِ تَجَاوِيفِ الْأَشْجَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَنْشُرَ فِي
 جَمِيعِ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ وَفِي جَمِيعِ أَطْرَافِ الْأَوْرَاقِ وَيُغْذِي كُلَّ جِزْءٍ
 مِنْ كُلِّ وَرْقَةٍ وَيَجْرِي مِنْ تَجَاوِيفِ عُرُوقِ شَعْرِيَّةٍ صِغَارٍ تَرَى فِي
 أَصْلِ الْوَرَقِ وَكَأَنَّ الْعِرْقَ الْكَبِيرَ نَهْرًا . وَمَا يَنْشَعِبُ عَنْهُ جَدَاوِلُ فِي
 جَمِيعِ عَرْضِ الْوَرَقِ فَيَصِلُ الْمَاءُ إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْوَرْقَةِ . وَكَذَلِكَ
 إِلَى سَائِرِ أَجْزَاءِ الْفَوَاكِهِ (*) . وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِي تَعَالَى خَاقُ
 الْأَوْرَاقِ عَلَى الْأَشْجَارِ زِينَةٌ لَهَا وَوَقَايَةٌ لِثَمَارِهَا مِنْ نَكَايَةِ الشَّمْسِ
 وَالْهَوَاءِ . ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مَرْتَفَعَةً عَنِ الثَّمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضُ التَّفَرُّقِ
 لَا مُتَكَثِفَةً عَلَيْهَا وَلَا بَعِيدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ الثَّمَارُ مِنَ الْمَسِيمِ تَارَةً وَمِنْ
 الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى . وَلَوْ تَكَثَّفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَنَعَتْهَا إِصَابَةَ الْمَسِيمِ
 وَشَعَاعِ الشَّمْسِ لَبَقِيَ عَلَى فُجَاجَتِهَا غَلِيظَةٌ أَجْلَدُ قَلِيلَةَ الْمَائَةِ . وَإِذَا

(*) يرد قول سزوي أن الخوز والبرجيل بصران وكلاهما من الأشجار العظم والصحيح

أن ثمر الأشجار العظم صغر من ثمر الأشجار الصغار

(-) كان قداما الطبيعيين يظنون أن الشجرة لا تتغذى إلا بأصاليها وفروعها وإنما غذاؤها

يكون بضار ورقها التي هي فيها بقية النسج في الجسد

سَقَطَ عَنْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَتْهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَتْهَا كَمَا تَرَى فِي الرُّمَانَةِ
الَّتِي أَحْتَرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْجَوَابِ . ثُمَّ إِذَا فَرَّغْتَ الثَّمَرَةَ تَنَازَرَتْ
الْأُورَاقُ حَتَّى لَا تَجِدُ مَائِيَةَ الشَّجَرَةِ فَتَضَعُ قُوَّتَهَا (للقزويني)
٤٠٦ (الْبَلْسَانُ) . لَا يُوْجَدُ الْيَوْمَ مِنْهُ إِلَّا بِمِصْرَ بَعِيْنِ شَمْسٍ فِي
مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُحْتَفِظٌ بِهِ مِسَاحَتُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ أَفْدَنَةٍ . وَارْتِفَاعُ
شَجَرَتِهِ نَحْوُ ذِرَاعٍ وَكَثْرٌ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهَا قَشْرَانِ الْأَعْلَى أَحْمَرٌ خَفِيفٌ
وَالْأَسْفَلُ أَخْضَرٌ مُخَيِّنٌ . وَإِذَا مَضَعَ ظَهَرَ فِي الْقَمِّ مِنْهُ دُهْنِيَةٌ وَرَائِحَةٌ
عَطْرَةٌ . وَوَرَقُهُ شَبِيهُ بَوْرَقِ السَّدَابِ وَيُجْتَنَى دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّعْرِى
بِأَنَّهُ تُشَدِّخُ السُّوقُ بَعْدَ مَا يُحْتَشُّ عَنْهَا جَمِيعُ وَرَقِهَا . وَشَدِّخُهَا يَكُونُ
بِحِجْرَةٍ تُتَّخَذُ مُحَدَّدَةً وَيَفْتَقَرُ شَدِّخُهَا إِلَى صِنَاعَةٍ بِحَيْثُ يُقَطَعُ الْقَشْرُ
الْأَعْلَى وَيَشَقُّ الْأَسْفَلُ شَقًّا لَا يَنْقُذُهُ إِلَى الْحَشَبِ . فَإِنْ نَفَذَ إِلَى
الْحَشَبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ . فَإِذَا شَدِّخَهُ كَمَا وَصَفْنَا أَمَلَهُ رَيْثًا يَسِيلُ
لِشَاهٍ عَلَى الْعُودِ فَيَجْمَعُهُ بِإِصْبَعِهِ مَسْحًا إِلَى قَرْنٍ . فَإِذَا أَمْتَلَا صَبَّهُ فِي
قَنَائِي زجاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ جَنَاهُ وَيَنْقَطِعَ لِقَاءُهُ . وَكُلُّ
مَا كَثَرَ النَّدى فِي الْجَوْ كَانَ لِقَاءُهُ أَكْثَرَ وَأَغْزَرَ . وَفِي الْجَدْبِ وَقَلَّةُ
النَّدى يَكُونُ اللَّيْلُ أَنْزَرًا . ثُمَّ تُوْخَذُ الْقَنَائِي فَتُدْفَنُ إِلَى الْقَيْظِ وَحَمَارَةِ
الْحَرِّ وَتُخْرَجُ مِنَ الدَّفْنِ وَتُجْعَلُ فِي الشَّمْسِ . ثُمَّ تُتَفَقَّدُ كُلَّ يَوْمٍ فَيُوجَدُ
الدَّهْنُ وَقَدْ طَفَأَ فَوْقَ رَطوبَةٍ مَائِيَةٍ وَأَثْقَالِ أَرْضِيَّةٍ فَيَنْطَبُ الدَّهْنُ .
ثُمَّ تَعَادُ إِلَى الشَّمْسِ . وَلَا يَزَالُ يُسْتَمْسَكُ بِهَا وَيَنْطَبُ دُهْنُهَا حَتَّى لَا يَبْقَى

فِيهَا ذَهْنٌ . فَيُؤَخَذُ ذَلِكَ الذَّهْنُ وَيُطْبَخُ قِيسَهُ . ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِلَى خِرَازَةِ
 الْمَلِكِ وَمَثَدَارِ الذَّهْنِ الْخَالِصِ مِنَ الثَّلَاثِ بِالتَّرْوِيقِ نَحْوَ عَشْرِ الْجُمْلَةِ
 ٤٠٧ (الْجَمِيزُ) . كَأَنَّهُ تَيْنٌ بَرِيٌّ وَيُتَخَرَّجُ ثَمَرَتُهُ فِي الْحَشْبِ لِاتِّحَاتِ
 الْوَرَقِ . وَيُخْتَلَفُ فِي السَّنَةِ سَبْعَةَ بَطُونٍ . وَيُؤَكَّلُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
 وَيَحْمَلُ وَقَرًا عَظِيمًا . وَقَبْلَ أَنْ يُجْنَى بِأَيَّامٍ يَضَعُ رَجُلٌ إِلَى الشَّجَرَةِ
 وَمَعَهُ حَدِيدَةٌ لِيَسْمُ بِهَا حَبَّةَ حَبَّةٍ مِنَ الثَّمَرَةِ فَيَجْرِي مِنْهَا لَبَنٌ أَبْيَضٌ .
 ثُمَّ يَسْوَدُ الْمَوْضِعُ وَيَحْلُو الثَّمَرَةُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ
 شَدِيدُ الْحَلَاوَةِ أَحْلَى مِنَ التَّيْنِ لِكَثْرَتِهِ لَا يَنْفَكُ فِي آخِرِ مَضْغِهِ مِنْ طَعْمِ
 خَشَبِيَّةٍ هَا . وَشَجَرَتُهُ كَبِيرَةٌ كَشَجَرَةِ الْجُوزِ الْعَاتِيَةِ وَيُخَرَّجُ مِنْ ثَمَرِهِ
 وَغَصْنَتِهِ إِذَا فُصِدَتْ لَبَنٌ أَبْيَضٌ إِذَا طَلِيَ عَلَى تَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبَّغَهُ
 وَأَحْمَرَ . وَخَشَبُهُ يُعْمَرُ بِهِ الْمَسَاكِينُ وَتُتَّخَذُ مِنْهُ الْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنْ
 الْأَلَاتِ الْجَافِيَةِ . وَلَهُ بَيْتَاءٌ عَلَى الدَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَاءِ وَالشَّمْسِ . وَقَلَامًا
 يَتَأَكَّلُ هَذَا مَعَهُ أَنَّهُ خَشْبٌ خَفِيفٌ قَلِيلُ الدُّوْنَةِ . وَيُتَّخَذُ مِنْ ثَمَرَتِهِ
 حَلٌّ حَازِقٌ وَيَبِيدُ حَادٌ (مِنْ كِتَابِ الْإِفَادَةِ وَالْإِعْتِبَارِ لِعَبْدِ الْلطِيفِ)
 ٤٠٨ (الْعَبِيَّةُ) . وَهِيَ شَجَرَةٌ تُشَبَّهُ الشَّجَارَ النَّارَ نَجْحَ إِلَّا أَنَّهَا أَعْظَمُ
 أَجْرَامًا وَكَثْرَ أَوْرَاقًا . وَظِلُّهَا أَكْثَرُ الظُّلَالِ غَيْرَ أَنَّهُ تُسِيلُ فَمَنْ نَادَى تَحْتَهُ
 وَعَكَ . وَثَمَرُهَا عَلَى قَدْرِ الْإِجَاصِ الْكَبِيرِ . فَإِذَا كَانَ أَخْضَرَ قَبْلَ تَمَامِ
 نَضِجِهِ أَخَذُوا مَا اسْقَطَ مِنْهُ وَجَعَلُوا عَلَيْهِ الْمَلْحَ وَصَيَّرُوهُ كَمَا يَصِيرُ اللَّيْلِ
 وَاللَّيْمُونُ بِيَلَدِنَا وَكَذَلِكَ يَصِيرُونَ أَيْضًا لِزَنْجَبِيلِ الْأَخْضَرِ وَعَقَاقِيدِ

الفلل وياكلون ذلك مع الطعام يأخذون بأثر كل لقمة يسيرا من هذه المملوحات . فإذا نضجت العنب في أوان الحريف أصفرت حباتها فاكلوها كاللذخ . فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمصها مصا . وهي حلوة يمازج حلاوتها بسيرحموضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتبت منها الأشجار كما تزرع نوى التارنج وغيرها (لابن بطوطة)

٤٠٩ (الموز) . معادنه عمان . وتبت الموزة نبات البردية لها عنقرة

غليظة وورقة طويلة عريضة نحو ثلاث أذرع في ذراعين . ليست بمنخرطة على نبات السعف لكن شبه المربعة . وترتفع الموزة قائمة

بأسطة . ولا تزال فراخها تثبت حولها واحدة أصغر من الأخرى .

فإذا أجزت وذلك إدراك موزها قطعت الأم حينئذ من أصابها وتؤخذ

قنوها . ويطلع الكبر فراخها فيصير هو الأم وتبقى البواقي فراخها ولا

تزال على هذا أبد الدهر . ولذلك قال أشعب لابنه فيما يروي عنه

الأصمعي : يا بني لم لا تكون مثلي . فقال : أنا مثل الموزة لا تصلح

(لابي حنيفة الدينوري)

حتى تموت أمها

٤١٠ (الفل) . شجرة الفل شبيهة بدوالي العنب وأهل الهند

يفرسونها إزاء النار جيل . فتصعد فيها كصعود الدوالي لأنها ليس لها

عسوج وهو الغزل كما للدوالي . وأوراق شجره تشبه أوراق الخيل .

وبعضها يشبه أوراق العليق . ويثمر عنقيد صغارا حبا كحب أبي قينا

إذا كانت خضرا . وإذا كان أوان الحريف قطفوه وفرشوه على الخمر

فِي الشَّمْسِ كَمَا يُصْنَعُ بِالْأَعْنَبِ عِنْدَ تَرْبِيئِهِ . وَلَا يَزَالُونَ يُقَلِّبُونَهُ حَتَّى
يَسْتَحْكَمَ بَيْسَهُ وَيَسْوَدَ . ثُمَّ يَبْعُونَهُ مِنَ التُّجَارِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بِمَدِينَةِ
قَاتِئُوطٍ يُصَبُّ لِلْكَيْلِ كَالذَّرَّةِ بِبِلَادِنَا (لابن بطوطة)

النجوم

٤١١ (النجوم) كُلُّ نَبْتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ كَالزَّرْعِ وَالْبُقُولِ
وَالرِّيَاحِينَ وَالْحَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ . وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَادَتَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَنَّهُ
يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَيَجْرِي بِهَا نَهَارُهَا وَيَنْشُرُ رِفَاتَ نَبَاتِهَا
حَتَّى تَرَى مِنَ الْأَوْدِيَةِ مُخْضَرَّةً . وَمِنَ الْأَزْهَارِ مُحَمَّرَةً وَمُصْفَرَّةً .
لِيَسْتَدِيلَ بِهِ ذُو الطَّبَعِ السَّلِيمِ . وَالْقَوْمِ الْمُسْتَقِيمِ . عَلَى أَحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ .
وَإِعَادَةِ الْعِظَامِ الرِّفَاتِ

وَمِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الْقُوَّةُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي نَفْسِ الْحَبِّ فَإِنَّهَا
إِذَا وَقَعَتْ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ جَذِبَتْ بِوَسِيطَةِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الرُّطُوبَةَ الَّتِي
تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ لَهَا غِذَاءٌ مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ مِمَّا حَوْلَئِهَا . كَشَعْلَةِ نَارِ
السِّرَاجِ فَإِنَّهَا تَجْذِبُ الرُّطُوبَةَ الَّتِي فِي السِّرَاجِ بِوَسِيطَةِ قُوَّةِ خَلْقِهَا اللَّهُ
تَعَالَى فِيهَا . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ إِذَا حَصَلَتْ فِي نَفْسِ الْحَبِّ صَارَتْ
غِذَاءً لَهَا وَتَعْمَلُ فِيهَا الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةَ حَتَّى تَبْلُغَ كَمَا هِيَ . وَالنُّجُودُ فِي جِنْسِ
النَّبَاتِ كَالْحَيَوَانَاتِ الصَّغَارِ فِي جِنْسِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْأَشْجَارِ الْكِبَارِ
كَالْحَيَوَانَاتِ الْكِبَارِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ الْبُرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي
لَا عِظَمَ لَهَا شَيْءٌ كَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ خَشَبٌ صُلْبٌ .

وَأَمَّا الْحَيَوَانَاتُ الْكِبَارُ فَإِنَّهَا تَصْبِرُ عَلَى الْبُرْدِ وَكَذَلِكَ الْأَشْجَارُ . ثُمَّ إِنَّ
 عُثُولَ الْعُقَلَاءِ مُتَخَيِّرَةٌ فِي أَمْرِ الْحَشَائِشِ وَعَجَائِبُهَا . وَأَفْهَامُ الْأَذْكِيَاءِ قَاصِرَةٌ
 عَنْ ضَبْطِ خَوَاصِهَا وَفَوَائِدِهَا . وَكَيْفَ لَامَعَ مَا يَشَاهِدُ مِنْ تَوَعُّعِ صُورِ
 قُضْبَانِهَا وَأَخْتِلَافِ أَشْكَالِ أَوْرَاقِهَا وَعَجِيبِ أَلْوَانِ أَزْهَارِهَا وَتَنَرُّعِ كَلِمَاتِ
 لَوْنِ مِنْهَا . كَالْحُمْرَةِ مَثَلًا فَإِنَّهَا قَدْ تَكُونُ أَرْجَوَانِيَّةً كَمَا تَرَى فِي السُّوسَنِ .
 وَقَدْ تَكُونُ مُشَبَّعَةً جِدًّا كَمَا تَرَى فِي شَقَائِقِ النُّعْمَانِ . وَقَدْ تَكُونُ نَارِيَّةً
 كَالْأَذْرِيُونَ . وَقَدْ تَكُونُ خَفِيفَةً كَالْوَرْدِ هَكَذَا حَالَ كُلِّ لَوْنٍ مِنْهَا .
 ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَائِحِهَا وَمُخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ اشْتِرَاكِ الْكُلِّ فِي الطَّيْبِ .
 ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا . فَإِنَّ لِكُلِّ حَبٍّ وَوَرَقًا وَزَهْرًا وَعِرْقًا شَكْلًا
 وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَائِحَةً وَخَاصِيَّةً بَلْ خَاصِيَّاتٌ لَا يَرْفُهَا إِلَّا اللَّهُ . وَأَتَى
 عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ (للقزويني)
 ٤١٢ (البابية) . وَهِيَ ثَمْرٌ يَقْدُرُ إِبْرَاهِيمُ الْيَدِ كَأَنَّهُ جِرَاءُ الْقَتَاءِ
 شَدِيدُ الْخُضْرَةِ إِلَّا أَنْ عَلَيْهِ زَيْبَرٌ مَشُوكٌ وَهُوَ مُخْمَسُ الشَّكْلِ يُحِيطُ بِهِ
 خُمْسَةُ أَضْلَاعٍ فَإِذَا شُقَّ انْشَقَّ عَنْ خُمْسَةِ آيَاتٍ بَيْنَهَا حَوَاجِزٌ . وَفِي
 تِلْكَ الْآيَاتِ حَبٌّ مَصْطَفٍ مُسْتَدِيرٌ أَيْضًا أَصْغَرُ مِنَ الْأَوْبِيَاءِ هَشٌّ
 يَضْرِبُ إِلَى الْحَلَاوَةِ . وَفِيهِ التَّمَاعِيَّةُ كَثِيرَةٌ . يَطْبُخُ أَهْلُ مِصْرَ بِهِ اللَّحْمَ
 أَنْ يُقَطَّعَ مَعَ قَشُورِهِ صِغَارًا أَوْ يَكُونَ طَعَامًا لَا بَأْسَ بِهِ . الْعَالِبُ عَلَى
 طَبْعِهِ الْحَرَارَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَلَا يَتَخَوَّرُ فِي طَبْعِهِ قَبْضٌ بَلْ لِرُؤُوحِهِ
 ٤١٣ (القلناس) . هُوَ أَصُولٌ يَقْدُرُ الْحَيَارُ . وَدِنُهُ صِغَارٌ كَالْأَصَابِعِ

يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةِ خَمِينَةٍ يُقَشِّرُهُمْ يُشَقُّ عَلَى مِثْلِ السَّلْجَمِ . وَهُوَ كَيْفُ
 مَكْتَبَرٌ يُشَابِهُ الْمَوْزَ الْأَخْضَرَ الْفَجَّ فِي طَعْمِهِ . وَفِيهِ قَبْضٌ لَيْسَ مَعَ
 حِرَافَةٍ قَوِيَّةٍ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى حَرَارَتِهِ وَبَيْتِهِ . فَإِذَا سَلِقَ زَالَتْ حِرَافَتُهُ
 جَمَّةً وَحَدَّثَ لَهُ مَعَمَا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ الْبُضِّ الْبُضِّ لِرُجُوعِهِ مُغْرِيَّةٌ كَانَتْ فِيهِ
 بِالْقُوَّةِ . إِلَّا أَنَّ حِرَافَتَهُ كَانَتْ تُخْفِيهَا وَتَسْتُرُهَا وَلِذَلِكَ صَارَ غِذَاؤُهُ
 غَلِيظًا بَطِيءًا الْمَضْمُ ثَقِيلًا فِي الْمَعِدَةِ . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْقَبْضِ
 وَالْعُقُوصَةِ صَارَ قَوِيًّا لِلْمَعِدَةِ
 (لعبد اللطيف)

جنس الحيوان

١٤٤ الحيوان ما فيه حياة . قال الجاحظ : الحيوان على أربعة
 أقسام . شبيء يشيء يطير وشبيء يعوم وشبيء ينسأخ في
 الأرض إلا أن كل شبيء يطير يشيء وليس كل شبيء يشيء يطير .
 فأما النوع الذي يشيء فهو على ثلاثة أقسام . ناس وبهائم وسباع .
 والطيور كانه سبع وبهيمة وهمج . والحشاش ما أظف جرمة وصغر جسمه
 وكان عديم السلاح . والهمج ليس من الطيور ولكنه يطير . وهو فيما
 يطير كالحشرات فيما يشيء . والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصاً .
 والبهيمة ما أكل الحب خالصاً . والمشترك كالعضفور فإنه ليس بشيء
 مخلب ولا منسر وهو يلقط الحب ومع ذلك يصيد النمل ويصيد الجراد
 ويأكل اللحم ولا يزق فراخه كما يزق الحمام فهو مشترك الطبيعة .
 وأشباه المصافير من المشترك كثيرة وليس كل ما طار بجناحين من

الطير فقد يطير الجملان والذباب والزنابير والجراد والنمل والهراس
والبعوض والأرضة وغير ذلك ولا تسمى طيوراً

الانسان

٤١٥ (إنسان). قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي الإمام
العلامة : ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان . فإن الله تعالى
خلقه حياً عالماً قادراً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكماً وهذه صفات الرب
جل وعلا . قال تعالى : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وهو
اعتداله وتسوية أعضائه لأنه خلق كل شيء منكباً على وجهه
وخلقه سوياً . وله لسان ذليق ينطق به ويد وأصابع يقبض بها . مودباً
بالأمر مهذباً بالتمييز . يتناول مأكوله ومشروبه بيده . وأفتح ابن
مختيشوع الطيب النصراني كتابه في الحيوان بالإنسان وقال : إنه
أعدل الحيوان بزاجاً وأكمله أفعالاً وألطفه حساً وأنفذه رأياً . فهو
كالمملك المسلط القاهر يسائر الخلق والأمر لها . وذلك بما وهب الله
تعالى له من العقل الذي به يميز على كل الحيوان البهيمي فهو
الحقيقة ملك العالم . ولذلك سماه قوم من الأقدمين العالم الأصغر

النعيم

٤١٦ النعم وهي تشمل الإبل والبقر والغنم وهي كثيرة الفائدة
سهلة الأتقياد . ليس لها شراسة الدواب ولا نفرة السباع . واشددة
حاجة الناس إليها يخلق الله سبحانه وتعالى لها سلاحاً شديداً كأناب

السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها . وجعل في شأنها الثبات
والصبر على التعب والجوع والعطش . وخلقها ذلولا تقاد بالأيدي فمنها
زكويهم ومنها يأكلون . وجعل الله قرنبا سلاحا لتأمن به من الأعداء .
ولما كان ماكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن تجعل لها أفواها
واسعة وأسنانا جدا وأضراسا صلابا لتطحن بها الحب والنوى
٤١٧ (الجاموس) . هو حيوان عنده شجاعة وشدة وبأس . وهو
مع ذلك أجمع خاق الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء .
والأسد يخافه . وهو مع شدته وعظمه ذكي . ويقال إنه لا ينام أصلا
لكثرة حراسته لنفسه وأولاده . وإذا اجتمع ضرب دائرة وتجعل
رؤسها خارج الدائرة وأذنانها إلى داخلها والرعاة وأولادها من داخل .
فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصياها . والذكر منها
ينأطح ذكرا آخر . فإذا غلب أحدها دخل أجمه فقيم فيها حتى يعلم
من نفسه أنه قوي فيخرج . ويطلب ذلك الفحل الذي غلبه فيناطحه
حتى يغلبه ويطرده . وهو يتغمس في الماء غالبا إلى خرطوميه . والجاموس
يقتل التمساح مع عظم بدنه وهول جثته . يمشي إلى الأسد رخي
البال ثابت الجنان رابط الجأش . وليس في قرنه حدة كما في قرن
البقر فضلا عن حدة أطراف محاليب الأسد وأنيابه (للمدبري)
٤١٨ (بقر) . حيوان كثير المنفعة شديد القوة خلقه الله ذلولا
منقادا للناس . وإنما لم يخلق له سلاح شديد مثل السباع وغيرها لأنه

فِي رِعَايَةِ الْإِنْسَانِ . فَأَلِإِنْسَانُ يَدْفَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ بِخِلَافِ السَّبَاعِ . وَلِأَنَّ
 حَاجَةَ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ مَاسَّةٌ فَلَوْ كَانَ لَهُ سِلَاحٌ شَدِيدٌ صَعِبَ ضَبْطُهُ .
 وَالْبَقَرُ الْأَجْمُ يَعْلَمُ أَنَّ سِلَاحَهُ فِي رَأْسِهِ فَيَسْتَعْمِلُ مَحَلَّ الْقَرْنِ كَمَا تَرَى
 مِنَ الْعَجَاجِيلِ قَبْلَ نَبَاتِ الْقَرْنِ تَنْطَلِعُ بِرُؤُوسِهَا . وَذَلِكَ لِأَنَّ حُقُوقَ
 لِطَبِيعَتِهَا فَيَعْمَلُ ذَلِكَ بِالطَّعْنِ . وَلَمْ يُخْلَقْ لِابْقَرِ الشَّيَا الْفَوْقَانِيَّةِ فَيَطْلَعُ
 الْحَشِيرَ بِالسُّفْلَانِيَّةِ (للقزويني)

٤١٩ (ظبي أنسك) . هُوَ كَسَائِرِ الطَّبَاءِ عِنْدَنَا فِي الْقَدِّ وَاللُّونِ
 وَدِقَّةِ الْقَوَائِمِ وَأَفْتِرَاقِ الْأَظْلَافِ وَأَنْتِصَابِ الثُّرُونِ وَأَنْعِطَافِهَا .
 وَلَهَا نَابَانِ دَقِيقَتَانِ أَيْضَانِ فِي الْفَكِّينِ قَائِمَانِ فِي وَجْهِ الظَّبِّيِّ . طُولُ
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثْقَالُ فِثْرٍ وَدُونَهُ عَلَى هَيْئَةِ نَابِ أُنْمِيَا فَهُوَ أُنْفَرُقُ
 بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ سَائِرِ الطَّبَاءِ . وَأَجُودُ الْمَسْكِ كَمَا مَا حَبَّكَ الظَّبِّيُّ عَلَى
 أَحْجَارِ الْجِبَالِ إِذْ كَانَ مَادَّةً تَصِيرُ فِي سِرَّتِهِ وَيَجْتَمِعُ دَمَاعِيظًا
 كَأَجْتِمَاعِ الدَّمِّ فِيهَا يَعْرِضُ مِنَ الدَّمَامِلِ . فَإِذَا أُدْرِكَ حَكَّهُ وَأَضْبَرَهُ
 فَيَنْزِعُ إِلَى الْحِجَارَةِ حَتَّى يَخْرُقَهُ فَيَسِيلُ مَا فِيهِ فَإِذَا خَرَجَ عَنْهُ جَنْدٌ
 وَأَنْدَمَلٌ وَعَادَتِ الْمَادَّةُ تَجْتَمِعُ فِيهِ كَمَنْ ذِي قَبْلِ . وَبِالْثَّبَاتِ رِجَالٌ
 يَخْرُجُونَ فِي طَلَبِ هَذَا وَهُمْ بِهِ مَعْرِفَةٌ . فَإِذَا وَجَدُوا التَّقَطُودَ وَجَمْعَهُ
 وَأَوْدَعَهُ التَّوَالِغَ وَحَمَلَهُ إِلَى مَا رَكِبَهُمْ . وَهُوَ نِهَاطَةُ الْمَسْكِ إِذْ كَانَ قَدْ
 أُدْرِكَ عَلَى حَيَوَانِهِ . وَصَارَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَسْكِ كَقَضَا مَا يُدْرِكُ
 مِنَ الثَّمَارِ فِي شَجَرِهِ عَلَى سَائِرِ مَا يُنْزَعُ مِنْهُ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ (السمودي)

٤٢٠ (فَرَسٌ) . مِنْ أَحْسَنِ الْخَيْرَاتِ بَعْدَ الْإِنْسَانِ صُورَةً وَأَشَدِّ
 الدَّوَابِّ عَدُوًّا وَذَكَاءً . وَلَهُ خِصَالٌ حَمِيدَةٌ وَأَخْلَاقٌ مَرْضِيَّةٌ . مِنْ ذَلِكَ
 حُسْنُ صُورَتِهِ وَتَنَاسُبُ أَجْزَائِهِ وَأَعْضَائِهِ وَصَفَاءُ لَوْنِهِ وَسُرْعَةُ عَدُوهِ
 وَحُسْنُ طَاعَتِهِ لِفَارِسِهِ كَيْفَ صَرَفَهُ أَنْتَادَ لَهُ . وَمِنْهَا مَا يَلْعَبُ الْفَارِسُ
 عَلَى ظَهْرِهِ بِالْكُرَّةِ فَلَا يَحْتَاجُ الرَّابِيعُ أَنْ يَصْرِفَهُ بَلْ عَيْنُهُ إِلَى الْكُرَّةِ
 كُلَّمَا رَأَى الْكُرَّةَ يَعْدُو خَلْفَهَا . وَمَنْ الْفَرَسُ مَا يَعْرِفُ صَاحِبَهُ فَلَا
 يُمْكِنُ غَيْرُهُ مِنْ رُكُوبِهِ . وَمِنْ الْخَيْلِ مَا يَلْحَقُ الظَّبْيَ حَتَّى يَضْرِبَ
 رَاكِبَهُ الظَّبْيَ بِالسَّيْفِ

السباع

٤٢١ (ابن آوى) . جُمُعَةٌ بَنَاتُ آوَى وَبَنِي آوَى لِأَنَّهُ يَأْوِي
 إِلَى عَوَاءِ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَلَا يَعْوِي إِلَّا لَيْلًا . وَذَلِكَ إِذَا اسْتَوْحَشَ
 وَبَقِيَ وَحْدَهُ . وَصِيَاحُهُ يُشْبِهُ صِيَاحَ الصَّبِيَّانِ . وَهُوَ طَوِيلُ الْمَخَالِبِ
 وَالْأظْفَارِ يَعْدُو عَلَى نَهْرِهِ وَيَأْكُلُ مِمَّا يَصِيدُ مِنَ الطُّيُورِ وَغَيْرِهَا .
 وَخَوْفُ الدَّجَاجِ مِنْهُ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهَا مِنَ الثَّلَبِ لِأَنَّهُ إِذَا مَرَّ مَحْتَهَا
 وَهِيَ عَلَى الشَّجَرَةِ أَوْ الْجِدَارِ تَسَاقَطَتْ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدًا كَثِيرًا . وَابْنُ
 آوَى يُنْسِدُ الْكُرُومَ وَالشُّجَرَ وَإِذَا أَرَادَ صَيْدَ طَيْرِ الْمَاءِ جَمَعَ خِزْمَةً مِنْ
 الْحَشِيشِ وَيُرْمِيهَا فِي الْمَاءِ وَيَتْرُكُهَا حَتَّى يَسْتَأْنِسَ الطُّيْرُ بِهَا وَيَقَعَّ عَلَيْهَا .
 فَإِذَا رَأَى اسْتَأْنَسَ الطُّيْرُ بِهَا جَعَلَ يَمْشِي خَلْفَهَا وَيَضْطَادُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ
 ٤٢٢ (الخنزير) . حَيَوَانٌ سَمِجٌ الشَّكْلُ صَعْبٌ لَهُ نَابَانِ كَنَابِي

الْفَيْلُ يَضْرِبُ بِهِمَا . وَرَأْسُهُ كِرَاسُ الْجَامُوسِ . وَهُوَ ظَلْفٌ كَمَا أَبْقَرَ
يُطَّخُ بِدَنَهُ بِالطَّيْنِ وَالْأَشْيَاءِ اللَّزْجَةِ حَتَّى يَصِيرَ جِلْدُهُ كَالْجَوْشَنِ لَا
تَعْمَلُ فِيهِ أَنْيَابُ الْخَنَازِيرِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ . وَهُوَ أَنْسَلُ الْحَيَوَانَاتِ لِأَنَّهَا
تَضَعُ عَشْرِينَ خِنُوصًا . فَالْخَنَزِيرُ يَأْكُلُ الْحَيَّةَ أَكْلًا ذَرِيعًا وَسَمَ الْحَيَّةِ لَا
يَعْمَلُ فِي الْخَنَزِيرِ . وَهُوَ أَرُوغٌ مِنَ الثَّعَلِبِ . يَهْرَبُ مِنَ الْفَارِسِ حَتَّى
يَطْمَعُ فِيهِ الْفَارِسُ وَيَعْدُو خَلْفَهُ وَيَتَعَبُ ثُمَّ يَكْرَهُ عَلَيْهِ وَيَضْرِبُ الْفَارِسُ
أَوْ الْفَارِسَ ضَرْبَةً شَدِيدَةً يَنَابُهُ فَيَتَلَّهُ (للقرظوني)

٤٢٣ (الذَّبَابُ) . حَيَوَانٌ كَثِيرُ الْخَبْثِ ذُو غَارَاتٍ وَخُصُومَاتٍ
وَمُكَابَرَةٍ وَخَتَلٍ شَدِيدٍ . وَقَلَّمَا يُنْخَطِ فِي وَثْبَتِهِ . وَعِنْدَ اجْتِمَاعِهَا لَا
يَنْفَرُ أَحَدٌ مِنْهَا إِذْ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهَا . وَإِذَا أَصَابَ أَحَدَهَا جِرْحَةٌ
أَوْ ضَرْبَةٌ عَلِمَتْ أَنَّهُ ضَعِيفٌ اجْتَمَعَتْ وَأَكَلَتْهُ . وَإِذَا نَهَتْ الذَّبَابُ
وَأَجَهَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا يَنَامُ خَائِفًا حَتَّى يَنْظُرَ أَحَدُهَا إِلَى الْآخَرِ وَقِيلَ
إِنَّهُ يَنَامُ بِأَحَدِي عَيْنَيْهِ وَيَفْتَحُ الْآخَرَى . قَالَ حَمِيدُ الْهَلَالِيِّ :

يَنَامُ بِأَحَدِي مُتَلْتَبِهِ وَيَتِي الْمَنَائِيَا بِأُخْرَى فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
وَإِذَا عَجَزَ عَنْ غَلَبَةِ مَنْ يُقَاوِمُهُ يَعُوي حَتَّى يَأْتِي مَا يَسْمَعُ عَوَاءَهُ مِنْ
الذَّبَابِ يُعَاوَنُهُ . وَإِذَا مَرِضَ انْفَرَدَ عَنِ الذَّبَابِ وَيَعَامُ أَنَّهَا إِنْ أَحْسَتْ
بِمَرَضِهِ أَكَلَتْهُ . وَفِيهِ مِنْ قُوَّةِ حَاسَةِ الشَّمِّ أَنَّهُ يَدْرِكُ الْمَشْتُومَ مِنْ
فَرَسِخٍ . وَكَثُرَ مَا يَتَعَرَّضُ لِلنَّعْمِ فِي الصَّبْحِ وَإِنَّمَا يَتَوَقَّعُ فِتْرَةَ الْكَلْبِ
وَنَوْمَهُ وَكَلَالَهُ لِأَنَّهُ يَظَلُّ طَوْلَ لَيْلِهِ حَارِسًا مُتَقِظًا . وَمِنْ غَرِيبِ

أَمْرِهِ أَنَّهُ إِذَا صَكَدَهُ الْجُوعُ عَوَى فَتَجْتَمِعُ لَهُ الذَّنَابُ وَيَتَفُ بِبَعْضِهَا
إِلَى بَعْضٍ فَمَنْ وُلِيَ مِنْهَا وَثَبَ إِلَيْهِ الْبَاقُونَ وَأَكَلُوهُ . وَإِذَا عَرَضَ
إِلَى الْإِنْسَانِ وَخَافَ الْعَجْزَ عَنْهُ عَوَى عَوَاءً اسْتِغَاثَةً فَلَسَمَهُ الذَّنَابُ فَتَقْبَلُ
عَلَى الْإِنْسَانِ إِقْبَالًا وَاحِدًا وَهُمْ سِوَاهُ فِي الْحَرْصِ عَلَى أَكْلِهِ . فَإِنْ
أَدْمَى الْإِنْسَانُ وَاحِدًا مِنْهَا وَثَبَ الْبَاقُونَ عَلَى الْمُدْمَى فَزَقُّوهُ وَتَرَكَوا
الْإِنْسَانَ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يُعَاتِبُ صَدِيقًا مَالًا عَنْهُ :

وَكُنْتُ كَذَّابِ السُّوءِ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ
٤٢٤ (السُّنُورُ) . حَيَوَانُ الْوَبِّ مُتَمَاتِقٌ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِدَفْعِ الْقَمَارِ .

وَهُوَ يُجِبُّ النَّظَافَةَ فَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِمِغَابِهِ . وَإِذَا تَنَطَّحَ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِهِ
لَا يَلْبَثُ حَتَّى يُنَظِّفَهُ . وَإِذَا الْفِ السُّنُورُ مَنَزَلًا مَنَعَ غَيْرَهُ مِنَ السَّنَانِيرِ
الَّتِي خُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَحَارِبُهُ أَشَدُّ مُحَارِبَةٍ وَهُوَ مِنْ جِنْسِهِ عِلْمًا
مِنْهُ بَأَنَّ أَرْبَابَهُ رَجَاءً اسْتَحْسَنُوهُ وَقَدِّمُوهُ عَلَيْهِ أَوْ شَارَكُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي
الْمَطْعَمِ وَإِنْ أَخَذَ شَيْئًا مِمَّا يَحْزَنُهُ أَصْحَابُ الْمَنْزِلِ عَنْهُ هَرَبَ عِلْمًا مِنْهُ
بِمَا يَسْأَلُهُ مِنْهُمْ مِنَ الضَّرْبِ . وَإِذَا طَرَدُوهُ تَلَقَّوهُمُ وَتَمَسَّحَ بِهِمْ عِلْمًا
مِنْهُ بَأَنَّهُ يُخَاصِمُهُ التَّمَاتِقُ وَيَحْصِلُ لَهُ الْعَفْوُ وَالْإِحْسَانُ . وَإِذَا مَرَّ
النَّارُ عَلَى السَّقْفِ اسْتَلَقَ وَيُحْرِكُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ إِيْرَاهُ الْقَارُ فَيَسْقُطُ
مِنَ السَّقْفِ فَرَعًا . وَإِذَا صَادَ شَيْئًا مِنَ الْقَارِ يَلْبَسُ بِهَا زَمَانًا فَرَجَاءً يُخَاصِمُهَا
حَتَّى تَمُوتَ فِي الضَّرْبِ وَظَنَّتْ أَنَّهَا نَجَتْ . ثُمَّ يَثِبُ عَلَيْهَا وَيَأْخُذُهَا . فَلَا
يَزَالُ يَخْدَعُهَا بِاللَّامَةِ وَيُورِثُهَا الْحُسْرَةَ وَالْأَسْفَ وَيَلْتَمِسُ تَعْدِيْبَهَا ثُمَّ

يَأْكُلُهَا . وَالسِّنُورُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ . أَهْلِي وَوَحْشِي وَسِنُورُ الزَّبَادِ .
 وَكُلٌّ مِنْ الْأَهْلِي وَالْوَحْشِي لَهُ نَفْسٌ غَضُوبَةٌ وَيَفْتَرَسُ وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ
 الْحَيَّ . وَأَمَّا سِنُورُ الزَّبَادِ فَهُوَ كَالسِّنُورِ الْأَهْلِي لَكِنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ ذَنْبًا
 وَكَبِيرُ جُثَّةٍ وَوَرْدُهُ إِلَى السَّوَادِ أَمِيلٌ وَرَبْمَا كَانَ أَمْرًا . وَيُجَلَّبُ مِنْ بِلَادِ
 أُخْبَنْدِ وَالسِّنْدِ . وَالزَّبَادُ فِيهِ شَبِيهُ بِالْوَسَخِ الْأَسْوَدِ اللَّزْجِ وَهُوَ ذِفْرُ
 الرَّائِحَةِ يُخَالِطُهُ طِيبٌ كَطِيبِ الْمِسْكِ (الدميري)

٤٢٥ (النمر) . ضَرْبٌ مِنَ السَّبَاعِ فِيهِ شَبَهُ مِنَ الْأَسَدِ إِلَّا أَنَّهُ
 أَصْغَرُ مِنْهُ . وَهُوَ ذُو قُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَسَطْوَةٌ صَادِقَةٌ وَوَثْبَاتٌ شَدِيدَةٌ وَهُوَ
 أَعْدَى عَدُوِّ لِلْحَيَوَانَاتِ . وَهُوَ ذُو وَشِي وَأَلْوَانٌ حَسَنَةٌ لَا يَرُدُّعُهُ
 سَطْوَةٌ أَحَدٍ وَلَا يَنْصَرِفُ عَنِ الْعَسْكَرِ اللَّذْهَمِ . وَخَلْقُهُ فِي غَايَةِ الضِّيقِ
 لَا يَسْتَأْسِ الْأَبْتَةَ وَعِنْدَهُ كِبَرٌ وَعَجْبٌ بِنَفْسِهِ إِذَا شَبِعَ نَامَ أَيَّامًا فَإِذَا
 أَنْتَبَهَ جَائِعًا خَرَّ شَدِيدًا يَعْرِفُ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْحَيَوَانِ أَنَّهُ يُرِيدُ
 الْبُصِيدَ . وَالنَّمْرُ يَتَعَرَّضُ لِكُلِّ حَيَوَانٍ رَأَاهُ فِي جُرْعَةٍ وَشَبِعَهُ بِخِلَافِ
 الْأَسَدِ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَرَّضُ لِلْحَيَوَانِ إِلَّا عِنْدَ جُوعِهِ

الطيور

٤٢٦ (أبو براقش) . طَائِرٌ حَسَنُ الصُّورَةِ طَوِيلُ الرَّقَبَةِ وَالرَّجَلَيْنِ
 أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ فِي حَجْمِ اللَّمْلَقِ . يَتَلَوَّنُ كُلَّ سَاعَةٍ بِلَوْنٍ آخَرَ مِنْ أَحْمَرَ
 وَأَصْفَرَ وَأَخْضَرَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي التَّنَقُّلِ وَالْتِحْوَالِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 كَأَنِّي بَرَأَيْتُ كُلَّ يَوْمٍ لَوْنَهُ يَتَنَاب

وَعَلَى لَوْنِ هَذَا الطَّائِرِ نَسِجَتْ ثِيَابٌ تَسْمَى أَبَا قَلَمُونَ تَجَابُ مِنْ
الرُّومِ . وَعَجِبَ هَذَا الطَّائِرُ فِي لَوْنِهِ وَشَكْلِهِ (القرويني)
٤٢٧ (الديك) . أَكْثَرُ الطُّيُورِ عَجَبًا بِنَفْسِهِ وَهُوَ أَلْبَهُ الطَّبِيعَةِ
وَعَلَامَتُهُ حَمْرَةُ الْعُرْفِ وَغَلْظُ الرِّقْبَةِ وَضِيقُ الْعَيْنِ وَسَوَادُهَا وَحِدَّةُ
الْمَخَابِ وَرَفْعُ الصَّوْتِ . وَأَعْظَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَعْرِفَةُ الْأَوْقَاتِ
الْإِلَهِيَّةِ . فَيَقْسُطُ أَصْوَاتَهُ عَلَيْهَا تَهْشِيطًا لَا يَكَادُ يَغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا سِوَاهُ
طَالَ أَوْ قَصُرَ . وَيُوَالِي صِيَاحَهُ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَهُ فَسَبْحَانَ مَنْ هَدَاهُ
لِذَلِكَ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ يَصِفُ دِيكًا :

بَشَّرَ بِالصُّبْحِ طَائِرٌ هَتَفًا هَاجَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ مَا اتَّصَفَا
مُذَكِّرٌ بِالصَّبَاحِ صَاحَ بِنَا كَخَاطِبٍ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَنَا
صَفَقَ إِمَامًا أُرْتِيَاحَهُ إِسْنَا الْفَجْرِ وَإِمَامًا عَلَى الدُّجَا أَسْفَا
٤٢٨ (الصقر) . أَحَدُ أَنْوَاعِ الْجَوَارِحِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الصَّقْرُ
وَالشَّاهِينُ وَالْعُقَابُ وَالْبَازِي وَتَمَّتْ أَيْضًا بِالسَّبَاعِ . وَهُوَ أَصْبَرُ عَنِ
الشَّدَّةِ وَأَحْمَلُ لِعَلِيظِ الْعِذَاءِ وَالْأَذَى وَأَحْسَنُ الْفَأِ وَأَشَدُّ إِقْدَامًا عَلَى
جَمَلَةِ الطُّيْرِ مِنَ الْكُرْكِيِّ وَغَيْرِهِ . وَصَيْدُهُ عَجَبٌ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ
فَإِذَا أُرْسِلَ صَقْرَانِ عَلَى طَبِيبَةٍ أَوْ بَقْرٍ وَحَشْرٍ يَنْزِلُ أَحَدُهُمَا عَلَى رَأْسِهِ
وَيَضْرِبُ بِجَنَاحِهِ عَيْنَيْهِ ثُمَّ يَقُومُ وَيَنْزِلُ الْآخَرُ وَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ
وَيَسْتَفْلَانِهِ عَنِ الْمَشِيِّ حَتَّى يُدْرِكَهُ مَنْ يَبْطِشُ بِهِ . وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ
الصَّقْرَ مَعَ صِغَرِ جُثَّتِهِ يَثْبُ عَلَى الْكُرْكِيِّ مَعَ ضَخَامَتِهِ (الدميري)

٤٢٩ (الْقَبْرَةُ) . الطَّائِرُ ذُو الْأَصْوَاتِ الْمَطْرِبَةُ وَالنَّعْمَاتِ الْذَلِيذَةُ
 عَلَى رَأْسِهِ قُنْرَعَةٌ شَبِيهَةٌ بِمَا لِلطَّائِرِ وَأَوْسٍ . وَهُوَ شَدِيدُ الْأُحْتِيَاطِ إِذَا وَقَعَ
 عَلَى شَيْءٍ يَنْظُرُ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَوَرَاءَهُ . وَمَعَ كَثْرَةِ أُحْتِيَاطِهِ كَثِيرُ الْوُقُوعِ
 فِي الْفِتَنِ يَتَّخِذُ عَشَاءً عَجِيبًا لَهُ تَأْلِيفٌ مُجِيبٌ . وَهُوَ أَنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى ثَلَاثَةِ
 أَعْوَادٍ مِنْ شَجَرَةِ الْكُرْمِ أَوْ شَجَرَةٍ مِثْلِهَا عَرِيضَةً الْأُورَاقِ . وَيَأْتِي
 بِجَشِيشٍ فِي غَايَةِ اللَّطَافَةِ وَيَسْجُجُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَعْوَادِ سَائِلَةً لَطِيفَةً
 عَجِيبَةً التَّأْلِيفِ لَا يُمَكِّنُ لِلبَشَرِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا . وَيَدْعُو الْبَيْضَةَ فِيهَا
 وَتَكُونُ السَّيْلَةَ مُسْتَتِرَةً بِأُورَاقِ الشَّجَرِ لَا يَرَاهَا شَيْءٌ مِنْ جَوَارِحِ
 الطَّيْرِ . حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ : كَانَ طَرْفَةٌ مَعَ عَمَةٍ فِي سَفَرٍ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ
 سِنِينَ فَتَزَلُّوا عَلَى مَاءٍ فَذَهَبَ طَرْفَةٌ بِفِخْخٍ لَهُ إِلَى مَكَانٍ فَصَبَّهُ لِنَقَّارٍ
 وَبَقِيَ عَامَّةٌ يَوْمَهُ لَمْ يَصِدْ شَيْئًا . ثُمَّ حَمَلَ فِخْخَهُ وَعَادَ إِلَى عَمَةٍ فَرَحَلُوا
 مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ فَرَأَى النَّقَّارُ يَأْتِطُنَ مَا نَثَرَ لَهُنَّ مِنْ الْحَبِّ فَقَالَ :
 يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِعَمْرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُعْضِي وَأَضْفِرِي
 قَدْ رُفِعَ الْفِخْخُ فَمَاذَا تُحْذِرِي وَنَقَّرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقِرِي
 قَدْ ذَهَبَ الصِّيَادُ خَنَكَ فَأَبْشِرِي لَا بَدَّ مِنْ أَخْذِكَ يَوْمًا فَأَحْذِرِي

الموام والحشرات

٤٣٠ (حَيَّةٌ) . إِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْحَيَوَانَاتِ خَلْقَةً وَأَشَدِّهَا بَأْسًا وَأَقْوَمًا
 غِذَاءً وَأَطْوَلَهَا عُمْرًا . قَالُوا لَيْسَ فِي حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ شَيْءٌ يَقْتُلُ نَهْشُهُ
 أَسْرَعُ مِنَ الْحَيَّةِ وَلَا شَيْءٌ يَغْتَذِي بِالتُّرَابِ غَيْرُهَا . وَمِنْ عَجَائِبِ الْحَيَّةِ

أَنَّهَا إِذَا عَرَفَتْ أَنَّهَا مَقْتُولَةٌ أَحْرَزَتْ رَأْسَهَا بِبَدْنِهَا وَجَعَلَتْ بَدْنَهَا وَقَايَةً
لِرَأْسِهَا وَلَا تَزَالُ تَنْطَوِي لِأَلَّا تَقَعَ الضَّرْبَةُ عَلَى رَأْسِهَا مِثْلَ الْحَيَاةِ .
وَلَيْسَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْحَيَّةِ إِلَّا وَجِسْمُ الْحَيَّةِ أَقْوَى مِنْهُ .
وَلِذَلِكَ إِذَا أَدْخَلَتْ صَدْرَهَا فِي جُحْرٍ أَوْ صَدَعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ
إِخْرَاجَهَا مِنْهُ وَرَبَّمَا تَقَطَّعَتْ وَلَا تَخْرُجُ . وَلَيْسَ لَهَا قَوَائِمٌ وَلَا أَظْفَارٌ
تَتَثَبَّتُ بِهَا وَإِنَّمَا قَوِي ظَهْرُهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ الْكَثِيرَةُ أَضْلَاعِهَا فَإِنَّ لَهَا
ثَلَاثِينَ ضِلْعًا . وَإِذَا مَشَتْ عَلَى بَطْنِهَا فَتَدْفَعُ أَجْزَأُهَا وَتَسْمَعِي بِذَلِكَ
الدَّفْعِ الشَّدِيدِ . وَلِسَانُهَا مَشْقُوقٌ فَيُظَنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لَهَا لِسَانَيْنِ .
وَتُوصَفُ بِالنَّهْمِ وَالشَّرِّهِ لِأَنَّهَا تَبْتَلِعُ الْفِرَاحَ مِنْ غَيْرِ مَضْغٍ كَمَا يَفْعَلُ
الْأَسَدُ . وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا ابْتَلَعَتْ شَيْئًا لَهُ عَظْمٌ أَتَتْ شَجَرَةً أَوْ نَحْوَهَا
فَتَلْتَوِي عَلَيْهَا التَّوَاءَ شَدِيدًا حَتَّى يَتَكَسَّرَ ذَلِكَ فِي جَوْفِهَا . وَالْحَيَّةُ مِنَ
الْأَمَمِ الَّتِي تَكْبُرُ أَضْفَانُهَا فِي الصَّغَرِ وَالْكَبِيرِ وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّاسِ وَالْهَرَبِ
مِنْهُمْ . فَمِنْهَا مَا لَا يُرْذِي إِلَّا إِذَا وَطِئَتْهُ وَاطَى . وَمِنْهَا مَا لَا يُرْذِي إِلَّا إِذَا
أَذَاهُ النَّاسُ مَرَّةً . وَمِنْهَا الْأَسْوَدُ الَّذِي يَحْقُدُ وَيَتَكَنَّسُ حَتَّى يُدْرِكَ
طَالِبَهُ . وَشَرُّ الْحَيَّاتِ الْأَفَاعِي وَمَسَاكِنُهَا الرَّمَالُ وَالْأَفْعَى حَيَّةٌ رَقِشَاءُ
دَقِيقَةُ الْعُنُقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَالْبَقْرُ الْوَحْشِيُّ يَأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيعًا
وَهِيَ أَعْدَى عَدُوِّ الْإِنْسَانِ . قَالَ الْجَالِظُ : الْأَفْعَاءُ تَظْهَرُ الصَّيْفَ فِي
أَوَّلِ اللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ وَهَجَّ ظَهْرُ الْأَرْضِ فَتَأْتِي قَارِعَةً الطَّرِيقَ وَتَسْتَدِيرُ
كَأَنَّهَا رَحًا وَيَلْصِقُ بَدْنَهَا بِالْأَرْضِ وَيَشْخَصُ رَأْسُهَا مُتَعَرِّضَةً لِأَنَّ يَطَأَ

إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ لِنَهَشِهِ وَتَمَّهَا مَوْتُ سَرِيعٌ

٤٣١ (السَّجَابُ) . حَيَوَانٌ عَلَى حَدِّ الْبُرْبُوعِ . أَكْبَرُ مِنَ الْقَارِ وَشَعْرُهُ فِي غَايَةِ النُّعْمَةِ يُتَّخَذُ مِنْ جُلْدِهِ الْفِرَاءُ يَلْبَسُهُ الْمُتَنَعِمُونَ . وَهُوَ شَدِيدُ الْحَيْلِ إِذَا أَبْصَرَ الْإِنْسَانَ صَعَدَ الْعَامِيَّةَ وَفِيهَا يَأْوِي وَمِنْهَا يَأْكُلُ . وَهُوَ كَثِيرٌ بِبِلَادِ الصَّقَالِبَةِ وَالتُّرْكِ وَمِزَاجُهُ حَارٌّ رَطْبٌ لِسْرَعَةِ حَرَكَتِهِ عَنِ حَرَكَةِ الْإِنْسَانِ . وَأَحْسَنُ جُلُودِهِ الْأَزْرَقُ الْأَمَّاسُ

٤٣٢ (عَثْرَبٌ) . أَخْبَثُ الْحَشْرَاتِ . تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ وَلَهَا ثَانِيَةٌ أَرْجُلٌ وَعَيْنَانِ عَلَى بَطْنِهَا . وَإِذَا لَدَغَتْ هَرَبَتْ فِي الْحَالِ . وَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا أَوَّلَ اللَّيْلِ تَلْدَغُ كُلَّ شَيْءٍ تَلْقَاهُ مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ جَمَادٍ وَرُبَّمَا ضَرَبَتْ الْحَجَرَ وَالْمَدْرَ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ :

رَأَيْتُ تَلَى صَخْرَةٍ عَثْرَبًا وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَانًا
فَقَالَتْ لَهَا إِنَّهَا صَخْرَةٌ وَطَبْعُكَ مِنْ طَبْعِهَا أَلَيْسَا
فَقَالَتْ صَدَقْتَ وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنَا

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهَا أَنَّهَا لَا تَضْرِبُ أَلَيْتَ وَلَا النَّائِمَ حَتَّى يَتَحَرَّكَ بِشَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَلِكَ تَضْرِبُهُ . وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّهَا إِذَا أَسَمَتْ الْإِنْسَانَ فَرَّتْ فِرَارٌ مُسِيٍّ يَخْشَى الْعَقَابَ (الدميري)

٤٣٣ (قُنُقُذٌ) . الْحَيَوَانُ الَّذِي سِيَاحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ الشُّوكُ الَّذِي عَلَيْهِ وَيَقْبَعُ بِحَيْثُ لَا يَتَيَّنُّ مِنْ أَضْرَافِهِ شَيْءٌ . وَيَسْتَطِيبُ الْهَوَاءَ وَيَتَّخَذُ مَسْكَنَهُ بَيْنَ أَحَدِهِمَا مُسْتَقْبِلُ الشِّمَالِ وَالْآخَرُ مُسْتَقْبِلُ الْجَنُوبِ .

وَيُعَادِي الْحَيَّةَ فَإِنْ ظَفِرَ بِقَفَاهَا أَكَلَهَا بِأَسْهَلِ طَرِيقٍ وَإِنْ ظَفِرَ بِذَنَبِهَا
عَضَّ ذَنَبَهَا وَيَتَّبِعُ. وَيُعْطَى الْحَيَّةَ ظَهْرَهُ فَالْحَيَّةُ تَضْرِبُ نَفْسَهَا عَلَى شَوْكِهِ
حَتَّى تَهْلِكَ. وَيَصْعَدُ الْكُرْمُ وَيَرْمِي حَبَاتِ الْعَنَابِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ
يَتَمَرَّغُ فِي الْحَبَاتِ لِيَدْخُلَ شَوْكُهُ فِي الْحَبَاتِ وَيَحْمِلُهَا إِلَى أَوْلَادِهِ.
وَمِنْهَا صَنْفٌ يُقَالُ لَهُ الدُّلْدُلُ وَهُوَ أَكْبَرُ جِسْمًا مِنَ التُّنْفُذِ وَأَطْوَلُ شَوْكًا.
نُسِبَتْ لَهُ إِلَى التُّنْفُذِ كَنِسْبَةِ الْجَامُوسِ إِلَى الْبَقْرِ قَالُوا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْمِيَ
الشَّوْكََ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا أَوْ عَدُوًّا يَرْمِيهِ كَرْمِي النَّشَابِ وَلَا يُخْطِي.
فَتَمَّ الشَّوْكَةُ كَرْمِ النَّشَابِ الْمُسَدَّدِ وَتَبَّتْ فِيهِ

٤٣٤ (مثل) . حَيَوَانٌ حَرِيصٌ عَلَى جَمْعِ الْغِذَاءِ وَهُوَ عَظِيمُ الْحَيَلِ فِي
طَلَبِ الرِّزْقِ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ لِيَأْتُوا إِلَيْهِ . وَيُقَالُ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْهَا رُؤْسًا وَهِيَ . وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يَحْتَكِرُ قُوَّتَهُ مِنْ زَمَنِ
الصَّيْفِ لِمَنْ الشِّتَاءِ . وَهُوَ فِي الْأُحْتِكَارِ مِنَ الْحَيْلِ مَا إِنَّهُ إِذَا أُحْتَكِرَ
مَا يَخَافُ أَنْ يَنْصِفَهُ نِصْفَيْنِ مَا خَلَا الْكُسْبُورَةَ فَإِنَّهُ يَقْسِمُهَا أَرْبَاعًا أَلَا أَلْهَمَ
مِنْ أَنْ كُلَّ نِصْفٍ مِنْهَا يَنْبُتُ وَإِذَا خَافَ الْعَفْنُ عَلَى الْحَبِّ أَخْرَجَهُ إِلَى
ظَاهِرِ الْأَرْضِ وَنَشَرَهُ وَإِذَا أَحْسَتِ بِالغَيْمِ رَدَّتْهُ إِلَى مَكَانِهَا خَوْفًا مِنَ
المَطَرِ . فَإِنْ أَتَى شَيْءٌ مِنْهَا تَبَسُّطَهُ يَوْمَ الصَّبْحِ فِي الشَّمْسِ . وَمِنْ عَجَائِبِهِ
أَخْذُهُ الْقَرِيَةَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَفِيهَا مَنَازِلٌ وَدَهَالِيزٌ وَغُرُفٌ وَطَبَقَاتٌ
مُعْتَطَفَاتٌ يَلْهَأُهَا حُبُوبًا وَذَخَائِرَ لِلسَّتَاءِ . وَتَجْعَلُ بَعْضُ بُيُوتِهَا مُخْتَفِضًا
لِيَنْصَبَ إِلَيْهِ الْمَاءُ وَبَعْضُهَا مُرْتَفِعًا لِلْحَبِّ . وَمِنْهَا أَيْضًا أَنَّهُ مَعَ لَطَافَةِ

شخصه وخفة وزنه له شم ليس شيء من الحيوان مثل ذلك . فإذا وقع شيء من يد الإنسان في موضع لا ترى فيه شيئاً من النيل فلا يلبث أن يقبل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشيء . ويشم رائحة الشيء الذي لو وضعت على أنفك ما وجدت له رائحة (للقزويني)

السبك

٤٣٥ السبك من خاق الماء وهو أنواع كثيرة ومنه كبار . وما لا يدركه الطرف لصغره وكل يأوي الماء ويستشقه كما يستشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستشق الهواء بالأنف ويصل بذلك إلى قصة الرئة . والسبك يستشق بأصدغه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء . وإنما استغنى عن الهواء في إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأنه من عالم الماء ونحن من عالم الأرض . وصغار السبك تحترس من كباره ولذلك تطاب ماء الشطوط والماء القليل الذي لا يحمل الكبير . وهو شديد الحركة لأن قوته الحركة الإرادة تجري في مسلك واحد لا ينقسم في عضو خاص . وهذا بعينه موجود في الحيات . ومن جملة أنواعه السقفور والدئين والحرفلا والتمساح . ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات وغير ذلك

٤٣٦ (الدئين) دابة من البحر تنجى الغريق بكنهه من ظهرها يستعين به على السباحة . وهو كثير بأوخر نيل مصر من جهة البحر

أَمْلَحَ لِأَنَّهُ يَقْدِفُ بِهِ النَّجْرُ إِلَى النَّيْلِ . وَصَفَتْهُ كَهَيْئَةِ الرِّزْقِ الْمُنْفُوحِ
وَأَنَّهُ رَأْسٌ صَغِيرٌ جِدًّا وَلاَ يَسَى فِي دَوَابِّ النَّجْرِ مَا لَهُ رَيْةٌ سِوَاهُ فَلِذَلِكَ
لِيَسْمَعَ مِنْهُ التَّنْفِخُ وَالنَّفْسُ . وَهُوَ إِذَا ظَهَرَ بِالغَرِيقِ كَانَ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي
نَجَاتِهِ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْبَرِّ حَتَّى يُنَجِّيه . وَلاَ يُؤْذِي أَحَدًا وَلاَ
يَأْكُلُ إِلَّا السَّمَكَ . وَرَبَّمَا ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ وَهُوَ يَأْتِي وَيُرْضَعُ .
وَأَوْلَادُهُ تَتَّبِعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ وَلاَ يَأْتِي إِلَّا فِي الصَّيْفِ . وَمِنْ طَبَعِهِ الْأَنْسُ
بِالنَّاسِ وَإِذَا صِيدَ جَاءَتْ دَلَّافِينَ كَثِيرَةً لِقِتَالِ صَائِدِهِ . وَإِذَا لَبِثَ فِي
الْعُمُقِ حِينًا حَبَسَ نَفْسَهُ . ثُمَّ صَعِدَ مُسْرِعًا مِثْلَ السَّمِّهِمْ لِطَلَبِ النَّفْسِ
فَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَفِينَةً وَثَبَ وَثَبَةً أَرْتَفَعَهَا بِالسَّفِينَةِ (لِلدَمِيرِيِّ)

أَبوابُ الرَّابِعِ عَشَرَ فِي التَّارِيخِ

ذَكَرَ دَوْلَةَ الْكَلْدَانِيِّينَ (مِنْ ١٩٠٠ إِلَى ٥٣٨ قَبْلَ الْمَسِيحِ)

٤٣٧ الْكَلْدَانِيُّونَ أُمَّةٌ قَدِيمَةٌ الرِّبَاسَةُ نَبِيَّهُ الْمَلُوكُ . كَانَ مِنْهُمْ
النَّارِدَةُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ كَانَ أَوْلَهُمْ نَمْرُودٌ مِنْ بَنِي حَامٍ بَنِي النَّجْدِيِّ .
وَكَانَ مِنْ وُلْدِ نَمْرُودَ بَنَتْ نَصْرُ الَّذِي غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا
كَثِيرًا وَسَبَى بَقِيَّتَهُمْ . وَغَزَا مِصْرَ وَأَفْتَحَهَا وَدَوَّخَ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ
(٦٠٦) . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُ الْكَلْدَانِيِّينَ بِبَابِلَ إِلَى أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْفَرَسُ

وَعَلَبُوهُمْ عَلَى مَمْلَكَتِهِمْ وَأَبَادُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ فَدَرَسَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصُحِبَتْ
 آثارُهُمْ (٥٣٨). وَكَانَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِأَرْضَادِ الْكَوَاكِبِ وَتَحَقُّقُ بِلْغَمِ أَسْرَارِ
 الْفَلَكَ وَمَعْرِفَةٌ مَشْهُورَةٌ بِطَبَائِعِ النُّجُومِ وَأَحْكَامِهَا . وَهُمْ نَهَجُوا لِأَهْلِ
 الشَّقِ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَعْمُورِ الْأَرْضِ الطَّرِيقَ إِلَى تَدْبِيرِ الْهَيَاكِلِ
 لِإِظْهَارِ طَبَائِعِ الْكَوَاكِبِ بِضُرُوبِ التَّدَابِيرِ الْخُصُوصَةِ بِهَا . وَلَمْ يَصِلْ
 إِلَيْنَا مِنْ مَذَاهِبِ الْكَلْدَانِيِّينَ فِي حَرَكَاتِ النُّجُومِ وَلَا مِنْ أَرْضَادِهِمْ
 غَيْرِ الْأَرْضَادِ الَّتِي نَقَلَهَا عَنْهُمْ بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ الْجِنْسِيِّ

ذكر الفرس ودولهم ومن اشهر من ملوكهم

٤٣٨ أما الفرس فأهل الشرف الشايع والعز الباذخ وأوسط
 الأمم داراً وأشرفهم إقليداً وأسوسهم ملزكا تجمعهم وتدفع ظالمهم عن
 مظلومهم . وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم . على اتصال ودوام .
 وأحسن التمام وانتظام . وخواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب
 ومعرفه نافية بأحكام النجوم . وكانت لهم أرضاد قديمة وقال
 بعض علماء العجم : أول من ملك بعد الطوفان كيومرت من بني
 سام . وكان ينزل فارس واتخذ الآلات لإصلاح الطرق وحفر
 الأنهار وذبح ما يوكل من الحيوان وقتل السباع . وما زال الملك في
 ولده إلى أن ملك دارا الذي غزاه الإسكندر وقتل في المعركة (٣٣٣) .
 ثم ملكت الدولة الأشكانية وأولهم أشك (٢٦٦ قبل المسيح)
 وتسمى خلقاؤه بالشاهية . ودام الملك فيهم إلى أن ظهرت المهلكة

السَّاسَانِيَّةُ (٢٢٦ للمسيح) أَوْلَهُمْ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَاكَ مِنْ بَنِي كَشْتَاذَابَ
فَأَحْسَنَ السَّيرَةَ وَبَسَطَ الْعَدْلَ (لابي القريج)

٤٣٩ وأشتهر في الدَّوْلَةِ السَّاسَانِيَّةِ (سابور بن أردشير ٢٤١ -

٢٧٢) وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ حَازِمًا شَخْصًا إِلَى نَصِيبِينَ فَمَلَكَهَا عَنُودًا .

فَقَتَلَ وَسِيَّ وَأَفْتَحَ مِنَ الشَّامِ مَدِينًا وَأَسَرَ وَالْأَرِيَانِسَ وَحَمَلَهُ إِلَى

جَنْدِيسَابُورَ وَيُقَالُ جَدَعَ أَنْفَهُ بِلِ قَتْلِهِ . وَيُقَالُ فِي زَمَانِهِ اسْتُخْرِجَتْ

الْعُودُ وَهِيَ الْمِلْهَاءُ الَّتِي يُعْنَى بِهَا . وَمِنْهُمْ (بهرام بن هرمز ٢٧٦) وَكَانَ

حَلِيمًا وَقَوْرًا وَأَحْسَنَ السَّيرَةَ وَأَقْتَدَى بِأَبَائِهِ وَكَانَ مَانِي صَاحِبُ الْقَوْلِ

بِالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ فِي أَيَّامِهِ فَجَمَعَ بِهَرَامِ الْعُلَمَاءِ لِامْتِحَانِهِ فَأَشَارُوا بِكُفْرِهِ

فَقَتَلَهُ . وَمِنْهُمْ (سابور بن هرمز ٣١٠ - ٣٨٠) . وَظَهَرَ مِنْهُ نَجَابَةٌ

عَظِيمَةٌ مِنْ صِبَاهٍ وَمَا بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً أُتُّخِبَ فُرْسَانَ

عَسَكَرَهُ عِدَّةً وَسَارَ بِهِمْ إِلَى الْعَرَبِ وَقَتَلَ مِنْ وَجَدَهُ مِنْهُمْ . وَكَانَ يَنْزِعُ

الْكَتَافَ الْأَسْرَى فَسَمَّى سَابُورَ ذَا الْأَكْتِافِ . وَلَمْ يَنْزِلْ بِمَاءٍ لِلْعَرَبِ

إِلَّا وَغَوْرَهُ وَلَا يَبْرُ إِلَّا وَطَمَهَا ثُمَّ عَطَفَ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ

وَسِيَّ حَتَّى هَادَنَهُ قُسْطَنْطِينَ . وَأَسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُوْفِيَ قُسْطَنْطِينَ

وَبَنُوهُ . ثُمَّ مَلَكَ عَلَى الرُّومِ يُلْيَانُسُ وَارْتَدَّ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَقَتَلَ

النَّصَارَى وَأَخْرَبَ الْكِنَانِسَ وَأَحْرَقَ الْإِنْجِيلَ . وَسَارَ إِلَى قِتَالِ سَابُورَ

فَأَصَابَهُ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ غَرْبٌ فِي فُؤَادِهِ فَقَتَلَهُ (٣٦٣) . وَأَنْتَظَمَ

أَصْلَحُ وَالْمُودَّةَ بَيْنَ الْفُرسِ وَالرُّومِ . وَمِنْهُمْ (أوشروان ٥٣١) هَذَا

نَوِي بَعْدَ ضَعْفِهِ بِإِدَامَةِ أَنْظَرٍ وَهَجْرِ الْأَلَادِ وَتَرَكَ اللَّهُو . وَقَوَى جُنْدَهُ
بِالْأَسْحَةِ وَالْكَرَاعِ وَعَمَّرَ الْبِلَادَ وَرَدَّ إِلَى مَلِكِهِ كَثِيرًا مِنْ الْأَطْرَافِ
الَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ بَعْلًا وَأَسْبَابِ شَتَّى مِنْهَا السِّنْدُ وَصَحَارِ سِتَانِ
وَدُورُ سِتَانِ وَغَيْرُهَا وَبَنَى الْمَعَاقِلَ وَالْحُصُونِ . وَمِنْهُمْ هَرْمَزُ بْنُ
أَنُوشِروَانَ (٥٧٩) وَكَانَ عَادِلًا يَأْخُذُ لِلْأَدْنَى مِنَ الشَّرِيفِ وَبَالِغٍ فِي
ذَلِكَ حَتَّى أَبْغَضَهُ خَوَاصُّهُ وَأَقَامَ الْحَقَّ عَلَى بَيْتِهِ وَنَحْبِهِ وَأَفْرَطَ فِي
الْعَدْلِ . ثُمَّ تَوَارَثَ بَنُوهُ الْمُلْكَ إِلَى أَنْ مَلَكَ يَزْجَرْدُ بْنُ شَهْرِبَارِ الْعَادِلِ
يَهُوْ أَخِرَ مُلُوكِ الْفَرَسِ . فَلَمَّا مَلَكَ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِ الدَّوْلَةُ وَتَفَاقَمَتْ
أُمُورُهَا وَطَلَعَتْ أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ بِالنُّصْرَةِ (٦٤١) (لَانِي الْفِدَاءِ)

نظري في دولة اليونانيين وفلاسفتهم (من ٨٨٤ الى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٥ أما اليونانيون فكانوا أمة عظيمة القدر في الأمم . طائفة
الذكري في الأفق فخمة الملوك . منهم الإسكندر بن فيليفوس
المقدوني (٣٣٦) الذي أجمع ملوك الأرض طرأ على الطاعة لسلطانه .
وكان من بعده من ملوك اليونانيين البطالسة (٣٠١ - ٣٠) دامت
لهم الممالك وذلت لهم الرقاب . ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أن غلب
عليهم الروم . وكانت بلاد اليونانيين في الربع الغربي الشمالي من
الأرض . وأقسم الأعظم منها في حيز المشرق وأقسم الأصغر منها
في حيز المغرب . ولغة اليونانيين أوسع اللغات وأجلها . وكانت عامة
اليونانيين صابئة معظمة للكواكب دائنة بعبادة الأصنام . والفلاسفة

مِنْهُمْ مَنْ أَرْفَعَ النَّاسَ طَبَقَةً وَأَجَلِ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْزِلَةً لِمَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنَ
 الْأَعْتَاءِ بِفَنونِ الْحِكْمَةِ وَمَعَارِفِ السِّيَاسَاتِ الْمَنْزِلِيَّةِ (الابن الفرج)
 ٤٤١ وَجَمِيعِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ مَأْخُوذَةً عَنِ الْيُونَانِيِّينَ مِثْلَ الْعُلُومِ
 الْمُنْطِقِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ . وَالْعِلْمِ الرِّيَاضِيِّ مُشْتَمِلٌ عَلَى
 عِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْحِسَابِ وَاللَّحُونِ وَالْإِيقَاعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَكَانَ
 الْعَالَمُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ يُسَمَّى فَيْلسُوفًا وَتَفْسِيرُهُ مَحَبُّ الْحِكْمَةِ . وَمِنْ
 فَالَسْفَتِهِمْ (ثَالِيسُ الْمَلْطِيُّ ٦٣٩) . (وَفَيْثَاغُورُسُ ٤٨٠) مِنْ كِبَارِ الْحُكَمَاءِ
 وَالْفَلَاحِيَّةِ . كَانَ يَقُولُ : مَا سَمِعْتُ شَيْئًا أَلَدَّ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلاكِ وَلَا
 رَأَيْتُ شَيْئًا أَنْهَى مِنْ صُورَتِهَا . وَمِنْهُمْ بَقْرَاطُ الْحَبِيبِيُّ الطَّبِيبُ
 الْمَشْهُورُ . وَمِنْهُمْ (سُقْرَاطُ ٤٧٠) وَكَانَ حَكِيمًا فَاضِلًا زَاهِدًا اشْتَعَلَ
 بِالرِّيَاضَةِ وَأَعْرَضَ عَنِ مَلَاذِ الدُّنْيَا . وَنَهَى النَّاسَ عَنِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ
 فَثَارَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ وَالْحَاوِءُ مَلَاحِمَهُ إِلَى قَتْلِهِ فَجَبَسَهُ ثُمَّ سَدَّاهُ سَمَاتٍ .
 وَمِنْهُمْ (أَفْلَاطُونُ الْإِلَهِيُّ ٤٣٠) وَكَانَ تَلْمِيزًا لِسُقْرَاطُ . وَلَمَّا أُغْتِيلَ
 سُقْرَاطُ بِالسَّمِّ قَامَ أَفْلَاطُونُ مَقَامَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ . وَمِنْهُمْ
 أَرِسْطَاطَالِيسُ (٣٨٤) وَكَانَ تَلْمِيزًا لِأَفْلَاطُونِ وَبَا صَارَ عَمْرُ أَرِسْطُو
 الْمَذْكُورِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً أَسْلَمَهُ أَبُوهُ إِلَى أَفْلَاطُونِ فَمَكَثَ عِنْدَهُ نِيفًا
 وَعَشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ صَارَ حَكِيمًا مَبْرُورًا يُشْتَعَلُ عَلَيْهِ . وَهِيَ جُمْلَةٌ تَلَامِيذُهُ
 أَرِسْطُو الْمَلِكُ إِسْكَندَرُ الَّذِي مَلَكَ غَالِبَ الْمَعْمُورِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى
 الشَّرْقِ وَأَقَامَ الْإِسْكَندَرُ يَتَعَلَّمُ عَلَى أَرِسْطُو خَمْسَ سِنِينَ وَبَلَغَ فِيهَا

أَحْسَنَ الْمُبَالِغِ وَنَالَ مِنَ الْفَلْسَفَةِ مَا لَمْ يَنْلِ سِائِرُ تَلَامِيذِ أَرِسْطُو . وَمِنْهُمْ
 أَقْلَيْدِسُ (٣٢٠) صَاحِبُ كِتَابِ الْإِسْتِقْصَاتِ الْمَسْمُومَةِ بِاسْمِهِ وَكَانَ فِي
 أَيَّامِ مُلُوكِ الْيُونَانِ الْبَطَالِسَةِ . فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَرِسْطُو بِبَعِيدٍ . وَأَمَّا
 بَطْلِيمُوسُ وَجَالِينُوسُ فَإِنَّ زَمَانَهُمَا مَتَأَخَّرَ عَنْ زَمَنِ الْيُونَانِ وَكَانَا فِي
 زَمَنِ الرُّومِ وَقَدْ أَذْرَكَ جَالِينُوسُ زَمَانَ بَطْلِيمُوسَ وَبَطْلِيمُوسُ هُوَ
 الْمُصَنِّفُ الْمَجْسُطِيُّ . وَمِنْهُمْ فِرْفُورِيُوسُ (٣٦٠ للمسيح) وَكَانَ مِنْ أَهْلِ
 مَدِينَةِ صُورَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِالشَّامِ وَكَانَ بَعْدَ زَمَنِ جَالِينُوسَ . وَكَانَ
 عَالِمًا بِكَلَامِ أَرِسْطُو وَقَدْ فَسَّرَ كِتَابَهُ لَمَّا شَكَا إِلَيْهِ النَّاسُ غَمُوضَهَا وَعَجْزَهُمْ
 عَنْ فَهْمِ كَلَامِهِ (لابن الاثير)

ملك اسكندر ذي القرنين (من ٣٣٦ الى ٣٢٣)

٤٤٢ وَمِنْ جَمَلَةِ مُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ الْإِسْكَندَرُ بْنُ فِيلِيْفُوسِ الْمَقْدُونِيِّ
 الَّذِي أَجْمَعَ مُلُوكَ الْأَرْضِ طَرًّا عَلَى الطَّاعَةِ لِسُلْطَانِهِ وَمَلَكَ سِتِّ سِنِينَ
 بَعْدَ قَتْلِهِ دَارِيُوشَ . وَكَانَ قَدْ مَلَكَ قَبْلَ ذَلِكَ سِتًّا أُخْرَى وَفَتَحَ بِلَادًا
 كَثِيرَةً حَتَّى بَلَغَ مُلْكُهُ إِلَى أَقْصَى الْهِنْدِ وَأَوَائِلِ حُدُودِ الصِّينِ وَسَمَّى ذَا
 الْقَرْنَيْنِ لِابْلُوغِهِ قَرْنِي الشَّمْسِ وَهِيَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ . وَقَتَلَ خَمْسَةَ
 وَثَلَاثِينَ مَلِكًا وَبَنَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَدِينَةً مِنْهَا اثْنَتَانِ فِي بَلَدِ خُرَاسَانَ
 وَهِيَ هَرَاتُ وَمَرُوءُ وَوَاحِدَةٌ فِي بَلَدِ السُّغْدِ وَهِيَ سَمَرْقَنْدُ . وَأُخْرَى فِي بَلَدِ
 الْبَطْنِ وَهِيَ الْإِسْكَندَرِيَّةُ . وَفِي عَوْدَتِهِ مِنَ الْهِنْدِ وَوُضُوْلِهِ إِلَى بَابِ
 مَاتَ مَسْمُومًا وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ ذَهَبٍ وَجُمِلَ عَلَى أَكْتِافِ الْمُلُوكِ

وَالْأَشْرَافِ إِلَى إِسْكَندَرِيَّةِ الْقِبْطِ وَدُفِنَ بِهَا. وَبَعْدَ مَوْتِ إِسْكَندَرَ
تَقَالَمَ الْمَمَالِكُ أَرْبَعَةً مِنْ عِيْدِهِ وَهُمْ بَطْلِيمُوسُ بْنُ لَافُوسَ
وَأَرِيذَاوُسُ وَأَنْطِيُوخُوسُ وَسَلُوقُوسُ (لَايِي الْفَرَجِ)

ذَكَرَ الرُّومَانِيْنَ وَمَبَادِي دَوْلَتِهِمْ إِلَى زَمَانِ النَّشِيْخَةِ (مِنْ ٧٥٤ إِلَى ٥١٠ قَبْلَ تَسْمِيحِ)

٤٤٣ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ أَشْهَرِ أُمَّةِ الْعَالَمِ وَمَوَاطِنُهُمْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ
مِنْ خَلِجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاجَةِ فِيمَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْأَحْيِيطِ
وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ شِمَالِيهِ. وَكَانَ مَقَرُّ مُلُوكِهِمْ رُومَةَ الْكُبْرَى قَبْلَ
غَلَبَتِهِمْ عَلَى الْيُونَانَ. وَكَانَ الرُّومُ يَدِينُونَ بَدِينِ الصَّابِيْنَ وَهُمْ أَصْنَامُ
عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوكَبِ السَّبْعَةِ يَعْبُدُونَهَا. وَكَانَ مَبْدَأُ أَمْرِهِمْ أَنْ يَرْقُشَ
مَلِكُ الْأَطِنِيَّيْنَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَجَازَ الْمَلِكُ إِلَى حَافِدِيهِ وَهِيَ رُومُلُسُ
وَرَامَاشُ وَأَشْتَقَ رُومُلُسُ اسْمَ رُومَةَ مِنْ اسْمِهِ (٧٥٤). وَكَانَتْ مِنْ أَحْفَلِ
مُدُنِ الْعَالَمِ لَمْ تَزَلْ دَارَ مَمْلُوكَةِ الْأَطِنِيَّيْنَ وَالْقِيَاصِرَةِ حَتَّى أَصْحَبَهُمُ
الْإِسْلَامُ وَهِيَ فِي هَالِكِيهِمْ. ثُمَّ بَعْدَ ابْتِنَاءِ رُومَةَ وَثَبَ رُومُلُسُ عَلَى أَخِيهِ
فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ بَعْدَ قَتْلِهِ ثَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَحَدَّهُ وَالْخَزْرَ رُومُلُسُ بِرُومَةَ
مَلَمِبًا عَجِيْبًا. وَوَعْدَ بَعْدَ رُومُلُسُ خَمْسَةَ مِنْ الْمَلِكِ (وَالْمَسْمُوحِ سِتَّةً)
أَغْتَصَبَ ابْنُ أَخِيهِمْ رَجُلًا فِي زَوْجِهِ فَقَتَلَتْ نَفْسَهَا. فَسَمَّ الْأَطِنِيُّونَ
وَلَايَةَ الْمَلِكِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ لَا يُرْتَلُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا وَقَدَّمُوا شِيُوخًا ثَلَاثَ
مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يَدِينُونَ مَلِكِيهِمْ. وَصَارَ هَكَذَا أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَ
الْوَزَرَاءِ (٥١٠). وَكَانَ الرُّومُ حُرُوبَ مَعَ الْأُمَّةِ الْخَبْرُورَةِ لَمْ يَنْ كَلِّ

جِهَةً فَاجَاذُوا إِلَى أَفْرِيْقِيَّةَ فَمَلَكَوْهَا وَخَرَبُوا قِرطاجنةَ ثُمَّ مَلَكُوا جَزِيرَةَ
صِقَالِيَةَ (٢٤١) ثُمَّ جَزِيرَةَ الأَنْدَلُسِ (٢٠٢) ثُمَّ حَارَبُوا يُونَانِيَيْنَ (١٤٦)
ثُمَّ حَارَبُوا أَقْرَسَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى الشَّامِ (٦٤) أَوْ مِصْرَ (٣٠)
لَخَبْرٍ عَنْ تَحْرِيْبِ قِرطاجنةَ (من ٢٦٩ إلى ١٤٦ قبل المسيح)

٤٤٤ كَانَ بِنَاءُ قِرطاجنةَ قَبْلَ بِنَاءِ رُومَةَ بِثَمَانِيْنِ وَسَبْعِيْنِ سَنَةً
(وَأَصْحَبُ مِبَاذِيْعِ رُومَةَ ثَلَاثَ سِنِيْنٍ أَعْلَى يَدِي دِيدَنْ . وَكَانَ بِهَا أَمِيرٌ يُسَمَّى
مَلِكُونَ وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ إِلَى الإسْكَندَرِ بِطَاعَتِهِ عِنْدَ اسْتِيْلَائِهِ عَلَى
طَرَسُوسَ . ثُمَّ صَارَ مَلِكُ أَفْرِيْقِيَّةِ إِلَى أَمَلْقَارِ مِنْ مَلِكِيَّتِهِمْ فَفَتَحَ صِقَالِيَةَ
وَهَاجَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومَانِيَيْنَ بِسَبَبِ أَهْلِ سَرْدَانِيَةَ . ثُمَّ
وَقَعَتِ السُّلْمُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ وُلِيَ بِقِرطاجنةَ أَمَلْقَارُ ابْنُهُ أَنْبِيلُ فَاجَاذَ إِلَى
بِلَادِ الإِفْرِيْقِيَّةِ وَعَلَيْهِمْ عَلَى بِلَادِهِمْ وَرَحَفَ إِلَيْهِ قُوَادِرُومَةَ فَوَالَى عَلَيْهِمْ
الْحَزَامِمْ وَبَعَثَ أَخَاهُ أَشْدْرُبَالَ إِلَى الأَنْدَلُسِ فَمَلَكَهَا وَخَالَفَهُ قُوَادِ
الرُّومَانِيَيْنَ إِلَى أَفْرِيْقِيَّةِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَوا مِنْ حُصُونِ صِقَالِيَةَ أَرْبَعِيْنِ أَوْ
ثَمَنِيْنِ ثُمَّ أَجَاذُوا إِلَى أَفْرِيْقِيَّةِ فَمَلَكَوْهَا وَقَتَلُوا خَاطِمَةَ أَنْبِيلِ فِيهَا
وَأَفْتَتَحُوا مَدِيْنَةَ جَرْدَا . وَخَرَجَ أَخْرُونُ مِنْ قُوَادِرُومَةَ إِلَى الأَنْدَلُسِ
فَهَزَمُوا أَشْدْرُبَالَ وَاتَّبَعُوهُ إِلَى أَنْ قَتَلُوهُ (٢٠٧) . وَفَرَّ أَخُوهُ أَنْبِيلُ
عَنْ بِلَادِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ عَشْرَ سَنَةٍ مِنْ إِجَاذَتِهِ إِلَيْهِمْ وَبَعْدَ أَنْ حَاصَرُوا
رُومَةَ وَأَخْنَفَ فِي تَوَلِّيهِمْ . فَحَقَّقَ بِأَفْرِيْقِيَّةِ وَتَمَّ بِقُوَادِ أَهْلِ رُومَةَ الَّذِينَ
أَجَاذُوا إِلَى أَفْرِيْقِيَّةِ فَهَزَمُوهُ . وَحَاصَرُوهُ بِقِرطاجنةَ حَتَّى سَأَلَ الصُّلْحَ

عَلَى أَنْ يَغْرَمَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ قَنْطَارٍ مِنَ الْفِضَّةِ فَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ
وَسَكَتَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ ظَاهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَبَلُ صَاحِبُ
أَفْرِيقِيَّةَ مُلُوكَ الشَّرِيَانِيِّينَ عَلَى حَرْبِ أَهْلِ رُومَةَ فَهَلَكَ فِي حَرْبِهِمْ
مَسْمُومًا (١٨٣) وَبَعْدَ أَنْ تَخَاسَ أَهْلُ رُومَةَ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ رَجَعُوا
إِلَى الْأَنْدَالِ فَمَلَكَوْهَا ثُمَّ أَجَازُوا الْبَحْرَ إِلَى قَرْطَاجَنَةَ فَفَتَحُوهَا وَقَتَلُوا
مَلِكَهَا وَخَرَّبُوهَا (١٤٦) (ابن خلدون)

حال اللطيين الى وفاة اونغسطس (من ١٤٦ قبل المسيح الى ١٤ بعد المسيح)

٤٤٥ وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ هَوْلَاءِ اللَّطِينِيِّينَ رَاجِعًا إِلَى الْوُزْرَاءِ مِنْذُ سَبْعِ
مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ عَهْدِ رُومَةَ تَتَمَرَعُ الْوُزْرَاءُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيُخْرِجُ قَائِدًا
مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا تُوجِبُهُ الْقَرْعَةُ فَيُحَارِبُونَ أُمَّمَ الطَّوَائِفِ
وَيَفْتَحُونَ الْمَمَالِكَ . حَتَّى إِذَا هَلَكَ الْأِسْكَندَرُ وَافْتَرَقَ أَمْرُ الْيُونَانِيِّينَ
وَفَشَلَتْ رِيحُهُمْ وَقَعَتِ فِتْنَةٌ هَوْلَاءِ اللَّطِينِيِّينَ مَعَ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةَ
وَأَسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا . وَمَلَكَوا الْأَنْدَالِ وَمَلَكَوا الشَّامَ وَأَرْضَ الْحِجَازِ وَقَهَرُوا
الْعَرَبَ بِالْحِجَازِ . وَأَفْتَحُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَسَرُوا مَلَكَهَا يَوْمَئِذٍ مِنْ
الْيَهُودِ وَهُوَ أَرِسْطَابُولُسُ ثَامِنُ مُلُوكِ بَنِي حَشْمَنَائِي وَغَرَّبُوهُ إِلَى رُومَةَ .
إِلَى أَنْ خَرَجَ يُوَاسُ قَيْصَرٌ وَوَدَعَنَاهُ شَقٌّ عِنْدَهُ لِأَنَّ أُمَّه مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ
تَلِدَهُ فَشَقُّوا بَطْنَهَا وَأَخْرَجُوهُ فَلَقِبَ قَيْصَرٌ وَصَارَ أَمْبَابًا لِلْمُلُوكِ الرُّومِ .
فَسَارَ إِلَى جِهَةِ الْأَنْدَالِ وَحَارِبَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ الْإِفْرِجِيِّينَ إِلَى أَنْ
مَلَكَ بَرْطَانِيَّةَ وَإِسْبُونَةَ وَرَجَعَ إِلَى رُومَةَ . وَأَسْتَخْلَفَ عَلَى الْأَنْدَالِ

أَكْتَبِيَانِ ابْنَ أَخِيهِ وَمَلِكَ عَلَيْهِمْ . وَكَانَ الشُّيُوخُ نَائِبُ بِنَاحِيَةِ الشَّرْقِ
يُقَالُ لَهُ فَمُيُوسُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ رَحَفَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ
يُوشُ فَهَزَمَهُ (٤٨) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رُومَةَ وَشَرَّ الْوُزَرَءَ أَنَّهُ يَرُومُ
الْإِسْتَبْدَادَ عَلَيْهِمْ فَتَلَّوهُ (٤٤) . فَزَحَفَ أَكْتَبِيَانُ ابْنَ أَخِيهِ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ فَأَخَذَ بِنَارِهِ وَمَلِكَ بَرُومَةَ (٤٢) . ثُمَّ عَصَى أَنْطُونِيُوسُ
عَلَى أَعْسَطُسَ وَانْهَزَمَ إِلَى مِصْرَ لِسَبَبِ عُسْفِهِ وَقَلَاوْفَطْرًا . فَخَرَجَ
أَعْسَطُسُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ مَلِكِهِ مِنْ رُومَةَ بِعَسَاكِرِ عَظِيمَةٍ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَسَارَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَسْرَ وَادِي قَلَاوْفَطْرًا
الْمُسَمَّى أَحَدَهُمَا ثَمْسًا وَالْآخَرَ قَمْرًا وَقَتَلَهُمَا . وَلَمَّا سَمِعَ أَنْطُونِيُوسُ
وَقَلَاوْفَطْرًا يَقْتُلُ الْوَلَدَيْنِ وَكَانَا مُحَاصِرَيْنِ فِي بَعْضِ الْحُصُونِ شَرِبَا سُمًّا
وَمَاتَا (٣٠) . وَلَمَّا مَلَكَ أَعْسَطُسُ دِيَارَ مِصْرَ وَالشَّامَ دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ
تَحْتَ طَاعَتِهِ كَمَا كَانُوا تَحْتَ طَاعَةِ الْبَطْرَاسَةِ قَوْلَى أَعْسَطُسُ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ عَلَى الْيَهُودِ وَالْيَا مِنْهُمْ وَكَانَ يُلقَبُ بِهِيَرُودُسَ . وَفِي أَيَّامِ
أَعْسَطُسَ وُلِدَ الْمَسِيحُ لِثَلَاثِينَ وَارْبَعِينَ مِنْ مَلِكِهِ (لابن العميد)

دوة القياصرة بني اغسطس (١٤ - ٦٩)

٤٤٦ ثُمَّ وُلِيَ مِنْ بَعْدِ أَعْسَطُسَ طَبَارِيُوشُ قَيْصَرٌ وَكَانَ جَائِرًا وَأَسْتَوَى
عَلَى النُّوَاجِي . وَعَلَى عَهْدِهِ كَانَ شَأْنُ الْمَسِيحِ وَبَغَى الْيَهُودَ عَلَيْهِ وَأَقَامَ
الْحَوَارِيُونَ مِنْ بَعْدِهِ وَالْيَهُودُ يَحْسُونَهُمْ وَيَضْطَهُدُونَهُمْ . ثُمَّ أَقْتَرُوا
فِي الْأَفَاقِ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَحَمَلِ الْأُمَّةِ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ . وَمَاتَ طَبَارِيُوشُ

لثلاث وعشرين من مملكه (٣٧). ثم ملك غايس قيصر (٣٧ - ٤١) وأمر أن تُنصب الأصنام في محاريب اليهود ووثب عليه بعض قوادِ قتياله وملك من بعد قلوديوش (٤١ - ٥٤) ووقعت في أيامه شدّة على النصارى وقتل يعقوب أخو يوحنا من الحواريين وحبس سمعون الصفا. ثم خُصّ وسار إلى أنطاكية وأقام بها ودعا إلى النصرانية. ثم توجه إلى رومة ودبرها ونصب فيها الأساقفة. وتتمرت أمرأه من بيت الملك فعصدت النصارى. وأقي الذين بالقدس شدائد من اليهود وكان عليهم يومئذ يعقوب أخو يوحنا من الحواريين فثار اليهود على من كان بالقدس من النصارى وقتلوا أسقفهم وهدموا البيعة. وأخذوا الصليب والأشبهين ودفنوها إلى أن استخرجتها هيلانة ام قسطنطين. وملك من بعد قلوديوش ابنه نيرون وهو خامس القيصرية وكان غشوماً فاسقاً وفي أيامه كان سيمون الساحر برومة. وبلغه أن كثيراً من أهل رومة أخذوا بدين المسيح فنكر ذلك وقتلهم حيث وجدوا. وقتل بطرس من بعد خمس وعشرين سنة مضت لبطرس في كرسيها وهو رأس الحواريين ورسول المسيح إلى رومة (٦٦). وقتل مرقس الإنجيلي بالإسكندرية اثنتي عشرة من ملك نيرون وبعث نيرون قائده إسباشيانوس وأمر بقتل اليهود وخراب القدس. ثم إن نيرون قيصر انتفض عليه أهل مملكته. فرجع أهل أرمينية إلى طاعة النرس وخرج عن طاعته أهل برطانية

مِنْ أَرْضِ الْجَوْفِ . فَبَعَثَ شَوَاطِيئَ نَسَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي الْعَسَاكِرِ
وَغَابَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ . ثُمَّ تَارَ بَنِي رُومَ جَمَاعَةً مِنْ قُوَادِهِ فَقَتَلُوهُ (٦٨)
وَمَلَكُوا غَابَانَ فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ أَشْهُرًا وَقَتَلُوهُ غِيلَةً وَقَدَّمُوا عِوَضَهُ أُتُونِ
ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ خَلَعُوهُ وَمَلَكُوا بَطَّالِسَ وَكَانَ رَدِيَّ السَّيْرَةِ . وَبَلَغَ
إِسْبَاشِيَانُوسَ مَوْتَ نِيْرُونَ بَيْنَمَا هُوَ فِي حِصَارِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ
بِالْإِنصِرَافِ إِلَى رُومَةَ وَبَشَّرَهُ يُوسُفُ بْنُ كَرْبُونِ وَكَانَ أَسِيرًا عِنْدَهُ
بِالْمَلِكِ فَأَنْطَاقَ إِلَى رُومَةَ وَخَلَفَ ابْنَهُ طِيْطُشَ عَلَى حِصَارِ الْقُدْسِ .
وَأَنْقَطَعَ مُلْكُ آلِ يُولِيسَ قِيْصَرَ لِمِائَةِ وَسِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ مَبْدِئِ
دَوْلَتِهِمْ وَأَسْتَقَامَ مُلْكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَتَسَمَّى
قِيْصَرَ كَمَا كَانَ قَبْلَ (٦٩) (لابن خلدون)

دولة فلايوس اسباشيانوس وبنيه الفلابيين (٦٩ - ٩٦)

٤٤٧ وَمَلِكُ إِسْبَاشِيَانُوسَ عَشْرَ سِنِينَ وَهُوَ بَنِي قَوْقُلَسَ أَي مَنَارَةَ
الْإِسْكَندَرِيَّةَ طُولُهَا مِائَةٌ وَخَمْسُ وَعَشْرُونَ خُطْوَةً . وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ
مِنْ مُلْكِهِ أَقْتَحَ طِيْطُشُ ابْنَهُ مَدِيْنَةَ أُورُشَلِيمَ وَقَتَلَ فِيهَا زُهَاءَ سِتِّينَ
أَلْفَ نَفْسٍ وَسَبْعِي نِيفًا وَمِائَةً أَلْفَ نَفْسٍ وَمَاتَ فِيهَا مِنْ الْجُوعِ خَلَقُ
كَثِيرٌ وَالْبَاقُونَ أَشْتَتُوا فِي الْبِلَادِ وَدَعَّرَهَا وَأَخْرَبَ هَيْكَلَهَا . وَتَمَّتْ
نُبُوَّةُ يَعْقُوبَ حَيْثُ قَالَ : لَنْ تَفْقَدَ هِرَاوَةَ الْمَلِكِ مِنْ يَهُوذَا وَلَا الْمُنْدَرُ
أَي النَّبِيَّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ مِنْ لَهِ الْعَلْبَةُ وَإِيَادُ تَتَوَقَّعُ الشُّعُوبُ .
وَتَمَّ أَيْضًا مَا أَنْذَرَهُ الْمُخْلِصُ مُخَاطَبًا لِأُورُشَلِيمَ : أَنَّهُ سَيَأْتِي أَيَّامٌ تَحِيْطُ

بِكَ أَعْدَاؤُكَ وَيَكْبِسُونَكَ وَبِيَدِكَ فِيكَ. وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً
مِنْ صَلْبِ الْمَسِيحِ (٧٠)

وَذَكَرَ يُوسُفُوسُ الْعِبْرِيُّ أَنَّهُ ظَهَرَ قَبْلَ خَرَابِ أُورُشَلِيمَ
عَلَامَاتُ قِطِيعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فَوْقَ الْمَدِينَةِ نَجْمٌ طَوِيلٌ كَثِيفٌ مِنْ
نَارٍ يَلْمَعُ. وَأَبْوَابُ الثُّخَاسِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَابِ الْهَيْكَلِ وَلَمْ تَكُنْ
تُغْلَقُ وَتُفْتَحُ دُونَ اجْتِمَاعِ عِشْرِينَ رَجُلًا وَجِدَتْ نِصْفَ الْإَيْلِ
مَفْتُوحَةً مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ. وَكَانُوا عَامَّةَ السَّنَةِ يَسْمَعُونَ فِي الْهَيْكَلِ أَصْوَاتًا
مُخْتَلِفَةً تَقُولُ: إِنَّا سَنَنْتَقِلُ مِنْ هُنَا

وَلَمَّا مَلَكَ طِيطَشُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ رَجَعَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا
عَبَرُوا إِلَى الْأُرْدُنِّ فَبَنَوْا كَنِيسَةً بِالْمُقَدَّسِ وَسَكَنُوا وَكَانَ الْأَسْقُفُ
فِيهِمْ شِمْعَانُ بْنُ كَلَاوُفَا وَهُوَ الثَّانِي مِنْ أَسَاقِفَةِ الْمُقَدَّسِ. ثُمَّ هَلَكَ
إِسْبَاشْيَانُوسُ لِتِسْعِ سِنِينَ مِنْ مُلْكِهِ وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ طِيطَشُ قِصْرُ
سِتِّينَ وَكَانَ مُتَمَنَّيًا فِي الْعُلُومِ مَا تَرَمَّا لِلْخَيْرِ عَارِفًا بِاللُّسَانِ الْغَرِيبِيِّ
وَاللُّطِينِيِّ وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِمُلْكِهِ انْشَقَّ جَبَلُ بَالُرُومِ وَخَرَجَ مِنْهُ
شَهْبٌ نَارٍ أَحْرَقَتْ مَدِينًا كَثِيرَةً وَوَقَعَ بِرُومَةَ حَرِيقٌ كَثِيرٌ. ثُمَّ مَلَكَ
دُومِيطْيَانُوسُ قِصْرُ (٨١-٩٦) وَنَفَى مِنْ رُومَةَ الْمُتَجَمِّينَ وَأَصْحَابَ
الزَّجْرِ وَالْقَالِ وَالْعِيَاظَةِ وَالطَّيْرَةِ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُغْرَسَ بِرُومَةَ كَرْمٌ أَلْبَنَةٌ.
ثُمَّ اضْطَهَدَ النَّصَارَى اضْطِهَادًا شَدِيدًا وَمَعَ هَذَا كَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ الْمَسِيحِ أَفْوَاجًا وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ تَمَسُّكًا أَشَدَّ

وَأَخْتَارَ فَطْرُوفِيلِسُ اتِّبَاعَ النَّصَارَى بِالسَّيْرَةِ الْحَسَنَةِ وَتَرَكَ
الدُّنْيَا وَمَلَازِمَهَا يُفِيدُهُمُ الْأَيْدِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وَفِي هَذَا
الزَّمَانِ عُرِفَ أَفُولُونَيْسُ الطَّلَسَمَاطِيُّ وَكَانَ يُضَادُّ التَّلَامِيذَ
بِأَفَاعِيلِهِ الْمُخَالَفَةَ لِأَفَاعِيلِ أُسْبُحٍ وَيَقُولُ : الْوَيْلُ لِي إِنْ سَبَقَنِي
ابْنُ مَرْيَمَ . وَتَقَى دَوْمِطْيَانُوسُ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِيَّ إِلَى بَعْضِ الْجَزَائِرِ
وَكَتَبَ إِلَيْهِ دِيُونُوسِيُوسُ أُسْتَفُّ أَيْثِنَا كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : لَا يَعْزِيكَ
الشَّجَرُ وَالْمَلَأُ فَإِنَّهُ لَا يَطْوُلُ سَجْنِكَ فَاللَّهُ يَعْمَلُ لَكَ الْخَلَاصَ
فَالْهَيْمُ نَسَكَ بِالصَّبْرِ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ دَوْمِطْيَانُوسُ قَيْصَرُ عَلَى
بَسَاطَةٍ فِي مَجْلِسِهِ

دورة الانطونيين (٩٦ - ١٩٣)

٤٤٨ وَمَلَكَ بَعْدَهُ تَرُوسٌ وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ وَأَمَرَ بِرَدِّ مَنْ كَانَ مَنْفِيًّا
مِنَ النَّصَارَى وَخَلَائِهِمْ وَدِينِهِمْ وَرَجَعَ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِيُّ إِلَى أَفَسَسَ بَعْدَ
سِتِّ سِنِينَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَعَهَدَ بِالْمَلِكِ إِلَى طَرِيَانَسَ مِنْ عُظَمَاءِ
قَوَادِهِ قَوْلِي بَعْدَهُ (٩٨) وَتَسَمَّى قَيْصَرُ وَقَتْلَ شِمْعَانَ بْنِ كَلَاوْفَا أُسْتَفُّ
بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . وَأَغْنَاطِيُوسُ بَطْرِكُ أَنْطَاكِيَةِ رَمِيَ لِلسَّبَاعِ (١٠٧) . وَتَتَّبَعَ
أَيْمَتَهُمُ بِالْقَتْلِ وَاسْتَعْبَدَ عَامَتَهُمْ وَفِيَايُنُوسُ صَاحِبُ الشَّرْطِ لَمَّا عَجَزَ مِنْ
قَتْلِ النَّصَارَى لِكَثْرَتِهِمْ طَاعَ قَيْصَرَ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الْمَذْهَبِ عَامُونَ
بِجَمِيعِ سُنَنِ الْفَلَسِيفَةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَكْرَهُونَ الْأَصْنَامَ . فَأَمَرَ قَيْصَرُ أَنْ
لَا يُجَدَّ فِي أَدَانِهِمْ إِلَّا إِذَا وَجِدَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّقُوهُ بِسَبِّ الْآلِهَةِ قَلِيدَنُ .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى طَرِيَانُوسَ خَارِجِيًّا بِبَابِلَ فَمَلَكَ فِي حُرُوبِهِ
 ٤٤٩ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أُدْرِيَانُوسُ (١١٧) وَفِي الرَّابِعَةِ مِنْ مَلَكَهِ بَطَلَ
 الْمَلِكُ مِنَ الرُّهَا وَتَدَاوَلَتْهَا الْقُضَاةُ مِنَ الرُّومِ . وَبَنَى أُدْرِيَانُوسُ بِمَدِينَةِ
 اثْنَيْتَاوَرْتَبَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ لِمُدَارَسَةِ الْعُلُومِ . وَبَلَغَ أُدْرِيَانُوسُ
 أَنَّ الْيَهُودَ يَرُومُونَ الْإِنْتِقَاضَ وَأَنَّهِمْ مَلَكَوْا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ ابْنُ
 الْكُوكَبِ أَضَلَّ الْيَهُودَ مُدْعِيًا أَنَّهُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ كَالْكُوكَبِ فَيُخَلِّصُهُمْ
 مِنْ عِبُودِيَّةِ الرُّومِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْعَسَاكِرَ وَتَتَبَعَهُمُ بِالْقَتْلِ وَخَرَبَ
 الْمَدِينَةَ حَتَّى عَادَتْ صَحْرَاءَ . وَأَمَرَ أَنْ لَا يَسْكُنَهَا يَهُودِيٌّ وَأَسْكَنَ
 الْيُونَانَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ . وَكَانَ هَذَا الْخَرَابُ لِحُمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مِنْ
 خَرَابِ طَيْطُشَ الَّذِي هُوَ الْجَلُوتُ الْكُبْرَى . وَامْتَلَأَ الْقُدْسُ مِنَ الْيُونَانِ .
 وَكَانَتْ النَّصَارَى يَتَرَدَّدُونَ إِلَى مَوْضِعِ الْقَبْرِ وَالصَّلِيبِ . فَمَنْعَهُمُ الْيُونَانُ
 مِنَ الصَّلَاةِ وَبَنَوْا هُنَاكَ هَيْكَلًا عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ (الاي الفرج)
 وَخَافَ أُدْرِيَانُوسُ طَيْطُوسَ أَنْطُونِيَانُسَ قَيْصَرَ الْمَسْمِيِّ بَارَاوَابَا
 الْبَلَدِ (١٣٨) وَأَزَالَ عَنِ النَّصَارَى الْإِضْطِهَادَ وَأَبَاحَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَدَيَّنُوا
 بِأَيِّ دِينٍ شَاءُوا . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ نَبَعَ فِي السَّبْعَةِ مِنْ الْمُخَالِفِينَ شَخْصٌ
 اسْمُهُ وَالنَّطِيَانُوسُ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ الْمَسِيحَ أَنْزَلَ مَعَهُ جَسَدًا مِنَ السَّمَاءِ
 وَأَجْتَاذَهُ بِمَرِيَمَ كَأَجْتِيَازِ الْمَاءِ بِالْمِيزَابِ أَي لَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا . وَظَهَرَ
 رَجُلٌ يُسَمَّى مَرْقِيُونُ . وَقَالَ إِنَّ الْإِلَهَةَ ثَلَاثَةٌ عَادِلٌ وَصَالِحٌ وَشَرِيرٌ وَمَا
 رَأَى الصَّالِحَ الْعَالَمَ قَدْ انْجَذَبَ إِلَى جِهَةِ الشَّرِيرِ أَرْسَلَ ابْنَهُ لِيَدْعُو

النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ أَبِيهِ الصَّالِحِ فَأَتَى وَنَسَخَ التَّوْرَةَ الْمُتَمَتِّنَةَ سَنَةَ الْعَدْلِ
بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي هُوَ مُتَمَتِّنٌ سَنَةَ الْفَضْلِ . فَلَمَّا أَظْهَرَ مَرْقِيُونَ هَذِهِ
الْحَزْبِيَّةَ وَعَظَّمَتْهُ الْأَسَافِقَةُ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ خَزَعِبَلَتِهِ وَتَمَادَى
فِي أَبَاطِيلِهِ فَنَفَاهُ الْجَمَاعَةُ وَصَارَ لَعْنَةً (الابن القزرج)

٤٥٠ مَا هَلَاكَ أَنْطُونِيوسُ لِثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ مَلَأَتْ مِنْ بَعْدِهِ
مَرْقُوسُ أُرَرَانِشُ (١٦١) . وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ مَعَ أَهْلِ فَارِسَ وَبَعْدَ أَنْ
غَلَبُوا عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ وَسُورِيَّةٍ مِنْ مَمْلِكَةٍ فَدَفَعَهُمْ عَنْهُمَا وَعَلَيْهِمْ فِي حُرُوبٍ
طَوِيلَةٍ . وَأَصَابَ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِهِ وَبَاءَ عَظِيمٌ وَفَحَطَ النَّاسُ وَأَسْتَسْقَى
لَهُمُ النَّصَارَى فَأَمَطُوا وَارْتَفَعَ الْوَبَاءُ وَأَتَّقَحَطَ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَشَدَّ
عَلَى النَّصَارَى (وَاصْحِيحٌ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي بَعْضِ حُرُوبِ أَوْرِيلْيُوسِ)
وَمَعَ كُلِّ هَذَا قُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَهِيَ الشَّدَّةُ الرَّابِعَةُ مِنْ بَعْدِ
نِيرُونَ . وَوَلِيَ مَكَانَهُ قُرْمُدُوسُ ابْنُهُ وَمَاتَ مُخْتَنَفًا (١٨٠ - ١٩٢) . وَفِي
هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَ فِي بِلَادِ آسِيَا مُنْطَانِسُ الْقَاتِلُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ
الْقَارَقَلِيطُ الَّذِي وَعَدَ الْمَسِيحُ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى الْعَالَمِ (الابن خلدون)
دولة القياصرة السوريين (١٩٢ - ٢٣٥)

٤٥١ ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ فَرَطِيخُوسُ وَمَلِكُهُ بِاتِّفَاقِ الْمُرَخِّينَ شَهْرَانَ
وَقَتْلِهِ بَعْضُ قَوَادِمِهِ . ثُمَّ وَلِيَ سُورِيَا نُوسُ (١٩٣ - ٢١٢) وَأَشْتَدَّ عَلَى
النَّصَارَى الشَّدَّةَ الْخَامِسَةَ وَفَتَكَ فِيهِمْ . وَأَعْتَسَفَهُمُ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ
وَالْأَكْلِ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ . ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ غَزْوِهِ الصَّقَالِبَةَ . وَفِي أَيَّامِهِ بَحَثَتْ

الأساقفة عن أمرٍ أنفضح وأصلحو رأس الصوم . ثم ملك بعده ابنه
 أنطونيوس (كر كالا) فقتل لست سنين ملكه ما بين حران والرها .
 (٢١٨) ثم ملك اليوغاي أربع سنين . ثم مقرر بن وقتله قواد رومة
 لسنة من ملكه . وملك من بعده الإسكندروس (٢٢٢ - ٢٣٥)
 وكانت أمه ماما نصرانية وكانت النصرانية معه في سعة من أمرهم .
 وفي السنة الثالثة من ملك هذا الإسكندروس قيصر ابتدأت مملكة
 الفرس الأخيرة المعروفة بيت ساسان ثم نار أهل رومة عليه وقتلوه
 للحكم القوضوي (٢٣٥ - ٢٦٨)

٤٥٢ وملك من بعده مخشيان (٢٣٥) ولم يكن من بيت الملك وإنما
 ولده لأجل حرب الأفرنج . واشتد على النصارى الشدة السادسة
 من بعد نيرون . وقتل سرجيوس في سلمية وباخوس الشهيدين في
 البس على الفرات وقوفريانس الأسقف مع جماعة من المؤمنين . ثم
 هلك مخشيان وملك بعده غرديانوس قيصر (٢٣٨) وطالت حروبه
 مع الفرس وكان ظافرا عليهم وقتله أصحابه على نهر الفرات . ثم ملك
 فيلبوش قيصر ست سنين وأمن بالمسيح وهو أول من تقصر من
 ملوك الروم فأحسن إلى النصارى ثم رام الاجتماع مع المؤمنين فقال
 له الأسقف : لا يمكنك الدخول إلى البيعة حتى تنتهي عن المحارم
 وتقتصر على زوجة واحدة من غير ذوات القرني . فكان محضرا وقت
 الصلاة ويقف خارج البيعة مع الذين أنوا الدين ولم يكملوا فيه بعد .

وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لَمَلِكِهِ ظَهَرَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ الْبِدْعِ قَائِلِينَ إِنَّ مَنْ كَفَرَ
بِلِسَانِهِ وَأَخْمَرَ الْإِيمَانَ بِقَلْبِهِ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ . وَفِي هَذَا الزَّمَانِ بَدَأَتْ
أَعْمَالُ الرَّهْبَانِ عَلَى يَدَيِ أَنْطُونِيوسَ وَفُولِي الْأَمْصَرِيِّينَ . وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ
أَظْهَرَ لُبْسَ الصُّوفِ وَالْتَحَلِّيَ فِي الْبَرَارِيِّ . ثُمَّ مَلَكَ ذُو قِيُوسُ قَيْصَرُ
(٢٤٩) وَلَبِغْضِهِ فِيلِيُوسُ قَيْصَرُ الْمُحْسِنِ إِلَى النَّصَارَى عَادَاهُمْ وَشَدَّدَ
عَلَيْهِمْ جِدًّا وَهِيَ الشَّدَّةُ السَّابِعَةُ . فَكَفَرَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ
قُتِلَ فَقَدَّمُوا التَّوْبَةَ . وَكَانَ نَابَاطِيْسُ الصِّيسِيُّ لَا يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ قَائِلًا :
إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ أَخْطَأَ فَرِيفَ الْأَسَاقِمَةِ تَعْلِيمُهُ . وَفِي زَمَانِ ذُو قِيُوسَ
كَانَ الْفِتْيَةُ أَصْحَابُ الْكَيْفِ فَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُبَاتًا إِلَى يَوْمِ أَنْبِعَاهِمُ
مِنْ رَوْدِهِمْ فِي أَيَّامِ تَاوَدُوسِيُوسَ . وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ الْغُوطُ مِنْ بِلَادِهِمْ
وَاتَّجَلَبَوْا عَلَى بِلَادِ الْغَرِيبِيِّينَ ثُمَّ وُلِيَ وَالرِّيَانُوسُ وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ
وَأَقْبَى النَّصَارَى مِنْهُ شِدَّةً . ثُمَّ سَارَ فِي عَسَاكِرِ الرُّومِ لِعِزْوِ الْفَرَسِ
فَأَنْهَزَمَ وَجَمَلٌ أَسِيرًا إِلَى كِسْرَى بِهَرَامٍ فَقَتَلَهُ . فَوُلِيَ ابْنُهُ غَلِيْنُوسُ (٢٦٠)
وَوَقَعَ فِي أَيَّامِهِ وَبَاءَ عَظِيمٌ فِي رُومَةٍ فَرَفَعَ طَلَبَهُ عَنِ النَّصَارَى بِسَبَبِهِ

دولة القياصرة الإليريين الى قسطنطين الملك (٢٦٨ - ٣٠٧)

٤٥٣ ثُمَّ مَلَكَ أَقْوَيْدُسُ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ (٢٦٨) وَفِي مَلِكِهِ قَدِيمٌ
بُولِسُ الصَّمِيصَاطِيُّ وَكَانَ يَقُولُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَيُحَمَّدُ الْكَلَامَةَ بِالرُّوحِ وَأَنَّهُ
لَمْ يُولَدْ مِنْ عَذْرَاءٍ وَذَكَرَ أَوْسَابِيْرُسُ الْمُوْرُخُ عَنْ هَذَا بُولِسَ أَنَّهُ اسْتَعَانَ
بِامْرَأَةٍ يَهُودِيَّةٍ اسْمُهَا زَيْبُ رَأْسَهَا قَيْصَرُ عَلَى الشَّامِ . وَكَانَتْ تَسْتَحْسِنُ

علمه وكلامه وفوضت إليه بطر كية أنطاكية . فاجتمع الأساقفة
 وردوا مقالته وحرموه وأتباعه ثم ملك بعده أوريلياش (٢٧٠ -
 ٢٧٥) وحارب القوط فظفر بهم وجدد بناء رومة . واشتد على
 النصارى تاسعة بعد نيرون . وهم بالتضييق عليهم وفي هذا الزمان
 عرف ماني الثوري هذا كان يظن النصرانية ثم مرق من الدين وتسمى
 نفسه مسيحا . وكان يقول يعلم الثوية . وهو أن للعالم إلهين أحدهما
 خير وهو معدين النور والآخر شر وهو معدين الظلمة . فقتله سابور
 وسخ جلده وحشاه تبنا وصلبه على سور المدينة لأنه كان يدعي
 الدعاوي العظيمة وعجز عن إبراء ابنه من مرض عرض له . ثم ملك بعد
 أوريلياش قاروش ثم فروفش وقتل بسرمين ثم قاروش وفي السنة
 الثانية لملكه قتل قزما ودمياني الشيدان ثم أبرق فاستظلمه ومات .
 ثم استبد ديوقلاسيانوس بالملك (٢٨٤ - ٣٠٥) وأشرك معه في الملك
 مخشيمان وكان مقيا برومة . ولثلاث عشرة سنة مضت من ملكه
 عصى عليه أهل مصر والإسكندرية فسار إليهم من رومة وغابهم
 وأنكى فيهم . وانتفض على ديوقلاسيانوس أهل مملكة وثار الثوار
 بلاد الإفرنجية والأندلس وأفريقية . فدفع ديوقلاسيانوس إلى
 هذه الحروب كلها مخشيمان هر كوليس وصيره قيصرًا . ثم استعمل
 مخشيمان صهره قسطنطس فمضى إلى الألمانيز في ناحية بلاد الإفرنج
 فظفر بهم بعد حروب طويلة . ثم أمر ديوقلاسيانوس بغلق كنائس

النَّصَارَى بِإِغْرَاءِ مَخْشَمِيَّانَ وَكَانَ أَشَدَّ كُفْرًا مِنْهُ . وَلَقِيَ النَّصَارَى مِنْهُمَا
شِدَّةً وَقَتَلَ مَارِي جَرِيسٌ وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ أُنْبَاءِ الْبَطَارِقَةِ . وَفِي عَاشِرَةِ
مُلْكِهِ قَدِمَ مَارِي بَطْرُسُ بَطْرًا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ . ثُمَّ قَامَ بَعْدَ مَوْتِهِ تَلْمِيذُهُ
إِسْكَندَرُوسُ وَكَانَ كَبِيرَ تَلَامِيذِهِ أَرِيوْشُ كَثِيرَ الْخِزَانَةِ لَهُ . وَفِي أَيَّامِ
دِيَوْفَلِاسِيَانُوسَ رَأَى قُسْطَنْطِيسُ هَيْلَانَةَ وَكَانَتْ تَنْصَرَّتْ عَلَى يَدِ اسْتَفِ
الرُّهَاءِ فَأَعْجَبَتْهُ وَتَزَوَّجَهَا . وَوَلَدَتْ لَهُ قُسْطَنْطِينَ فَأَجْمَعَ دِيَوْفَلِاسِيَانُوسُ
عَلَى قَتْلِهِ فَهَرَبَ إِلَى الرُّهَاءِ . ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ مَوْتِ دِيَوْفَلِاسِيَانُوسَ فَوَجَدَ
أَبَاهُ قُسْطَنْطِيسَ قَدِمًا عَلَى الرُّومِ فَسَلَّمَ الْمَلِكُ مِنْ يَدِهِ (الابن العميد)

ملك قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧)

٤٥٤ ثُمَّ اسْتَعَدَّ قُسْطَنْطِينُوسُ لِنُغْزِوِ مَكْسَنْطِيسَ بْنِ مَخْشَمِيَّانَ لِأَنَّهُ عَصَى
وَلَمْ يُبَايِعْهُ وَغَابَ عَلَى رُومَةَ . وَكَانَ قُسْطَنْطِينُوسُ يَتَفَكَّرُ إِلَى أَيِّ آلِهَةٍ
يُلْجِئُ أَمْرَهُ فِي هَذَا النُّغْزِوِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي هَذَا الْفِكْرِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى
السَّمَاءِ نَصَفَ النَّهَارِ فَرَأَى رُؤْيَا الصَّلِيبِ فِي السَّمَاءِ مِثَالِ النُّورِ وَكَانَ
فِيهِ مَكْتُوبٌ : أَنَّ بِهَذَا الشَّكْلِ تَعَلِّبُ . فَصَاعَ لَهُ صَلِيبًا مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ يَرْفَعُهُ فِي حُرُوبِهِ عَلَى رَأْسِ الرَّمْحِ . ثُمَّ إِنَّهُ غَزَا رُومَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ
مَكْسَنْطِيسُ وَوَقَعَ فِي نَهْرٍ فَأَخْتَنَقَ . فَأَقْتَتَ قُسْطَنْطِينُوسُ مَدِينَةَ
رُومَةَ وَأَعْتَمَدَ فِي هَذَا الْوَقْتِ بَرُومَةَ مِنَ الْيَهُودِ وَعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ زَهَاءَ
أَثْنِي عَشَرَ أَلْفَ نَفْسٍ خَلَا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ (٣١٢) . ثُمَّ حَصَلَ
لِقُسْطَنْطِينُوسَ بَرَصٌ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ خَدَمُ الْأَصْنَامِ أَنْ يَذْبَحَ أَطْفَالَ

الْمَدِينَةَ وَيَنْتَسِلَ بِدِمَارِهِمْ فَيَبْرَأُ مِنْ مَرَضِهِ . فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَطْفَالِ
 لِيَذْبَحَهُمْ فَصَارَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْمَدِينَةِ فَأَحْجَمَ عَنْ قَتْلِهِمْ . وَفِي
 تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى فِي مَنَامِهِ بَطْرُسَ وَبُولُسَ يَقُولَانِ لَهُ : وَجَّهْ إِلَى
 سِيلُونِطْرُسَ اسْتَقِفْ رُومَةَ فَحَيَّ بِهِ فَهُوَ يُبْرِئُ مَرَضَكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ
 وَجَّهَ فِي طَلَبِهِ فَأَتَوْهُ بِهِ وَوَعَّظَ الْمَلِكُ وَأَوْضَحَ لَهُ سِرَّ النَّصْرَانِيَّةِ فَتَعَمَّدَ
 وَذَهَبَ مَرَضُهُ وَأَمَرَ بِنَاءِ كَنَائِسِ النَّصَارَى الْمَهْدُومَةِ (٣١٣) . وَفِي
 السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْمَلِكِ أَمْرٌ قُبْنِي لِبُورَنْطِيَا سُورُ فَرَادَ فِي سَاحَتِهَا أَرْبَعَةٌ
 أَمْيَالٌ وَسَمَاهَا قُسْطَنْطِينِيَّةً وَنَقَلَ الْمَلِكُ إِلَيْهَا (لَايِي الْفَرَجِ)

٤٥٥ ثُمَّ شَخَّصَتْ هِيَ آلَاتُهُ أُمَّ قُسْطَنْطِينَ لَزِيَارَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ .
 فَسَأَلَتْ عَنْ مَوْضِعِ الصَّلِيبِ فَأَخْبَرَهَا مَقَارِيُوسُ الْأَسْقِفُ أَنَّ الْيَهُودَ
 أَهَالُوا عَلَيْهِ الْأَثْرَابَ وَالزَّبِيلَ . ثُمَّ اسْتَخْرَجَتْ ثَلَاثَةً مِنَ الْحَشَبِ وَسَأَلَتْ
 أَيُّهَا خَشَبَةُ الْمَسِيحِ . فَقَالَ لَهَا الْأَسْقِفُ : عَلَامَتُهَا أَنَّ الْمَيْتَ يُحْيَا بِمَسِيحِهَا
 فَصَدَّقَتْ ذَلِكَ بِتَجْرِبَتِهَا . وَاتَّخَذَ النَّصَارَى ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لِوُجُودِ
 الصَّلِيبِ . وَبَنَتْ عَلَى الْمَوْضِعِ كَنِيسَةَ الْقِسْمَانَةِ وَأَمَرَتْ مَقَارِيُوسُ
 الْأَسْقِفُ بِنَاءِ الْكَنَائِسِ (رَوَاهُ ابْنُ خَلْدُونَ عَنِ ابْنِ الرَّاهِبِ)

مجمع نيقية (٣٢٥)

٤٥٦ وَفِي هَذَا الزَّمَانِ كَانَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ إِسْكَانْدَرُوسُ الْبَطْرِكُ
 وَكَانَ لِعَهْدِهِ أَرِيُوسُ . وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى حُدُوثِ الْإِبْنِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا
 خَلَقَ الْخَلْقَ بِتَفْوِيضِ الْآبِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . فَغَنَّهُ إِسْكَانْدَرُوسُ

الدُّخُولَ إِلَى الْكَنِيسَةِ وَأَعْلَمَ أَنَّ إِيمَانَهُ فَاسِدٌ . وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى
سَائِرِ الْأَسَاقِنَةِ وَالْبَطَارِكَةِ فِي النُّوَاحِي وَفَعَلَ ذَلِكَ بِأَسْقِينِ آخَرِينَ
عَلَى مِثْلِ رَأْيِ أَرِيُوشَ . فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى قُسْطَنْطِينِ وَأَحْضَرَهُمْ
جَمِيعًا لِتَسْعَ عَشْرَةَ مِنْ دَوْلَتِهِ وَتَنَاطَرُوا . وَمَا قَالَ أَرِيُوشُ إِنَّ الْإِبْنَ
حَادِثٌ وَإِنَّ الْأَبَ فَوْضَ إِلَيْهِ بِالْحَلْقِ . وَقَالَ الْإِسْكَندَرُوسُ الْحَلْقُ
أَسْتَحَقُّ الْأُلُوهِيَّةَ فَاسْتَحْسَنَ قُسْطَنْطِينُ قَوْلَهُ وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يُشِيدَ بِكُفْرِ
أَرِيُوشَ . وَطَبَّ الْإِسْكَندَرُوسُ أَجْتِمَاعَ النُّصْرَانِيَّةِ لِتَحْرِيرِ الْمُعْتَقَدِ
الْإِيمَانِي . فَجَمَعَهُمْ قُسْطَنْطِينُ وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشْرَةَ أَسْقِفًا
وَذَلِكَ فِي مَدِينَةِ نَيْقِيَّةَ فَسَمِيَ الْأَجْتِمَاعُ مُجْتَمَعِ نَيْقِيَّةَ . وَكَانَ رَئِيسَهُمْ
الْإِسْكَندَرُوسُ بَطْرِكُ إِسْكَندَرِيَّةَ وَمَقَارِيُوسُ أَسْقِفُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ .
وَبَعَثَ سُلْطُوسُ (سَلُوسْطَرُوسُ) بَطْرِكُ رُومَةَ بِقَسْيَسِ حَضَرَ مَعَهُمْ
لِذَلِكَ نِيَابَةً عَنْهُ . فَتَفَاوَضُوا وَتَنَاطَرُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى رَأْيِ وَاحِدٍ . فَصَارَ
قُسْطَنْطِينُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَأَعْطَى سَيْفَهُ وَخَاتَمَهُ وَبَارَكُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا لَهُ
قَوَائِمَ الدِّينِ وَالْمَلِكِ . وَنَفَى أَرِيُوشَ . وَكَتَبُوا الْعَقِيدَةَ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا
أَهْلُ ذَلِكَ الْأَجْمَعِ .

(لابن خلدون)

قُسْطَنْطِينُ فِي مَجْمَعِ نَيْقِيَّةَ

وَكَانَ فِي هَذَا الْأَجْمَعِ أَسْقِفُ يَرِي رَأْيَ نَابَاطِيسَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
لَمْ لَا تُوَافِقُ الْجُمْهُورَ فِي قَبُولِ مَنْ تَابَ عَنْ مَعَاصِيهِ مُنِيبًا إِلَى اللَّهِ .
فَأَجَابَهُ الْأَسْقِفُ : إِنَّهُ لَا مَغْفِرَةَ لِمَنْ فَرَطَ مِنْهُ كَبِيرَةً بَعْدَ الْإِيمَانِ

وَالْعِمَادِ بِدَلِيلِ قَوْلِ فُولُوسِ الرَّسُولِ حَيْثُ يَقُولُ: لَا يَسْتَطِيعُ الَّذِينَ ذَاقُوا
 كَلِمَةَ اللَّهِ أَنْ يَدْنَسُوا بِالْحَطِيئَةِ لِيَطَهَّرُوا بِالتَّوْبَةِ ثَانِيَةً. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ هَازِنًا
 بِهِ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ فَأَنْصِبْ لَكَ سُلْمًا لَتَرَقِيَ فِيهِ وَحَدَّكَ إِلَى
 السَّمَاءِ. وَنَهَضَ بَعْضُ الْأَسَاقِفَةِ فَرَفَعَ إِلَى الْمَلِكِ كِتَابًا فِيهِ سِعَايَةٌ بِبَعْضِ
 الْأَسَاقِفَةِ. فَلَمَّا قَرَأَهُ الْمَلِكُ أَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ الْكِتَابُ بِالنَّارِ وَقَالَ: لَوْ
 وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْكُهَنَةِ فِي رِيْبَةِ لَسْتَرْتُهُ بِأَرْجَوَانِي (الابي القرح)
 موت قسطنطين وتمك بنيه

٤٥٧ ولم يزل دين النصرانية يظهر ويقوى إلى أن دخل فيه أكثر
 الأمم المجاورة للروم من الجلائقة والسقالبية والروس والألان
 والأزمن والكرج وجميع أهل مصر من القبط وغيرهم وجمهور
 أصناف السودان من الحبشة والنوبة وسواهم. وأمن بعد هؤلاء
 أصناف من الترك أيضا. وبني قسطنطينوس بيعة عظيمة بالقسطنطينية
 وسماها أجيأ صوفيا أي حكمة القدس. وبيعة أخرى على اسم
 السليحين. وبني بيعة بمدينة بعلبك. وبني بانطاكية هيكلا ذاتماني
 زوايا على اسم السيدة. وفي أيامه غزا سابور بلاد الروم فنهض
 قسطنطينوس لمحاربتة. وعند وصوله إلى نيقوموديا أدركته المنية وفي
 مرضه قسم الملك على أولاده الثلاثة ومك الكبير المسمى بأسمه
 قسطنطينوس على بلاد إفريقية. ورتب الآخر المسمى قسطنطينوس
 على مصر والشام وما بين النهرين وأرمينية. ورتب الصغير المسمى

قُسْطَنْطِسَ عَلَى رُومَةَ وَإِسْبَانِيَا وَمَا لِيْلِيَا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ . ثُمَّ إِنَّ
 قُسْطَنْطِسِيُوسَ صَارَ إِلَى نِيْصُوْمُوذِيَا فَأَخَذَ جَسَدَ أَبِيهِ فَحَنَطَهُ . وَوَضَعَهُ فِي
 صُنْدُوقٍ ذَهَبٍ وَحَمَلَهُ إِلَى قُسْطَنْطِيزِيَّةٍ وَوَضَعَهُ فِي هَيْكَلِ السَّيْحِيِّينَ . وَفِي
 هَذِهِ السَّنَةِ صَعِدَ سَابُورُ مَلِكُ الْفَرَسِ فَنَزَا نَصِيْبِيْنَ لَمَّا بَلَغَهُ وَفَاةُ
 قُسْطَنْطِيزِيُوسِ الْقَاهِرِ فَحَاصَرَهَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَرَجَعَ عَنْهَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ خَائِبًا
 وَذَلِكَ بِدُعَاءِ مَارِي يَعْقُوبَ اسْتَفْهَمًا وَمَارِي إِفْرَامَ تَلْمِيذِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ
 اسْتَجَابَ دُعَاءَهُ وَأَرْسَلَ عَلَى جَيْشِ الْفَرَسِ بَقَاءً وَهَمَجًا هَزَمَ فِيْلَتَهُمْ . ثُمَّ
 إِنَّ سَابُورَ أَضْطَهَدَ النَّصَارَى الَّذِينَ فِي سُلْطَانِهِ جِدًّا . أَمَّا
 قُسْطَنْطِيزِيُوسُ وَهُوَ الْأَخُ الْكَبِيرُ فَقُتِلَ فِي حَرْبٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ
 الصَّغِيرِ قُسْطَنْطِسَ صَاحِبِ رُومَةَ وَخَلَفَ أَبْنِيْنِ غَالُوسَ وَيُولِيَانُوسَ .
 ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ قُتِلَ قُسْطَنْطِسُ صَاحِبُ رُومَةَ . وَأَمَّا الْأَخُ الْأَوْسَطُ
 قُسْطَنْطِسِيُوسُ صَاحِبُ مِصْرَ وَالشَّامِ فَنَصَبَ غَالُوسَ مَلِكًا عَلَى
 قُسْطَنْطِيزِيَّةٍ مَكَانَ أَبِيهِ . فَعَصَى عَلَى عَمِّهِ فَسِيرَ عَلَيْهِ جَيْشًا وَقَتَلَهُ غِيْلَةً .
 ثُمَّ مَاتَ أَيْضًا قُسْطَنْطِسِيُوسُ وَأَسْتَقَلَّ يُولِيَانُوسُ بِالْمَلِكِ (لَابِي الْفَرَجِ)
 ٤٥٨ ثُمَّ مَلَكَ يُولِيَانُوسُ قَيْصَرُ (٣٦١) وَسُمِّيَ الْمَارِقَ لِأَنَّهُ خَلَعَ رِبْقَةً
 النَّصْرَانِيَّةَ مِنْ عُنُقِهِ وَعَبَدَ الْأَصْنَامَ . وَلِذَلِكَ وَثَبَ الْوَثَانِيُونَ عَلَى
 النَّصَارَى وَوَقَعَ بَيْنَهُمْ بَلَاءٌ عَظِيمٌ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَقُتِلَ مِنْ الْمَكَانِيْنِ
 خَلْقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ إِنَّ يُولِيَانُوسَ الْمَلِكَ مَنَعَ النَّصَارَى مِنَ الْأَسْتِغَالِ فِي
 شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ التَّلْسِفَةِ . وَسَلَبَ أَيْضًا الْكَنَائِسَ وَالذُّيُورَةَ وَأَسْتَصْفَى

مَالٍ مَنْ لَمْ يُطْعَمَهُ مِنَ النَّصَارَى فِي أَكْلِ ذَبَائِحِ الْأَصْنَامِ وَأَهْلِكَ
 كَثِيرِينَ مِنْهُمْ . ثُمَّ إِنَّهُ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ الْفَرَسِ وَدَخَلَ عَلَى أَفُولُونَ الْخَبْرِ
 الْخَادِمِ لِلصَّنَمِ لِيَسْتَعْلِمَ مِنْهُ هَلْ يَنْجَحُ فِي غَزْوِهِ أَمْ لَا . فَحَكَّمَ لَهُ أَنَّهُ يَنْهَرُ
 أَعْدَاءَهُ عَلَى نَهْرِ دِجَّةَ فَاسْتَكْبَرَ لِذَلِكَ يُوْلِيَانُوسُ وَصَالَ جِدًّا . وَجَمَعَ
 جُيُوشَهُ وَغَزَا الْفَرَسَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ وَأَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا نَكَسَ
 رَأْسَهُ سَاجِدًا لِإِلَهَةِ الْحَرَّانِيِّينَ فَسَقَطَ تَاجُهُ عَنْ رَأْسِهِ وَصُرِعَ فَرَسُهُ
 الَّذِي كَانَ تَحْتَهُ فَقَالَ لَهُ خَادِمُ الصَّنَمِ : إِنَّ النَّصَارَى الَّذِينَ مَعَكَ هُمْ
 جَلْبُوا عَالَيْكَ هَذِهِ الْبَلَايَا فَاسْقَطْ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ زُهَاءً عِشْرِينَ أَنْفَ
 رَجُلٍ . وَسَارَ حَتَّى وَافَى الْمَدَائِنَ وَمَا أَشْبَهَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَرَسِ
 عَلَى الدَّجَّةِ صَارَ يَسِيرُ فِي صُفُوفٍ مُتَاتِلِيَةٍ وَيُنَشِّطُهُمُ لِلْحَرْبِ . فَرَمَاهُ
 بَعْضُ الْفَرَسِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ جَنْبَهُ فَسَقَطَ عَنْ دَائِتِهِ . وَبَيْنَمَا هُوَ
 يَمْعَذُ أَخَذَ مِلاً حُفَّتِيهِ دَمًا مِنْ دَمِهِ فَرَشَهُ فِي الْجَوِّ نَحْوَ السَّمَاءِ
 وَقَالَ : إِنَّكَ غَلَبْتَنِي يَا ابْنَ مَرْيَمَ فَرِثْ مَعَ مُلْكِ السَّمَاءِ مُلْكَ الْأَرْضِ

ملك يوفيانوس (٣٦٣) وولنطيانوس ووالنس (٣٦٤)

٤٥٩ ما قتل يوليانوس المارق بقي عسكر الروم بغير ملك وكان مهتدم
 المساك يوفيانوس فأتتمعوا إليه وبأيعوه وأشترط عليهم الدخول في
 النصرانية وجرى الصلح بينهم وبين الفرس . وما ولي نزل للفرس
 على نصيبين ونقل الروم الذين بها إلى أمد . ورجع إلى كربي
 مملكتهم فرد الأساقفة إلى الكنائس ورجع فحين رجع اثناسيوش

بَطْرِكُ إِسْكَندَرِيَّةَ وَطَبَّ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ أَمَانَةً أَهْلَ مَجْمَعِ نَيْقِيَّةَ .
فَجَمَعَ الْأَسَاقِفَةَ وَكَتَبُوهَا وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالزُّوْبَانِ ثُمَّ إِنَّ يُوفْيَانُسَ (٤٥٩)
هَلَكَ بِالْفَالِجِ لِسَنَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ مُلْكِهِ . وَأَفْتَرَقَ الْقُوطُ فِي أَيَّامِهِ
فِرْقَتَيْنِ عَلَى مَذْهَبِي أَرِيُوشَ وَأَمَانَةَ نَيْقِيَّةَ . وَفِي أَيَّامِهِ وَلِي دَامَاشُ
بَطْرِكًا بِرُومَةَ . وَأَنْطِينِيَانُ مَلِكٌ ثَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَوَلِي وَالْأَنْشَ أَخَاهُ
عَلَى الْمَشْرِقِ وَكَانَ شَرِيكَهُ فِي الْمَلِكِ . ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِأَهْلِ
أَفْرِيْقِيَّةَ فَأَجَارَ إِلَيْهِمُ الْبُحْرَ وَحَارَبَهُمْ فَظَفِرَ بِالثَّأْرِ وَقَتْلَهُ بِقَرطَاجِنَةَ
وَرَجَعَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَحَارَبَ الْقُوطَ وَالْأَمَمَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَلَكَ فِي
حُرُوبِهِمْ فَأَسْتَقَلَّ وَالْأَنْشُ وَحَدَهُ بِالْمَلِكِ . وَكَانَ وَأَنْطِينِيَانُ يَدِينُ
بِالْأَمَانَةِ وَوَالِ الْأَنْشُ يَدِينُ بِمَذْهَبِ أَرِيُوشَ . فَأَشْتَدَّ عَلَى أَهْلِ الْأَمَانَةِ
وَقَتْلَهُمْ . وَبَعْدَ وَفَاتِهِ عَقِدَ الْمَجْمَعُ الثَّانِي بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ (٣٨١) (لابن العميد)

تتمة تاريخ الروم الى ظهور الملة الاسلامية

ملك اغراتيانوس (٣٧٥) وتاوداسيوس (٣٧٩)

٤٦٥ ثم ملك بعده اغراتيانوس قيصر سنة واحدة وأشرك معه في ملكه رجلاً اسمه
تاوداسيوس واستعمله على المشرق فملك الكثير منها ثم هاجم على اغراتيانوس فقتله .
فأستقل تاوداسيوس بمات قنباصرة سبع عشرة سنة ورد جميع ما نفاه والانش قبله من الاساقفة
الى كورنثوس وخلق كل واحد مكانه . وفي السنة الخامسة لملكه خرج على مكسيوس الخارجي
فوجه به جيوشاً فقتل . وكان تاوداسيوس ولدان ارقاذيوس واونوريوس . وتأثيرا
وضع تحت تدبير ارسانيوس . ثم هرب ارسانيوس الى مصر وترهب . فرغبه بالمال فابى
وأقام في مغارة بالليل الملقم حتى مات . فبنى ارقاذيوس على قبره كنيسة . ثم ولي تاوداسيوس
قبل وفاته ارقاذيوس على القسطنطينية واونوريوس على رومة (٣٩٥) (المسيحي)

الملك ارقاذيوس (٣٩٥-٤٠٨) واوربوس (٣٩٥-٤٢٣)

٤٦١ ارقاذيوس قبصر ملك ثلاث عشرة سنة وفي أيامه قام يوحنا فم الذهب بطرغا على قسطنطينية . ووضع تفسير الإنجيل وهو ابن ثمان وعشرين سنة . ومنع الكنيسة من أمور كثيرة من الفساد فحسدوه وجعلوا يطلبون عليه عثرة . ونهى الملكة أودكسبا امرأة ارقاذيوس عن اختلاسها كرم امرأة أرملة . ولاخا أبت رشقها في بعض خطبه ذات يوم وشبهها بيازبل امرأة أخاب ملك اسرائيل التي أخذت كرماً أيضاً من أرملة . فركبت يوماً من الأيام وأخذت معها تسعة وعشرين اسقفاً ممن عادي يوحنا فم الذهب واجتمعوا بمدينة خلقيدونية . وحرموه وأسقطوه من مرتبة محبة أنه لم يدع النظر في كتب أوريفانيس فاضطرب أهل القسطنطينية لذلك وهموا باحراق دار الملك فخافهم الملك وبعث الى فم الذهب وردّه الى مرتبة . فلما رجع رفع مثلاً كان للملكة بالقرب من الكنيسة . وخطب ذات يوم وسمى الملكة هيروديا أي الملكة التي قتلت يحيى بن زكرياء المعمدان . فغضبت غضباً شديداً ووجهت الى بعض الأساقفة فجمعهم الى قسطنطينية فحرموه ثانياً ونقدوه . وكان ذلك في السنة الثامنة لارقاذيوس . فدفنوا في بلدة بعيدة فتوفي هناك اثنان واربعين سنة من عمره . وثار الفتن بين الروم والمصريين بسبب عظام يوحنا فم الذهب حتى اتوا بها بعد ثلاث وثلاثين سنة لموتيه . فدفنوها بقسطنطينية وأثبتوا اسمه في سفر الحياة مع باقي الآباء القديسين . ثم ان ارقاذيوس مات وهو ابن ثلاثين سنة وخالف ابنه تاودوسيوس ابن ثمانين سنين (لاي الفرج)

تاودوسيوس الاصغر (٤٠٨-٤٥٠) ومرقيان (٤٥٠-٤٥٧)

٤٦٢ ومالك من بعده تاودوسيوس الأصغر وفي زمانه كثر التصاري في سلطان القرس وظهرت النصرانية جداً على يدي مروثا أسقف ميا فارقين الذي أرسل من تاودوسيوس الصغير الى القرس . وفي السنة العاشرة لتاودوسيوس الصغير عرف شععون صاحب العمود بأنطاكية وكان يظهر الآيات والعجائب . وكان في هذا الزمان مار إسحاق تلميذ مار إفرام صاحب الميامر المنظومة . وفي هذا الزمان انبعث أصحاب الكهف من رقدتهم التي رقدوا على عهد ديقيانوس الملك . فخرج تاودوسيوس الملك مع أساقفة وقسيسين وبطارقة فنظر اليهم وكلمهم فلما انصرفوا من عندهم ماتوا في مواضعهم . وانتفض لعنده قومس أفريقية وخالفه الى طاعة قياصرة فحدثت بأفريقية فتنة بذلك . ثم زحف القوط الى رومة وفر عنها ائوربوس فجاربوها ودخلوها عنوة واستباحوها ثلاثاً وتجاوزوا عن موانئ الكنائس . ثم صالحوا الروم على أن يكون اسم الأندلس فاتفقوا عليها وتركوا رومة . وفي السابعة عشرة من ملك تاودوسيوس قدم اسطوريس بطرغا بالقسطنطينية فقام أربع سنين وظهرت عنه العقيدة التي دان بها . وكان يقول بأحد المشنة دون نفس الكلمة . فبلغت مقاتلة الى كيرسوس بطرغا الإسكندرية فخطب

في ذلك بطرك رومة وأنطاكية وبيت المقدس ثم اجتمعوا بمدينة أفسس في مائتي أسقف وأجمعوا على كفر نسطوريس ونقوه (٤٣١) . وأخذ بقائمه نصارى الجزيرة ولموصل الى افرات ثم العراق وفارس الى المشرق . ثم ملك مرقيان بعده ست سنين وتزوج أخت تاودوسوس الصغير . وكان في أيامه اجمع الرابع بخلقيدونية . وأنه كان بسبب ديسقرس بطرك الإسكندرية . وما أحدث من البدعة في الأمة . فقلوا بانطيينين والأقنوم الواحد وجمعوا على نفيه . واقترقت النصارى الى ملكية . وهم أهل الزمارة فذسبوا الى مرقيان قيصر الملك . والى يعقوبية وهم أهل مذهب ديسقرس . وانما دعوا بعاقبة نسبة الى بعض تلامذة ديسقرس اسمه يعقوب كان يطوف البلاد داعياً الى مقالة ديسقرس . والى نسطورية وهم نصارى المشرق . ثم ملك بعد مرقيان لاون الكبير (٤٥٧) ثم لاونطيوس (٤٧٥) ثم زينون (٤٧٦) وكان يعقوبياً

ملك انسطاس (٤٩١) ويوسطينوس (٥١٨) ويوسطينيانس (٥٢٧)

٤٦٣ أنسطاس قيصر ملك سبعة وعشرين سنة . وفي أول ملكه قتل كثيرين من صبيان الملك لأهم هجوم . واجاز النهر من المغرب الى رومة وغلبوا عليها . وفي السنة الثالثة له بُدِئت دار التي فوق نصيين . ثم إن أنسطاس الملك أراد أن يرفع في البيعة قول المؤمنين في صلواتهم : أنك صليت من أجلنا . فاضطرب أهل القسطنطينية كاهم وأخذوا الحجارة ليرجموه بها . فبأله أمرهم وجبن عنهم . فوضع تاجه عن راسه قائلًا : اني انتهي الى أمركم في تريدون . فكف الشعب عنه . ثم ملك يوسطينوس قيصر تسع سنين وكان أصله من رومة . هذا أصل جمع البيعة ورد كل من نفاه الملوك قبله . وفي السنة السابعة للكه اقتتل الروم والفرس على شاطيء الفرات وغرق من الروم خلق كثير . وفي هذه السنة سقط تلج كثير وجلبد وأفسد عامة الأنهار مع الكروم . وبعد سنة قات الأمتار وعزت الغلات ونقص الماء في الينابيع ثم تبع ذلك حر قوي ووباء شديد ودام ست سنين . وفي السنة التاسعة من ملكه أشرك معه في الملك يوسطينيانس الصغير وكان ابن أخته وبعد ثلاثة اشهر مات وفي هذا الوقت غزا كسرى ملك الفرس مدينة الرها وقتل فيها خلقاً كثيراً . ثم ملك بعده يوسطينيانس قيصر ثلثي وثلاثين سنة . وفي ثلثة ملكه غزا الفرس بلاد الروم فوقعت بين الفرس والروم حروب كثيرة . وزحف كسرى في آخرها الثانية من ملك يوسطينيانس ومعه المنذر ملك العرب فبلغ الرها وغاب الروم وغرق من الفريقيين في الفرات خلق كثير . وحمل الفرس أسارى الروم وسبأهم ثم وقع الصلح بينها . وفي خمس وثلاثين من ملك يوسطينيانس عهد بان يتخذ عيد الميلاد في خامس وعشرين من كانون الأول وعيد الدنح لسنة أيام من كانون الأخير . فامتثلوا مرة خلا الأرمن فاتهم داوموا على تعييد العيد في يوم واحد . وكانت كنيسة بيت لحم صغيرة فامر بان يوسع فيها فبُنيت كرهى لهذا العهد . وفي عهده كان المجمع الخامس بقسطنطينية (٥٥٣)

ثم ملك بعده يوستينوس قيصر (٤٦٥) ثم طيباريوس (٥٧٨)

موريتي (٥٨٢) وفوقاس (٦٠٢) وهرقل (٦١٠ - ٦٤١)

٤٦٤ موريتي قيصر ملك عشرين سنة . وكان حسن السيرة مهل المعاملة كثير الصدقة . وكان في كل سنة يجي طعاماً للفقراء والمساكين ستين مرة ويقوم هو وزوجته من ملكها فيتوليان خدمتهم وإطعامهم وإسقاءهم . وفي السنة الرابعة لموريتي عرض وباء شديد بقسطنطينية ومات من أهلها زهاء أربع مائة ألف نفس . وبعده انتقض على هرمز كسرى قريته جرام وخاعه واستولى على ملكه وقتله . وسار ابنه أبرويز الى موريتي قيصر صريحاً . فبعث معه العساكر ورد أبرويز الى ملكه وقتل جرام الخارج عليه . وبعث اليه بالهدايا والتحف كما فعل اوه من قبله مع القياصرة وخطب أبرويز من موريتي قيصر ابنته مريم فزوجها ابناًها وبعث معها من الجهار والأمتعة والأقمشة ما يضيئ عنه الحدس . ثم وثب على موريتي بعض مالكيه بمداخلة قريته البطريق فوقاس فدسسه عليه فقتله وملك على الروم وتسمى قيصر . وقتل أولاد موريتي . وبلغ أبرويز كسرى ما جرى على موريتي وأولاده . فجمع عساكره وقصد بلاد الروم ليأخذ ثارهم وبعث عساكره مع مرزبان خزرويه الى القدس وعهد اليه بقتل أهلها وخراب البلد . وجاء بنفسه في عساكر الفرس الى القسطنطينية وحاصرها وضيق عليها . ولما خزرويه المرزبان فسار الى الشام وخرّب البلاد . واجتمع جود طهرية والخيال وناصره وصور وأعانوا الفرس على قتل النصارى وخراب الكنائس . فنهبوا الأموال وأخذوا قطعة من الصليب وعادوا الى كسرى بالسي وفيهم زخرياً بطرك القدس . ولما انتهى أبرويز في حصار القسطنطينية فبايته وضيق عليها اجتمع البطارقة بملوكها وبعثوا السفن مشحونة بالاقوات مع هرقل احد بطارقة الروم ففرحوا به ومالوا اليه وداخلهم في الملك . وثاروا على فوقاس سبب هذه الفتنة وقتلوه . ومالك اعرقل فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعاً الى بلاده . وملك هرقل بعد ذلك إحدى وثلاثين سنة وكان ملكه أول سنة من الهجرة . وفي سابعة الهجرة بعث عساكر الفرس ومقدمهم مرزبانهم شهر يار قدوخ بلاد الروم وحاصر القسطنطينية ثم تغير له . فكتب الى الرازية معه بالقبض عليه وانفق وقوع الكتاب بيد هرقل فبعث به الى شهر يار فانتقض ومن معه وطلبوا هرقل في المدد فخرج معهم بنفسه في ثلاث مائة ألف من الروم وأربعين ألفاً من الأرمن . ثم سار الى الموصل فقتله جموع الفرس وقادهم المرزبان فاحزموا . وقتل وأجفل أبرويز عن المدائن واستولى هرقل على ذخائر ملكهم . وكان شيرويه بن كسرى محبوباً فأخرجه شهر يار واصحابه وسكوه وتقدوا مع هرقل الصبح واسترحع الصليب (لابن العسيد)

تم بحوله تعالى

فهرس الجزء الثاني من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٤٤	٣
٤٦	٣
٥٩	٤
٦٢	٥
٦٧	٦
٦٧	٧
٦٩	٨
٧٢	٩
٧٤	٩
٧٤	١٠
٧٥	١١
٧٨	١٣
٧٨	١٥
٧٨	١٥
٧٨	١٧
٨٠	١٧
٨١	١٧
٨٢	١٨
٨٣	١٨
٨٤	٢٢
٨٦	٢٤
٨٧	٣٠
٨٩	٣٣
٨٩	٣٩
٩٠	٤٠
٩١	٤٣

الباب الأول في اتدين

في الاخلاص لله تعالى واشتاء عليه

تذريه الخالق تعالى

عظمة الخالق

رحمة الله

محبة الخالق

حمد الله

الرجاء بالله والتوكل عليه

الدعاء الى الله

العفو من الله

اغراء بايثار الدين

ذكر فروع شجرة الايمان اي الاعمال

الحجاج والاعرابي

الصلاة

نذات الجنة

الباب الثاني في الزهد

حد الزهد

ذمة الدنيا

الراهب والمسافر

زوال الدنيا

خطبة الى الدرداء الى اهل الشام

نوائب الدهر

ذكر الموت

في الخوف

في التوبة

دعاء

المراثي

الباب الثالث في الحكم

نخبة من أرجوزة ابن مكنس

حكم لعبد المظيف البغدادي

الباب الرابع في الامثال اسائرة

من نثر اللالي لعلي بن أبي طالب

نخبة من كتاب غرر الحكم

نخبة امثال انتفاعنا الابشيري

نخبة امثال اوردها جاء الدين العاملي

ايات تتشتمل على اعرب لشعراء مختلفين

الباب الخامس في الامثال عن السنة

الحيوانات

اشعلب والديك

الاسد والثعب والذئب الزام

رجل وقبرة

الكب والظيل الصياد والصدفة

المصفور والفتح

الغراب والسنور والنسر

العابد والدرتان بطشان وسلخفاة

اعشى ومقعد الحمامتان

العابد والكب

تاجر ومستودع عنده

يراعة وقرود

شريكان

رجل وابن عرس

وجه	وجه	وجه
١٣٧	٩٢	فيلة وارنب
١٣٨	٩٤	ارنب واسد
١٤٥	٩٦	الباب السادس في الفضائل والنقائص
١٤١	٩٦	الصبر
١٤٢	١٠٠	الحلم
١٤٣	١٠٣	العدل
١٤٥	١٠٤	الوفاء
١٤٦	١٠٥	الصدقة والخلة
١٤٧	١٠٩	المشورة
١٤٨	١١٠	كتاب السر
١٤٨	١١١	الصمت وحفظ اللسان
١٤٩	١١٢	الكذب
١٥٠	١١٥	التواضع والكبر
١٥١	١١٧	الحسد
١٥٢	١١٨	ذم الغيبة
١٥٣	١١٩	المزاح
١٥٤	١٢٠	الكرم
١٥٧	١٢٢	الشكر
١٦٠	١٢٣	الشفقة
١٦٣	١٢٥	ذم التبذير
١٦٤	١٢٧	البطنة
١٦٤	١٢٧	ذم التبذير
١٦٥	١٢٨	المعقل
١٦٧	١٣٠	التعلم وشرفه
١٦٨	١٣٣	شرائط العلم
١٧٠	١٣٥	آفات العلم
١٧١	١٣٦	الادب
		تأديب الصغار
		ما ينبغي للوالد في تربية ابنه

